تمت التصويبات

د. علي البدري

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية

فرع الأدب

الشواهد الشعرية في كتاب

دلائل الإعجاز

للشيخ عبد القاهر الجرجاني

توثيق وتحليل ونقد

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة العربية

إعداد الطالبة :

نجاح أحمد عبد الكريم الظهار

إشراف :

سعادة الأستاذ الدكتور: علي محمد حسن العماري



١٤٠٧ هـ - ١٤٠٨ هـ
١٩٨٧ م - ١٩٨٨ م

الشاهد السابع والثمانون : (*) (الطويل)

سَأَشْكُرُ عَمْراً إِنْ (١) تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي (٢) .·. أَيَادِيَ لَمْ تُمْنَنْ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ
فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ (٣) .·. وَلَا مُظْهِرُ (٤) الشَّكْوَى (٥) إِذَا النَّعْلُ (٦) زَلَّتِ (٧)

(*) الدلائل ، رضا : ١١٥ ، خفاجي : ١٨١-١٨٢ ، شاكر : ١٤٩

(١) رواية الفاضل ، والكامل ، وديوان أبي الأسود ، وبهجة المجالس ، ووفيات الأعيان ، ومجموعة المعاني : " مَا تَرَاخَتْ " .
وهذه الرواية أحسن " أي مدة بقائه في الدنيا ، أما رواية " إن " فقد علّق شكره على شرط أن يعيش .

(٢) لم تمنن : يجوز أن يكون المراد لم تُقْطَع ، وإن عظمت ، وقال ذلك لأن الأيادي السنية لا تكاد تتناسق ، ويقال : حبل مَنِين وَمَمْنُون ، وفي القرآن " لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُون " - الانشقاق : ٢٥ - ويجوز أن يكون المراد لم تُخْلَط بِمَنٍّ ./ . شرح الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٥٨٩ .

(٣) رواية أمالي المرتضى : " فَتًى غَيْرُ مَحْجُوبٍ عَنِ الْعَيْنِ عِرْضُهُ "

(٤) رواية حماسة البحتري : " وَلَا يُكْثِرُ الشَّكْوَى " .

(٥) رواية أمالي المرتضى : " وَلَا مُظْهِرُ الْبَلْوَى " .

(٦) رواية حماسة البحتري : " إِذَا الْيَدُ "

(٧) انظر البيتين في :-
ديوان أبي الأسود الدؤلي - ت . محمد حسن آل ياسين - : ١٠١ ، رقم القصيدة (٧٢) ديوان عبد الله بن الزبير - فيما ينسب له - : ١٤١ ، ديوان إبراهيم بن العباس الصولي - الطرائف الأدبية : ١٣٠ ، رسائل الجاحظ : ١ / ٣٨ ، عيون الأخبار : ٣ / ١٦١ ، حماسة البحتري : ١٠٩ ، الفاضل : ٩٨ ، الكامل : ١٤٥ ، العقد الفريد - دار الكتب - ١ / ٢٣٥ ، أمالي القالي : ١ / ١٤٠ ، الأغاني : ١٤ / ٢٢٣ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٤٢١ - ٤٢٢ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٥٨٩ ، أمالي المرتضى : ١ / ٣٠٦ ، بهجة المجالس : ٣١٤ ، سمط اللآلي : ١ / ١٦٦ ، الممتع في صنعة الشعر : ٢٣٧ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٧٠ ، الحماسة البصرية : ١ / ١٣٥ ، الإيضاح ١ / ١٠٩ - ١١٠ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٤٧٨ ، ٦ / ٢٣٢ - ٢٣٣ ، شرح ======

أورد ها الشيخ من غير عزو ، وينسبان لمحمد بن سعيد الكاتب ، أو لإبراهيم الصولي ، أو لعبد الله بن الزَّبير ، أو لأبي الأسود الدؤلي (١) .

=== أبيات الإيضاح - فيض الله - ٩ أ ، خزانة البغدادي : ٢/ ٢٦٥ ، مجموعة المعاني : ٩٦٠ .

(١) نُسبت الأبيات - بيتا الشاهد وماسيذكر بعد ذلك - في عيون الأخبار وأمالي المرتضى ، ووفيات الأعيان ، والطرائف الأدبية ، ومجموعة المعاني لإبراهيم بن العباس الصولي ، وهي ضمن ديوانه في الطرائف الأدبية ، وذُكر البيت الثالث - الذي سيرد فيما بعد - في معجم الأدباء : ١٣/ ١١٢ لإبراهيم الصولي أيضا .
وذُكرت الأبيات في حماسة البحتري ، والفاضل ، والكامل ، والعقد ، وشرح الحماسة للمرزوقي ، وبهجة المجالس ، والممتع في صنعة الشعر ، وشرح الحماسة للتبريزي ، والإيضاح ، من غير عزو .
ورجح محقق الإيضاح - محمد عبد المنعم خفاجي - كونها لأبي الأسود الدؤلي لأنها أشبه شيء بشعره ، وعلل لاختلاف الرواة في نسبتها أن الشعراء ربما تمثلوا بها فظنوها من شعرهم .
وعزاها أبو علي القالي في أماليه إلى بعض الأعراب .
وهي في رسائل الجاحظ ومعجم الشعراء للمرزباني ، وشرح الحماسة للتبريزي لمحمد بن سعيد الكاتب ، وذكر الجاحظ أن محمداً هذا رجل من الجند وقال المرزباني : أنه شاعر بغدادي .
وذكر محقق ديوان عبد الله بن الزَّبير - الدكتور يحيي الجبوري - أن ابن خلكان نسبها في الوفيات لمحمد بن سعد الكاتب ثم ذكر أنه قال : " قلت هي للصولي إبراهيم بن العباس " . وقد بحثت في الوفيات فوجدت الأبيات في موضعين منه ، ولم أرى نسبتها إلى محمد بن سعد الكاتب ، ووجدت قول ابن خلكان السابق - الذي يَنسِب فيه الأبيات لإبراهيم الصولي - مذكوراً بعد أن أنشد ابن هبيرة - وزير الخليفة المقتفي - الأبيات أمام الخليفة فقال ابن خلكان : " قلت : وهذان البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي " ٦ / ٢٣٢ - ولم يذكر ابن خلكان - الأبيات في ======

وموضع الشاهد قوله " فَتىً غيرُ مَحْجُوبٍ " والأصل " هُو فَتىً " ، وورد الشاهد ضمن أربعة أبيات هي :

سَأَشْكُر عَمْراً إِنْ تَراخَتْ مَنِيَّتي ...

فَتىً غيرُ مَحْجُوبِ الغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ ...

رَأَى خَلَّتِي (١) مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا .·. فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيهِ (٢) حَتَّى تَجَلَّتِ

إِذَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ المَوَدَّةُ أَقْبَلَتْ .·. وَإِنْ غُمِزَتْ مِنْهُ القَنَاةُ اكْفَهَرَّتِ (٣)

==== ترجمة الصولي : ١ / ٤٥ - ٤٧ ، وهي في الأغاني ، والحماسة البصرية ، ورواية في السمط ، والخزانة للبغدادي لعبد الله بن الزَّبِير الأسدي قالها في عمرو بن أبان ، وذكر صاحب الحماسة البصرية أنها تُروى أيضا لعمرو بن كميل ، وكذلك أشار التبريزي أنها تروى لعمرو بن كميل في عمرو بن ذكوان .

وهي في سمط اللآلى منسوبة لأبي الأسود الدؤلي في عمرو بن سعد ابن العاص ، وهي موجودة في ديوانه .

(١) رواية حماسة البحتري ، ومعجم الشعراء ، وأمالي القالي : " رأى خُلَّةً " ويبدو أن رواية التنكير هذه أفضل وأجمل ؛ لأنها تُظهر تعفف الشاعر ، وحرصه ورغبته في التَّجَمُّل بستر تلك الخُلَّة .

رواية شرح الحماسة للمرزوقي : " رَأَى زَلَّتِي "

(٢) رواية وفيات الأعيان : " فَكَانَتْ بِمَرْأَىً مِنْهُ حَتَّى تَجَلَّتِ "

ذكر ابن خلكان أن ابن هبيرة قد تعمَّد تغيير الرواية تأدباً لأنه أنشدها بحضرة الخليفة المقتفي .

(٣) ذُكرت الأبيات الثلاثة الأولى في معظم المصادر السابقة ، وذُكر البيت الأول فقط في سمط اللآلى ، وفي ديوان أبي الأسود الدؤلي .

وذُكر البيت الثاني والثالث فقط في أمالي المرتضى . وفي بهجة المجالس ذَكر الأبيات الثلاثة الأولى ، إلَّا أنه نَسَب البيت الثالث لآخر أي جعله منفصلاً عنهما .

والبيت الثالث ذُكر وحده في معاني أبيات الحماسة : ٢٧٠ الحماسية : ======

ذُكِر أنه كان عند عمرو بن سعيد بن العاص رجل من أشراف المدينة، فبينا هو يحدثه ظَهَركُمّ قميصه من تحت جبته ، وكان قد تحرق ، فنظر إليه عمرو، فلما انصرف أرسل إليه عشرة آلاف درهم ، ومائة ثوب ، فقال الرجل هذه الأبيات، ويقال أن الرجل هو محمد بن سعيد الكاتب.(١)

وروى في السمط الرواية عينها إلا أن الرجل فيها أبو الأسود الدؤلي(٢) .

ويروى أيضا أن الناظر هو عمرو بن ذكوان ، نظر إلى عمرو بن كميل ، وعليه جبة بلا قميص ، فتشفع له حتى ولي الحرب بالبصرة ، فأصاب في ولايته مالاً عظيما ، فقال الأبيات مادحًا ابن ذكوان.(٣)

وورد في الأغاني وكذا في رواية في السمط أن الشعر لعبد الله بن الزّبير وأنه أتى عمرو بن أبان بن عثمان ، فسأله ، فقال لوكيله اقترض لنا مالاً ، فقال : مايعطيناه التُّجار : فقال أربحهم ، فاقترض ثمانية آلاف باثني عشر ألفاً فقيل إنه أول من تعين (استقرض بالربا من العِيْنه).(٤)

ولعل من أسرار الحذف هنا ضيق المقام ، والتعويل على أقوى الدليلين ، والاختصار .

يقول الشاعر: سأنشر آلاء عمرو، ونعمه عندي إن مدّ اللهُ في عمري ، وتراخت غاية المقدار من منيتي ، وسأشكر له هذه النعم الصافية من المَنّ، وعطاياه التي لم

=== ٦٩٥ ، والبيت الرابع ذُكر في " الفاضل " للمبرد مع الأبيات الثلاثة الأخرى ، ولم يرد في المصادر الأخرى .

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٧٠ .

(٢) سمط اللآلي : ١ / ١٦٦ .

(٣) شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٧٠ .

(٤) الأغاني : ١٤ / ٢٢٣ ، السمط : ١ / ١٦٦ .

تخلط بأذى على جلالة قدرها ، أو التي لم تقطع بل انتظمت ، واتصلت على كثرتهـا وعظمها.(١)

فروح الشاعر إذاً مشبعة بالامتنان مفعمة بالرضى والعرفان ، فرأت أنه من العرفان بالجميل أن تسرع بإعلان ذلك الشكر، وأن لا تتباطأ في نشره ، فركز الشاعر العبارة ليشد الانتباه ، ويوقظ الأذهان إلى المزايا التي أوجبت عليه الشكر ، فقطع الكلام واستأنف ، وبنى هذا الاستئناف على حذف المبتدأ ، وهذا البناء له قوته ، وأصالته في التركيب الشعري ، فوصفه بأنه " ... فتىً يشرك صديقه في غناه مدة مساعدة الزمان له ، فإن تولى الأمر ، وزلّت النعل تراه لا يتشكّى ولا يتألم ، وهذا مثل قول الآخر :(٢)

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرَهُ .·. عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ (٣)

ويقال في الكناية عن نزول الشر، وامتحان المرء : زلّت القدم به ، كما يقال : زلّت النّعل به.(٤)

فوصفه بقوة البذل والسخاء ، ثم وصفه بالفطنة والذكاء والاهتمام بحال الأصدقاء ، فقد علم بحاله عن طريق الاستدلال ، لأنه كان يستر خلته بالتجمل ، فأدركها ، " فكانت قذى عينه أي لم يصبر عليها كما لا يصبر الرجل على قذى عينيه حتى يخرجه ".(٥)

فرسم بهذه الأوصاف النادرة نموذجاً بشرياً لا يكاد يوجد على أرض الواقع.

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٥٨٩.

(٢) المتنخل الهذلي .

(٣) انظر: ديوان الهذليين : ٢ / ٣٠ ، وهو من قصيدة قالها في رثاء أبيه عُويمر .

(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٥٨٩.

(٥) شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٧٠.

ورأى المرزوقي أن قوله : " ورأى خلتي من حيث يخفى مكانها " زائد على قول ابن عنقاء الفزاري ، وهو :

رَآنِي عَلَى مَابِي عُمَيلَةُ فَاشْتَكَى ∴ إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسَرَّ كَمَا جَهَرْ

" وذلك لأن هذا قال : " رأى خَلَّتي من حيث يخفى مكانها " ، فكأنه أدرك الحال من طريق الاستدلال ، والاهتمام المبعوث من جودة التفطن ، وإن كان صاحبه يتعفف عن السؤال ويتجمل ، وابن عنقاء شاهد الحال عياناً ، فاشتكى إلى ماله سراً وجهراً ، وقال هذا بإزاء الاشتكاء ، فكانت قذى عينيه أي من حسن الاهتمام ما جعله كالداء الملازم حتى تلافاه بالإصلاح ، وإذا كان كذلك ، فموضع الزيادة في كلامه ، وقصده ظاهر (١) .

وأبيات الشاهد شبيهة بقول المَرَّار الفقعسي :

إِذَا افْتَقَرَ المَرَّارُ لَمْ يُرَ فَقْرُهُ ∴ وَإِنْ أَيْسَرَ المَرَّارُ أَيْسَرَ صَاحِبُه

ولإبراهيم بن العباس أبيات في هذا المعنى :

وَلَكِنَّ الجَوَادَ أَبَا هِشَامٍ ∴ وَفِيُّ العَهْدِ مَأْمُونُ المَغِيبِ

بَطِيءٌ عَنْكَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ ∴ وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مَعَ الخُطُوبِ (٢)

وهذان البيتان يوشك أن يكونا مأخوذين من قول أوس بن حجر (٣) :

---

(١) شرح الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٥٨٩ .

(٢) ديوانه - الطرائف الأدبية - : ١٢٩ .

(٣) هو أوس بن حجر بن مالك التميمي ، أبو شريح ، شاعر تميم في الجاهلية ، وهو زوج أم زهير بن أبي سُلمى ، كان كثير الأسفار ، أكثر إقامته في الحيرة عند عمرو بن هند ، وقد عُمِّر طويلاً ، ولم يدرك الإسلام ، وكان شاعر حكمة وغزل : (٩٨ - نحو ٢ من هـ) . / انظر ترجمته : طبقات فحول الشعراء : ١ / ٤١ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ، الشعر والشعراء : ١ / ٢٠٨ - ٢١٥ ، الأغاني : ١١ / ٧٠ - ٨٤ ، سمط اللآلي : ٢٩٠ ، خزانة البغدادي : ٢ / ٢٣٥ ، الأعلام : ٢ / ٣١ .

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِـمُ العَهْدِ بِالَّذِي ∴ يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَيُرْضِيكَ مُقْبِلَا
وَلَكِنَّهُ النَّائِي (١) إِذَا كُنْتَ آمِنـًا ∴ وَصَاحِبُكَ الأَدْنَى إِذَا الخَطْبُ (٢) أَعْضَلَا (٣)

وأيضا لإبراهيم بن العباس مايقارب هذا المعنى :

أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا هَيَّجْتَـهُ ∴ وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَا قَـدَرَا
يَعْلَمُ (٤) الأَبْعَدَ إِنْ أَثْرَى وَلَا ∴ يَعْلَمُ (٥) الأَدْنَى (٦) إِذَا مَا (٧) أَقْتَرَا (٨) (٩)

الشاهد الثامن والثمانون :- (*) (البسيط)

قول جميـل (١٠) :

وَهَلْ بُثَيْنَـةُ يَالَلنَّـاسِ قَاضِيَتِي ∴ دَيْنِي وَفَاعِلَةٌ خَـيْرًا فَأَجْزِيَهَـا

---

(١) رواية الديوان : " وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّائِي مَادُمْتَ آمِنًا " .
(٢) رواية الديوان : " إِذَا الأَمْرُ " .
(٣) ديوانه : ٩٢ .
(٤) رواية الديوان : " إِذَا مَا نَعْمَتَه " .
(٥) رواية الديوان : " يعرف " .
(٦) رواية الديوان : " يعرف " .
(٧) رواية ديوانه : " إِذَا مَا افْتَقَرَا " .
(٨) ديوانه : " الطرائف الأدبية " : ١٣٣ .
(٩) أمالي المرتضى : ١/٣٠٦ .
(*) الدلائل ، رضا : ١١٥ ، خفاجي : ١٨٢ ، شاكر : ١٥٠ .
(١٠) هو جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث من بني عذرة ، كنيتـه أبو عمرو (٠٠٠ - ٨٢هـ) ، عُرِف ببثينة ، والتصق اسمه باسمها ، فيقـال : " جميل بثينة " وهي بثينة بنت حبأ بن ثعلبة (أم عبد الملك) خطبهـا جميل فَرُدَّ عنها وزُوِّجت برجل يُدعى نبيها .
نشأ جميل في بني ربيعة - قومه - في ربوع وادي القرى بين مكة والمدينة ، ثم أخذ يختلف إلى المدينة . وذكر أنه لقي عمر بن أبي ربيعة وتناشـدا الشعر ، وكان جميل شاعراً فصيحاً مقدَّماً جامعاً للشعر والرواية ، كـان =====

تَرْنُو (١) بِعَيْنَيْ مَهَاةٍ أَقْصَدَتْ (٢) بِهِمَا ∴ قَلْبِي عَشِيَّةَ تَرْمِينِي وَأَرْمِيهَا
هَيْفَاءُ (٣) مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ (٤) مُدْبِرَةً ∴ رَيًّا (٥) العِظَامِ بِلِينِ العَيْشِ غَاذِيهَا (٦)

=== راوية هُدْبة بن خَشْرَم ، وكان هُدْبَةُ شاعراً راوية للحطيئة ، وكان الحطيئة شاعراً راوية لزهير وابنه ، وكان كثير راوية جميل ، وكان كثير يقدّمه على نفسه ، ويتخذه إماما ، وكان أكثر شعر جميل في النسيب والغزل والفخر وهو قليل المدح .

ولما رحل بنو عذرة إلى أطراف الشام قصد جميل مصرَ وافداً على عبد العزيز بن مروان ، فأكرمه ، وأمر له بمنزل ، فأقام فيه قليلا ، ومات فيه / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ١ / ٤٤١ - ٤٥١ ، الأغاني : ٨ / ٩٠ - ١٥٤ ، المؤتلف والمختلف : ٧٢ ، ١٦٨ ، الموشح : ١٨٠ - ١٨٢ ، تاريخ ابن عساكر : ٣ / ٣٩٨ - ٤٠٨ ، وفيات الأعيان : ١ / ٣٦٦ - ٣٧١ ، البداية والنهاية : ٩ / ٤٤ - ٤٥ ، الأعلام : ٢ / ١٣٨ .

(١) الرّنو : إدامة النظر مع سكون الطّرْف / اللسان : " رنا " : ١٤ / ٣٣٩ .

(٢) أقصدت : الإقصاد أن تضرب الشيء أو ترميه فيموت ، وأقصد السهم أي أصاب فقتل مكانه ، وأقصدت الرجلَ إذا طعنته أو رميته بسهم ، فلم تخطيء مقاتله فهو مُقْصَد ./ اللسان : " قصد " : ٣ / ٣٥٦ .

(٣) هيفاء : الهيَف : جمع أهْيَف وهيفاء ، وهو الضامر البطن ، والهَيَف بالتحريك ، رقة الخصر ، وضمور البطن / اللسان : " هيف " : ٩ / ٣٥٢ .

(٤) عجزاء : عَجُز الشيء ، وعِجْزه ، وعُجْزه ، وعَجُزه ، وعَجِزه : آخره ، والعجزاء التي عَرُض بطنها ، وثقلت مأكمتها ، فعظم عجزها - والمأكمة - العجز أيضا . / اللسان : " عجز " : ٥ / ٣٧٠ - ٣٧١ .

(٥) ريًّا : رَوي الحبل رَيًّا فارْتَوى : فتله ، وقيل أنْعَم فَتْله / اللسان " روى " ١٤ / ٣٤٨ .

(٦) الأبيات غير موجودة في ديوانه - طبعة دار مكتبة الحياة - انظره في : الدلائل : - رضا - : ١١٥ ، خفاجي : ١٨٢ .

وفي طبعة - شاكر - ذُكرت أربعة أبيات مع اختلاف في رواية البيت الثالث، فبعد أن ذكر البيت الأول والثاني أورد قوله :

هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً ∴ رَيَّا العِظَامِ بِلَا عَيْبٍ يُرَى فِيهَا
مِنَ الأَوَانِسِ مِكْسَالٌ(١) مُبَتَّلَةٌ(٢) ∴ خَوْدٌ(٣) غَذَاهَا بِلِينِ العَيْشِ غَاذِيهَا

وعلق الأستاذ شاكر على ماجاء في طبعة - رضا - وخفاجي - قائلا :

" وجعله في المطبوعة ثلاثة أبيات ، فقال في الثالث :

" رَيَّا العِظَامِ بِلِينِ العَيْشِ غَاذِيهَا " وهو خطأ ".(٤)

وموضع الشاهد قوله : " هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً " ، " عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً " ، فحذف المبتدأ ، والأصل: هِيَ هَيْفَاءُ ، هِيَ عَجْزَاءُ .

الشاعر في هذه الأبيات وَلِهٌ مُتَدَلِّه بمحبوبته ، ونفسه مرهونة برفضها أو إجابتها فلجأ إلى الاستفهام ليقلل من وطأة حيرته " وهل بثينة " ، ويُمَنِّي النفس أن تقضيه دينه ، وما دينه ؟ لعله حبُّه لها ، وإيثارها دون غيرها بملك قلبه ، وعمله الدائب على إرضائها .

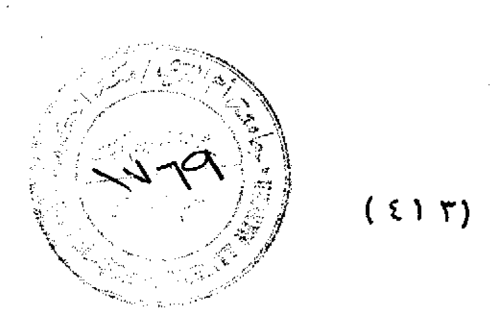
---

(١) مِكْسَال : التي لا تكاد تبرح مجلسها ، وهو مدح لها مثل نؤوم الضحى./ اللسان (كسل) : ١١ / ٥٨٧ .

(٢) مُبَتَّلَة : امرأة مُبَتَّلَة الخَلْق أي منقطعة الخَلْق عن النساء لها عليهن فضل ، وقيل المُبَتَّلَة التَّامَّةُ الخَلْق ، وقيل المُبَتَّلَة من النساء الحسنة الخَلق لا يقصر شيء عن شيء ، لا تكون حسنة العين ، سمجة الأنف ، ولا حسنة الأنف سمجة العين ، ولكن تكون تامة ، فهي التي تَفَرَّد كل شيء منها بالحسن على حدته / اللسان " بتل " : ١١ / ٤٣ .

(٣) خَود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ، وقيل الجارية الناعمة ، وجمعها خُود / اللسان " خود " : ٣ / ١٦٥ .

(٤) الدلائل ، شاكر : ١٥٠ .



وحين بلغ به التمنّي أقصى مداه ، فرّت منه صرخة استنجاد " ياللنـــاس " ، وكأنه يطلب العون لتحقيق مناه .

وخاف الشاعر أن يلومه أحد على شدة تعلقه بها ، فقطع الكلام ، وصرف النفس إلى التّغنّي بمفاتنها ، ليصف بواعث لواعجه ، ويبرر موقفه ، وغلبة هواها عليه ، ثم ليُطرِب النفس بذكراها ، فحين تراميا عشية باللّحاظ أصابت قلبه ، وأقصدته .

وتأمل دقة الشاعر في آختياره " العشية " للقاء ، ولعله آختاره لأنه كان لا يراها إلّا خلسة حين تغفل القبيلة ، أو لأن العشايا وقت لقاء المحبين ، أو لأنه في النهار لا يستطيع إدامة النظر إليها ولا تستطيع هي ؟ .

والنفس الطربة تختار دائماً الموسيقى السريعة لتقفز على نغماتها في يسر وسهولة ، فناسب الحذف موسيقى الأبيات .

وفي اختيار الشاعر القافية بالهاء الممدودة دليل على آنطلاقة روحه وحبورها ؛ لأن في هذه الهاء نوعاً من الانطلاق .

ويبدو لي أن الشاعر لم يوفق في اختياره كلمة " أرميها " ، فقد تكون كلمة " ترميني " جيدة ، ولكن كلمة " أرميها " غير مقبولة ، فالمحب ينظر باستعطاف ورغبة ولا يقصد أن يرمي عين صاحبته ، فالرمي قذف بعنف وقوة ، فهو لا يناسب المقام .

الشاهد التاسع والثمانون :- (*) (الكامل)

قول جميل :

إنّي عَشِيَّةَ رُحْتُ وَهْيَ حَزِينَةٌ ∴ تَشْكُو إليَّ صَبَابَةً لَصَبُورُ

وَتَقُولُ بِتْ عِنْدِي فَدَيْتُكَ لَيْلَةً ∴ أَشْكُو إِلَيكَ فَإِنَّ ذَاكَ يَسِيرُ

غَرَّاءُ (١) مِبْسَامٌ كَأَنَّ حَدِيثَهَا ∴ دُرٌّ تَحَدَّرَ نَظْمُهُ مَنْثُورُ

(*) الدلائل ، رضا : ١١٥ ، خفاجي : ١٨٢ ، شاكر : ١٥٠ .

(١) غرّاء : بيضاء صافية اللون . / اللسان " غرر " : ٥ / ١٦ .

مَحْطُوطَةُ(١) المَتْنَيْنِ مُضْمَرَةُ(٢) الحَشَـا ∴ رَيَّا الرَّوَادِفِ خَلْقُهَا(٣) مَمْكُورُ(٤) (٥)

ومطلع القصيدة :-

زُورُوا بُثَيْنَةَ فَالحَبِيبُ مَـزُورُ ∴ إِنَّ الزِّيَارَةَ لِلْمُحِبِّ يَسِـيرُ

إِنَّ التَّرَحُّلَ إِنْ تَلَبَّسَ أَمْرَنَـا ∴ وَاعْتَاقَنَا قَدَرٌ أُحِمَّ(٦) بَكُـورُ(٧)

وبعدهما أبيات الشاهد وبعده :

لَا حُسْنُهَا حُسْنٌ وَلَا كَدَلَالِهَـا ∴ دَلٌّ وَلَا كَوَقَارِهَـا تَوْقِـيرُ

إِنَّ اللِّسَانَ بِذِكْرِهَا لَمُوَكَّـلٌ ∴ وَالقَلْبُ صَادٍ وَالخَوَاطِرُ صُـورُ

موضع الشاهد قوله " غَرَّاءُ مِبْسَامٌ " أي " هي غَرَّاءُ مِبْسَامٌ " فحذف المبتدأ .

• شكا زوج بثينة إلى أبيها وأخيها إلمام جميل بها ، فشكوه إلى عشيرته ، وتوعدوه

---

(١) رواية الديوان - دار مكتبة الحياة - : مخطوطة ولعله تحريف ومحطوطة المتنين : يريد أن جانبي ظهرها ممدد مستو ليس فيه نتوء ، فالمتن من كل شيء ماصَلُبَ ظهره ، والجمع مُتُون ومِتَان ، والمَتْن والمِتَان مابين كل عمودين./ اللسان " متن " : ١٣ / ٣٩٨ .

(٢) مضمرة الحشا : رقيقة الخصر ، ضامرة ، والضُّمْر من الرجال الضامر البطن ، وهو المهضم البطن اللطيف الجسم./ اللسان " ضمر " : ٤ / ٤٩١ .

(٣) رواية الديوان - دار مكتبة الحياة " خَلْقُهَا " ولعله تحريف .

(٤) خَلْقُهَا ممكور : المدمجة الخَلْق ، وقيل المطوية الخَلْق / اللسان " مكر " : ٥ / ١٨٤ .

(٥) انظر الأبيات في :-

ديوانه - دار مكتبة الحياة -: ٣٥ ، ديوانه - دار صادر : ٦٥ ، الأغاني : ٨ / ١٤٨ .

(٦) حُمَّ بمعنى قُدِّر وَحُمَّ الشيء وأُحِمَّ أي قُدِّر فهو مَحْمُوم / الصحاح " حمم " : ٥ / ١٩٠٤ .

(٧) بَكُورُ : أي باكراً / الصحاح " بكر " : ٢ / ٥٩٦ .

وإيّاهم ، فلامه أهله وعنّفوه ، وقالوا له : نبرأ منك ومن جريرتك [١] .

وأمام هذا التهديد والتعنيف حبس عاطفته ، وكتم حبه ، ففاض به الشوق ، وأخذت الآلام تئز في صدره ، فأخذ يخاطب ابني عمه روقاً ومسعدة ، ويشكو إليهما مايلقاه من فراق بثينة ، ويترجاهما في زيارة تلك الحبيبة ، فهو مايزال يذكر حزنها ويحس شوقها ، وَوَجْدَها به - وهذا خلاف ماهو معروف في باب الغزل - وبخاصة الغزل العذري ، فإن الحُرَّة العفيفة توصف بالحياء والخجل ، ثم قطع الكلام ، وبدأ مقطعاً مهماً في المعنى ، قوي الارتباط بدخيلته ، وبنى هذا الاستئناف على الحذف حيث ساقته هذه الذكرى إلى تذكر أهم صفاتها ، وبواعث حبها ، فهي غرّاء صافية اللون ، مبسام " على وزن مفعال وهي صيغة مبالغة من الابتسام - فجعلها كثيرة التبسم لأن هذه الصفة تبعث الراحة في النفس ، وحديثها دُرٌّ يُفرح القلب ، وهي رقيقة الخصر لطيفة الجسم مطوية الخلق .

قال الدكتور أحمد عبدالسيد الصاوي في تعليقه على هذه الأبيات :

" إنّ حذف المبتدأ هنا يسهم بدون شك في إظهار الحالة التي ملكت عليه مشاعره ، فهو يستغرق في تجربة الحب ، متناسياً حديث حبيبته ، موجهاً اهتمامه إلى حديثه هو عنها مستسلماً لمشاعره نحوها ، فهو معجب بجمال كل مابدا منها ، وكأنه يشكو لها هي كل ما أصابه من حرقة الحب ولهفة النظر إلى مفاتنها .

إن تلك اللحظات كامنٌ صداها في مكان حذف المبتدأ " [٢]

---

(١) انظر :

ديوانه - دار مكتبة الحياة - : ٣٥ ، ديوانه - دار صادر - : ٦٥ ،

الأغاني : ٨/١٤٨ .

(٢) النقد التحليلي : ٢٠٢ - ٢٠٣ .

الشاهد التسعون :- (*) (الطويل)

قول الأُقَيشِر (١) :

سَريعٌ إلى ابْنِ العَمِّ يَلْطِمُ وَجْهَهُ (٢) ∴ وَلَيْسَ إلى دَاعِي النَّدَى بِسَريعِ (٣)

حَريصٌ عَلَى الدُّنْيا مُضِيعٌ لِدِينِهِ ∴ وَلَيْسَ لِمَا فِي بَيْتِهِ بِمُضِيعِ (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ١١٦ ، خفاجي : ١٨٣ ، شاكر : ١٥٠ .

(١) الأُقَيشِر : هو المغيرة بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرو بن أسد بن خزيمة ابن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار ، وكان يُكَنَّى بأبي مُعْرِض . قال ابن قتيبة في نسبه : إنه المغيرة بن الأسود بن وهب وكذلك البكري ". (.. نحو ٨٠هـ) والأقيشر لقب غلب عليه ؛ لأنه كان أحمر الوجه أقشر " وهو شدة الحمرة " وعُمِّر عمراً طويلاً ، فكان أقعد بني أسد نسباً ، وما أخلَقَه بأن يكون وُلِدَ في الجاهلية ونشأ في الإسلام . كان كوفياً خليعاً ماجناً مدمناً على شرب الخمر . / انظر ترجمته : أسماء المغتالين " نوادر المخطوطات " : ٢ / ٢٤٩ - ٢٥٠ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٥٦٣-٥٦٦ ، الأغاني : ١١ / ٢٥١-٢٧٧ ، المؤتلف والمختلف : ٥٦ ، الموشح : ١٧٢ - ٢٠٠ ، سمط اللآلي : ١ / ٢٦ ، الإصابة : ٣ / ٤٧٦ ، معاهد التنصيص : ٣ / ٢٤٣ - ٢٥٠ ، خزانة البغدادي : ٢ / ٢٧٩-٢٨٢ ، الأعلام : ٧ / ٢٧٧-٢٧٨ ، وفي شرح أبيات الإيضاح ذكر أن البيتين لأبي الرُّقيش ، واعتقد أنه خطأ من الناسخ ، والمقصود الأقيشر .

(٢) رواية البديع ، والمنصف في نقد الشعر ، ونهاية الأرب :

" سَريعٌ إلى ابنِ العَمِّ يَشْتُمُ عِرْضَهُ " .

(٣) رواية الصناعتين :

" وَلَيْسَ إلى دَاعِي الوَغَى بِسَريعِ "

ويبدو أن رواية " دَاعِي النَّدَى " أنسب للمقام لأن الشاعر أراد أن يَذُمَّ بُخْلَهُ لا بُطُولَتَهُ وبَسالَتَهُ .

(٤) انظر البيتين في :

البديع : ٤٨ ، الصناعتين : ٤٣٠ ، المنصف في نقد الشعر : ٦١ ، نهاية ======

وهذان البيتان قالهما في ذم ابن عم له موسر، سأله فمنعه وقال : كم أُعطيك مالي ، وأنت تنفقه فيما لا يُغْنِيك ؟ والله لا أعطيك، فتركه حتى اجتمع القوم في ناديهم ، وهو فيهم ، فشكاه إلى القوم وذمّه ، فوثب إليه ابن عمه ، فلطمه ، فأنشأ يقول الأبيات .

وموضع الشاهد قوله : " سَرِيعٌ إلى ابن العم " وقوله : " حَرِيصٌ على الدنيا " أي هو سريع - هو حريص .

• حين ضاق الشاعر من فعلة ابن عمه ، وأخذت الإهانة تضرم في نفسه نار الحقد ، أنشأ يقول الأبيات حاذفًا المسند إليه تطهيراً للسان عنه ، وفي هذا زيادة ذم، وتقبيح للمهجو .

جاء في شرح أبيات الإيضاح :

" وكأن الشاعر إنما حذف المسند إليه في البيتين تطهيراً للسان عنه " (١)

ولعل سر الحذف هنا - أيضا - ضيق المقام ، فالشاعر قد أُهين، ولُطِم أمام ملأ من الناس ، فثارت فيه الرَّغبة في الدفاع عن نفسه بأسرع ما يمكن .

ولقد استشهد كثير من علماء البلاغة السابقين واللاحقين ببيت الشاهد الأول على رد العجز على الصدر، (٢) واستشهد صاحب الإيضاح بالشاهد في موضعي الحذف - أخذاً عن الشيخ فيما يبدو - ورد العجز على الصدر " البيت الأول " (٣) .

=== الأرب : ٧ / ١٠٩ ، الإيضاح : ١ / ١١١ ، ٢ / ٥٤٤ ، التلخيص : ٣٩٣ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ١٠ أ ، معاهد التنصيص : ٣ / ٢٤٢ - ٢٤٣ ، أنوار الربيع : ٣ / ٩٥ ، شروح التلخيص : ٤ / ٤٣٦ ، خزانة الأدب - دار صادر - : ٢ / ٢٨١ .

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ١٠ أ .

(٢) انظر: البديع ، الصناعتين ، التلخيص ، نهاية الأرب ، أنوار الربيع .

(٣) انظر: الإيضاح : ١ / ١١١ - استشهد هنا بالبيتين - ، ٢ / ٥٤٤ - البيت الأول فقط - .

الشاهد الواحد والتسعون :- (*)   (الطويل)

قول عبد الله بن الزَّبِير (١) :

عَرَضْتُ عَلَى زَيْدٍ (٢) لِيَأْخُذَ بَعْضَ مَا .·. يُحَاوِلُهُ قَبْلَ اعْتِرَاضِ الشَّوَاغِلِ (٣)

فَدَبَّ دَبِيبَ البَغْلِ يَأْلَمُ ظَهْرُهُ .·. وَقَالَ : تَعَلَّمْ إِنَّنِي غَيْرُ فَاعِلِ (٤)

تَثَاءَبَ حَتَّى قُلْتُ دَاسِعُ (٥) نَفْسِهِ .·. وَأَخْرَجَ أَنْيَابًا لَهُ كَالمَعَاوِلِ (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ج ١١٦ ، خفاجي : ١٨٣ ، شاكر : ١٥١ .

(١) هو عبد الله بن الزَّبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ ابن طريف بن عمرو بن قعين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ابن خزيمة ، وهو شاعر كوفيّ المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان من شيعة بني أمية ، وذوي الهوى فيهم ، والتعصب والنُّصرة على عدوّهم ، فلمّا غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أُتي به أسيراً ، فمنّ عليه ، ووصله ، وأحسن إليه ، فمدحه وأكثر ، وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قُتِل مصعب ، ثم عَمِيَ عبد الله بن الزَّبير بعد ذلك ، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان ، ويكنّى بأبي كثير / انظر ترجمته : المبهج : ٥٣ ، الاشتقاق : ٤٨ ، الأغاني : ١٤ / ٢١٧ - ٢٦٢ ، معجم الشعراء : ٢٤٤ - ٤٧٠ ، جمهرة أنساب العرب : ١٩٥ ، شرح الحماسة للتبريزي : ٣ / ٩٦ ، تاريخ ابن عساكر : ٧ / ٤٢٦ - ٤٢٨ .

(٢) رواية الديوان : " عَرَضْتُ عَلَى ذِئْبٍ " ، لعل زيداً اسمه وذئباً لقب له .

(٣) رواية الديوان والأغاني : " قَبْلَ اشْتِغَالِ الشَّوَاغِلِ " .

(٤) البيت غير موجود في الأغاني .

(٥) داسع : فاعل من الدسع ، وهو الدفع يقال : دَسَعَه يَدْسَعُه دَسْعاً ودَسِيعة / القاموس المحيط : " دسع " : ٣ / ٢١ ، اللسان " دسع " : ٨ / ٨٥ .

(٦) لم أجد الأبيات إلا في :

ديوانه : - تحقيق يحيى الجبوري - : ١١٤ ، الأغاني : ١٤ / ٢٤١ .

وقبل أبيات الشاهد :

أَحَابِسَ كَيْدِ الفِيلِ(١) عَنْ بَطْنِ مَكَّةٍ .·. وَأَنْتَ عَلَى مَا شِئْتَ جَمُّ الفَوَاضِلِ

أَرِحْنِي مِنَ اللَّائِي إِذَا حَلَّ دَيْنُهم .·. يمشُّونَ في الدَّارَاتِ مَشْيَ الأَرَامِلِ

إِذَا دَخَلُوا قَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكُمُ .·. وَغيرَ السَّلَامِ بِالسَّلَامِ يُحَاوِلُ (٢)

أَلِيَنَّ إِذَ اشْتَدَّ الغَرِيمُ وَأَلْتَوِي .·. إِذَا لَانَ حَتَّى يُدْرِكَ الدينَ(٣) قَابِلِي (٤)

ومناسبتها أنه كان على ابن الزَّبير دين لجماعة ، فلا زموه ، ومنعوه التصرف في حوائجه ، وألح عليه غريمه ، ويقال له : " ذئب " وهو من بني نهشل ، فقال الأبيات يذكر غريمه هذا (٥) .

وموضع الشاهد قوله : "داسع نفسه " والأصل "هو داسع" ولعل سر الحذف هنا هو لهفة الشاعر على ذم " زيد " ، وشدة ضيقه وتبرمه به ، ورغبته الأكيدة ، والسريعة في إظهار هذه الصفة البشعة - وهي شدة التثاؤب وقوته ، وكأنه لشدته يدفع نفسه - إكمالاً لصورة التهكم، والسخرية من زيد هذا .

يرى الشيخ عبد القاهر أن للحذف في تركيب الكلام طعمًا خاصاً يحس به المتذوق الخبير، فرب حذف هو قلادة الجيد ، وقاعدة التجويد، وأورد أبيات الشاهد زيادة دلالةٍ على جودة الحذف . فقال :

---

(١) كيد الفيل : أي كيد أصحاب الفيل مشيراً بذلك إلى وقعة الفيل، وماكان من أمر أبرهة الأشرم ملك اليمن .

(٢) في البيت عيب عروضي يسمى " الإقواء " " وهو اختلاف الإعراب في القوافي ، أو لأنه نقص من عروضه قوة ، وقد سماه العرب إقواء لأنه يقال أقوى الفاتل إذا جاءت قوة من الحبل تخالف سائر القوى" / كتاب القوافي : ٤٩ .

(٣) رواية الأغاني : " إِذَا اشْتَدَّ حَتَّى يُدْرِكَ الدَّينَ قَابِلُ " .
ويكون في البيت اقواء أيضا ، واشْتَدَّ بمعنى استقام، وهو لفظ يقابل كلمة " التوي ".

(٤) ديوانه : ١١٣ ، الأغاني : ١٤ / ٢٤١ .

(٥) الأغاني : ١٤/ ٢٤٠ .

" ... وأن رُبَّ حذفٍ هو قلادة الجيد ، وقاعدة التجويد ، وإن أردت ماهو أصدق في ذلك شهادة ، وأدل دلالة ، فأنظر إلى قول عبد الله ابن الزُّبير يذكر غريماً له قد ألح عليه " (١) .

ثم ذكر الأبيات وقال في التعليق عليها :

" الأصل : " حتى قلت هو داسع نفسه " أي حسبته من شدة التثاؤب ، وما به من الجهد يقذف نفسه من جوفه ، ويخرجها من صدره كما يدسع البعير جرَّته " (٢)

الشاهد الثاني والتسعون :- (*) (السريع)

قول بكر بن النَّطَّاح (٣) :

العَيْنُ تُبْدِي الحُبَّ وَالبُغْضَا .'. وَتُظْهِرُ الإِبْرَامَ وَالنَّقْضَا

---

(١) الدلائل ، رضا : ١١٦ ، خفاجي : ١٨٣ ، شاكر : ١٥١ .

(٢) المصدر السابق ، نفس الصفحات.

(*) الدلائل ، رضا : ١١٧ ، خفاجي : ١٨٤ ، شاكر : ١٥٢ .

(٣) هو بكر بن النَّطَّاح الحنفي ، وفي تاريخ بغداد : هو بكر بن النطاح ابن أبي حمار الحنفي -كنيته أبو وائل ، وهو شاعر كان في زمن هارون الرشيد ، بصري نزل بغداد وكان صعلوكاً يصيب الطريق ، ثم أقصر عن ذلك ، فجعله أبو دُلَف من الجُند ، وجعل له رزقاً سُلطانياً ، وكان شجاعاً فارساً شاعراً ، حسن الشعر والتَّصَرُّف فيه ، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام ، وكان يُقال : أشعر أهل الغزل المحدثين أربعة أولهم أبو بكر بن النَّطَّاح / انظر ترجمته وبعض أخباره : الأغاني : ١٩/١٠٦-١٢٠ ، الوساطة : ٢١٩-٢٤٤-٢٨٨-٣٥٩ ، الموشح : ٢٦٩ ، تاريخ بغداد : ٧ / ٩٠ - ٩١ .

دُرَّةُ مَاأَنْصَفْتِنِي فِي الهَوَى (١) .·. وَلَا رَحِمْتِ الجَسَدَ المُنْضَى (٢)

غَضْبَى وَلَا وَاللهِ يَاأَهْلَهَا .·. لَا أَطْعَمُ (٣) البَارِدَ أَوْ تَرْضَى (٤)

وفي الأغاني ذكر قبل البيت الثالث قوله :

مَرَّتْ بِنَا فِي قُرْطُقٍ (٥) أَخْضَرٍ .·. يَعْشَقُ مِنْهَا بَعْضُهَا بَعْضَا

وذكر بعد البيت الثالث :

كَيفَ أَطَاعتكُم بِهَجْري وَقَدْ .·. جَعَلْتُ خَدِّيَّ لَهَا أَرْضَا (٥)

موضع الشاهد قوله : " غضبي "، والأصل " هي غضبي " وإذاً يكون في الشعر " التفات " من الخطاب إلى الغيبة ، والربط بين الإلتفات وحذف المبتدأ هنا من أسرار جودة الشعر .

فالشاعر هنا واقع في حالة ضيق نفسي ، وتبرم عاطفي لغضب محبوبته منه ، وموقف الضيق هذا يحتاج إلى الإشارات الخفيفة ، والتعبيرات السريعة ، لذا

---

(١) هي جارية من الجواري القيان كانت لبعض الهاشميين ، وكان بكر ابن النَّطَّاح يهواها ، ويذكرها كثيراً في شعره ، وكان يجتمع معها في منزل رجل من الجند من أصحاب أبي دُلَف يقال له : الفرْز ، فسعى به إلى مولاها ، فمنعه من لقائها ، وحجبه عنها إلى أن خرج إلى الكَرَج مع أبي دُلَف / الأغاني : ١٩ / ١١٦-١١٧.

(٢) النِّضْو - بالكسر - البعير المهزول ، وقيل هو المهزول من جميع الدواب والجمع أنضاء ، وقد يستعمل في الإنسان ، والمُنْضَى : اسم مفعول من " أنضاه " - / اللسان " نضا " : ١٥ / ٣٣٠.

(٣) رواية الأغاني : " لا أشرب " .

(٤) لم أجد الأبيات إلا في :-
شعر بكر بن النطاح "شعراء مقلون" : ٤٩ - ٥٠ ، الأغاني : ١٩ / ١١٧ .

(٥) القُرْطَق : أي قَبَاءٌ ، وهو تعريب كُرْتِه ، وقد تضم طاؤه / اللسان " قرطق " : ١٠ / ٣٣٢.

(٦) الأغاني : ١٩ / ١١٧.

نزع الشاعر إلى الإشارات اللَّمّاحة لفرط مايجد ، فحذف المبتدأ ، وأعلن سبب بلواه ، ومحط شكواه ، فقال : " غَضْبَى " ، فهو لم يذكر سبب أو أسباب غضبها ، كان المهم عنده غضبها فقط ، وربما كان من غير سبب ، أو ربما كان لسبب مما يُعَدُّ على الشاعر ، فطواه .

ورأى الشيخ عبد القاهر أن الشاهد من لطيف الحذف قال :

" يقول في جارية كان يحبها ، وسُعي به إلى أهلها فمنعوها منه ، والمقصود قوله : " غضبي " ، وذلك أن التقدير " هي غضبي " ، أو " غضبى هي " لامحالة ، إلا أنك ترى النفس كيف تتفادى من إظهار هذا المحذوف ، وكيف تأنس إلى إضماره ، وترى الملاحة كيف تذهب إن أنت رمت التكلم به " (١)

ومن الواضح أن سبب ضيقه ، وألمه هو " غضبها " أما منع أهلها فليس هو السبب الحقيقي ، فلا أدري لم جعله عبد القاهر الأساس ؟ !

وفي البيت لفتة جميلة ، فقوله : " لا أطعم البارد أو ترضى " أقسم الشاعر بأن لا يطعم البارد ، فما سر اختياره لهذا القسم ؟

لعله أقسم به لأن الشاعر كان صعلوكاً يعيش في الصحراء ، ثم كان جندياً يقاسي الأهوال ، فمن كانت هذه حاله ، فالبارد عنده - لا شك - من أجَلّ الأمور ، فإذا أقسم أنه لايطعمه حتى ترضى ، فقد أقسم على عظيم .

وفي استعمال لفظ " أطعم " بدلاً من أشرب زيادة معنى ، ففيه إظهار لشدة قسمه ، وغلظته ، فهو لم يمنع نفسه من الشرب فقط ، إنما منعها من تذوق أو وصول قطرة منه إلى طرف لسانه .

وقد عاب بعضهم هذا الاستعمال ، ومن هؤلاء يحيي بن نوفل ، الذي عاب

---

(١) الدلائل ، رضا : ١١٧ ، خفاجي : ١٨٤ ، شاكر : ١٥٢ .

على خالد القسري أنه قال حين بلغه أن المغيرة بن سعيد العجلي قد خرج عليه ، فقام يخطب :

" أَطْعِمُونِي مَاءً " ، وذلك لشدة هوله وفزعه واضطرابه ، فقال يحيى بن نوفل يهجوه :

بَلَّ السَّرَاوِيلَ مِنْ خَوفٍ وَمِنْ وَهَلٍ ∴ وَاسْتَطْعَمَ المَاءَ لَمَّا جَدَّ فِي الهَرَبِ
وَأَلْحَنُ النَّاسِ كُلُّ النَّاسِ قَاطِبَـةً ∴ وَكَانَ يُولَعُ بِالتَّشْدِيقِ فِي الخُطَبِ (١)

ويروى أنه قال :

وَقُلْتَ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعِمُونِي ∴ شَرَاباً ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ
لِأَعْلَاجٍ (٢) ثَمَانِيَةٍ وَشَيْخٍ ∴ كَبِيرِ السِّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرِ (٣)

ولا أدري وجه رفض هذا الاستعمال ، وهو استعمال قرآني . قال تعالى :

* وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ (٤) فَإِنَّهُ مِنِّي * (٥)

وفي الأبيات لفتات لطيفة ، أنظر إلى اختيار الشاعر " العين " لإظهار الحب والبغض في قوله : " العَيْنُ تُبْدِي الحُبَّ وَالبُغْضَا " مع أن الحب والبغض يظهر في كثير من أعضاء الإنسان حتى في حركة اليد ، وفي نوع الابتسامة ، وفي لهجة الحديث ، وفي كثير من تصرفاته إيجابية وسلبية ، وما اختيار الشاعر للعين إلا لميزة خاصة فيها ، فهي مرآة القلب ، وفيها تتجسد العواطف والانفعالات .

---

(١) البيان والتبيين : ١ / ١٢٢ .

(٢) العِلج : الرجل الشديد الغليظ ، وقيل هو كلّ ذي لحية ، والجمع أعلاج وعُلوج ، والعِلج الرَّجل القوي الضخم من الكفار / اللسان " علج " : ٢ / ٣٢٦ .

(٣) الحيوان : ٢ / ٢٦٧ - ٢٦٨ ، ٦ / ٣٩٠ ، البيان والتبيين : ٣ / ٢٠٥ .

(٤) أي الماء .

(٥) البقرة : ٢٤٩ .

وآنظر إلى حذف أداة النداء في قوله : " دُرَّة " ؛ ليكون أقرب لنفس محبوبته ، وليثير فيها روح الحنين ، وتأمل بعد هذا الحذف قوله : " ما أنْصَفْتِني " وما فيه من الاستعطاف الممزوج بالعتاب .

الشاهد الثالث والتسعون : (*) (الكامل)

قَالَتْ سُمَيَّةُ قَدْ غَوَيْتَ بِأَنْ رَأَتْ .·. حَقًّا تَنَاوَبَ مَالَنَا وَوُفُودُ (١)

غِيٌّ لَعَمْرُكَ لَا أَزَالُ أَعُودُهُ .·. مَادَامَ مَالٌ عِنْدَنَا مَوجُودُ (٢)

أورد الشيخ البيتين من غير نسبة ، وهما لمعاوية بن مالك " مُعَوِّد الحكماء " (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ١١٧ ، خفاجي : ١٨٤ ، شاكر : ١٥٢ .

(١) ذكر البيتان في الدلائل " رضا - خفاجي " برواية " ووفودا - موجودا "
وقد أثبت الأستاذ محمود شاكر رواية الأصمعيات ، وذكر أنها وردت في بعض مخطوطات الدلائل بقافية الدال المرفوعة ، وأنه أُثبت في هامش بعضها ما نصه :
" قال عبد القاهر : " ووفودُ " معطوفة على الضمير في " تَنَاوَبَ " التقدير " بِأَنْ رَأَتْ حَقًّا تَنَاوَبَ هُوَ وَالوُفُودُ مَالَنَا " / الدلائل ، شاكر : ١٥٢ ، ورجوعي إلى القصيدة أكد عندي رواية الرفع لأن جميع قافيتها مرفوعة .

(٢) لم أجد البيتين إلاّ في :
المفضليات : ٣٥٥ - ٣٥٦ ، رقم (١٠٤) ، الأصمعيات : ٢١٢ رقم (٧٥) .

(٣) هو معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن مضر ، لُقِّب " معود الحكماء " ، لأنه قال في إحدى قصائده :
أُعَوِّدُ مثلَها الحكماءَ بَعْدِي .·. إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الأَشْبَاعِ نَابَا
وعند الآمدي والمرزباني " معوذ " بالذال ، ورواية البيت " أعوذ مثلها " ، وهو فارس شاعر مشهور ، وهو خامس خمسة من إخوته كلهم سَادَ ، وَوُسِمَ بخصلة حميدة عُرف بها ، وأمهم أم البنين بنت عمرو =====

وهذان البيتان من قصيدة مطلعها :

طَرَقَتْ أُمَامَةُ وَالمَزَارُ بَعِيــــدُ .·. وَهْناً وَأَصْحَابُ الرِّحَالِ هُجُودُ (١)

وبيتا الشاهد آخر بيتين في القصيدة وقبلهما :

نُعْطِي العَشِـيرَةَ حَقَّهَا وَحَقِيقَهَا .·. وَنَغْفِرُ ذَنْبَهَـا وَنَسُـــــودُ

وَإِذَا تُحَمِّلُنَا العَشِيرَةُ ثِقْلَهَــا .·. قُمْنَا بِهِ وَإِذَا تَعُودُ نَعُــــودُ

وَإِذَا نُوَافِقُ جَرْأَةً أَوْ نَجْـــدَةً .·. كُنَّا سُمَيَّ بِهَا العَدُوَّ نَكِيــدُ

بَلْ لَا نَقُولُ إِذَا تَبَوَّأَ جِـــيرَةٌ .·. إِنَّ المَحِلَّةَ شِعْبُهَا مَكْـدُودُ

إِذْ بَعْضُهُمْ يَحْمِي مَرَاصِدَ بَيْتِـهِ .·. عَنْ جَارِهِ وَسَبِيلُنَا مَـــورُودُ (٢)

وبعدها بيتا الشاهد .

== ابن عامر "فارس الضحياء"، واسمها الحيا ، وفي الروض الأنف (٣/٢٩٩) اسمها ليلى بنت عامر. وهي التي يُضْرَب بها المثل فيقال : " أنجب من أم البنين " ، ولدت لمالك بن جعفر : عامراً "مُلاعب الأسنة" أبا بـراء ، وطُفَيل الخيل "فارس قُرزُل" والد عامر بن الطفيل ، و"ربيع المُقْتِرين" ربيعة والد لبيد ، و"نزَّال المضيق" سُلْمَى ، و"معود الحكماء" معاوية ، وقيل بل التي ولدتهم بنت رياح بن خالد الجرمي ، وقد فخر لبيد بجدته في قوله : " نحن بنو أم البنين الأربعة " وإنما قال " أربعة " وهم خمسة إمَّا لوزن الشعر ، وإما لأن أباه ربيعة كان قد مات وبقي أعامه . /

انظر ترجمته في :

ألقاب الشعراء " نوادر المخطوطات " : ٢/٣١٣ ، الأغاني : ١٥ / ٣٦١ - ٣٦٣ " عند ترجمة لبيد " ، المؤتلف : ١٨٨ ، معجم الشعراء : ١٨٨ ، جمهرة أنساب العرب: ٢٨٢-٢٨٥ ، سمط اللآلي : ١/١٩٠-١٩١ ، الروض الأنف : ٣/٢٣٩ ، خزانة البغدادي :- دار صادر- ٤/١٧٤ ، تاج العروس " غود " : ٢/٤٤٠ ، الأعلام : ٧/٢٦٣ .

(١) المفضليات : ٣٥٥ ، الأصمعيات : ٢١٢ .

(٢) انظر الأبيات في : المفضليات : ٣٥٥-٣٥٦ ، الأصمعيات : ٢١٢ .

موضع الشاهد في قوله "غيٌّ" والأصل" هو غي" وهذان بيتان من الشعر العذب المستجاد جاءا في أعقاب أبيات يفتخر بها الشاعر بمحتده الذي قام ببنائه الأب والعم، ويرتفع صوته في المديح، فقومه هم أهل الشجاعة والشهامة، وتَحَمُّل المكاره في سبيل السيادة والمجد.

وَتَظهر الكلمات روح الشاعر القوية، وتزداد تلك الروح قوة عندما لامته "سُمَيَّة" على فرط السخاء والكرم، ورمته بالغيّ "قَالَتْ سُمَيَّةُ قَدْ غَوِيتَ"، وكلمة الغي هذه ومجيئها بأسلوب مؤكد أثارت انفعال الشاعر وأخذت تدور في داخله محاولة إخماد تلك الروح القوية الوثابة، إلَّا أن تلك الروح العالية المقدامة ازدادت إصرارا، فأعلنت حقيقتها: نعم هو غيٌّ ولكنه غيٌّ من نوع خاص فريد، والشاعر مُصِرٌّ على الاستمرار في هذا الغي ما وُجِد المال.

وإعلان الحقائق العظيمة يحتاج إلى أسلوب مُرَكَّز مختصر لذا حذف الشاعر المسند إليه، وبدأ بالخبر مباشرة.

قال الشيخ :-

"المعنى: "ذَاك غيٌّ لا أزال أعود إليه فدَعِي عَنْكِ لَومِي" وإِنْ قَدْ عرفت هذه الجملة من حال الحذف في المبتدأ، فاعلم أنَّ ذلك سبيله في كل شيء، فما من اسم أو فعل تجده قد حُذِف ثُمَّ أُصِيبَ به موضعه، وحذف في الحال ينبغي أن يحذف فيها إلا وأنت تجد حذفه هناك أحسن من ذكره، وترى إضماره في النفس أولى، وآنس من النطق به" (١)

---

(١) الدلائل، رضا: ١١٧، خفاجي: ١٨٤، شاكر: ١٥٢-١٥٣.

ب - * حذف المفعول به *

يرى الشيخ عبد القاهر أن لحذف المفعول لطائف أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر . قال :

" وإذ قد بدأنا في الحذف بذكر المبتدأ ، وهو حذف آسم ، إذ لا يكون المبتدأ إلّا آسماً ، فإني أُتبع ذلك ذِكرَ المفعول به إذا حُذِفَ خصوصاً ، فإنّ الحاجة إليه أمَسّ وهو بما نحن بصدده أخص ، واللطائف كأنها فيه أكثر، ومِمّا يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر " (١)

ثم وضع أصلا مهماً وقاعدة ضابطة في حذف الفاعل والمفعول قال :

" وههنا أصلٌ يجب ضبطه ، وهو أن حال الفعل مع المفعول الذي يتعدّى إليه ، حالَهُ مع الفاعل ، فكما أنك إذا قلت : " ضَرَبَ زيدٌ " ، فأسندت الفعل إلى الفاعل ، كأن غرضك من ذلك أن تُثبت الضَّربَ فعلاً له ، لا أن تفيد وجوب الضرب في نفسه وعلى الإطلاق ، كذلك إذا عدّيت الفعل إلى المفعول فقلت : " ضَرَبَ زيدٌ عمراً " ، كان غرضك أن تفيدَ التباسَ الضَّربِ الواقع من الأول بالثاني ، ووقوعه عليه ، فقد آجتمع الفاعلُ والمفعول في أنّ عمل الفعل فيهما إنّما كان من أجل أن يعلم التباسُ المعنى الذي اشتُقَّ منه بهما فَعَمِلَ الرفعَ في الفاعل ، ليُعْلَم التباسُ الضَّربِ به من جهة وُقوعه منه ، والنصبَ في المفعول ، لِيُعْلَم التباسُه به من جهة وقوعه عليه ، ولم يكن ذلك لِيُعْلَمَ وُقوعُ الضَّربِ في نفسه ، بل إذا أُريد الإخبارُ بوقوع الضَّرب ووجوده في الجملة من غير أن يُنسب إلى فاعل أو مفعول ، أو يُتَعَرَّض لبيان ذلك ، فالعبارة فيه أن يقال : " كان ضربٌ " أو " وقع ضَربٌ " أو " وُجِدَ ضَرْبٌ " ، وما شاكل ذلك من ألفاظ تفيد الوجود المجرَّد في الشيء " (٢)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١١٨ ، خفاجي : ١٨٥ ، شاكر : ١٥٣ .

(٢) المصدر السابق ، رضا : ١١٨ ، خفاجي : ١٨٥ ، شاكر : ١٥٣-١٥٤ .

الشاهد الرابع والتسعون : (*) (الخفيف)

قــول البحــتري :

تَشْجُو حُسَّادِهِ وَغَيْظُ عِــدَاهُ .·. أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ وَاعٍ (١)

وهو من قصيدة يمدح بها المعتز بالله ومطلعها :

لَكِ عَهْدٌ لَدَيَّ غَيْرُ مُضَـــاعٍ .·. بَاتَ شَوْقِي طَوْعاً لَهُ وَنِزَاعِـــي

وَهَــوًى كُلَّمَا جَــرَى عَنْهُ دَمْــعٌ .·. آيَسَ العَاذِلِينَ مِنْ إِقْلَاعِـــي

وقبل الشــاهد :

يَتَهَنَّتُ الوَفْدُ فِي أَسِرَّةِ وَجْــهٍ .·. سَاطِعِ الضَّوْءِ مُسْتَنِيرِ الشُّـــعَاعِ

مِنْ جَهِـيرِ الخِطَابِ يَضْعَفُ فَضْلاً .·. عِنْدَ حَالَيْ تَأَمُّلٍ وَاسْـــتِمَاعِ

وبعدها بيت الشاهد وبعده :

وَمَعَانٍ بِالنَّصْرِ تَتْرَى تِبَاعَــــا .·. بِفُتُوحٍ فِي الخَالِعِينَ تِبَــــاعِ

وموضع الشاهد قوله :

" أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ " " يَسْمَعَ دَاعٍ "

والأصل : " أن يَرَى مُبْصِرٌ مَحَاسِنَهُ وَيَسْمَعَ وَاعٍ أَخْبَارَهُ .

ذكر الشيخ عبدالقاهر لحذف المفعول به قواعد بلاغية مهمة ، فالفعـــل المتعدي إذا كان له مفعول غير معين كقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِيـــنَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ينزل منزلة الفعل اللازم، ويعامل معاملته، وهــو إثبات أن الفعل يقع من الفاعل من غير تعرض للمفعول .

أمّا إذا كان للفعل المتعدي مفعول معين مخصوص ، فإنّه يحذف لدلالة

(*) الدلائل ، رضا : ١٢٠ ، خفاجي : ١٨٧ ، شاكر : ١٥٦ .

(١) ديوان البحتري : ١ / ١٥١ ، نهاية الأرب : ٧ / ٧٧ ، التلخيص : ١٢٨ ، " أحوال متعلقات الفعل " ، الإيضاح : ١ / ١٩٦ ، معاهد التنصيص : ١ / ٢٣٢ ، رقم الشاهد " ٤١ " .

(٢) سورة الزمر ، الآية (٩) .

الحال عليه ـ لأغراض بلاغية ، وحاجات نفسية ، فقد يكون الغرض منه ظاهراً واضحاً ، وقد يكون خفياً غامضاً ، وأتى الشيخ عبد القاهر بقول البحتري شاهداً على هذا النوع الخفي اللطيف .

قال الشيخ :

" فنوع منه أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص قد عُلِم مكانه ، إمّا بِجَرْيِ ذِكْرٍ ، أو دليل حال ، إلّا أنك تُنْسيه نفسك وتُخْفيه ، وتُوهم أنك لم تذكُر ذلك الفعل إلّا لأن تُثْبِتَ نفس معناه ، من غير أن تعدّيه إلى شيء ، أو تعرض فيه لمفعول " (١)

فالشاعر حذف المفعول ، ودفع صورته عن وهمه لغرض خاص في نفسه ، وهو اثبات أن ذكر الممدوح قد عم الآفاق ، وأن صيته قد ذاع وانتشر ، فمن كان له بصر يَرَى به فهو لا شك سيرى آثاره لشيوعها وانتشارها ، وكذلك من كان له أذن تسمع سوف يسمع أخباره ، فَيَعْلَم بذلك أنه المستحق للخلافة وحده ، ورام من وراء مدح المعتز التعريض بالخليفه المستعين .

قال الشيخ عبد القاهر :

" المعنى ـ لا محالة ـ أن يَرَى مُبْصِرٌ مَحَاسِنَه وَيَسْمَع واعٍ أَخْبَارَهُ وأوصافَهُ ، ولكنك تعلم على ذلك أنه كان يسرق علم ذلك من نفسه ، ويدفع صورته عن وهمه ؛ ليحصل له معنى شريف وغرض خاص ، وقال أنه يمدح خليفة ، وهو المعتز ، ويعرض بخليفة ، وهو المستعين ، فأراد أن يقول : إن محاسن المعتز ، وفضائله ، المحاسن والفضائل يكفي فيها أن يقع عليها بَصَرٌ ، ويعيها سَمْعٌ حتى يَعْلَم أنه المستحقّ للخلافةِ ، والفَرد الوحيد الذي ليس لأحدٍ أن ينازعه مَرْتبَتَها ، فأنت ترى حسّاده وليس شيء أشجى لهم وأغيظَ ،

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٢٠ ؛ خفاجي : ١٨٧ ، شاكر : ١٥٥-١٥٦ .

من علمهم بأن ههنا مبصراً يرى وسامعاً يعي ، حتى ليتمنّون أن لا يكون في الدنيا من له عينٌ يُبصر بها ، وأذنٌ يَعي معها ، كي يخفى مكانُ استحقاقِه لِشَرَفِ الإمَامَةِ ، فيجدوا بذلك سبيلاً إلى منازعته إيَّاهَا " (١)

وجعل الخطيب القزويني ، وتبعه شُرّاح التلخيص الفعل هنا منزلاً منزلة الفعل اللازم . قال :

" فجعل كما ترى مطلق الرؤية كناية عن رؤية محاسنه وآثاره ، ومطلق السماع كناية عن سماع أخباره " (٢)

أي أن الرؤية والسماع تصدر من غير تعلق بمفعول مخصوص ، ثم جعلهما كنايتين عن الرؤية والسماع المتعلقين بمفعول مخصوص ، وهو محاسنه وأخباره بادعاء الملازمة بين مطلق السماع وسماع أخباره للدلالة على أن آثاره وأخباره بلغت من الكثرة والاشتهار إلى حيث يمتنع خفاؤها ، فيبصرها كل رَاءٍ ، ويسمعها كل وَاعٍ ، بل لا يبصر الرائي إلا آثاره ، ولا يسمع الواعي إلا أخباره ، فذكر الملزوم وأراد اللازم (٣) .

ورأى ابن يعقوب والدسوقي أن هذا الأسلوب يفيد الحصر ؛ لأن قوة الكلام تدل على قصد الحصر بالادعاء ، وهذا طريق من طرق القصر غير الاصطلاحية ، فالشاعر قصد إفراد محاسنه بالرؤية ، وإفراد أخباره بالسماع ؛ لأن في إفراده مايغيظ عداه ، ويثير شجو حساده ، قال ابن يعقوب :

" . . . ادّعى اللزوم بين مطلق الرؤية والسماع ، وكون الرائي والسامع لا يرى إلّا تلك المحاسن ، ولا يسمع إلّا تلك الأخبار ؛ لأنه لو رؤيت غير محاسنه ، أو سمعت غير أخبار مآثره تأتّى ادّعاء المشاركة في الاستحقاق ، فلا يكون

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٢٠ ، خفاجي : ١٨٧ ، شاكر : ١٥٦ .

(٢) الإيضاح : ١/ ١٩٧ .

(٣) شروح التلخيص : ٢/ ١٢٨ - ١٢٩ .

وجود الرؤية والسماع شجو حساده فالمقصود إنّما يحصل في الإنفراد فيه ، وعلى هذا لا يرد أن يقال لا يلزم من استلزام مطلق الفعلين لهما متعديين، حصرهما في محاسنه وأخباره؛ لأن قوة الكلام تدل على قصد الحصر بالادّعاء ؛ لأن ذلك أنسب بجمله منفرداً ، ففحوى الكلام يدل على أن القصد جعل الفعلين لازمين يستلزمان أنفسهما متعديين مع حصرهما فيما تعديا له ، وذلك نهاية المبالغة " (١)

الشاهد الخامس والتسعون : (*) (الطويل)

قول عمرو بن معديكرب :

فَلَوْ أَنَّ قَومِي أَنطَقَتْنِي رِمَاحُهُم ∴ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتِ (٢) (٣)

---

(١) شروح التلخيص " مواهب الفتاح " : ٢ / ١٢٩.

(*) الدلائل ، رضا : ١٢١ ، خفاجي : ١١٨ ، شاكر : ١٥٧ .

(٢) أجرّت : استجر الفصيل عن الرّضاع أخذته قَرْحَةٌ في فيهِ ، أو في سائر جسده ، فكف عنه لذلك .

وأَجْرَرْتُ الفصيل إذا شققت لسانه لئلا يرضع ، / اللسان " جرر " : ٤ / ١٢٦ .

(٣) انظر البيت في :-

ديوانه - صنعة هاشم الطّعّان - : ٤٥ ، الأصمعيات : ١٢١ ، رقم (٣٤) وقيل أنها نسبت في الطبعة الأوروبية " لدريد بن الصمة " ، الحماسة - تحقيق عسيلان - : ١ / ٩٨ رقم (٢٩) ، شرح الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٥٧-١٦٣ ، ٢ / ٣ / ٦١٣ ، شرح الحماسة للتبريزي : ١ / ٨٠-٨٤-٨٥ نقائض جرير والفرزدق : ١ / ٥٢ ، إصلاح المنطق : ٢٥٧ ، البيان والتبيين : ١ / ٢١٤ ، المعاني الكبير : ٢ / ١٠٨٧ ، عيون الأخبار : ٣ / ١٦٤ ، عيار الشعر : ٣٤ ، الأشباه والنظائر للخالديين : ٢ / ٤ ، الصحاح " جرر " : ٢ / ٦١٢ ، معاني أبيات الحماسة : ٤٣ ، الحماسية =====

وهو من قصيدة قالها في حرب جرم ونهد - وقد سبق ذكر مناسبتها -(١) وأول القصيدة :

وَمُرْدٍ عَلَى جُرْدٍ شَهِدْتُ طِرَادَهَا ∴ قُبَيْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَوْ حِينَ ذَرَّتِ

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله :

لَحَا اللَّهُ جَرْماً كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ ∴ وُجُوهَ كِلَابٍ هَارَشَتْ(٢) فَازْبَأَرَّتِ(٣)

فَلَمْ تُغْنِ جَرْمٌ نَهْدَهَا إِذْ تَلَاقَتَا ∴ وَلَكِنَّ جَرْماً فِي اللِّقَاءِ ابْذَعَرَّتِ(٤)

وَقَفْتُ(٥) كَأَنِّي لِلرِّمَاحِ دَرِيئَةٌ(٦) ∴ أُقَاتِلُ عَنْ أَحْسَابِ جَرْمٍ(٧) وَفَرَّتِ (٨)

=== رقم " ٢٩ " ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٧٨ ، أمالي المرتضى : ٢ / ١٨٥ ، " بلا عزو " ، تحرير التحبير : ١ / ٢٠٥ ، سر الفصاحة : ٢٠٥ ، سمط اللآلي : ١ / ٣٦٦ ، بديع القرآن : ٢٩٢ ، الممتع في صنعة الشعر : ١٨ ، الإفصاح : ٣٢٧ ، لسان العرب : " جرر " : ٤ / ١٢٦ ، الإيضاح : ١ / ١٩٧ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : خزانة الأدب : ٢ / ٤٣٧ ، رقم " ١٥٤ " شروح التلخيص : ٢ / ١٢٨ .

(١) انظر الشاهد " الثاني والثمانون " .

(٢) هارشت : الهراش والاهتراش : تقاتل الكلاب / اللسان " هرش " : ٦ / ٣٦٣ .

(٣) ازبأرّت : الزِّبْرَةُ في الأصل شعر مجتمع على موضع الكاهل من الأسد وازبأرّ انتفش حتى ظهر أصل شعره ، أي متهيأ للقتال / اللسان " زبر " : ٤ / ٣١٦-٣١٧ .

(٤) ابذعرّت : ابذعر الناس تفرقوا وجفلوا / اللسان " بذعر " : ٤ / ٥١ .

(٥) رواية الأصمعيات ، والحماسة وخزانة الأدب : " ظَلِلْتُ " .

(٦) رواية شرح الحماسة للمرزوقي وخزانة الأدب " دَرِيَّةٌ " .

(٧) رواية الأصمعيات : " عن ابناء جَرْمٍ " .

(٨) انظر الأبيات في :-

ديوانه : ٤٤-٤٥ ، الأصمعيات : ١٢١-١٢٢ ، مع بعض التقديم والتأخير (٢-٣) ، شرح الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٦٠-١٦٢ ، التبريزي : ١ / ٨٣-٨٤ ، خزانة الأدب - الخانجي - : ٢ / ٤٣٦-٤٣٧ .

فر قوم الشاعر من ساحة الوغى ، وتركوا نصرته وخذلوه عند اللقاء ، فشرع يهجوهم ، ويستقبح فرارهم ويقول : لو أنني رأيت في رماحهم حسن البلاء ، والرغبة في النصرة لنطقت بذلك وافتخرت ، ولكن رماحهم اجرّتني ، وقطعت لساني ، ومنعتني من الفخر بهم كما يجر لسان الفصيل لئلا يرضع من أمه " وجعل الفعلين للرماح لأن المراد مفهوم في أن التقصير كان منهم لا منها " (١)

واستشهد به الشيخ عبد القاهر على أن المفعول المحذوف هنا مفعول مقصود ، ومعلوم ، والغرض من حذفه أن تتوافر العناية على إثبات الفعل للفاعل ، وتخلص له ، وتنصرف بجملتها ، وكما هي إليه . قال :

" وهذا نوع آخر منه " وهو أن يكون معك مفعول معلوم مقصود قصده ، قد عُلِم أنه ليس للفعل الذي ذكرت مفعولٌ سواه ، بدليل الحال أو ما سبق من الكلام ، إلّا أنك تَطرحُه ، وتتناساه وتَدَعُه يلزم ضمير النفس لغرض غير الذي مضى ، وذلك الغرضُ أن تتوفّر العناية على إثبات الفعل للفاعل ، وتَخْلُصَ له ، وتنصرف بجملتها وكما هي إليه " (٢)

فالمفعول في البيت معروف ومقصود ، وهو ضمير المتكلم بدليل قوله " أنطقتني رماحهم " فليس لقوله (أجَرّت) مفعول سواه ، ولكن طُرح هذا المفعول لإثبات أنه كان من الرماح إجرار، وحبس الألسن عن النطق ، ولو أنه ذكر المفعول لتوهم أن ما صدر منها يقطع لسانه هو وحده دون غيره من الشعراء ، وهذا المعنى غير مراد ، وإنما مقصد الشاعر ومراده أن تخاذلهم في اللقاء بلغ من القبح والشناعة والفظاعة ما يسكت كل لسان ، فالبيت يتردد فيه صدى الحسرة والألم ، وخيبة الأمل التي امتلأت بها نفس الشاعر ، فالمقصود من الخبر - فيما يبدو - إظهار التحسر والتألم لما كان من قومه . قال الشيخ عبد القاهر :

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٨٣/١

(٢) الدلائل ، رضا : ١٢٠-١٢١ ، خفاجي : ١٨٧ ، شاكر : ١٥٦ .

" أجرّت " فعل متعدٍّ ومعلوم أنه لو عدّاه لما عدّاه إلّا إلى ضمير المتكلم نحو " ولكن الرّماح أجرّتني " ، وأنه لا يتصوّر أن يكون ههنا شيء آخر يتعدى إليه لاستحالة أن يقول : فلو أن قومي أنطقتني رماحهم : ثم يقول : ولكن الرماح أجرّت غيري " ، إلّا أنك تجد المعنى يُلزمك أن لا تنطق بهذا المفعول ولا تُخرجه إلى لفظك ، والسببُ في ذلك أن تعديتك له تُوهِم ما هو خلافَ الغرض ، وذلك أن الغرض هو أن يُثبِتَ أنّهُ كان من الرّماح إجرار وحَبْس الألسن عن النطق [١] ، وأن يصحّح وجود ذلك . ولو قال : " أجرّتني " جاز أن يُتَوَهَّمَ أنه لم يَعْنَ بأن يثبت للرماح إجراراً ، بل الذي عناه أن يتبين أنها أجرّته [٢] ، فقد يُذكر الفعل كثيراً ، والغرض منه ذكر المفعول . مثالُه أنك تقول : " أَضَرَبْتَ زَيْداً ؟ " وأنت لا تنكر أن يكون كان من المخاطب ضَرْبٌ ، وإنّما تنكر أن يكون وقع الضرب منه على زيد ، وأن يستجيزَ ذلك أو يستطيعَه ، فلمّا كان في تعدية " أَجَرَّت " ما يُوهِم ذلك وقف فلم يُعدِّ البتة ، ولم ينطق بالمفعول لِتَخْلُص العِنايةُ لإثبات الإجرار للرّماح ويصحّح [٣] أنه كان منها ، وتسلم بكليتها لذلك " (٤)

ورأى الخطيب القزويني أنّ قوله " ولكن الرّماح أجَرّت " حذف فيه المفعول ونُزِّل الفعل منزلة الفعل اللازم ، فدلّ على مراده بطريق الكناية ، فأطلق اللازم ، وأراد الملزوم ، فما دام وقع منها الإجرار لزم أن يكون الإجرار قد وقع عليه .

فعنده أن الإجرار صدر من غير تعلق بمفعول مخصوص ثم جعله كناية عن الإجرار المتعلق بمفعول مخصوص ، وهو إجراره هو بادّعاء الملازمة بين مطلق الإجرار وبين إجراره .

---

(١) في الدلائل ، شاكر : " حبسٌ للألسن " .

(٢) في الدلائل ، شاكر : " أن يُبَيِّنَ أنّها أَجَرّتْه " .

(٣) في الدلائل ، شاكر : " وتَصْحِيح " .

(٤) الدلائل ، رضا : ١٢١-١٢٢ ، خفاجي : ١٨٨ ، شاكر : ١٥٧ .

جاء في الإيضاح :-

" لأن غرضه أن يثبت أنه كان من الرّماح إجرار وحبس للألسن عن النطق بمدحهم والافتخار بهم ، حتى يلزم منه بطريق الكناية مطلوبُهُ ، وهو أنها أجَرَّته " (١)

وفي معنى قوله : " أنطقتني رماحهم " وطريقته قول عبد يغوث بن وقاص الحارثي : (٢)

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنَسْعَةٍ (٣) .·. أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيَا (٤)

لأن المعنى أحسنوا إليَّ ينطلق لساني بشكركم .

وضده في المعنى قول قبيصة بن النصراني الجرمي : (٥)

---

(١) الإيضاح : ١ / ١٩٧ .

(٢) وهو شاعر جاهلي (... نحو ٤٠ ق هـ) يماني ، فارس معدود ، كان سيد قومه بني الحرث بن كعب وقائدهم ، وهو من أهل بيت عريق في الشعر في الجاهليه والإسلام / انظر ترجمته في :- الأغاني : ١٦ / ٣٢٨ ، ذيل سمط اللآلي : ٣ / ٦٣ ، الأعلام : ٤ / ١٨٧ .

(٣) النسعة : سير مضفور يجعل زماماً للبعير ./ اللسان " نسع " : ٣٥٢ .

(٤) المفضليات : ١٥٧ ، رقم القصيدة (٣٠) .

(٥) هو أحد شعراء بني جَرْم ، وجَرْمٌ رَهْطٌ من طيّئ ، وقد زعموا أنه هو أبو إياس بن قَبيصة آخر ملوك الحيرة ، الذي استعمله عليها كسرى ، وكان قبيصة سيداً شهماً مطاع الكلمة في قومه ، حضر حرب الفساد التي كانت بين الغوث وجديلة من بني طيّئ ، وقد ذكرها في شعره ، وشعره متين من حر كلام العرب ، وقد ضاع أكثره ، وتوفي قبيصة في أواخر المائة السادسة للمسيح نحو ٥٩٢ م . / انظر ترجمته : الحماسة - تحقيق عسيلان - : ٢٠٢ - ٢٠٧ ، ٢٤٦ ، ٣٥٩ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٦١٠ - ٦٢٠ - ٦٢٣ ، ٦٢٥ ، ١٠٣٠ ، شعراء النصرانية قبل الإسلام : ٩٣ - ٩٧ .

فَأَصْبَحْتُ قَدْ حَلَّتْ يَمِينِي وَأَدْرَكَتْ ∴ بَنُو ثُقُلٍ تَبْلى وَرَاجَعَنِي شِعْرِي (١)

الشاهد السادس والتسعون: (*) (الوافر)

قول جريـــــر :

أَمَنَّيتِ المُنَى وَخَلَبْتِ (٢) حَــتَّى ∴ تَرَكْتِ ضَمِيرَ قَلْبِي مُسْــتَهَامَا (٣)

وهو من قصيدة قالها مادحاً هشام بن عبد الملك (٤)، ومطلعها :

أَصْبَحَ حَبْلُ وَصْلِكُــمُ رِمَامَــا (٥) ∴ وَمَاعَهْدٌ كَعَهْــدِكِ يَاأُمَامَا (٦)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١/ ١٦٣.

(*) الدلائل ، رضا : ١٢٢، خفاجي: ٨٨، شـاكر: ١٥٨.

(٢) الخِلْبُ : الظُفْرُ عامَّةً ، وخَلَبَه يِظُفْرِه يَخْلِبُهُ خَلْباً : جرحه ، وقيـــل خَدَشَه ، والخَلْبُ أيضاً : مَزْقُ الجِلْدِ بالنَّابِ / اللسان " خلب " ١/ ٣٦.

(٣) لم أقف على البيت - فيما رجعت إليه من مصادر - إلا في : ديوانه : ٥٠٣.

(٤) هو هِشَام بن عبد الملك بن مروان ، من ملوك الدولة الأموية فـــي الشام (٧١ هـ - ١٢٥ هـ) ، كنيته الوليد ، بويع بالخلافة في يـــوم وفاة يزيد (١٠٥هـ) ، وكانت ولاية هشام تسعة عشر سنة، ويُحكَــى أنه كان شديد البخل إلا أنه كان ذا دهاء ، وحزم ، وفيه حلـــم وتدبير لأحوال المملكة ، ومن أهم الأحداث في عصره قتله زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب (١٢٢هـ) بالكوفة ./انظر ترجمته : الطبري : ٤ / ٢٥٤ - ٢٥٥ ، ٦ / ١٨١ ، ٤٢٠، ٤٢٩، ٥٥١-٥٥٢، ٢١/٧، ٢٥، ٢١٥، ٠٠٠/٨، ٧٨، ٩٩ ، ٩ / ٤١٠ ، الفخري فـــي الآداب السلطانية : ١٣٢ - ١٣٣ ، التنبيه والإشراف : ٢٩٥ ، مروج الذهب : ٣ / ٢١٣ - ٢٣٠ ، سمط النجوم العوالـــي : ٢١١ - ٢١٧.

(٥) رِمَامًا : رَمَّ الحبلُ : تَقَطَّعَ والرُّمَّةُ والرِّمَّةُ قطعة من الحبـــل البالية ، والجمع رِمَمٌ، ورِمَامٌ ./ اللسان " رمم " : ٢ / ٢٥٢.

(٦) ديوانه : ٥٠٢ - ٥٠٣.

وقبل الشاهد :

إِذَا سَفَرَتْ فَسَفْرُهَا جَمِيلٌ .'. وَيُرْضِي العَيْنَ مَرْجِعُهَا اللِّثَامَا

وبعد الشاهد :

سَقَى الأَدَمَى بِمُسْبِلَةِ الغَوَادِي .'. وَسُلْمَانِينَ مُرْتَجِزًا رُكَامَا

سَبِقَتْ حَمَامَةٌ طَرِبَتْ بِنَجْدٍ .'. فَمَا هِجْتِ العَشِيَّةَ يَا حَمَامَا

وموضع الشاهد في قوله " أَمَنَّيتِ ، وَخَلَبْتِ " ، والشاهد فيه كالشاهد السابق ، فالمفعول هنا معلوم ، وهو ضمير المتكلم في قوله : " أَمَنيتِ وَخَلَبْتِ " أي " أمنيتني وخلبتني ، ولكن الشاعر طرحه وتناساه لفرط إحساسه بقوة خلابة محبوبته ، فأراد أن يصفها بقوة التأثير في نفوس الناس عامة ، وليس فيه وحده .

قال الشيخ :

" الغرض أن يثبت أنه كان منها تمنية ، وخلابة ، وأن يقول لها : أهكذا تصنعين ، وهذه حيلتك في فتنة الناس " (١)

وأقف عند قوله : " ضمير قلبي " لأتساءل ماذا يقصد " بالضمير " ، وهل كان الشاعر يريد القلب ، فاضطره الشعر إلى كلمة ضمير ، أو أنَّ لضمير القلب معنى زائداً على القلب ؟ يبدو لي أن كلمة " ضمير " لم يأتِ بها الشاعر عبثاً إنَّما قصد من ورائها معنى جليلاً ، فهو يريد أن يؤكد أن محبوبته ملكت عليه لُبَّ فؤاده ، ومجمع شعوره ، ومادق ورَهُفَ من إحساسه .

الشاهد السابع والتسعون : (*) (الطويل)

قول طُفَيْل الغَنَوِيّ (٢) لبني جعفر بن كلاب :

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٢٢ ، خفاجي : ١٨٨-١٨٩ ، شاكر : ١٥٨ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٢٢ ، خفاجي : ١٨٩ ، شاكر : ١٥٨ .

(٢) هو طفيل بن عوف بن كعب بن خلف بن ضَبَيس بن خليف بن مالك بن سعد =====

جَزَى اللّهُ عَنّا جَعْفَرًا (١) حِينَ أَزْلَقَتْ (٢) .·. بِنا نَعْلُنَا فِي الوَاطِئِينَ (٣) فَزَلَّتِ

أَبَوْا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا .·. تُلاقِي الَّذِي لاقَوهُ (٤) مِنّا لَمَلَّتِ

هُمُ خَلَطُونَا بِالنُّفُوسِ وَأَلْجَؤُوا (٥) (٦) .·. إِلى حَجَرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظَلَّتِ (٧) (٨)

=== ابن عوف ، وهـو شاعر جاهلي من الفحول المعدود بن ، ويكنّى بأبي قُرّان ، يقال أنه من أقدم شعراء قيس ، وهو من أوصف العرب للخيل ، وسمي لذلك " طَفيل الخيل " ، ويقال له أيضا " المحبر " وسمي المحبر لحسن شعره / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ١ / ٤٦٠ ، الأغاني :- دار الإحياء- : ١٥ / ٣٤٩- ٣٥٥ ، المؤتلف والمختلف : ١٤٧-١٨٤ ، سمط اللآلي : ٢١٠ .

(١) رواية معاهد التنصيص : " جزى الله خيرًا جيرة حين أَزْلَقَتْ " .

(٢) رواية الأغاني : " حيث أَشْرَفَتْ " ، ورواية مجموعة المعاني ، ومجالس ثعلب : " حين أَشْرَفَتْ " .

(٣) رواية المختار من شعر بشار : " الذاهبين " ، ورواية مجموعة المعانـي : " في الوادِ بين " .

(٤) رواية الأغاني ، ومجالس ثعلب وزهر الأداب ، ولباب الآداب ، ومجموعة المعاني : " تلاقي الذي يلقون " .

(٥) رواية لباب الآداب : " وأرفَؤُا " .

(٦) وفي الأغاني ومجالس ثعلب لم يؤت بهذا الصدر ، وإنّما أُتي بقولـه : " فَذُو المَالِ مَوفُورٌ وكلٌّ مُعَصَّبٌ " .

(٧) رواية لباب الآداب : " أدفأت وأكنت " . مع التقديم والتأخير في البيت (٢ - ٣) .

(٨) انظر الأبيات في : ديوانه : ٩٨ - مع بعض التقديم والتأخير - .

عيار الشعر : ٨٩ ، الأغاني : ١٥ / ٣٦٨ ، المختار من شعر بشـار : ١٩٩ ، العمدة : ٢ / ١٤١ ، مجالس ثعلب : ٢ / ٩ / ٣٩٣ ، زهـر الآداب : ١ / ٧١ ، الممتع في صنعة الشعر : ١٦٦ ، نهاية الإيجـاز : ١٤٠ ، لباب الآداب : ٢٦٨-٢٦٩ ، بديع القرآن : ١٨٥ ، نهاية الأرب : ======

وبعد الشاهد :

وَقَالَتْ هَلُمُّوا الدَّارَ حَتَّى تَبَيَّنُوا .·. وَتَنْجَلِي الغَمْيَاءُ عَمَّا تَجَلَّتِ (١)

سَنَجْزِي بِإِحسَانِ الأَيَادِي التِي مَضَتْ .·. لَهَا عِنْدَنَا مَاكَبَّرَتْ وَأَهَلَّتِ (٢)

والشاهد هنا كسابقه،وهو حذف المفعول فحُذف المفعول هنا في أربعة مواضع " لملت ـ ألجؤوا ـ أدفأت ـ أظلت " وهذه الأبيات قالها طُفَيل الغنوي في مدح بني جعفر، والمعنى : جزى الله هؤلاء القوم خيراً لأنهم أبوا الملل من تفقدهم إيّانا ، وتعهدهم لنا في الزمان الذي أزلقت نعالنا بنا ، ونحن واطئون بها بإصابة الشدائد ، وأزلقت الحوادث ، وأزلقت نعالنا في جملة الواطئين ، واختلت أحوالنا ، ولو أنّ أرأف النّاس وأعطفهم علينا ، وهي الأم تلاقي في ذلك الزمان مالاقوه منا من تكاليفنا ومشاقنا ومؤن معاشنا لملت الأم منّا ، ثم بين طيب معاشرتهم فقال : هم خلطونا بنفوسهم ، وجعلونا من جلتهم ، وأشركونا في أموالهم ، وألجؤونا إلى حجراتهم واضطرونا إلى النزول بدورهم التي أدفأتنا ، فأمنتنا من البرد ، وأظلتنا بظلال تقينا الحر (٣)

وقوله :" أبوا أن يملونا " تعبير لطيف ، غزير المعنى عن شدة كرمهم وتحملهم تبعات الجود ، فكأن الملل أشفق عليهم فعرض نفسه عليهم عرضاً ، أو أنّ أحداً رأى تلك المشاق ، فعرض عليهم الملل رحمة بهم ، ولكنهم لطيب نفوسهم أبوا هذا العرض ورفضوه .

=== ٧٦/٧ ، الإيضاح : ١ / ١٩٧ ، شرح أبيات الإيضاح :ـ فيض الله ـ : ٣٤ ب ، معاهد التنصيص : ٢ / ٥٦ ، مجموعة المعاني : ٩٨ ، ذكر البيت الأول والثاني فقط .

(١) رواية مجموعة المعاني :

وَقَالُوا هلمّ الدَّارَ حَتَّى تَبَيَّنُوا .·. وَتَنْجَلِي الغَمَّاءُ عَمَّا تَجَلَّتِ .

(٢) ديوانه : ٩٨، الأغاني : ١٥/٣٦٨ ، مجموعة المعاني : ٩٨ .

(٣) شرح أبيات الإيضاح ـ فيض الله ـ : ٣٤ب.

ولإحساس الشاعر بعظيم فعلهم ، وناد ركرمهم امتلأت نفسه بالامتنان والشكر لهم ، فأخذ يثبت لهم تلك الخصال على وجه تنصرف بجملتها إليهم ، فحذف المفعول في أربعة مواضع في قوله " لملت ـ ألجؤوا ـ أدفأت ـ أظلت " ، والمفعول هنا معلوم ومقصود إلا أنه تناساه ، وأهمله ليبين أنهم في الحد المتناهي من الكرم ، وأن الكرم منصرف إليهم لا يتعداهم إلى غيرهم .

" وقوله : ألجؤوا فيه إشارة إلى فرط مروءتهم وكرمهم وإلحاحهم في إقامتهم ، وقوله "أدفأت وأظلت" فيه إيماء إلى طيب منازلهم وحجراتهم ، ويجوز أن يكون هذا عبارة عن عز إقامتهم عندهم حيناً ، وقوله :"أبوا أن يملونا"، وقوله :"هم خلطونا" بيان لما يوجب الدعاء لهم "(١)

قال الشيخ عبد القاهر :

" فيها حذف مفعول مقصود قصده في أربعة مواضع قوله : لَمَلَّتَ ، والجَؤوا ، وأَدْفَأَت ، وأَظَلَّت ، لأن الأصل " لملتنا وألجؤونا إلى حجرات أدفأتنا وأظلتنا " إلا أن الحال على ماذكرت لك من أنه في حد المتناهي حتى كأن لا قصد إلى مفعول ، وكأن الفعل قد أُبهم أمره ، فلم يقصد به قصد شيء يقع عليه كما يكون إذا قلت : قد ملّ فلان : تريد أن تقول قد دخله الملال من غير أن تخص شيئا بل لا تريد على أن تجعل الملال من صفته ، وكما تقول : هذا بيت يدفيء ويظل ، تريد أنه بهذه الصفة " (٢)

وذكر الخطيب أنه حذف هنا ليدل على مراده بطريق الكناية، وأن الحذف هنا لمجرد الاختصار . قال :

" فإنّ الأصل لملتنا وأدفأتنا وأظلتنا إلا أنه حذف المفعول من هذه المواضع ليدل على مطلوبه بطريق الكناية ، فإن قلت : لا شك أن قوله

---

(١) شرح أبيات الإيضاح ـ فيض الله ـ : ٣٤ب.

(٢) الدلائل ، رضا : ١٢٣ ، خفاجي : ١٨٩ ، شاكر : ١٥٩ .

ألجؤوا أصله ألجؤونا ، فلأي معنى حذف المفعول منه ؟

قلت : الظاهر أن حذفه لمجرد الاختصار ؛ لأن حكمه حكم ماعطف عليه ، وهو قوله : " خلطونا " (١)

وأشار الشيخ عبد القاهر إلى مزية أخرى ، وفائدة زائدة في قول عمرو بن معدي كرب ، وقول طفيل الغنوي غير ماذكره بدءًا من توفير العناية على إثبات الفعل .

وهي أن القضية التي يريد الشاعر إثباتها للمفعول تصبح مع الحذف قضية مستمرة لكل موقف مماثل ، فتضيف للمعنى معنى العموم قال :

" واعلم أنّ لك في قوله : أجرّتِ ، ولَمَلّتِ : فائدة أخرى زائدةً على ماذكرتُ من توفير العناية على إثبات الفعل وهي أن تقول : كان من سوء بلاءِ القوم ومن تكذيبهم عن القتال مايُجرّ مثله ، وما القضية فيه أنه لا يتّفق على قوم إلّا خرِسَ شاعرُهم ، فلم يستطع نُطقًا ، وتعديتُك الفعلَ تمنع من هذا المعنى ، لأنك إذا قلت : ولكن الرّماح أجرّتني : لم يمكن أن يُتأوّل على معنى أنه كان منها ماشأنُ مثله أن يُجرّ قضيةً مستمرةً في كل شاعر قوم ، بل قد يَجُوز أن يُوجَد مثله في قوم آخرينَ ، فلا يُجرّ شاعرَهم ، ونظيره أنك تقول : (٢)

---

(١) الإيضاح : ١ / ١٩٨ .

(٢) جاء في حاشية الدلائل - تحقيق شاكر - أنه ذُكر في هامش إحدى المخطوطات أمام هذا الموضع مانصه : " فإن قيل : تقدير العموم مع إضافته لا يُتصوَّر ، وإنما يُتصوَّر ذلك أن لو قال : " لو أن أمًّا تلاقي الذي لاقوه لملّت "

فالجواب : إنه لو كان الغرض من الكلام التمثيل ، فإن الخاص فيه يجري مَجْرَى العام . يقول الرجل لصاحبه : " أنت تشكر من لم يحسن إليك " يريد أن ذلك حكم الجملة ، ومثله قوله :

إِنَّكَ إِنْ كَلَّفْتَنِي مالَمْ أُطِقْ
سَاءَكَ ماسَرَّكَ مِنّي مِنْ خُلُقْ

لم يرد أن يَخُصّ نفسه بذلك ، ويجعله خلقًا هو فيه ، بل أراد أن ذلك ماعليه (تمشي) الطباع ، فاعرفه " الدلائل ، شاكر : ١٥٩-١٦٠ .

« قَدْ كَانَ مِنْكَ مَا يُؤلِم »، تريد ما الشَّرْط في مثله أن يؤلم كل أحدٍ ، وكل إنسان ، ولو قلت : «ما يؤلمني» لم يُفِدْ ذلك ، لأنه قد يجوز أن يؤلمك الشيء لا يؤلم غيرك ، وهكذا قوله : «وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا تُلاقِي الذي لاقوهُ مِنَّا لَمَلَّتِ» يتضمن أن من حُكم مثله في كل أمٍّ أَنْ تَمِيلَ وتَسْأَمَ ، وأن المشقة في ذلك إلى حدٍّ يُعْلَم أن الأمّ تملُّ له الابن ، وتتبرَّم به مع ما في طباع الأمّهات من الصبر على المَكَارِه في مَصالح الأولاد ، وذلك أنه ، وإن قال « أُمَّنَا » فإن المعنى على ذلك حُكْمُ كُلِّ أُمٍّ مع أولادها ، ولو قلت « لملَّتنا » لم يَحْتَمِل ذلك ؛ لأنه يَجْري مَجْرى أن تقول : لو لقيتْ أُمُّنا ذلك لدَخلها ما يُمِلُّها منا ، وإذا قلت : ما يملها منا فَقَيَّدْتَ لم يَصْلُحْ ، لأن يُرَاد به معْنَى العموم ، وأنَّه بحيث يُمِلُّ كُلَّ أُمٍّ من كل ابنٍ ، وكذلك قوله «إلى حُجُراتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظَلَّتِ» ؛ لأن فيه معنى قولك «حُجُرات من شأن مِثْلها أن تُدفيء ، وتُظِلّ» ، أي هي بالصفة التي إذا كان البيت عليها أدفأ ، وأَظَلّ ، ولا يجيء هذا المعنى مع إظهار المفعول إذ لا تقول : «حُجرات من شأن مثلها أن تدفئنا وتظلنا» هذا لغوٌ من الكلام ، فاعرف هذه النُّكْتَةَ ، فإنك تجدُها في كثير من هذا الفن مضمومةً إلى المعنى الآخر الذي هو توفيرُ العناية على إثبات الفعل ، والدلالةُ على أنَّ القصد من ذكر الفعل أن تثبته لفاعله لا أن تُعْلِم التباسَهُ بمفعوله » (١)

وهذه الأبيات قد تَمَثَّل بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين تشاغل بأمر أهل الردة ، واستبطأته الأنصار ، فكلموه فقال لهم : أَمَّا إذا كلفتموني أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فو الله ماذاك عندي ، ولا عند أحدٍ ، ولكن والله ماأُوتي من مودة لكم ، ولا حسن رأيٍ منكم ، وكيف لا نُحبُّكم ، فوالله ما وجدت

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٢٣-١٢٤ ، خفاجي : ١٨٩-١٩٠ ، شاكر : ١٥٩-١٦٠ .

لنا ولكم إلا ماقال طُفيل الغنوي لبني جعفر، ثم ذكر الأبيات.(١)

وجاء في زهر الآداب أن أبا بكر تمثل بها حين أتاه مال من البحرين، فساوى بين الناس، فغضب الأنصار، وقالوا له : فَضِّلنا، فقال أبو بكر: إن أردتم أن أفضلكم صار ماعلمتوه للدنيا، وإن صبرتم صار ماعلمتوه لله عز وجل، فقالوا : والله ماعلمنا إلّا لله تعالى، وانصرفوا، فرَقى أبو بكر المنبر، وقال بعد أن حمد الله، وأثنى عليه، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم : يامعشر الأنصار، إن شئتم أن تقولوا : إنَّا آوَيْنَاكُم فِي ظِلَالِنَا، وَشَاطَرْنَاكُم فِي أَمْوَالِنَا، وَنَصَرْنَاكُم بِأَنْفُسِنَا لقلتم، وإنَّ لكم من الفضل مالا يُحصيه العدد، وإن طال به الأمد، فنحن وأنتم كما قال طُفيل الغنوي.... وذكر الأبيات(٢).

الشاهد الثامن والتسعون : (*) (الطويل)

قول البحتري :

إِذَا بَعُدَتْ أَبْلَتْ وإِنْ قَرُبَتْ شَفَتْ .·. فَهِجْرَانُهَا يُبْلِي وَلُقْيَانُهَا يَشْفِي (٣)

وهو من قصيدة يمدح بها المتوكل على الله، ومطلعها :

وَمُهْتَزَّةِ الأَعْطَافِ نَازِحَةِ العِطْفِ .·. مُنَعَّمَةِ الأَطْرَافِ فَاتِرَةِ الطَّرْفِ

وقبل بيت الشاهد :

تَثَنَّى عَلَى قَدٍّ غَرِيبٍ قَوَامُهُ .·. وَتَضْحَكُ عَنْ مُسْتَعْذَبٍ أَفْلَجِ الرَّصْفِ

وبعده بيت الشاهد وبعده :

بَذَلْتُ لَهَا الوُدَّ الَّذِي بَخِلَتْ بِهِ .·. وَأَصْفَيْتُهَا الوُدَّ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُصْفِي

---

(١) مجالس ثعلب : ٢ / ٩ / ٣٩٣، الدلائل، رضا : ١٢٢، خفاجي : ١٨٩، شاكر : ١٥٨.

(٢) زهر الآداب : ١ / ٧١.

(*) الدلائل، رضا : ١٢٥، خفاجي : ١٩٢، شاكر : ١٦٢.

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في : ديوانه : ٢ / ١٠٤٠.

وَأَبْدَيْتُ وِجْدَانِي بِهَا وَصَبَابَتِي ∴ وَإِنَّ الَّذِي أَبْدِي لَدَ وَنَ الَّذِي أُخْفِي (١)

وموضع الشاهد قوله " يُبْلِي - يَشْفِي " والأصل " يُبْلِينِي وَيَشْفِينِي "

وقد حذف الشاعر المفعول هنا لفائدة لطيفة ، وغرض جليل ، حيث أراد أن يجعل البِلَى كأنه واجب في بعادها أن يوجبه ويجلبه ، وكأنه كالطبيعة فيه ، وكذلك حال الشفاء مع القرب و " هذا مبنيٌّ على أن هذه المرأة من الحُسن والجمال بحيث لا يراها أحدٌ إلّا عشقها ، وكان حالُه معها هذه الحالة ، وهذا المعنى هو ما (افتتح) به المتنبي :

أَتُرَاهَا لِكَثْرَةِ العُشَّـــاقِ ∴ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً في المَآقِي (٢) " (٣)

قال الشيخ عبد القاهر :

" ومما هو كأنه نوع آخر غير ما مضى قول البحتري . . . قد عُلِم أن المعنى : " إذا بَعُدَت عنّي أبلَتْنِي ، وإن قَرُبَتْ منّي شفتني " إلّا أنك تجد الشعر يأبىُ ذكر ذلك ، ويوجب اطِّراحه ، وذاك لأنه أراد أن يجعل البِلى كأنه واجبٌ في بِعادها أن يُوجِبه ويَجْلبه ، وكأنه كالطبيعة فيه ، وكذلك حالُ الشِّفاء مع القُرْبِ حتى كأنَّه قال : أتدري ما بِعادُها ؟ هُو الداء المضني ، وما قُربُها ؟ هُو الشفاء والبرء من كل داءٍ ، ولا سبيلَ لكَ إلى هذه اللطيفة ، وهذه النكتة إلّا بحذف المفعولِ البتّةَ فاعرفه " (٤)

وفي البيت لفتات أخرى فقد ذكر الشاعر في صدر البيت لفظ " بعـــدت " وفي عجزه " فهجرانها " ، والبعد غير الهجران ، فقد يكون مع الوصل ، فتفسيره

---

(١) ديوانه : ٢ / ١٠٤١ .

(٢) ديوان المتنبي بشرح العكبري : ٢ / ٣٦٢ ، وهو من قصيدة قالها في مدح أبي العشائر الحسن بن علي بن الحسين بن حمدان .

(٣) حاشية الدلائل ، تحقيق شاكر : ١٦٢ .

(٤) الدلائل ، رضا : ١٢٥ ، خفاجي : ١٩٢ ، شاكر : ١٦٢ .

بالهجران يحتاج إلى دليل ، ودليله في البيت بعده " بَذَلْتَ لَهَا الوُدَّ . . "
فبخلها بالود ، وعدم إصفائها إيّاه هو الهجران .

كذلك ذكر القرب واللقيان ، وكلاهما يشفي ، فهل هما شيء واحد ؟ وإذاً
فقد كرر ! وإنَّ مجرد القرب هو المراد في الشطر الأول ، ثم إنَّ اللقيان وحده ،
والقرب وحده لا يشفيان مالم يكن معهما إصفاء المودة والجود به .

وقد يقال أن مقابلة اللقيا بالهجران يشعر بأنَّه يريد باللقيا الوصل .
أو لعل مراد الشاعر أن مجرد علمه بأنها قريبة منه - وإن لم يكن ود - يشفيه .
وهذا من فرط الصبابة أن يسعد المحب بقرب محبوبه حتى وإن آحتجب عنه .

يكفيه شعوره بقربه ، أو مجرد رؤيته ، وللشعراء وبخاصة العذريين مذاهب
في القرب والبعد ، فمنهم من يرضى بالمنى وبالنظرة العجلى ، كما قال جميل :

وَإِنِّي لأَرْضَى مِنْ بُثَيْنَةَ بِالَّذِي .·. لَوْ أَبْصَرَهُ الوَاشِي لَقَرَّتْ بَلابِلُه
بِلَا وَبِأَلاَّ أَسْتَطِيعَ وَبِالمُنَى .·. وَبِالوَعْدِ حَتَّى يَسْأَمَ الوَعدَ آمِلُه
وَبِالنَّظْرَةِ العَجْلَى وَبِالحَولِ تَنْقَضِي .·. أَوَاخِرُه لَا نَلْتَقِي وَأَوَائِلُه (١)

ومنهم من يكفيه خطوره ببال محبوبه كما قال ابن الدمينة :

أَبِينِي أَفِي يُمْنَى يَدَيكِ جَعَلْتِنِي .·. فَأَفْرَحَ أَمْ صَيَّرْتِنِي فِي شِمَالِكِ
لَئِنْ سَاءَنِي أَنْ نِلْتِنِي بِمَسَاءَةٍ .·. لَقَدْ سَرَّنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِبَالِكِ (٢)

ومنهم من يرضى بقرب الدار فقط كما قال ابن الدمينة :

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ المُحِبَّ إِذَا دَنَا .·. يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الوَجْدِ
بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا لَمْ يَشْفِ مَا بِنَا .·. عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ البُعْدِ (٣)

ومنهم من يرضيه مجرد الشعور بوجود المحبوب على الأرض كما قال جميل :

---

(١) ديوانه : ٥٨ .
(٢) ديوانه : ١٧ .
(٣) ديوانه : ٨٢ .

أُقَلِّبُ طَرْفِي(١) فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ ∴ يُوافِقُ طَرْفِي طَرْفَهُم حِينَ تَنْظُرُ(٢) (٣)

ومثله قول ابن المعلوط :

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَلْبَسُ أُمَّ عَمْرٍو ∴ وَإِيَّانَا فَذَاكَ لَنَا تَدَانِ

بَلَى وَأَرَى السَّمَاءَ كَمَا تَرَاهَا ∴ وَيَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلانِي (٤)

ومنهم من لا يسليه القرب، ولا يشفيه البعد ، كقول أحدهم :

إِذَا قَرُبَتْ دَارٌ كَلِفْتُ وَإِنْ نَأَتْ ∴ أَسِفْتُ فَلَا لِلْقُرْبِ أَسْلُو وَلَا البُعْدِ (٥)

الشاهد التاسع والتسعون :- (*) (الكامل)

قول البحتري :

لَوْ شِئْتَ لَمْ تُفْسِدْ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ ∴ كَرَماً وَلَمْ تَهْدِمْ مَآثِرَ خَالِدِ(٦) (٧)

والبيت من قصيدة قالها في مدح يوسف بن أبي سعيد(٨) ، مطلعها :

---

(١) رواية الديوان : " طرفكم " .

(٢) رواية الديوان : " حين ينظُرُ " .

(٣) انظر البيت في :-

ديوانه : ٣٢ ، ديوان المعاني : ١ / ٢٦٧ .

(٤) ديوان المعاني : ١ / ٢٦٧ .

(٥) المصدر السابق : ١/٢٦٦ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٢٦ ، خفاجي : ١٩٢ ، شاكر : ١٦٣ .

(٦) المقصود به خالد بن أصمع النبهاني ، وهو نبهان بن عمرو من طيّئ ، الذي نزل عليه امرؤ القيس، وله في بني نبهان مدائح . انظر : جمهرة أنساب العرب : ٤٠٠ ، صبح الأعشى : ١ / ٣٢٠ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٥ب ، الأعلام : ٣ / ٨٠ ، ٨ / ٧ .

(٧) لم أجد البيت إلا في :-

ديوانه - دار بيروت - : ٢ / ٢٠٥ ، المثل السائر : ٢ / ٣٠٧ ، الإيضاح : ١ / ١٩٩ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٥ب .

(٨) وهو عامل الخليفة المتوكل على أرمينيا ، وقد قتله بطارقتها (سنة : ٢٣٧هـ) ، =====

عَجباً لِطَيفِ خَيالِكِ المُتَعاهِـدِ ∴ وَلِوَصْلِكِ المُتَقارِبِ المُتَباعِـدِ

وقبل الشاهد :

كَيفَ المَقامُ بِآمِدٍ وَبِلادِ هَـا ∴ مِنْ بَعْدِ مَاشابَتْ مَفارِقُ آمِـدِ

ضَحِكَتْ فَأَبْكَتْ عَيْنَ كُلِّ مُمَـوِّهٍ ∴ مُتَقَلْقِلٍ تَحْتَ الضَّرِيبِ الجَاحِدِ

يَايُوسُفَ بنَ أَبِي سَعِيدٍ وَالغِنَى ∴ لِلمُغْمَدِ العَزَماتِ غَيرُ مُسَاعِدِ

والشاهد آخر بيت في القصيدة .

والمعنى : لو شئت أن لا تفسد ولا تبطل سماحة حاتم وجوده ، وألَّا تهدم مآثر خالد ومساعيه كرماً عليهما ، وصيانة لصنائعهما ، بأن لا تفرط في الجود ، ولا تجتهد فيه فوق الوسع ، ولا تسرف في ابتناء المكارم ، ولا تبالغ فيه ، لما أفسدت ، ولكنك زدت على كل منهما فيما اختص به ، فأفسدت جود ذلك ، وهدمت مساعي هذا (١)

والشاهد فيه حذف المفعول بعد فعل المشيئة المسبوق بـ" لو " والأصل فيه لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها ، فحذف ذلك من الأول استغناء بالدلالة عليه في الثاني ، وهذا مايسمى بالبيان بعد الإبهام .

قال الشيخ :

" الأصل لا محالة لو شئت أن لا تُفْسِدَ سماحةَ حاتمٍ لم تفسدها ، ثم حذف ذلك من الأول استغناءً بدلالته في الثاني عليه ، ثُمَّ هو على ماتراه ، وتعلمه من الحُسْن والغرابة ، وهو على ماذكرتَ لك من أنَّ الواجب في حُكم البلاغة أن لا يُنْطَق بالمحذوفِ ، ولا يَظْهَر إلى اللفظ ، فليس يَخْفَى أنَّك لو رجعتَ فيه إلى ماهو أصله ، فقلت : لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم

=== فوجه إليهم المتوكل " بغا الشرابي " ليأخذ بدم يوسف ومن قُتِل معه ، فقاتلهم " بغا " وظفر بهم./ تاريخ الطبري : ٩/١٨٧-١٨٨ .

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٥ب .

لم تفسد ها صرت إلى كلام غثّ ، وإلى شيءٍ يَمُجُّه السمعُ ، وتعافُــــه

النفس " (١)

ثم يبرز الشيخ عبدالقاهر لطافة الحذف بعد فعل المشيئة ، وتأثيره علــى

النفس ، وأثره في تمكين المعنى، وتقريره فيقول :

" . . . إن في البيان إذا ورد بعد الإبهام ، وبعد التحريك لهُ، أبـــداً

لُطْفاً ونُبْلاً لا يكون إذا لَمْ يتقدَّم ما يحرِّك ، وأنت إذا قلت : لو شئت علم

السَّامِعُ أنَّك قد علَّقت هذه المشيئةَ في المعنى بشَيءٍ ، فهو يضع في نفســه

أنَّ ههنا شيئاً تقتضي مَشِيئة له أنْ يكونَ أوْ أنْ لا يكون ، فَإذا قلت : لــم

تفسد سماحة حاتم : عَرَفَ ذلك الشيء " (٢)

ومن اللفتات الجميلة في البيت أن الشاعر استعمل " الإفساد " مع السماحة ،

والهدم مع المآثر ، وذلك لأن السماحة معنى من المعاني يتطرق إليها الإفساد ،

والمآثر ذوات أي الأفعال البارزة الظاهرة ، فيناسبها الهدم .

الشاهد المائـــة : (*) (الطويل)

وَلَوْ شِئْتَ (٣) أَنْ أَبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ ∴ عَلَيهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ (٤)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٢٦ ، خفاجي : ١٩٢-١٩٣ ، شاكر : ١٦٣ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٢٦ ، خفاجي : ١٩٣ ، شاكر : ١٦٣-١٦٤ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٢٦ ، خفاجي : ١٩٣ ، شـاكر : ١٦٤ .

(٣) رواية الديوان : " فلو شئت " .

(٤) انظر البيت في :-

ديوانه : ٤٣ ، الكامل - دار الفكر - : ٣ / ٢٣١ ، ذيل أمالي القالـــي :

١٢١ ، منسوبة لأعرابي ، ديوان المعاني : ٢ / ١٧٥ ، المصون : ١٤ ،

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٨٢٢ من غير عزو - شرح ديوان الحماسة

للتبريزي : ٣ / ٤٩ - من غير عزو - ، تهذيب ابن عساكر : ٢ / ٤٣٧ ، ٥ / ١٣١ ،

المثل السائر : ٢ / ٣٠٨ ، - من غير عزو - بديع القرآن : ١٨٨ ، نهايـــة ======

وهو للخُرَيمِي(١) من قصيدة يرثي بها خُرَيم بن عمارة(٢).

==== الأرب : ٧/ ٧٩ – من غير عزو – ، الإيضاح : ١/ ١٩٩ – من غير عزو – شرح شواهد الإيضاح – فيض الله – : ٣٥ ب ، شروح التلخيص: ٢/ ١٣٣ ، – من غير عزو – معاهد التنصيص : ١ / ٢٤٦ رقم (٤٢) ، شرح حلية اللب المصون : ١٠٣ – من غير عزو – مجموعة المعاني : ١٢٠.

(١) هو إسحاق بن حسّان ، وكنيته أبو يعقوب ، وكان جميل الشّعر مقبولا عند الكتّاب ، وله كلامٌ قوي ، ومذهب متوسط ، وكان يرجع إلى نسب كريم في الصُّغْد ، وكان له وَلاءٌ في غطفان ، وهو مولى ابن خريم الذي يقال لأبيه " الناعم " وجاء في تاريخ ابن عساكر:
كان اتصاله بخريم بن عامر المُرّي ، وقيل كان اتصاله بعثمان بن خريم ، وكان قائدًا وسيداً شريفاً ، وأبوه خُريم الموصوف بالناعم.
وعَمِيَ أبو يعقوب الخُرَيمي بعد ما أسن . واتصل بمحمد بن منصور ابن زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياد ، ثُمّ رثاه بعد موته./ انظر ترجمته في :-
الشعر والشعراء : ٢ / ٨٥٧-٨٦٢ ، زهر الآداب : ٤/ ١١٤٢-١١٤٥ ، تاريخ بغداد : ٦/ ٣٢٦ ، تاريخ ابن عساكر : ٢/ ٤٣٧-٤٤٠ ، ٥/ ١٢٩-١٣١ ، معاهد التنصيص : ١/ ٢٥٢-٢٥٤.

(٢) هو خُرَيم بن عامر بن عمارة بن خُرَيم بن عمرو بن الحارث بن خارجة أبو عمرو ابن أبي الهندام " ويقال أبو الهيذام " شاعر فارس كان لأبي إسحاق مراثي كثيرة فيه ./ انظر ترجمته :
تاريخ دمشق الكبير: ٥ / ١٢٩.
ذكر صاحب معاهد التنصيص أن بيت الشاهد من قصيدة في رثاء أبي الهيذام بن خريم بن عامر، وعرّفه بأنه عامر بن عمارة بن خريم ، والد المحدث موسى بن عامر صاحب الوليد بن مسلم ، وراوي كتبه ، وكان عامر أمير عرب الشام وزعيم قيس وفارسها المشهور/ المعاهد : ١/ ٢٥١ ، وانظر كذلك : تاريخ دمشق الكبير: ٦ / ١٧٩- ١٩٦.
وفي شرح أبيات الإيضاح أن القصيدة لأبي اسحاق في رثاء ابنه " ليث "
انظر: شرح أبيات الإيضاح : – فيض الله – : ٣٥ب.

والبيت من قصيدة مطلعها :

قَضَى وَطَراً مِنْكَ الحَبِيبُ المُوَدِّعُ ∴ وَحَلَّ الَّذِي لا يُسْتَطَاعُ فَيُدْفَعُ

وقبل الشاهد :

وَأَعْدَدْتُهُ ذُخراً لِكُلِّ مُلِمَّةٍ ∴ وَسَهْمُ المَنَايَا بِالذَّخَائِرِ مُولَعُ

بَقِيَّةُ أَقْمَارٍ مِنَ الغُرِّ لَوْ خَبَتْ ∴ لَظَلَّتْ مَعَدٌّ فِي الدُّجَى تَتَسَكَّعُ

إِذَا قَمَرٌ مِنْهَا تَغَوَّرَ أَوْ خَبَا ∴ بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ الأُفْقِ يَلْمَعُ

وبعده :

وَإِنِّي وَإِنْ أَظْهَرْتُ صَبْراً وَحِسْبَةً ∴ وَصَانَعْتُ أَعْدَائِي عَلَيْكَ لَمُوجَعُ

موضع الشاهد قوله : " ولو شئت أن أبكي دماً " والشاهد فيه ذكر المفعول بعد فعل المشيئة ، وعدم حذفه ، لغرابته ، فالمواقف الغريبة والعجيبة يحسن فيها ذكر المفعول لتأنس به النفس .

قال الشيخ :-

" يقول : لو شئت بكيتُ دماً ، ولكنه كأنه ترك تلك الطريقة ، وعدل إلى هذه ، لأنها أحسن في هذا الكلام خصوصاً ، وسببُ حسنه أنه كأنه بِدْعٌ عجيب أن يشاءَ الإنسان أنْ يبكي دماً ، فلمّا كان كذلك كان الأولى أنْ يُصَرِّحَ بذكره ، لِيُقَرِّرَهُ في نفس السامع ويُؤْنِسه به " (١) .

قال أبو هلال العسكري :

" أخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى قال سمعت محمد بن يزيد يقول لو سئلت عن أحسن أبيات تعرف في المراثي لم أخْتَرْ على أبيات الخُرَيمي " (٢) .

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٢٧ ، خفاجي : ١٩٣ - ١٩٤ ، شاكر : ١٦٤ .

(٢) ديوان المعاني : ٢ / ١٧٥ .

لو تأملنا الشطر الثاني من البيت " وَلَكِنَّ سَاحَةَ الصَّبْرِ أَوْسَعُ " لوجدناه يدل على شيئين :

الأول : أن الشاعر متدين فهو يستشعر الصبر ، ويرى أنه أولى به وبغيره من كل مصاب .

الثاني : أنه يدل على أنه سلا عن صاحبه ، ومثل هذا غير مستساغ في الرِّثاء .

ولذلك لما قال أبو ذؤيب في قصيدته العينية المشهورة التي رثى بها ابناءه :

وَالدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ (١) .·. جَوْنُ السَّرَاةِ لَهُ جَدَائِدُ (٢) أَرْبَعُ

قال الخليفة المنصور: سلا أبو ذؤيب. (٣)

الشاهد الواحد بعد المائة :- (*) (البسيط)

لَوْ شِئْتَ كُنْتَ كَكُرْزٍ (٤) فِي عِبَادَتِهِ (٥) .·. أَوْ كَابْنِ طَارِقَ (٦) حَوْلَ البَيْتِ وَالحَرَمِ (٧)

---

(١) جَوْنُ السَّرَاةِ : أسود الظهر أو أبيضه ، فإنَّ الجون من الأضداد يطلق على الأسود والأبيض ، ويريد بجون السراة : حمارا / مختار الصحاح : ١١٨.

(٢) الجدائد : الأتن واحدها جَدود " بفتح أوله " وهي التي لا لبن لها / اللسان : " جدد " : ٣ / ١١٠ .

(٣) انظر القصة والخبر في :
الأغاني : ٦ / ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٢٧ ، خفاجي : ١٩٤ ، شاكر : ١٦٥ .

(٤) هو كُرْزُ بن وَبْرَةَ الحارثي الجرجاني ، أبو عبد الله (... - ١١٠ هـ) تابعي من أهل الكوفة ، يُضرب به المثل في التعبد ، جاء في حلية الأولياء أنه كان يختم القرآن في كل يوم وليلة ثلاث ختمات ، وكان إذا كان في سفر واتخذ الناس منزلاً اتخذ هو منزلاً للصلاة - والخبر الأول فيه نوع من المبالغة - ، دخل كُرز بن وَبْرَةَ جرجان غازياً مع يزيد بن المهلب سنة ٩٨ هـ ، ثم سكنها وتوفي بها / تاريخ جرجان : ٣٣٦-٣٥٩ ، حلية الأولياء : ٥ / ٧٩ - ٨٢ .

========

=========

والبيت أورده الشيخ من غير نسبة ، وهو لعبد الله بن شبرمة (١) يقوله لابن هُبَيْرَة . وكأنه ينصحه ويعظه .

وذكر الأستاذ - شاكر - أنه ورد في هامش إحدى المخطوطات بيت آخر تالٍ لبيت الشاهد ، وهو :

قَدْ حَالَ دُونَ لَذِيذِ العَيْشِ جِدُّهُمَا (٢) .·. وَشَمَّرَا (٣) فِي طِلَابِ الفَوْزِ (٤) وَالكَرَمِ

موضع الشاهد قوله : " لَوْ شِئْتَ كُنْتَ كَكُرْزٍ " .

والشاهد فيه حذف المفعول بعد فعل المشيئة المسبوق بـ " لو " ، وإنما حُذِفَ

---

(٥) رواية الحيوان : " في تعبده " .

(٦) رواية الحيوان ، وحلية الأولياء ، والدلائل - شاكر - : " ابن طارق " بالقاف بدلاً من الفاء ، وقد أشار الشيخ - رضا - في هامش نسخته إلى هذه الرواية .

وابن طارق هو محمد بن طارق عابد ناسك كان يطوف في اليوم والليلة عشر فراسخ / حلية الأولياء : ٥ / ٨٢ .

(٧) لم أجد البيت - فيما اطلعت عليه من مصادر - إلا في :- الحيوان : ٣ / ٤٩٢ ، أخبار القضاة : ٣ / ٩٤ ، حلية الأولياء : ٥ / ٨٢ .

(١) هو عبد الله بن شبرمة بن حسّان بن المنذر بن ضرار بن عمرو بن مالك ابن زيد بن كعب بن بجالة الضبي ، أبو شبرمة ، الكوفي " ٧٢هـ-١٤٤هـ) ، كان قاضياً لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة ، روى عن أنس والتابعين ، وكان حافظاً ثبتاً حجة ، عفيفاً ، صارماً ، عاقلاً ، يشبه النُّسّاك ، فقيهاً شاعراً ، جواداً ، حسن الخلق . / انظر ترجمته وأخباره :

أخبار القضاة : ٣ / ٣٦-١٣٢ ، شذرات الذهب : ١ / ٢١٥-٢١٦ .

(٢) رواية أخبار القضاة ، والحيوان ، وحلية الأولياء : " خوفهما " .

(٣) رواية أخبار القضاة ، والحيوان ، وحلية الأولياء : " سارعا " .

(٤) رواية الحيوان : " طُلَّابَ العِزِّ " .

هنا ، ولم يحسن ذكره ، لعدم الغرابة في المفعول ، فالأولى الحذف ، لئلا يخرج الكلام إلى الغثاثة والابتذال .

والمعنى واضح .

الشاهد الثاني بعد المائة :- (*) (الطويل)

قول طرفة :

وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تُرْقِلْ (١) وَإِنْ شِئْتَ أَرْقَلَتْ ∴ مَخَافَةَ مَلْوِيٍّ مِنَ الْقِدِّ (٢) مُحْصَدِ (٣) (٤)

وهو من معلقته المشهورة التي مطلعها :

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ (٥) ثَهْمَدِ (٦) ∴ تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٢٧ ، خفاجي : ١٩٤ ، شاكر : ١٦٦ .

(١) ترقل : أرقلت الناقة إرقالاً أسرعت ، فالإرقال ضرب من العدو / فقه اللغة : ١٨٥ ، اللسان " رقل " : ١١ / ٢٩٣ .

(٢) القِدّ : السير " السوط " الذي يُقَدّ من جلد غير مدبوغ / اللسان : " قدد " : ٣ / ٣٤٤ .

(٣) محصد : الحَصَد : اشتداد الفتل واستحكام الصناعة في الأوتار والحبال والدروع ، وحبل مُحْصَد أي مُحْكَم مَفْتُول / اللسان " حصد " : ٣ / ١٥٢ .

(٤) لم أجد البيت - فيما اطلعت عليه من مصادر - إلا في :
شرح ديوان طرفة - دار مكتبة الحياة - : ١٨ ، شرح المعلقات للزوزني : ١٠٦ ، أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ٢ / ٤٧ ، شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الأزهرية - : رقم الشاهد (١١١) .

(٥) البُرْقَةُ والأَبْرَقُ والبَرْقَاءُ : مكان اختلط ترابه بحجارة أو حصى ، والبرق إذا حمل على معنى البقعة أو الأرض قيل البرقاء ، وإذا حمل على المكان ، أو الموضع قيل الأبرق . / الزوزني : ٩١ .

(٦) ثَهْمَد : موضع في ديار بني عامر ، وقيل هو جبل أحمر حوله أبارق كثيرة في ديار غني ./ معجم البلدان : ٢ / ٨٩ .

وقبل الشاهد :-

وَأَرْوَعَ (١) نَبَّاضٍ (٢) أَحَذَّ (٣) مُلَمْلَمٍ (٤) ∴ كَمِرْدَاةِ (٥) صَخْرٍ فِي صَفِيحٍ (٦) مُصَمَّدِ (٧)

وَأَعْلَمَ (٨) مَخْرُوتٌ (٩) مِنَ الأَنْفِ مَارِنٌ (١٠) ∴ عَتِيقٌ مَتَى تُرْجِمْ بِهِ الأَرْضَ تَزْدَدِ

وبعد هذا الشاهد وبعده :

وَإِنْ شِئْتَ سَامَى (١١) وَاسِطَ (١٢) الكُورِ (١٣) رَأْسُهَا ∴ وَعَامَتْ بِضَبْعَيْهَا (١٤) نَجَاءَ (١٥) الخَفَيْدَدِ (١٦)

عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِي ∴ أَلَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا وَأَفْتَدِي

موضع الشاهد قوله :

وَإِنْ شِئْتَ لَمْ تُرْقِلْ . . . وَإِنْ شِئْتَ أَرْقَلَتْ .

---

(١) الأروع : الذي يرتاع لكل شيء لفرط ذكائه ./ الزوزني : ١٠٥ .

(٢) نَبَّاض : صيغة مبالغة ، وهو الكثير الحركة / الزوزني : ١٠٥ .

(٣) الأحذ : الخفيف السريع / المصدر السابق : ١٠٥ .

(٤) الململم : المجتمع الخلق الشديد الصلب /المصدر السابق نفس الصفحة .

(٥) المرادة : الصخرة التي تكسر بها الصخور /المصدر السابق نفس الصفحة .

(٦) الصفيحة : الحجر العريض /المصدر السابق نفس الصفحة .

(٧) المصمد : المحكم الموثق /المصدر السابق نفس الصفحة

(٨) أعلم : الأعلم المشقوق الشفه العليا ./ الزوزني : ١٠٦ .

(٩) المخروت : المثقوب ، والخرت الثقب /المصدر السابق نفس الصفحة

(١٠) مارن : مَالَانَ من الأنف /المصدر السابق نفس الصفحة .

(١١) المساماة : المباراة في السمو وهو العلو . /المصدر السابق نفس الصفحة .

(١٢) الواسط : كالقربوس للسرج ./ المصدر السابق نفس الصفحة .

(١٣) الكور : الرحل بأداته ، والجمع الأكوار والكيران /المصدر السابق نفس الصفحة .

(١٤) الضبع : العضد ./المصدر السابق نفس الصفحة .

(١٥) النجاء : الإسراع . / المصدر السابق نفس الصفحة .

(١٦) الخفيدد : الظليم ، ذكر النعام ./ المصدر السابق نفس الصفحة .

والأصل : وإن شئت عدم إرقالها لم ترقل . . . وإن شئت إرقالها أرقلت .

والشاهد فيه : حذف المفعول بعد فعل المشيئة المسبوق بحرف الجزاء ، وإنما حذف لدلالة لم ترقل ، وأرقلت على المحذوف .

ورأى الشيخ أن الحذف هنا هو أجود الوجوه وأغناها للمعنى، قال :

" وما يُعْلَم أنْ ليس فيه لغير الحذف وَجْه(١) . . ثم ذكر بيت الشاهد - وأبياتاً أخرى سترد بعد هذا الشاهد -

فذِكْرُ المفعول هنا غير مستساغ بلاغياً .

• الشاعر يصف ناقته ، بأنها مروضة مذللة ، فإن شاء عدم إسراعها أطاعته ولم تسرع ، وإن شاء إسراعها أسرعت مخافة سوط ملوي موثق مفتول من الجلد ، فجعلت رأسها موازياً لواسطة رحلها في العلو من فرط نشاطها وجذبه زمامها ، فتسرع في سيرها ، كأنها تسبح ، فهي تسرع إسراع الظليم (٢) .

ولعل سر الحذف هنا أن الشاعر أراد أن يُبَاشر الأسماع بوصف ناقته ، وفي ذكر صفاتها الحميدة ذكراً متتالياً من غير تطويل في الكلام ما يبعث في النفس العجب والإكبار من شأن تلك الناقة .

ويبدو لي أن الشاعر لم يوفق في وصف ناقته ، لأنه جعل إسراعها ناتجاً عن مخافتها السوط ، ولم يجعلها تسرع طواعية .

وقديماً حكمت أم جندب لعلقمة بأنه أشعر من امرئ القيس لمثل هذا السبب ، فامرؤ القيس زجر فرسه وضربه بسوطه ، أما علقمة الفحل ، لم يبذل هذا الجهد ، فكان يدرك فرسه ثانياً من عنانه .

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٢٧ ، خفاجي : ١٩٤ ، شاكر : ١٦٦ .

(٢) شرح المعلقات السبع للزوزني : ١٠٦ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : الشاهد رقم (١١١) .

جاء في الأغانـــي :

" كان تحت امرئ القيس امرأة من طيء تزوجها حين جاور فيهم ، فنزل بـــه علقمة الفحل بن عبدة التميمي ، فقال كل واحد منهما لصاحبه : أنا أشعــر منك ، فتحاكما إليها ، فأنشد امرؤ القيس قوله :

" خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبِ " (١)

حتى مرّ بقوله :

فَلِلسَّوطِ أُلْهُوبٌ وَلِلسَّاقِ دُرَّةٌ ∴ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ (٢) (٣)

ويروى : " أهوجَ مِنْعَبِ " (٤)

فأنشدها علقمة قوله :

ذَهَبْتَ مِنَ الهِجْرَانِ فِي غَيرِ مَذْهَبِ .. (٥)

حتى انتهى إلى قوله :

فَأَدْرَكَهُ حَتَّى ثَنَى(٦) مِنْ عِنَانِهِ ∴ يَمُرُّ كَغَيثٍ رَائِحٍ مُتَحَلِّـــــبِ (٧)

---

(١) ديوانه : ٤٧ .

(٢) الإهذاب والتهذيب : الإسراع في الطيران والعدو ./ اللسان " هذب " : ١/ ٧٨٢ .

(٣) ديوانه : ٥٤ .

(٤) المِنْعَبِ : الجَواد يمد عنقه عند العدو كالغراب يمد عنقه ويحـــرك رأسه في صياحه . / اللسان " نعب " : (١ / ٧٦٥ ، وهذه هـــي رواية الديوان .

(٥) ديوانه : ٧٩ .

(٦) رواية الديوان " فَأَدْرَكَهن ثَانِياً مِنْ عِنَانِهِ "
ويُروى أيضا " فَأَقْبَلَ يَهْوِي ثَانِياً مِنْ عِنَانِهِ " .
ويبدو لي أن رواية الديوان أولى ، وأدق من الرواية المذكورة ، إذ يقـــول : إنه طوال الوقت مثني العنان ، ومع ذلك أدرك ، أما رواية الأغانـــــي ، فلا تتفق مع المدح ، لأنه أدرك من غير ثني العنان ، ثـــم ثنى مـــن عنانه .

(٧) ديوانه : ٩٥ .

فقالت له : علقمة أشعرُ منك ، قال : وكيف ؟ قالت : لأنك زجرت فرسك ، وحرّكته بساقك ، وضربته بسوطك ، وأنه جاء هذا الصيد ، ثم أدركه ثانياً من عِنانه ، فغضب امرؤ القيس ، وقال : ليس كما قلت ، ولكنك هويته ، فطلقها فتزوجها علقمة بعد ذلك ، وبهذا لُقِّب علقمةَ الفَحل ". (١)

الشاهد الثالث بعد المائة :- (*) (الطويل)

قول حُمَيْد (٢) :

إِذَا شِئْتَ غَنَّتْنِي بِأَجْزَاعِ بِيشَةٍ (٣) (٤) .·. أَوْ الزُّرْقِ (٥) مِنْ تَثْلِيثَ (٦) أَوْ بِيَلَمْلَمَا (٧)

مُطَوَّقَةٌ (٨) وَرْقَاءُ (٩) تَسْجَعُ كُلَّمَا .·. دَنَا الصَّيْفُ (١٠) وَانْجَابَ الرَّبِيعُ (١١) فَأَنْجَمَا (١٢)

(١) الأغاني : ٢١ / ٢٠٢-٢٠٣.

(*) الدلائل ، رضا : ١٢٨ ، خفاجي : ١٩٥ ، شاكر : ١٦٦.

(٢) هو حميد بن ثور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن مُضر بن نزار ، وهو من شعراء الإسلام ، وقرنه ابن سَلّام بنهشل بن حَرّي والأشهب بن رُميلة ، وهو من شعراء الإسلام ، أدرك حُمَيد بن ثور عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال الشعر في أيامه ، وعدّه ابن سلام في الطبقة الرابعة من الشعراء الإسلاميين / انظر ترجمته :
طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٥٨٤-٥٨٥ ، الشعر والشعراء : ١/ ٣٩٧ - ٤٠١ ، الأغاني : ٤/ ٣٥٦-٣٥٨ ، سمط اللآلي : ١/ ٣٧٦ معجم الأدباء : ١١/ ٨-١٣ ، أسد الغابة : ١/ ٥٣٦-٥٣٧ ، الإصابة : ١/ ٣٥٥ ، رقم (١٨٣٤) ، الاستيعاب (على هامش الإصابة) : ١/ ٣٦٦ ،
وقد ذكر الاستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية : ٣٣٠ أن الأبيات تُنسب أيضا للطماح العُقَيلي .

(٣) الأجزاع جمع جِزع بالكسر ، وقال أبو عبيدة اللائق به أن يكون مفتوحاً ، وهو منعطف الوادي ، ووسطه ، ولا يسمى جزعاً حتى تكون فيه سعة تنبت الشجر. / اللسان : " جزع " : ٨/ ٤٧-٤٨.

==========

. . . .

---

(٤) بيشة : وادي من أودية تهامة / معجم ماستعجم : ١/٢٩٣.
وذكر الأستاذ حمد الجاسر موضعين لبيشة فقال : " بيشة . . . مدينة معروفة فيها إمارة يتبعها عدد من القرى ، من إمارة بلاد عسير " و " بيشة - أيضا - : من قرى خميس مُشيط في منطقة أبها وتدعى بيشة ابن مُشيط من قرى شهران ، في إمارة بلاد عسير . / المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية : ١ / ٣٠٥.

(٥) الزُّرق : موضع بأسفل الدهناء لبني تميم / معجم ماستعجم : ١/٦٩٦ ،
وذكر الأستاذ حمد الجاسر : " الزُّرق من قرى تثليث في إمارة بلاد عسير / المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية : ٢ / ٦٨٠.

(٦) تثليث : وادي بنجد وهو على يومين من جرش في شرقيها إلى الجنوب ، وتثليث لبني زبيد / معجم ماستعجم : ٢ / ٣٠٥.
وذكر الأستاذ حمد الجاسر أن تثليث من أشهر أودية جنوب المملكة في إمارة بلاد عسير / المعجم الجغرافي : ١ / ٣١٤.

(٧) يلملم : جبل على ليلتين من مكة من جبال تهامة ، وهو في طريق اليمن إلى مكة وهو ميقات مَنْ حَجَّ مِن هناك / معجم ماستعجم : ٢/٤/١٣٩٨
وذكر الأستاذ حمد الجاسر أن وادي يلملم من بلاد الجحادلة في إمارة مكة المكرمة مأهول ، ويقال فيه " لَمْلَم " / المعجم الجغرافي : ٣/١٥٠٠.

(٨) رواية الديوان والكامل : مطوقة خطباء ، والخطباء التي فيها خُطبة - بالضم - وهي لون كدر مشرَّب حمرة في صفرة أو غبرة ترهقها خُضرة . / اللسان " خطب " : ١ / ٣٦١-٣٦٢.

(٩) رواية الديوان : " تَصْدَح " .

(١٠) رواية الديوان والكامل : " وانجال الربيع " ومعناه تَنَحَّى وذهب / اللسان " جول " : ١١/١ ١٣.
وانجاب : انكشف / اللسان " جوب " : ١ / ٢٨٧.

(١١) أنجم : أقلع وانكشف / اللسان " نجم " : ١٢/ ٥٧١.

(١٢) انظر : ديوانه : ٢٦ ، والبيت الأول ليس في ديوانه - ، الكامل : ٣ / ٦٠ - ٦١.

ومطلع القصيدة :

سَلِ الرَّبْعَ أنّى يَمَّمَتْ أمُّ سَالِمٍ .·. وَهَلْ عَادَةٌ لِلرَّبْعِ أنْ يَتَكَلَّمَا (١)

وقبل بيت الشاهد الثاني :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشَّوقَ إلّا حَمَامَةٌ .·. دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ (٢) تَرْحَةً (٣) وَتَرَنُّمَا (٤) (٥)

. . . .

فَأوْفَتْ عَلَى غُصنٍ ضُحَيًّا فَلَمْ تَدَعْ .·. لِبَاكِيَةٍ فِي شَجْوِهَا مُتَلَوَّمَا (٦)

وبعدها الشاهد وبعده :

وَنَازَعْنَ خِيطَانَ الأرَاكِ فَرَاجَعَتْ .·. لَهَا بِرِفهَا مِنْهُنَّ لَدْنًا مُقَوَّمَا (٧)

موضع الشاهد : " إذَا شِئْتُ غَنَّتْنِي " .

والشاهد فيه : حذف مفعول المشيئة لدلالة الثاني عليه ، والأصل إذا شِئْتُ أن تُغَنِّيني غَنَّتْنِي .

• سمع الشاعر صوت الحمامة الحزين ، وهي تدعو ذكر القماري في همٍّ وحزن ، وأحس في ترنيمها أنّات الأسى ، ورأى في أنغامها صدى مأساته ، فهاج الشوق في نفسه ، وأخذ يتذكر أماكن ومواطن حزنه ، فتذكر أُجزاع بيشة والزُّرق وتثليث ويلملم ، ثم ذكر الزمن الذي يُثير في نفسه الشوق ، والذي يحتاج فيه إلى مثل هذه الأنغام

---

(١) ديوانه : ٧ .

(٢) ذَكَرُ الحمام / الحيوان : ٣ / ٢٤٣ .

(٣) تَرْحَة : الترح نقيض الفرح ، وهو الحزن والهم / اللسان " ترح " : ٢ / ٤١٧ .

(٤) تَرَنُّمًا : الترنيم : تطريب الصوت . / اللسان " رنم " : ٢٥٦/١٢ .

(٥) الديوان : ٢٤ .

(٦) الديوان : ٢٦ .

(٧) الديوان : ٢٦ ، الكامل : ٣ / ٦٠ - ٦١ .

الحزينة ، لتوافق أنغام روحه ، وهو وقت الصيف ، ووقت انصرام وانكشاف الربيع ، وهذا الموقف لا شك يحتاج إلى التركيز والاختصار.

الشاهد الرابع بعد المائة :- (*) (الطويل)

قول البحتري :

إِذَا شَاءَ غَادَى صِرْمَةً (١) أَوْ غَدَا عَلَى ∴ عَقَائِلِ سِرْبٍ (٢) أَوْ (٣) تَقَنَّصَ رَبْرَبَا (٤) (٥)

وهو من قصيدة قالها في مدح الفتح بن خاقان ، ويذكر مبارزته الأســـــد ، ومطلعها :

أَجِدَّكَ مَا يَنْفَكُّ يَسْرِي لِزَيْنَبَــــا ∴ خَيَالٌ إِذَا آبَ الظَّــلَامُ تَأَوَّبَــــا

وقبل بيت الشاهد :

وَقَدْ جَرَّبُوا بِالأَمْسِ مِنْكَ عَزِيمَةً ∴ فَضَلْتَ بِهَا السَّيْفَ الحُسَامَ المُجَرَّبَـا

(*) الدلائل ، رضا : ١٢٨ ، خفاجي : ١٩٥ ، شاكر : ١٦٦ .

(١) رواية الديوان : " غَادَى عَانَةً " .
والصِّرْمَة : القطعة من الإبل ، قيل هي مابين العشرين إلى الثلاثين ، وقيل مابين الثلاثين إلى الخمسين والأربعين ، وقيل مابين العشرة إلى الأربعين ، وقيل مابين عشرة إلى بضع عشرة ./ اللسان " صرم " : ١٢ / ٣٣٧ ، والعانة : القطيع من حُمُر الوحش./ اللسان " عون " : ١٣ / ٣٠٠ .

(٢) عقائل سرب : كرائمه / اللسان " عقل " : ١١ / ٤٦٣ .

(٣) رواية الديوان " إِنْ تَنَقَّصَ رَبْرَبَا " .

(٤) الربرب : القطيع من بقر الوحش ، وقيل من الظباء ، وقيل جماعة البقر وماكان دون العشرة . / اللسان " ربب " : ١ / ٤٠٩ .

(٥) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :-
ديوانه : (طبعة بيروت) : ١ / ٩٨ ، ديوانه - تحقيق الصيرفي -: ١ / ١٩٩ ، الوساطة : ١٣١ .

غداةَ لقيتَ اللّيثَ ، واللّيثُ مُخدِرٌ (١) ∴ يُحدِّدُ ناباً للّقــاءِ ومِخْلَبــا

يُحصِّنُهُ مِن نهرِ نيزكَ (٢) معقِــلٌ ∴ منيعٌ تسامَى روضُهُ وتأشَّبــا

يَرودُ مَغاراً بالظّواهرِ مُكْثِبــا ∴ ويحتلُّ روضاً بالأباطحِ مُعشِبا

يُلاعِبُ فيه أقحُواناً (٣) مُفضَّضــا (٤) ∴ يَبِصُّ (٥) وحوذاناً (٦) على الماءِ مُذْهَبا

وبعدها الشاهد وبعده :

يَجُرُّ إلى أشبالِهِ كلَّ شــارقٍ (٧) ∴ عَبيطاً (٨) مُدمًّى أو رَميلاً (٩) مُخضَّبا

---

(١) مخدر : أي المقيم في خدره ، وهو من قولنا : جارية مُخدَّرة إذا لزمت الخِدْر " الهودج " / اللسان " خدر " : ٤/ ٢٣١ .

(٢) نهر نيزك : نهر حفره المتوكل ليروي حديقة الحيوان التي أنشأها / نقلاً عن هامش الديوان ، تحقيق الصيرفي : ١/ ١٩٩ .

(٣) أُقحُوانا : " الأقحوان " البابُونَج على أُفْعُلان ، وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر وجمعه " أقاحِيّ " و " أقاح " / مختار الصحــاح : " قحا " : ٥٢٢ .

(٤) مُفَضَّضا : أي كأنه مُرصَّع بالفِضَّة ، والفِضَّة معروفة ، و" الفِضَض " بكسر الفــاء جمع " الفِضَّة " / مختار الصحاح : " فضض " : ٥٠٦ .

(٥) يَبِصُّ : البَصيصُ : البريق ، وقد " بَصَّ " الشيء لَمعَ يَبِصُّ بالكسر بصيصــا / مختار الصحاح " بصص " : ٥٤ .

(٦) حوذانا : الحوذان : نبت يرتفع قدر الذراع له زهرة حمراء في أصلها صُفْرة وورقته مدورة ، وهو نبات حلو طيب الطعم . /لسان العرب " حوذ " : ٣/ ٤٨٨ .

(٧) شارق : أي الصيد الجديد ، والشَّرِق من اللحم الأحمر الذي لا دَسَم لـه ./ اللسان " شرق " : ١٠ / ١٧٧ .

(٨) العبيط : عبط الذبيحة يعبطها عَبْطاً واعْتَبَطَها اعْتِباطاً نحرها من غـير داء ولا كسر، وهي سمينة فَتيَّــة وهو العَبْطُ / اللسان " عبط " : ٧/ ٣٤٧ .

(٩) الرَّميل : الملطخ بالدّم / اللسان " رمل " : ١١ / ٢٩٥ .

وموضع الشاهد قوله : " إذا شاء غادى "

والشاهد فيه : حذف المفعول بعد فعل المشيئة المسبوق بحرف جزاء ،

وأصل الجملة : " إذا شاء أن يغادى صرمة غادى " وعلق الشيخ عبد القاهر على

هذا البيت والأبيات الثلاثة السابقة بقوله :

" معلوم أنك لو قلت : وإن شئت أن لا ترقل لم ترقل أو قلت : إذا شئت

أن تغنيني بأجزاع بيشة غنتني ، وإذا شاء أن يغادي صرمة غادى ، ولو

شئت أن تعود بلاد نجد عودة عدتها : أذهبت الماء والرونق ، وخرجت

إلى كلام غث ، ولفظ رث " (١)

أراد الشاعر أن يمدح الفتح بن خاقان بالشجاعة النادرة ، ويلبسه ثوب

البطولة الفاخر ، فوصف منازلته أسداً هصوراً ، وأخذ يُعلي من شأن عدوه ومنازله ،

لأنه كلما رُفِع من قوة العَدُو برزت شجاعة الممدوح ، فوصفه بأنه محدد الناب ،

متأهب للقاء ، ولقوته يحتل روضاً واسعاً معشباً لا يستطيع أحد مشاركته فيه ،

وهذا الأسد الضاري إن عزم الصيد ، فلا يفاجيء إلا قطيعاً كاملاً من كرائم الإبل ،

والبقر الوحشية .

واختيار الشاعر للفظ " عقائل سرب " و " ربرب " غاية في النفاسة ، وقد آثرها

على غيرها ؛ لأنها أنسب في مقام المدح ، وكأنها رمز إلى كرم الممدوح ، الذي دائماً

مايحوي هذه الأصناف .

ولعل الشاعر حذف المفعول في البيت خشية الإطالة من غير مبرر فيذهب بها

اللطف والحسن في البيت .

ولقد وازن القاضي الجرجاني بين أبيات البحتري التي منها الشاهد ، وبين

أبيات لأبي الطيب في وصف الأسد أيضا منها :

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٢٨ ، خفاجي : ١٩٥ ، شاكر : ١٦٦ - ١٦٧ .

وَقعت على الأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ .·. نَضَدَتْ بِهَا هَامَ الرِّفَاقِ تُلُولَا

مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الفَوَارِسِ لَابِسٌ .·. فِي غِيلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلَا

قال بعد أن ذكر الأبيات :

" ولولا أبيات البحتري في هذا المعنى لعددتُ هذه من أفراد أبي الطيب، لكن البحتري قال يصف قتل الفتح بن خاقان أسداً عَرَضَ له : . . . الأبيات" (١)

ثم علق على أبيات البحتري :

" فاستوفى المعنى ، وأجاد في الصّفة ، ووصل إلى المراد ، وأما أبو زبيد ، فإنما وصف خَلْق الأسد وزئيره وجرأته وإقدامه ، وكأنما هو مرعوب أو مخدر ، والفضل له على كل حال ، لكن هذا غرضٌ لم يَرُمْه ، ومذهب لم يَسْلُكه" (٢)

الشاهد الخامس بعد المائة :- (*) (الكامل)

قول البحتري :

لَوْ شِئْتَ عُدْتَ بِلَادَ نَجْدٍ عَوْدَةً .·. فَحَلَلْتَ(٣) بَيْنَ عَقِيقِهِ(٤) وَزَرُودِهِ(٥) (٦)

---

(١) الوساطة : ١٣١ . (٢) المصدر السابق : ١٣٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٢٨ ، خفاجي : ١٩٥ ، شاكر : ١٦٦ .

(٣) رواية الديوان : " فنزلتَ " .

(٤) العقيق : بفتح أوله وكسر ثانيه على وزن فعيل عقيقان ، عقيق بني عقيل ، وهو على مقربة من عقيق المدينة ، وقال الخليل: العقيقان بلدان في ديار بني عامر ، مما يلي اليمن ، وهما عقيق تمرة وعقيق البياض ، وإنما نسبه إلى اليمن لأن أرض هوازن في نجد مما يلي اليمن / انظر :
معجم ما استعجم : ٢/ ٩٥٢-٩٥٣ ، وفي المعجم الجغرافي للبلاد العربية ذكر أن العقيق من قرى بني الأسمر في تهامه من إمارة بلاد عسير ، والعقيق أيضاً من قرى آل سليمان من بَلْقَرْن في إمارة بلاد عسير ، وهناك أيضاً عقيق غامد وهو وادٍ ذو قرى فيه إمارة من إمارات منطقة الباحة، وأهله من قبيلة غامد / المعجم الجغرافي : ٢ / ٩٩٢ .

==========

وهو من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن يحيى،(١) ومطلعها :

يَا عَارِضًا مُتَلَفِّعًا بِبُرُودِهِ .·. يَخْتَالُ بَيْنَ بُرُوقِهِ وَرُعُودِهِ (٢)

وبعده البيت وبعده :

لِتَجُودَ فِي رَبْعٍ بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى .·. قَفْرٍ تبدلَ وَحْشَةً مِنْ غِيدِهِ

وموضع الشاهد قوله : " لَوْ شِئْتَ عُدْتَ " ، والأصل : لو شئت أن تعود بلاد تجد عودة عدتها .

---

(٥) زروده : الزرد البلع ولعل بقعة الأرض سميت بذلك لابتلاعها المياه التي تمطرها السحائب ؛ لأنها رمال بين الثعلبية والخزيمية ، بطريق الحاج من الكوفة ، وفي زرود بركة وقصر وحوض ، وهناك جبلا زرود / معجم البلدان : ٣ / ١٣٩ ، وفي معجم ما استعجم : زرود جبل رمل ، وهو بين ديار عبس ، وديار بني يربوع / ١ / ٦٩٦ .

(٦) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :-
ديوانه : ٢ / ٢٨٩ ، الإيضاح : ١/ ١١٩ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (١١٢) .

(١) عبيد الله بن يحيى بن خاقان : هو ابن أخي الفتح وكنيته أبو الحسن (٢٠٩هـ - ٢٦٣هـ) ، استكتبه المتوكل سنة ٢٣٦ هـ ، ثم ولي الوزارة له حتى مقتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ ، ونُفي في خلافة المستعين إلى برقة سنة ٢٤٨هـ ، ثم تولى الوزارة للمعتمد سنة ٢٥٦هـ ، وظل فيها إلى أن توفي حيث سقط عن دابته وكان عبيد الله حسن الخط له معرفة بالحساب ، وكان كريمًا جوادًا حسن الأخلاق فيه تعفف ، وكان كرم أخلاقه يستر كثيرًا من عيوبه ./ انظر :
تاريخ الطبري : ٩/ ٢٥٨ ، ٣٥٤ ، ٤٧٤ ، ٥٣٢ ، ١١/ ٢٤٦ ، الفخري في الآداب السلطانية : ٢٣٨ ، الإعجاز والإيجاز : ١٠٣ ، طبقات الحنابلة : ١/ ٢٠٤ ، المنتظم : ٥ / ٤٥ ، شذرات الذهب : ٢ / ١٤٧ .

(٢) المخاطب في البيت : " السحاب " .

والشاهد فيه : حذف مفعول المشيئة المسبوق بـ" لو " والمعنى : ياأيها العارض الممطر لو شئت عودة إلى بلاد نجد لتجود بالمطر على ربع خال من أهله ، وأقام فيه الوحش بدلاً من نسائه الغيد الناعمات الأبدان لعدت إليها ، ولأمكن لك ذلك ، فحللت وأقمت بين عقيق نجد وزروده ...

يريد : يتيسر لك العود ، فلم لم تعد ، وهذا تحسر منه على مجاوزة السحاب بلاد نجد وعدم سقيها .(١)

ولعل الشاعر آثر حذف فعل المشيئة هنا : ليظهر رغبته الشديدة في عودة ذلك العارض .

وكذلك الفاء في قوله " فحللت " تظهر رغبته الجامحة في أن يسرع هذا العارض بالحلول في بلاد نجد من غير تباطؤ .

الشاهد السادس بعد المائة :- (*) (الطويل)

قول الجَوهَري(٢) :

فَلَمْ يَبْقَ مِنِّي الشَّوقُ غَيْرَ تَفَكُّرِي .·. فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي بَكَيتُ تَفَكُّرَا (٣)

---

(١) انظر: شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (١١٢) .

(٢) هو أبو الحسن علي بن أحمد الجوهري الجرجاني ، وصفه الثعالبي بأنه " نجم جرجان " ، وكان الصاحب يعجب به إعجاباً شديداً ، وكانت الصلة بينهما قوية ، وذكر أنه ورد نيسابور رسولاً إلى الأمير أبي الحسن في سنة سبع وسبعين وثلثمائة./ يتيمة الدهر : ٤/ ٢٧ - ٤٢ . ونسب صاحب القول الجيد البيت للصاحب بن عباد .

(*) الدلائل ، رضا : ١٢٨ ، خفاجي : ١٩٥ ، شاكر: ١٦٧ .

(٣) لم أقف عليه فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :- التلخيص : ١٣٠ ، الإيضاح : ١/ ١٩٩ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد (١١٥) ، شروح التلخيص : ٢/ ١٣٣ ، معاهد التنصيص : ١/ ٢٥٤ رقم الشاهد (٤٣) ، القول الجيد : ٢١٨ .

ذكر الثعالبي في يتيمة الدهر ملحاً من مقطوعات الجوهري ، وأورد قصيدة بقافية الراء المفتوحة ، يبدو أن هذا البيت منها ، ولكنه لم يورده فيها ، وهي قصيدة قالها في الصاحب بن عباد يمدحه ، ويعتذر من خروجه حاجاً من غير إذنه ، ويعرِّض بقوم أساءوا المحضر له بجرجان .

ومطلعها :

قَلِيلٌ لِمِثْلِي أَنْ يُقَالَ تَغَيَّرَا ∴ وَفَارَقَ مُخْضَلاً (١) مِنَ العَيْشِ أَخْضَرَا

ويبدو أن قبل بيت الشاهد :

رُوَيدَكَ لَمْ أَهْجُرْ عُلَاكَ وَإِنَّمَا ∴ بَخِلْتُ بِنَفْسِي أَنْ تَمَلَّ وَتُهْجَرَا

وبعده الشاهد وبعده :

وَقِدْتُ فَكُنْتُ النَّارَ تَأْكُلُ نَفْسَهَا ∴ وَسِلْتُ فَكُنْتُ المَاءَ يَنْصَبُّ فِي الثَّرَى

قَدَرْتَ عَلَى قَتْلِي بِعَذْلِكَ فَاقْتَصِدْ ∴ وَكُنْتَ عَلَى قَتْلِي بِسَيْفِكَ أَقْدَرَا (٢)

موضع الشاهد قوله : " فلو شئت أن أبكي بكيت تفكرا " . والشاهد فيه : ذكر فعل المشيئة ، ليس لغرابة المفعول ، ولكن لانتفاء القرينة ؛ وذلك لأنه لم يرد أن يقول : لو شئت أن أبكي تفكراً بكيت ، وإنَّما أراد لو شئت أن أبكي بدموعي كما يبكي الناس لأرتاح من لهيب الجوى ، وعصرت عيني لينزل ماؤها لم أجد فيها إلا التفكر .

فالبكاء الأول حقيقي مطلق مبهم غير معدًّى إلى الفكر ، والبكاء الثاني مقيد معدًّى إلى التفكر ، فلا يصلح الثاني تفسيراً للأول ، وبياناً له ، للتخالف بين الجواب وفعل الشرط قال الشيخ عبد القاهر :

---

(١) مخضَّلا : عيش مُخَضَّل أي ناعم ./ اللسان " خضل " : ١١ / ٢٠٩ .

(٢) انظر الأبيات في :-

يتيمة الدهر : ٤ / ٣٤ - ٣٥ .

" وأما قول الجوهري : . . .

فقد نحا به[1] نحو قوله : ولو شئت أن أبكي دمًا لبكيته ، فأظهر مفعول شئت ولم يقل : فلو شئت بكيت تفكراً ، لأجل أن له غرضاً لا يتم إلا بذكر المفعول ، وذلك أنه لم يرد أن يقول : ولو شئت أن أبكي تفكراً بكيت كذلك ، ولكنه أراد أن يقول : قد أفناني النحول ، فلم يبق مني وفيّ غير خواطر تجول ، حتى لو شئت بكاء فمريْتُ شئوني ، وعصرت عيني ، ليسيل منها دمع لم أجده ، ويخرج بدل الدمع التفكر ، فالبكاء الذي أراد إيقاع المشيئة عليه مطلق مبهم غير مُعَدَّى إلى التفكر البتة ، والبكاء الثاني مقيد معدًّى إلى التفكر ، وإذا كان الأمر كذلك صار الثاني كأنه شيء غير الأول ، وجرى مجرى أن تقول : لو شئت أن تعطي درهمًا أعطيت درهمين في أن الثاني لا يصلح أن يكون تفسيراً للأول ". (٢)

وعلى هذا سار الخطيب القزويني[3] ، وشرّاح التلخيص[4] ، واعترض على ذلك صدر الأفاضل[5]

(١) نحا به : في مجرد إظهار المفعول مع التخالف في المعنى والغرض./ نقلاً عن هامش الدلائل ، تحقيق محمد رشيد رضا : ١٢٨ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٢٨-١٢٩ ، خفاجي : ١٩٥-١٩٦ ، شاكر : ١٦٧ .

(٣) الإيضاح : ١ / ٢٠٠ .

(٤) شروح التلخيص : ٢ / ١٣٣ .

(٥) القاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمي ، مجد الدين . (٥٥٥ هـ - ٦١٧ هـ) عالم بالعربية ، من فقهاء الحنفية ، له مؤلفات عديدة منها : " شرح المفصل " للزمخشري و " التوضيح " في شرح المقامات ، قُتل على يد التتار./ انظر ترجمته :-
معجم الأدباء : ١٦/ ٢٣٨-٢٥٣ ، بغية الوعاة : ٢/ ٢٥٢-٢٥٣ ، الأعلام : ٥ / ١٧٥ .

في كتابه " ضِرَام السِّقط"(١) ورأى أن عدم الحذف هنا ، إنما هو لغرابة المفعول ، وأنّ البكاء المقصود هو بكاء التفكر لا البكاء الحقيقي ، وَرُدَّ على قوله هذا ، بأنه لو أُريد بكاء التفكر ، لوجب ذكر مفعول أبكي ، بأن يقول : " فلو شئت أن أبكي تفكرًا بكيته ، لأنه يجب ذكر ما صار به غريبًا لتأنس به النفس .

ورُدّ على هذا الاعتراض :

بأن مفعول أبكي مذكور على التنازع ، فإن أعمل فيه فعل الشرط ، فظاهر ، وإن أعمل الثاني ، وقدر للأول ضمير المتنازع فيه (فلو شئت أن أبكيه بكيت تفكرا " .

كفى لأن المقدر كالمذكور مع أن النفس تأنس بذكر العامل فيه ، فلم يقل " فلو شئت بكيت تفكرًا " لأن تعلق فعل المشيئة ببكاء التفكر غريب .

وَرُدّ على هذا بأن إرادة معنى البكاء الحقيقي أنسب لمقصود الشاعر ، وهو المبالغة في فنائه حتى لم تبق منه مادة سوى التفكر ، فيكون المعنى على هذا التقدير :

لو طلبت من نفسي بكاء لم أجده بل أجد التفكر بدله وهذه المبالغة مناسبة لقوله " فلم يبق مني الشوق غير تفكري " .

أما لو كان المعنى لو شئت أن أبكي تفكرًا بكيته لم يفد أنه لم يبق منه إلّا التفكر لصحة بكاء التفكر الذي هو الحزن والكمد عند كثرته مع بقاء مادة أخرى ، وهذا المعنى لا يناسب قوله " فلم يبق مني الشوق غير تفكري " .

فالبكاء الذي أراد إيقاع المشيئة عليه بكاء مطلق مبهم غير معدًّى إلى التفكر البتة والبكاء الثاني مقيد معدًّى إلى التفكر ، فلا يصلح تفسيرًا للأول وبيانًا له (٢) .

---

(١) ضِرَام السِّقط بكسر الضاد المعجمة ، وبكسر السين المهملة شرح له على ديوان أبي العلاء المعري المسمى بسقط الزند ./ كشف الظنون : ٢ /٢ ٩٩-٩٩٣ .

(٢) شروح التلخيص : ٢ / ١٣٣ - ١٣٦ .

الشاهد السابع بعد المائة :- (*) (الخفيف)

بيت البحتري :

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّؤْ ... دُدِ وَالْمَجْدِ وَالْمَكَارِمِ مِثْلَا (١)

وهو من قصيدة يمدح بها المعتز بالله ، ومطلعها :

إِنَّ سَيْرَ الْخَلِيطِ حِينَ اسْتَقَلَّا ... كَانَ عَوْنًا لِلدَّمْعِ لَمَّا اسْتَهَلَّا (٢)

وقبل الشاهد :

لَمْ يَزَلْ حَقُّكَ الْمُقَدَّمُ يَمْحُو ... بَاطِلَ الْمُسْتَعَارِ حَتَّى اضْمَحَلَّا

وبعده البيت وبعده :

أَنْتَ أَنْدَى كَفًّا وَأَشْرَفُ أَخْلَا ... قًا وَأَزْكَى قَوْلًا وَأَكْرَمُ فِعْلًا (٣)

والشاهد فيه : حذف المفعول ، لإرادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظ المفعول إظهاراً لكمال العناية بوقوع الفعل عليه ، وترفعاً عن إيقاعه على ضميره ، فأصل الجملة " قد طلبنا مثلاً فلم نجد لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلاً ، فحذف مفعول طلبنا ، (لأنه لو ذكره أولاً ناسب أن يتسلط الفعل بعده ، وهو قوله فلم نجد على ضميره ، لأنه تقدم معاده ، فناسب لو قدمه فقال : قد طلبنا لك مثلا أن يقول فلم نجده) (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ١٢٩ ، خفاجي : ١٩٦ ، شاكر : ١٦٨ .

(١) لم أجده إلا في :-
ديوانه : ١/١٧٦ ، بديع القرآن : ١٨٨ ، نهاية الإيجاز : ١٤٢ ، نهاية الأرب : ٧/٧٩ ، التلخيص : ١٣١ ، الإيضاح : ١/٢٠٠ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٣٦أ ، شروح التلخيص : ٢ / ١٣٩ ، معاهد التنصيص : ١ / ٢٥٦ ، رقم الشاهد (٤٥)

(٢) ديوانه : ١ / ١٧٥ .

(٣) ديوانه : ١ / ١٧٦ .

(٤) شروح التلخيص : - مواهب الفتاح - : ٢ / ١٣٩ .

ولأن الغرض إيقاع نفي الوجود على صريح لفظ المثل و(لو صرّح به أولاً ، لأوهم تعدد المثل ، وأن المثل الثاني خلاف الأول ، لأن تكرار النكرة ظاهر في إفادة التغاير فيكون المعنى قد طلبنا لك مثلاً فلم نجد لك مثلاً آخر مخالفاً للمطلوب ، وإنّما وجدنا المطلوب ، وهو فاسد) (١)

فالشاعر في غاية الاعتناء بتسلط نفي الوجدان على لفظ المثل ؛ لأن الآكد في كمال مدح الممدوح نفي وجدان المثل على وجه لا يتوهم فيه بل ولا يخطر بالبال أنّ الذي نفي وجدانه غير المثل . (٢)

قال الشيخ عبد القاهر :

" وإذا أردت ما هو صريح في ذلك ، ثم هو نادر لطيف ينطوي على معنى دقيق وفائدة جليلة ، فانظر إلى بيت البحتري . . .

المعنى قد طلبنا لك مثلاً ثم حذف ؛ لأن ذكره في الثاني يدل عليه ، ثم إن في المجيء به(٣) كذلك من الحسن والمزية والروعة ما لا يخفى ، ولو أنه قال : "طلبنا لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلاً" فلم نجده لم تر من هذا الحسن الذي تراه شيئاً ، وسبب ذلك أن الذي هو الأصل في المدح ، والغرض بالحقيقة هو نفي الوجود عن المثل فأما الطلب فكالشيء يذكر ليبنى عليه الغرض ، ويؤكد به أمره ، وإذا كان هذا كذلك فلو أنه قال : "قد طلبنا لك في السؤدد ، والمجد ، والمكارم مثلاً فلم نجده : لكان يكون قد ترك أن يوقع نفي الوجود على صريح لفظ المثل وأوقعه على ضميره ولن تبلغ الكناية مبلغ الصريح أبداً " (٤)

---

(١) انظر : شروح التلخيص ، حاشية الدسوقي : ٢ / ١٣٨ ، مواهب الفتاح : ٢ / ١٣٩ .

(٢) شروح التلخيص : - مواهب الفتاح ، حاشية الدسوقي : ٢ / ١٣٩ .

(٣) وفي الدلائل شاكر " ثم إن في المجيء به " .

(٤) الدلائل ، رضا : ١٢٩-١٣٠ ، خفاجي : ١٩٦-١٩٧ ، شاكر : ١٦٨ ، وانظر بديع القرآن : ١٨٨ .

ورأى النويري أنّ الحذف هنا فيه زيادة فخامة قال :

" واعلم أنه قد تُترك الكناية إلى التصريح لما فيه من زيادة الفخامة ، كقول البحتري ... " (١)

ويمكن أن يكون الحذف قُصد به المبالغة في التأدب مع الممدوح بترك مواجهته بالتصريح بما يدل على تجويز أن يكون له مثل تعظيماً له ، حتى كأنه لا يجوز وجود المثل له ليطلبه ، والغرض الذي يناسب المبالغة في المدح إحالة المثل بترك التصريح بطلبه المشعر بإمكان وجوده ، وذكر ابن يعقوب والدسوقي أنه يجوز أن يكون الحذف في البيت للبيان بعد الإبهام ؛ لأنه أبهم المطلوب أولاً ثم بيّن أنه المثل . (٢)

الشاهد الثامن بعد المائة :- (*) (الكامل)

وَلَمْ أَمْدَحْ لِأُرْضِيَهُ بِشِعْرِي ∴ لَئِيماً أَنْ يَكُونَ أَصَابَ مَالاَ (٣)

والبيت أورده الشيخ من غير نسبة .

وهو لذي الرُّمّة من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة . (٤)

---

(١) نهاية الأرب : ٧ / ٧٩ .

(٢) شروح التلخيص : ٢ / ١٤٠ مختصر السعد ، مواهب الفتاح ، حاشية الدسوقي .

(*) الدلائل ، رضا : ١٣٠ ، خفاجي : ١٩٨ ، شاكر : ١٧٠ .

(٣) ديوانه : ٣ / ١٥٣٤ ، شرح جمل الزجاجي : ٦١٥ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٣٤٣ بذكر الشطر الأول فقط وكلمة من الشطر الثاني ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ١٨٠ ، الإيضاح : ١ / ٢٠١ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٣٦ أ .

(٤) هو بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري أبو عمرو ويقال أبو عبد الله أمير البصرة وقاضيها ، ولاه خالد القسري القضاء سنة (١٠٩ هـ) فلم يزل قاضياً حتى قدم يوسف بن عمر سنة (١٢٠ هـ) فعزله ، روي أنه مات في حبس يوسف ، وأنه قتله دهاؤه ، قال للسجان أعلم يوسف أني قد مت ولك مني ما يغنيك =====

ومطلع القصيدة :

أَرَاحَ فَرِيقُ جِيرَتِكِ الجِمَالاَ ∴ كَأَنَّهُم يُرِيدُونَ احتِمَالاَ (١)

ومنها أبيات قبل الشاهد :

وَشِعرٍ قَدْ أَرِقْتُ (٢) لَهُ غَرِيبٍ (٣) ∴ أُجَنِّبُهُ المُسَانَدَ (٤) وَالمُحَالاَ

فَبِتُّ أُقِيمُهُ وَأَقُدُّ مِنْهُ ∴ قَوَافِيَ لاَ أَعُدُّ لَهَا مِثَالاَ

غَرَائِبَ قَدْ عُرِفْنَ بِكُلِّ أُفْقٍ ∴ مِنَ الآفَاقِ تُفْتَعَلُ افتِعَالاَ (٥)

وبعدها البيت وبعده :

وَلَكِنَّ الكِرَامَ لَهُم ثَنَائِي ∴ فَلاَ أَخْزَى إِذَا مَا قِيلَ قَالاَ

سَمِعْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيثًا ∴ فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ (٦) انْتَجِعِي بِلاَلاَ (٧)

الشاهد :

البيت ليس فيه حذف وإنّما ساقه الشيخ عبد القاهر تنظيراً وشرحاً للقاعدة التي أراد تقريرها ، وهي أنّ الفعل الأصلي الذي هو أصل في المعنى ، والذي

=== فاطمه، فقال يوسف أُرنيه ميتاً فجاء السَّجّان فألقى عليه شيئاً غمه حتى مات، ثم أراه يوسف ، روى له الترمذي حديثاً . / انظر ترجمته : جمهرة الأنساب : ٣٩٨، تهذيب التهذيب : ١ / ٥٠٠-٥٠١.

(١) ديوانه : ٣ / ١٥٠٦.

(٢) رواية القوافي : " سهرت له " .

(٣) رواية الموشح : " له طريف " .
ورواية القوافي : " كريم " .

(٤) المساند : السناد هو عيب في الشعر : وهو اختلاف ما يجب مراعاته قبل الروي من الحروف والحركات . / القوافي : ١٢٩-١٣٣.

(٥) ديوانه : ٣ / ١٥٣٢-١٥٣٣.

(٦) صيدح : اسم ناقته .

(٧) انظر الأبيات في :-
ديوانه : ٣ / ١٥٣٥، الموشح : ١٣ ، ١٦٢، كتاب القوافي : ١٢٩.

يتعلق به الغرض الأولى أن يعمل في الآسم الظاهر ، وأن يعمل الثاني في ضمير المفعول ، فالشاعر هنا أعمل الفعل الأول الذي هُو (لم أمدح) في صريح لفظ اللئيم ؛ لأنه أصل المعنى، وأعمل الثاني (أرضي) في ضمير المفعول ؛ لأن غرض الشاعر هنا أن ينفي عن نفسه مدح اللُّؤَمَاء ، وأما قوله لأرضيه جاء تعليلاً للفعل (أمدح) .

قال الشيخ عبد القاهر :

" وإذ قد عرفت هذا ، فإن هذا المعنى بعينه قد أوجب في بيت ذي الرُّمَّة أن يضع اللفظ على عكس ما وضعه البحتري فَيَعمل الأول من الفعلين وذلك في قوله . . . أعمل " لم أمدح " الذي هو الأول في صريح لفظ اللئيم و " أرضى " الذي هو الثاني في ضميره ؛ وذلك لأن إيقاع نفي المدح على اللئيم صريحًا ، والمجيء به مكشوفاً ظاهراً هو الواجب من حيث كان أصل الغرض ، وكان الإرضاء تعليلاً له ، ولو أنه قال : ولم أمدح لأرضى بشعري لئيماً ، لكان يكون قد أبهم الأمر فيما هو الأصل ، وأبانه فيما ليس بالأصل فآعرفه " (١)

الشاهد التاسع بعد المائة : (*) (الطويل)

قول البحتري :

وَكَمْ ذُدْتَ عَنِّي مِنْ تَحَامُلِ حَادِثٍ (٢) ... وَسَوْرَةِ (٣) أَيَّامٍ حَزَزْنَ (٤) إِلى العَظْمِ (٥)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٣٠-١٣١ ، خفاجي : ١٩٨ ، شاكر : ١٧٠ .
(*) الدلائل ، رضا : ١٣٢ ، خفاجي : ١٩٩ ، شاكر : ١٧١ .
(٢) تحامل حادثٍ : التحامل تكلف الشيء على مشقة / مختار الصحاح " حمل " : ١٥٦ .
(٣) سورة الأيام : شدتها وسطوتها واعتداؤها / مختار الصحاح " سور " : ٣٢٠ .
(٤) حززن : الحز : القطع / مختار الصحاح " حزز " : ١٣٣ .
(٥) لم أجده فيما رجعت إليه من مصادر إلاّ في :
ديوانه : ٢١٩/٠ ، التلخيص : ١٣٠ ، الإيضاح : ٢٠٠/١ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٥ ب ، شروح التلخيص : ١٣٧/٢ ، معاهد التنصيص : ٢٢٥/١ ، رقم الشاهد (٤٤) .

ذكر الشيخ عبد القاهر الشطر الأول من مطلع القصيدة :

* أعَنْ سَفَهٍ يَوْمَ الأُبَيْرِقِ (١) أمْ حِلْمِ *

وتمامه كما في الديوان :

* وُقُوفٌ بِرَبْعٍ أوْ بُكَاءٌ عَلَى رَسْمِ * (٢)

والبيت من قصيدة يمدح بها أبا الصقر. (٣)

وقبل الشاهد :

كَأنَّكَ مِنْ جِذْمٍ (٤) مِنَ النَّاسِ مُفْرَدٍ ∴ وَسَائِرُ مَنْ يَأْتِي الدَّنِيَّاتِ مِنْ جَذْمِ

كَأنَّا عَدُوًّا مُلْتَقىً مَا تَقَارَبَتْ ∴ بِنَا الدَّارُ إلَّا زَادَ غُرْمُكَ فِي غُنْمِي (٥)

وبعد هما الشاهد وبعده :

أُحَارِبُ قَوْمًا لَا أُسَرُّ بِسُوئِهِمْ ∴ وَلَكِنَّنِي أَرْمِي مِنَ النَّاسِ مَنْ تَرْمِي

يَوَدُّ العِدَى لَوْ كُنْتَ سَالِكَ سُبْلِهِمْ ∴ وَأَيْنَ بِنَاءُ المُعْلِيَاتِ مِنَ الهَدْمِ

وَهَلْ يُمْكِنُ الأَعْدَاءَ وَضْعُ فَضِيلَةٍ ∴ وَقَدْ رُفِعَتْ لِلنَّاظِرِينَ مَعَ النَّجْمِ (٦)

---

(١) يوم الأبيرق : تصغير الأبرق ، أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل . / اللسان : " برق " : ١ / ١٦ .

(٢) ديوانه : ١ / ٢١٧ .

(٣) هو إسماعيل بن بلبل الشيباني ، استوزره الموفق لأخيه المعتمد سنة ٢٦٥ هـ ومدحه البحتري وابن الرومي ، وانتهى أمره بأن حبسه المعتمد وقتله ./ انظر :
أخبار البحتري للصولي : ١١٦ ، ١٢١ ، ١٦٢ ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية : ٢٥٢ - ٢٥٤ .

(٤) جِذْم : الجِذم بالكسر أصل الشيء ، وجِذْمُ القوم : أصلهم ، والجِذْم أيضا القوم والعشيرة ./ اللسان " جذم " : ١٢ / ٨٨ .

(٥) الديوان : ٢١٩ .

(٦) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

والمعنى : أنك كثيراً ما ذدت وطردت عنّي ظلم الحوادث ، وصولة الأيام ، وشدتها التي فتتت العظم وأوهنت القوى .

و «كم» في البيت خبرية مميزها قوله " من تحامل " أي كثيراً ما دفعت ، ويجوز أن تكون استفهامية محذوفة المميز أي كم مرة أو زماناً ، ويكون زيادة «من» في المفعول ؛ لأن الكلام غير موجب لتقدم الاستفهام الذي يراد بعده " من " وهذا الاستفهام لادّعاء الجهل بالعدد لكثرته مبالغة في الكثرة . (١)

وإضافة التحامل - وهو الظلم - إلى الحادثات إمّا على وجه الحقيقة أي كم دفعت من تَعَدّي الحوادث الدهرية عَلَيّ ، أو أنّ الإضافة بيانية أي من الظلم الذي هو حادث الزمان ، وعلى هذا فجعل حادث الزمان ظُلماً مبالغة كرجل عَدْل . (٢)

وموضع الشاهد في البيت قوله : " حززن إلى العظم " والشاهد فيه : حذف المفعول لدفع توهم السامع في أول الأمر إرادة شيء غير المراد .

فأصل التركيب " حززن اللحم إلى العظم " ، ولكنه حذف لفظ اللحم ؛ لأن في ذكره توهماً للسامع أن الحزّ كان في بعض اللحم ، ولم ينته إلى العظم ، فترك ذكر اللحم ليبرئ السامع من هذا الوهم ، ويصور في نفسه من أول الأمر أن الحَزّ مضى في اللحم حتى لم يَرُدّه إلّا العظم .

فالشاعر لجأ إلى الحذف لأنه " حريص على بيان كون ما دفعه الممدوح من سَورة الأيام بلغ إلى العظم ، لأبلغيته في الشدة بحيث لا يخالج قلب السامع خلاف ذلك أصلاً ، ولو في الابتداء ؛ لأن ذلك أوكد في تحقق إحسان الممدوح حيث دفع ما هو بهذه الصفة " (٣)

---

(١) شروح التلخيص : - مواهب الفتاح ، الدسوقي - : ٢ / ١٣٧ .

(٢) شروح التلخيص : - حاشية الدسوقي - : ٢ / ١٣٧ .

(٣) شروح التلخيص - مواهب الفتاح - : ٢ / ١٣٨ ، وانظر كذلك : حاشية الدسوقي : ٢ / ١٣٧-١٣٨ ، وهو - فيما يبدو - ناقل عن مواهب الفتاح .

قال الشيخ عبد القاهر في توضيح هذا الشاهد وبيان فوائده الجليله ومزاياه العجيبه :

" الأصل لا محالة حززن اللحم إلى العظم إلّا أن في مجيئه به محذوفاً ، وإسقاطه له من النطق وتركه في الضمير مزية عجيبة ، وفائدة جليلة ، وذاك أن من حذق الشاعر أن يوقع المعنى في نفس السامع إيقاعاً يمنعه به من أن يتوهم في بدءِ الأمر شيئا غير المراد ، ثم ينصرف إلى المراد ، ومعلوم أنه لو أظهر المفعول فقال : وسورة أيام حززن اللحم إلى العظم لجاز أن يقع في وهم السامع إلى أن يجيء إلى قوله " إلى العظم " أن هذا الحزّ كان في بعض اللحم دون كله ، وأنه قطع مايلي الجلد ، ولم ينته إلى مايلي العظم ، فلما كان كذلك ترك ذكر اللحم ، وأسقطه من اللفظ ، ليبرئ السامع من هذا ويجعله بحيث يقع المعنى منه في أُنُفِ[1] الفهم ، ويتصور في نفسه من أول الأمر أن الحَزَّ مضى في اللحم حتى لم يردّه إلّا العظم ، أفيكون دليل أوضح من هذا وأبين وأجلى في صحة ماذكرت لك من أنك قد ترى ترك الذكر أفصح من الذكر ، والامتناع من أن يبرز اللفظ من الضمير أحسن للتصوير ". (٢)

وقد يقال إن دفع التوهم ابتداءً لا يتوقف على الحذف بل يمكن حصوله مع ذكر المفعول لكن مع تأخيره عن قوله إلى العظم بأن يقال حززن إلى العظم اللحم ، وحقاً إن النكتة توجد بالحذف وبغيره ، إلا أن ذكر لفظ (لحم) بعد قوله إلى

---

(١) أُنفَ : بضم الهمزة والفاء كل شيء أوله .
يقال : إنما الأمر أُنفُ أي يستأنف استئنافا من غير أن يسبق به سابق قضاء وتقدير ، واستأنفت الشيء إذا ابتدأته / اللسان " أنف " : ٩ / ١٤ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٣٢ ، خفاجي : ١٩٩ - ٢٠٠ ، شاكر : ١٧١ - ١٧٢ .

العظم لا يحسن للعلم به ، فيكون ذكره عبثاً ، ويلزم عليه تقديم المفعول بواسطة على المفعول مباشرة ، وذلك بتقديم المجرور على المفعول مع إمكان حصول الغرض بدونه .

ولا يحسن ذكره عاماً بأن يقال حززن كل شيء أي من عصب ولحم إلى العظم ، فالحذف هنا أصرح من الذكر في دفع التوهم لإمكان كون العموم لو صرح به باعتبار عموم الفردية ، بأن يكون المعنى : أوقعن القطع في كل شيء من لحم وجلد وعصب فيبقى البعض من كل فلم يصل الحز إلى العظم (١) .

بعد عرض هذه الشواهد يلاحظ :

أن الشيخ عبد القاهر عند حذف المبتدأ لم يضع له قاعدة معينة ، وأصلاً راسخاً ، بل لم يحاول في كثير من الشواهد بيان سر الحذف ، واكتفى بالإشارات النحوية ، وبما قالوه عن مواضع الحذف :

أن من عادات العرب إذا ذكروا الأطلال والديار ، أو ذكروا الرجال أن يقطعوا الكلام ، ثم يستأنفوا جزءًا جديداً من المعنى يبنونه . على الحذف .

وإنما جعل المعول هنا على النفس الذوّاقة ، والفطنة اللماحة والطبع الأصيل ، والإحساس المرهف المتمرس .

واكتفى بالدلالة والإشارة إلى طريقة التذوق وكيفيتها وهي الموازنة بين التركيب قبل الحذف والتركيب بعد الحذف ، ثم عرض ذلك على الإحساس .

فالشيخ عبد القاهر كثيراً ما يحيل على الذوق ، فكأن هناك أسراراً جمالية لا تحدها قاعدة ، ولا يدركها قانون فهو عنده باب شبيه بالسحر ، وتأثير السحر غير مدرك العلة . يقول :

---

(١) شروح التلخيص : مواهب الفتاح : ٢ / ١٣٧-١٣٨ ، وانظر كذلك : حاشية الدسوقي : ٢ / ١٣٨ ، نقلاً عن المواهب فيما يبدو .

" فتأمل الآن هذه الأبيات كُلَّها واستقرها واحداً واحداً ، وانظر إلى موقعها في نفسك ، وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها ، ثم فليت النَّفس عمَّا تجد ، وألطفت النظر فيما تُحِسُّ به ، ثم تكلَّف أن تردَّ ما حَذف الشاعر ، وأن تُخْرجه إلى لفظك ، وتوقِعهُ في سَمْعِك ، فإنك تعلم أن الذي قلتَ كما قلتَ ، وأن رُبَّ حذف هو قِلادةَ الجيد ، وقاعدة التجويد " (١) .

ثم يطالب القاري بتناسي وتجاهل المحذوف ، ويحذره أن يخطر بباله ؛ لأن ذلك يفسد حلاوة التذوق يقول :-

" ثم إنك ترى نُصْبَة (٢) الكلام وهيئته تروم منك أن تنسى هذا المبتدأ ، وتباعده عن وهمك ، وتجتهد أن لا يدور في خلدك ، ولا يَعْرِض لخاطرك ، وتراك كأنك تتوقَّاه تَوقِّي الشيء تكرَهُ مكانَه ، والثقيل تخشى هجومه " (٣) .

إن مطالبة الشيخ عبد القاهر القاري بتناسي المبتدأ وإبعاده حتى عن الوهم تثير في النفس الغرابة والتساؤل ، ولكن سرعان ما تجد الإجابة على ذلك ، فهذا الحذف ليس مرجعه إلى ضرورة نظرية ، ولا هو نظام أعمى خال من الدلالات ، ولا هو ضرورة اقتضتها العادة اللغوية ، إنما هو حذف ذو دلالة ، وهو نمط من الإفادة والإفصاح ، ففيه يتحرر الشاعر من قيود الوصف إلى عالم التأمل والوجدان والاستغراق في المشاعر . إنه الحذف الذي يتحدد وراءه موضوع بعينه ، وكأنما لم يعد ثمة فاصل على الإطلاق بين الذات المدركة ، وموضوع إدراكها . (٤)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١١٦ ، خفاجي : ١٨٣ ، شاكر : ١٥١ .

(٢) نُصْبة الكلام : ظاهره وهيئته ./ اللسان " نصب " : ١ / ٧٦٠-٧٦١ .

(٣) الدلائل ، رضا : ١١٦-١١٧ ، خفاجي : ١٨٣ ، شاكر : ١٥١ .

(٤) النقد التحليلي عند عبد القاهر ، أحمد عبد السيد الصاوي : ٢٠٣ .

وقد وضع السكاكي ، وعنه نقل الخطيب ، ومن جاء بعده بعض أسرار الحذف ، فذكر أن حذف المسند إليه يكون :

١- لمجرد الاختصار ، والاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر أي لوجود القرينة ، وهذه العلة عامة في الحذف ، فكل حذف يولّد اختصاراً .

٢- وإما أن يكون للاختصار مع ضيق المقام .

٣- للتخييل أن في تركه تعويلاً على شهادة العقل ، وفي ذكره تعويلاً على شهادة اللفظ ، وكم بين الشهادتين .

٤- لاختبار تنبه السامع عند القرينة ، هذا كأن يزورك رجلان سبقت لأحدهما صحبة لك ، فتقول لمن معك - وفيٌّ - تريد الصاحب وفيٌّ .

٥- أو مقدار تنبهه ، هذا كأن يزورك رجلان أحدهما أقدم صحبة من الآخر ، فتقول لمن معك - جدير بالإحسان - تريد الأقدم صحبة جدير بالإحسان ، والفرق بين هذا وما قبله أن اختبار مقدار التنبه لا يكون إلا في القرائن الخفية ، ورأى صاحب بغية الإيضاح أن هذا الغرض بقسميه فيه تكلف .

٦- للإيهام أن في تركه تطهيراً له عن لسانك أو تطهيراً للسان عنه ، قيل إن لفظ إيهام هنا لا داعي له ، وكذلك لفظ " تخييل " فيما سبق ؛ لأن ذلك يقع حقيقة لا تخييلاً ، ولا إيهاماً ، والأول كقولك : خاتم الأنبياء - أي محمد صلى الله عليه وسلم - .

٧- وإما ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مَسّت إليه حاجة ، هذا كقولك فاجر ، تريد رجلاً معروفاً ، فلا تذكره ، لتقول عند الحاجة ما أردته .

٨- وإما لأن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة أو ادعاء كقوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ ﴾ . (١)

---

(١) الأنعام : ٧٣ .

والثاني كقولك : وهّابُ الألوف ، تريد كريماً لا تذكره ادعاء لتعينه وشهرته .

٩- وإما لاعتبار آخر مُناسب لايهتدي إلى مثله إلّا العقل السليم والطبع المستقيم ، من ذلك تعجيل المسرة أو المساءة.

ومنه المحافظة على وزن أو سجع .

١٠ اتباع الاستعمال الوارد على تركه كما في قولهم " رَمْيَةٌ مِنْ غَيرِ رَام " (١)

أما عن حذف المفعول فإنّا نرى الشيخ عبد القاهر يضع له أصلاً مهماً ، وقاعدة ضابطة ، فكان كريم العطاء فيه ، فرأى أن له لطائف أكثر من لطائف حذف المسند إليه ، ومايظهر بسببه من الرونق أعجب .

وعند عرضه للشواهد كان يقف أمام أسرارها وقفة الخبير ، ويحللها تحليل الذوّاق الفطن ، ولم يكتفِ بوضع نظرته هو بل نراه يحاول تدريب القارئ على كيفية التذوق والإحساس ، وجعل باب التذوق مفتوحاً لكل صاحب حس مرهف ، فقال عند الكلام عن حذف المفعول :

" وليس لنتائج هذا الحذف أعني حذف المفعول نهاية ، فإنه طريق إلى ضروب من الصنعة ، وإلى لطائف لا تحصى " (٢)

وقد وضع الشيخ لحذف المفعول لطائف عديدة هي نتائج اجتهاده الذهني ، وكده العلمي ، وعطائه الروحي ، فلم يتعرض لها من سبقه - فيما يبدو - وعنه أخذ من لحقه ، ولم يزيدوا عليها الشيء الكثير.

فمن اللطائف التي ذكرها في هذا الحذف :

---

(١) انظر: المفتاح : ٧٦ ، الإيضاح : ١ / ١٠٩ ، بغية الإيضاح : ١ / ٨٥ ، شروح التلخيص : ٢ / ١٢١ - ١٤٥ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٢٥ ، خفاجي : ١٩٢ ، شاكر : ١٦٣ .

١- إنّ ذكر الفعل وفي النفس مفعول مخصوص منسي ومخفي فيه إيهام أن معنى الكلام القصد إلى الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل دون تعرض لمفعول، ليُحصِّل له معنى شريفاً، وغرضاً خاصاً.

٢- إن في حذف المفعول تتوفر العناية على إثبات الفعل للفاعل، وتخلص له، وتنصرف بجملتها وكما هي إليه.

٣- البيان بعد الإبهام كما في فعل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمفعوله غرابة.

٤- دفع أن يتوهم السامع في أول الأمر إرادة شيء غير المراد.

٥- يكون الحذف من الأول؛ لأنه أريد ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه إظهاراً لكمال العناية بوقوعه عليه.

٦- القصد إلى التعميم في المفعول والامتناع عن أن يقصره السامع على ما يذكر معه دون غيره مع الاختصار.

٧- الإضمار على شريطة التفسير، ففي حذفه ابتعاد عن العبث.

هذا ما أورده الشيخ في أسرار حذف المفعول.

ويظهر أن كل ما زاده عليه المتأخرون أنهم تناولوا الموضوع بطريقة علمية من تنظيم وتقسيم وتفصيل وطريقة تعبير.

وزاد بعضهم أن الحذف يكون:

١- لرعاية الفاصلة.

٢- لاستهجان ذكره.

الفصل السادس :

شواهد الفروق في الخبر

أ- الاسم والفعل في الإثبات .

ب- القصر في التعريف .

ج- نكت أخرى في التعريف .

م – الاسم والفعل في الإثبات –

الشاهد العاشر بعد المائة :– (*) (البسيط)

لَا يَأْلَفُ(١) الدِّرْهَمُ(٢) المَضْرُوبُ صُرَّتَنَا(٣) .·. لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا(٤) وَهُوَ مُنْطَلِقُ(٥) (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ١٣٤ ، خفاجي : ٢٠٣ ، شاكر : ١٧٤ .

(١) رواية الديوان والحماسة (ت:عسيلان) ، ورواية شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ، والحماسة البصرية : " ما يألف " .
ورواية الإيضاح : " لا يأنف " .

(٢) رواية الحماسة (ت:عسيلان" ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ، والحماسة البصرية : " الدرهم الصياح " .
ورواية الفاضل : " المنقوش " .
والمضروب : هو الدرهم المطبوع المعد للتعامل / اللسان : " ضرب " : ١ /٥٤٣ .

(٣) رواية الديوان ، دلائل الإعجاز – شاكر – وتهذيب ابن عساكر : " خرقتنا " .

(٤) رواية تهذيب تاريخ ابن عساكر ، نهاية الأرب : " إلا يمر عليها " .

(٥) ذكر الشطر الثاني من بيت الشاهد في الفاضل برواية ينتفي معها موضع الشاهد جاء فيه :
لَا يَأْلَفُ الدِّرْهَمُ المَنْقُوشُ صُرَّتَنَا .·. إِلَّا لِمَامًا قَلِيلاً ثُمَّ يَنْطَلِقُ
انظر البيت في :–
ديوان حاتم الطائي : " صلة ديوانه " : ٣٠٢ رقم القصيدة " ١١٧ " الحماسة (ت : عسيلان) : ٢ / ٣٦٠ رقم (٧٨٠) ، الفاضل : ٤٢ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ١٢٦ ، تهذيب ابن عساكر : ٣ / ٤٢٧ ، نهاية الأرب : ٧ / ٦١ ، البداية والنهاية ، شرح ديوان المتنبي للعكبري : ١ / ١١٦ ، الحماسة البصرية : ٢ / ١٢ ، الإيضاح : ٢ / ١٧٧ ، شرح أبيات الإيضاح – فيض الله – : ٣١ب معاهد التنصيص : ١ / ٢٠٧ ، رقم الشاهد (٣٨) ، شروح التلخيص : ٢ / ٣٠ ، القول الجيد : ١٩٧ .

(٦) ذكر البيت منسوباً لجؤية بن النضر في الحماسة – ت: عسيلان – ، وفي شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، والحماسة البصرية ، ومعاهد التنصيص .

======

ذكره الشيخ من غير عزو ، وهو لجُؤَيَّة بن النَّضِر (١)

والشاهد أحد أبيات أربعة . وقبله :

قَالَتْ طُرَيْفَةُ (٢) مَا تَبْقَى دَرَاهِمُنَا ∴ وَمَا بِنَا سَرَفٌ فِيهَا وَلَا خَرَقُ (٣)

إِنَّا إِذَا اجْتَمَعَتْ (٤) يَوْماً دَرَاهِمُنَا ∴ ظَلَّتْ إِلى طُرُقِ (٥) المَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ

وبعد هما الشاهد وبعده :

حَتَّى يَصِيرَ إِلى نَذْلٍ يُخَلِّدُهُ ∴ يَكَادُ مِنْ صَرِّهِ إِيَّاهُ يَنْمَزِقُ (٦) (٧)

=== ونسبه الأستاذ محمود شاكر في تحقيقه للدلائل : للنضر بن جؤية وكذلك نسبة حاشية الدسوقي في شروح التلخيص .

وذكر في القول الجيد أن الدسوقي نسبه " للنَّضر بن لُؤَيَّة " وهذا خطأ مطبعي فيما يبدو .

ونسبه العباسي في معاهد التنصيص للنَّضِر بن جؤية أو لجؤية بن النضر

ونسبه محقق الإيضاح : للنَّصر بن جؤية ـ وأعتقد أنه خطأ مطبعي .

وذكر البيت في شرح العكبري من غير عزو ، وذكر قوله : " إنَّا إذا اجتمعت يوماً دراهمنا " وهو البيت السابق للشاهد ، ونسبه لجؤية بن النضر وكأنه يرى أن لكل بيت قائلاً .

وكذلك ذكر البيت في نهاية الأرب وشرح أبيات الإيضاح من غير عزو

ونسب البيت لحاتم الطائي في صلة ديوانه : ٣٠٢ ، وتهذيب ابن عساكر ، والبداية والنهاية ، ونُسب في الفاضل لمالك بن أسماء . وذكر صاحب المعاهد أنه يُنسب أيضاً ليزيد بن حاتم بن قبيصة .

(١) لم أقف على ترجمة لجُؤيّة بن النضر .

(٢) طريفة : اسم امرأة وهو تصغير طرفة .

(٣) وفي الديوان بعد البيت الأول :

إِنْ يَفْنَ مَا عِنْدَنَا فَاللَّهُ يَرْزُقُنَا ∴ مِمَّنْ سِوَانَا وَلَسْنَا نَحْنُ نَرْتَزِقُ

(٤) رواية الفاضل والتصحيف والتحريف : " إِنَّا إِذَا كَثُرَتْ " .

(٥) رواية الديوان الفاضل : " إلى سُبُلِ " .

(٦) رواية الفاضل : " يَمَّزِقُ " .

(٧) الأبيات موجودة في الحماسة (ت : عسيلان) ، والفاضل ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر .

=======

وموضع الشاهد قوله : " وهو منطلق "

والشاهد فيه : مجيء المسند اسماً ، فأفاد الثبوت والدوام لا الحدوث والتجدد .

قال الشيخ :-

" .. أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدُّده شيئاً بعد شيء .

وأما الفعل ، فموضوعه على أنّه يقتضي تجدُّد المعنى المثبت به شيئاً بعد شيء .

فإذا قلت : " زيد منطلق " ، فقد أثبت الانطلاق فعلاً له ، من غير أن تجعله يتجدَّد ويحدث منه شيئاً فشيئاً ، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك : " زيد طويل " ، و" عمرو قصير " ، فكما لا تَقْصِد ههنا إلى أن تجعل الطول أو القصر يتجدَّد ويحدث ، بل تُوجبهما وتُثْبتهما فقط ، وتقضي بوجودهما على الإطلاق ، كذلك لا تتعرض في قولك : " زيد منطلق " لأكثر من إثباته لزيد .

=== وفي شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ذكر البيت الأول والثاني ، ولم يذكر بيت الشاهد .

وفي التصحيف والتحريف ذكر البيت الثاني فقط منسوباً لجَوِيَّة بن النَّضِر / انظره : ٣٨٧ ، والأبيات ماعدا (٤) في صلة ديوان حاتم .

وذُكر في التصحيف والتحريف :

أنه يروى جُرَيبة الأسدي ، الجيم مضمومه والراء مفتوحة غير معجمة - وهو جُريبة بن عمرو بن الأشيم من بني فقعس ، وهو جد مطير بن الأشيَم أحد شياطين بني أسد وشعرائها / : التصحيف والتحريف : ٣٨٧ ، المؤتلف : ٧٧ .

وأما الفعل فإنه يُقْصَد فيه إلى ذلك : فإذا قلت : " زيد ها هو ذا ينطلق " فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءًا فجزءًا ، وجعلته يُزاوله ويُزجّيه " (١)

فالشاعر في هذا البيت آختار الآسم دون الفعل ؛ ليقرر في الأذهان ، ويؤكد في النفوس بالغ كرمه وجوده ، وكثرة عطائه وإنعامه ،، فأثبت للدرهم صفة الانطلاق الدائم من غير إشعار بتجدد وحدوث ، فالدّرهم ليس له مكان في صرته ، ففي اللحظة التي يدخلها ينطلق منها ، ولو أنّه قال : " وهو ينطلق " لذهبت حلاوة المعنى ، وفات مراد الشاعر ، وكانت الدلالة على الكرم أقل ؛ لأن استعمال الفعل هنا يدل على أن الدرهم قد يمكث في الصُّرة زمناً ، ثم يتجدد منه الانطلاق .

ومراد الشاعر على العكس من ذلك ، فالدّرهم يمر عليها وهو في حالة من السرعة الشديدة ، والانطلاق السريع ، وهذا قمة في الكرم والجود والسخاء .

وفي استعمال الشاعر لفظ " الدّرهم " مفرداً بدلاً من الجمع " الدراهم " دلالة - أيضا - على بالغ جوده ، فهو يصرف ماله أولاً فأولا ، ولا ينتظر أن تجتمع فتصبح دراهم كثيرة .

قال الشيخ في تعليقه على البيت :

" هذا هو الحسن اللائق بالمعنى ، ولو قلته بالفعل :

لكن يمر عليها وهو ينطلق لم يحسن " (٢)

ومما هو في هذا المعنى قول المتنبي :

وَكُلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ ∴ في مِلْكِهِ آفْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا (٣)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٣٣-١٣٤ ، خفاجي : ٢٠٢ ، شاكر : ١٧٤ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٣٤ ، خفاجي : ٢٠٢ ، شاكر : ١٧٥ .

(٣) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ١١٦ .

الشاهد الحادي عشر بعد المائة: (*) (الطويل)

قول الأعشى :

لَعَمْري لَقَدْ لاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ (١) .·. إلى ضَوْءِ نَارٍ فِي (٢) يَفَاعٍ (٣) تَحَـرَّقُ
تَشُبُّ لِمَقْرُورَيْنِ (٤) يَصْطَلِيَانِهَا (٥) .·. وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالمُحَلَّقُ (٦)

والشاهد من أبيات له يمدح بها المُحَلَّق بن خَنْتَم (٧)، حين أكرمه، وأحسن وفادته

(*) الدلائل، رضا: ١٣٥، خفاجي: ٢٠٤، شاكر: ١٧٦.

(١) المقصود بالنار هنا: نار القِرى: وهي من أعظم مفاخر العرب وأشرف مآثرها، وهي النار التي كانت تُرفع للسفر، ولمن يلتمس القِرى، فكلما كان موضعها أرفع كانت أفخر، والأشعار فيها كثيرة. / الحيوان: ٥/١٣٤.

(٢) رواية الأغاني والعمدة: "باليفاع".

(٣) اليفاع: الموضع العالي المرتفع / مختار الصحاح "يفع": ٧٤٣.

(٤) المقرورين: المقرور الذي أصابه القر وهو البرد / اللسان "قرر": ٥/٨٣.

(٥) اصطلى النار استدفأ بها / اللسان "صلا": ١٤/٤٦٨.

(٦) انظر البيتين في :
ديوانه - دار بيروت -: ١٢٠، ديوانه - شرح وتعليق: محمد محمد حسين -: ٢٧٣-٢٧٥، البيان والتبيين: ٢/٢٩، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٢/٥٧٥، الأغاني: ٩/١١٤، العمدة: ١/٤٩، محاضرات الأدباء: ٢/٥٣٣، شرح المفصل: ٤/١٠٨، المغني: ١/١٠١ - البيت الثاني فقط -، شرح شواهد المغني: ١/٤٧٨، شرح أدب الكاتب للجواليقي: ٢١٦، الاقتضاب في شرح أدب الكاتب للبطليوسي: ٣٩١، بلوغ الأرب: ٢/١٦١.

(٧) هو عبد العزيز بن خنتم بن شداد بن ربيعة بن عبد الله بن عُبيد بن كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهو أبو بكر والمحلق لقبه، وإنما لُقِّب به؛ لأن حصانا له عضّه في وجنته فَحَلَّقَ فيه حَلْقَة، وجاء في شرح أدب الكتاب أنّ اسمه عبد العزيز / انظر ترجمته في :-
الأغاني: ٩/١١٥.

وقد كان رجلاً قليل المال كثير البنات ولفقره وحاجته لم يخطبهن أحد ، فعرضت عليه زوجه أن يتعرض للأعشى ، فيكرمه ؛ لأنه مامدح أحداً إلّا رفعه ، ولا هجا أحداً إلا وضعه ، واتفق أن قَدِم الأعشى مكة قاصداً سوق عكاظ ، فأسرع إليه المحلق يستضيفه ، فأكرمه ، وبالغ في إكرامه رجاء أن يصيبه خير من مدحه .

فوقف الأعشىٰ في سوق عكاظ مادحاً المحلق ، وأنشد قصيدته ، التي ماإن انتهى منها حتى تدافع الناس إلى المحلق يخطبن بناته ، فلم تبت إحداهن ليلتها إلّا وهي في كنف رجل عظيم . (١)

ومطلع القصيدة :

أَرِقْتُ وَمَاهَذَا السُّهَادُ المُؤَرِّقُ ∴ وَمَابِيَ مِنْ سُقْمٍ وَمَابِيَ مَعشَقُ

وقبل بيت الشاهد :

وَإِنَّ آمرَءًا أَسْرَى إِلَيْكَ وَدُونَهُ ∴ فَيَافٍ تَنُوفَاتٌ وَبَيْدَاءُ خَيفَقُ

لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِصَوتِهِ ∴ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ المُعَانَ مُوفَّقُ

وبعدها بيتا الشاهد وبعده :

رَضِيعَيْ لِبَانٍ ثَدْيَ أُمٍّ تَحَالَفَا ∴ بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوضُ لَا نَتَفَرَّقُ

وموضع الشاهد قوله : "فِي يَفَاعٍ تَحَرَّقُ"

والشاهد فيه مجيء المسند فعلاً ، فأفاد التجدد والحدوث فالغرض والمقام يتطلبان ذلك ، فالممدوح هنا خامل الذِّكر صغير القدر ، فأراد الشاعر أن يرفع من ذكره ، ويُعلي من شأنه ، فأقسم في مطلع البيت " لعمري " ، وأكد أن العيون كلها مشدودة النظر إلى تلك النَّار المشتعلة ، وَقَيَّدَ العيون بوصفها بالكثرة ليصور تدافع الناس وتزاحمهم على تلك النار ، وجعلها في يفاع " لأنه أشهر لها ؛ ولأنها إذا كانت في يفاع - وهو الموضع العالي - أصابتها الرياح فاشتعلت (٢) ، ثم جعل

---

(١) انظر القصة مفصلة في :
الأغاني : ٩ / ١١٣-١١٤ ، العمدة : ١ / ٤٩ ، شرح المفصل : ٤ / ١٠٨ .

(٢) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : ٣٩١ .

المسند فعلاً " تحرّق " ليبالغ في كرمه ، فهي نار تتحرق ويتجدد منها الاحتراق ، والمحلق قائم عليها مجتهد كل الاجتهاد في إعلاء لهيبها ؛ لتكون أهدى لعابر السبيل ، وأدل للضّال في الصحراء ، فالعيون الكثيرة لا تلوح إلّا إذا كانت النار متجددة الاشتعال كثيرة اللهب ، وهذا دليل على تغلغل الجود في نفسه ، وتمكنه في طبعه ، فالتعبير هنا بالفعل أبلغ من أنه لو قال : " متحرقة " ؛ لأن في استعمال الاسم إثبات أنها نار متحرقة فقط ، ليس عليها قائم يوقد نارها ، ويجدد لهيبها ، وهذا أقل دلالة على المدح .

ثم انظر إلى قوله : " وبات على النار النّدى والمحلق " ، وما أوحى به هذا التعبير من شدة التلازم بين الجود والرجل وما دلّ عليه كذلك من اليقظة والسهر الدائم ترقباً للوافدين، ثم الاستعارة في قوله " وبات الندى " وكيف زادت من معنى دوام الكرم وتأصله في الممدوح .

قال الشيخ عبد القاهر :

" معلوم أنه لو قيل : " إلى ضوء نار متحرقة " لنبا عنه الطبع ، وأنكرته النفس ، ثم لا يكون ذاك النبّو ، وذاك الإنكار من أجل القافية ، وأنّها تفسد به ، بل من جهة أنه لا يشبه الغرض ولا يليق بالحال " (١)

وقال أيضاً :

" وذاك لأن المعنى في بيت الأعشى على أن هناك مُوقِداً يتجدد منه الإلهاب والإشعال حالاً فحالاً ، وإذا قيل : " متحرقة " كان المعنى أنّ هناك ناراً قد ثبت لها وفيها هذه الصفة ، وجرى مجرى أن يقال : " إلى ضوء نارٍ عظيمة " في أنه لا يفيد فعلاً يُفْعَل " (٢)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٣٥ ، خفاجي : ٢٠٤ ، شاكر : ١٧٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٣٥-١٣٦ ، خفاجي : ٢٠٤ ، شاكر : ١٧٦-١٧٧ .

وقد ذكر الجاحظ أنَّ العلماء يستجيدون قول الأعشى :

لَعَمْري لَقَدْ لاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ ∴ إلى ضَوْءِ نَارٍ في يَفَاعٍ تَحَرَّقُ

حتى قال الحطيئة :

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِهِ ∴ تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ (١)

فحينئذٍ فَضَّلُوا هذا ، وأَسْقَطَ لِحُسْنِهِ بيت الأعشى (٢)

الشاهد الثاني عشر بعد المائة :- (*) (الكامل)

أَوَ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكَاظَ قَبِيلَةٌ ∴ بَعَثُوا إلَيَّ عَرِيفَهُمْ (٣) يَتَوَسَّمُ (٤)

ذكر البيت في الدلائل من غير عزو (٥)، وهو لطريف بن تميم العنبري (٦)

(١) ديوانه : - رواية ابن حبيب - : ٥١.

(٢) الحيوان : ٥/١٣٢.

(*) الدلائل ، رضا : ١٣٥، خفاجي : ٢٠٤، شاكر : ١٧٦.

(٣) رواية الأصمعيات : " رسولهم " .

(٤) انظر البيت في :-

الكتاب : ٤ / ٧ ، معاني القرآن للأخفش : ٢ / ٤٠٣ ، الأصمعيات : ١٢٧ ، رقم " ٣٩ " ، أدب الكاتب : ٤٥٣ ، البيان والتبيين : ٣/١٠١ ، ديوان الأدب : ١ / ٤١٦ ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ٢/٣٨٩ ، العقد الفريد - دار الكتب العلمية - : ٦/٦٥ ، الكامل في التاريخ : ١/٣٦٧ ، نوادر المخطوطات " أسماء المغتالين " : ٢/٢١٩ ، الإيضاح : ١/١٧٧ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٣١ب ، شرح أدب الكاتب للجواليقي : ٢٨٤ ، شرح شواهد الشافية : ٣٧٠ ، اللسان " عرف " : ٩/٢٣٦ ، معاهد التنصيص : ١ / ٢٠٤ ، شروح التلخيص : ٢ / ٢٨ ، بلوغ الأرب : ٢ / ١٨٥ ، القول الجيد : ١٩٥.

(٥) وكذلك في معاني القرآن للأخفش ، وأدب الكاتب ، وديوان الأدب.

(٦) هو طريف بن تميم بن عمرو بن عبد الله بن جندب بن العنبر التميمي ، أبو سليط ، كان رجلاً جسيماً يلقب مجدعا ، وهو فارس قومه ، وكان يسمى ملقي القناع ، قتله حمصيصة وقيل حميصة ، وقيل حميضة بن جندب الشيباني ======

والشاهد أول أبيات خمسة وبعده :

فَتَوَسَّمُونِي (١) إِنَّنِي أَنَا ذَاكُمُ ∴ شَاكٍ سِلَاحِيَ فِي الحَوَادِثِ مُعْلَمُ

تَحْتِي الأَغَرُّ وَفَوْقَ جِلْدِي نَثْرَةٌ ∴ زَغْفٌ تَرُدُّ السَّيْفَ وَهْوَ مُثَلَّمُ

حَوْلِي فَوَارِسُ مِنْ أُسَيِّدٍ شِجْعَةٌ ∴ وَإِذَا غَضِبْتُ فَحَوْلَ بَيْتِي خَضَّمُ (٢)

وَلِكُلِّ بَكْرِيٍّ لَدَيَّ عَدَاوَةٌ (٣) ∴ وَأَبُو رَبِيعَةَ شَانِئٌ وَمُحَلِّمُ

ومناسبتها : أن طريفاً قتل شرحبيل أخا بني أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، واتفق أن حضر طريف سوق عكاظ ، وهو ملقٍ قناعه - إذ كان من عادة فرسان العرب أن لا تشهد عكاظاً إلا مبرقعة مخافة الثأر - ، وكان حمصيصة بن شراحيل (٤) يترصده ، فلما رآه أخذ يتأمله ، فقال له طريف : مالك ؟ فقال : أتوسمك لأعرفك ، فإن لقيتك في حرب فلله عليّ أن أقتلك أو تقتلني ، فأنشأ طريف يقول الأبيات .

فمضى على ذلك زمن إلى أن أغار طريف في بني العنبر ، وفَدِكِيُّ بن أعْبَد في بني مِنْقَر ، وأبو الجَدْعاء على " عائذة " وهم حلفاء لبني أبي ربيعة بن ذُهل ، ولم يكن لحمصيصة هَمٌّ غير طريف ، فلما عرفه رماه فقتله ، وذلك في يوم مبايض .

=== في يوم مبايض ، وبعضهم يسمى الشاعر طريف ، طريفة بن عمر ، أو طريفة ابن مالك / انظر ترجمته في :
الكامل لابن الأثير : ١ / ٣٦٧ ، نوادر المخطوطات " أسماء المغتالين " : ٢ / ٢١٨-٢١٩ ، البيان والتبيين : ٣ / ١٠١ ، العقد الفريد : - دار الكتب العلمية - : ٦ / ٦٥ .

(١) رواية شرح أبيات سيبويه : " فتعرفوني " .

(٢) روي هذا البيت في نوادر المخطوطات " أسماء المغتالين " على أنه البيت الخامس ، وورد بصيغة أخرى هي :
حولي أُسَيِّدُ والهُجَيم ومَازِنٌ ∴ وإذا حَلَلْتُ فحولَ بيتي خَضَّمُ
خضم : اسم بلد وقيل هو اسم العَنْبَر بن عمرو بن تميم ، وقد غلب على القبيلة ، وقيل خَضَّم اسم ماء لبني تميم . / اللسان " خضم " : ١٢ / ١٨٤ .

(٣) رواية أسماء المغتالين : " على عداوة " .

(٤) ورد اسمه في الكامل لابن الأثير : " خميصة " .

فجعل أبو مارد أخو بني أبي ربيعة يقول في قتل حمصيصة طريفاً :

خَاضَ الغَدَاةَ إِلى طَرِيفٍ في الوَغَى .·. حَمْصِيصَةُ المِغْوَارُ في الهَيْجَاءِ (١)

وموضع الشاهد قوله : " يتوسم " .

والشاهد فيه مجيء المسند فعلاً ليفيد التجدد ، فالمقام يتطلّب معنى التجدد ، فقد بلغت ثقة الشاعر بشجاعته وبسالته إلى حد أنه ألقى القناع في مجمع العرب ـ وهذا خلاف المتعارف عليه عندهم ـ فكلّما وردت قبيلة سوق عكاظ أرسلت عريفها والقيم بأمرها يتوسّم الوجوه ويتفرسها ، ويكرر النظر إليها طالباً طريفاً ؛ لأن له على كل قبيلة جناية ، ولكل قبيلة عنده ثأر ، فجاء بالمسند فعلاً ؛ ليدل على تجدد النظر وتكراره ، وفي هذا دليل على شدة رغبة القبائل ، وحرصها ، وتلهفها في التعرف عليه ، والفوز به ، وفي هذا تمدح بالغ بشجاعته ، ولو أنه قال : " متوسما " لدل على صفة التوسم فقط دون الإشعار بالتجدد الذي حرص الشاعر على إثباته .

ثم آنظر إليه ، وقد صدّر البيت بهمزة الاستفهام ، وكأن فيها تعجباً من حاله المغايرة للقوم ، أو أنها توبيخ واستهزاء بتلك القبائل التي تتصارع على معرفته ، والتقليل من شأنها .

قال الشيخ عبد القاهر :

" . . . وكذلك الحال في قوله : " بَعَثُوا إلى عَرِيفَهم يتوسم " ، وذلك لأن المعنى على توسم وتأمل ونظر يتجدد من العريف هناك حالاً فحالاً ، وتصفح منه الوجوه واحداً بعد واحد ، ولو قيل :

"بعثوا إلى عريفهم متوسماً " لم يفد ذلك حق الإفادة " (٢) .

---

(١) انظر القصة مفصلة في :
العقد الفريد ـ دار الكتب العلمية ـ : ٦/٦٥-٦٦ ، الكامل لابن الأثير : ١/٣٦٧ ، اسماء المغتالين " نوادر المخطوطات " : ٢/٢١٩ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٣٦ ، خفاجي : ٢٠٤-٢٠٥ ، شاكر : ١٧٧ .

ب - القصر في التعريف :

الشاهد الثالث عشر بعد المائة :- (*) (الطويل)

جرير هو القائل :

" وَلَيْسَ لِسَيْفِي فِي العِظَامِ بَقِيَّةٌ " (١)

ذكر الشيخ صدر البيت فقط .

وعجزه :

" وَلَلسَّيْفُ أَشْوَى (٢) وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا " (٣)

والبيت من نقيضته لقصيدة الفرزدق (٤) التي أولها :

أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَومَ جَوِّ سُوَيقَةٍ (٥) ∴ بَكَيتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ مَالِيَا

(*) الدلائل ، رضا : ١٣٩ ، خفاجي : ٢٠٦ ، شاكر : ١٧٩ .

(١) وفي إحدى روايات الأغاني ورد صدر البيت على وجه آخر :

لِسَانِي وَسَيفِي صَارِمَانِ كِلاهُمَا ∴ وَلَلسَّيفُ أَشْوَى وَقْعَةً مِنْ لِسَانِيَا

(٢) أشوى : من الشَّوي ، وهو إخطاء المقتل ، رمى فأشْوَى إذا لم يصب المقتل ./ اللسان " شوا " : ١٤ / ٤٤٨ .

(٣) انظر البيت في :

ديوانه : ٦٠٦ ، البيان والتبيين : ١ / ١٦٧ ، الأغاني : ٨/ ٣٦ ، النقائض : ١ / ١٧٨ ، مجموعة المعاني : ١٧٨ .

(٤) وروي أنه قالها في عتاب جده الخطفي ، وذلك أنه استنحله من ماله - وكان كثير المال - فقال أنحلك كما نحلت عمّيك عطاء وحزاما ، وكان ينحل كل واحد من بنيه ربع ماله ، وكان الربع في هذا العام قليلاً ، فتسخطه جرير ، وقال قد صرت شيخاً من بنيك وأبا عيال ، وعاتبه واستزاده ، فلم يزده - وروي أن الأبيات التي في هجاء الفرزدق ، فيما كان بينه وبين غسّان إنّما قيلت بعد هذه بعشرين سنة . / ديوانه : ٦٠١ .

(٥) جو سويقة : موضع وهو من أجوية الصمّان - والجو ما اتسع من الأرض واطمأن وبرز - والصمّان أرض فيها غلظ وارتفاع وفيها قيعان واسعة وخباري تنبت السدر عذبة ورياض معشبة ، وكانت الصمّان في قديم الدهر لبني حنظلة ، =====

ومطلع قصيدة جرير :

أَلَا حَيِّ رَهْبَى (١) ثُمَّ حَيِّ الْمَطَالِيا (٢) .·. فَقَدْ كَانَ مَأْنُوساً فَأَصْبَحَ خَالِيــا

وقبل الشاهد :

أَنَا ابْنُ صَرِيحَيْ خِنْدِفٍ غَيْرَ دِعْوَةٍ (٣) .·. يَكُونُ مَكَانَ الْقَلْبِ مِنْهَا مَكَانِيَــا

وبعده :

أَبِالْمَوتِ خَشَّتْنِي قُيُونُ مُجَاشِعٍ .·. وَمَازِلْتُ مَجْنِيّاً عَلَيَّ وَجَانِيَــا

وَمَا سَحَتْ عِنْدَ الْحِفَاظِ مُجَاشِعٌ .·. كَرِيماً وَلَا مِنْ غَايَةِ الْمَجْدِ دَانِيَــا

الشاهد هنا ليس في صدر بيت جرير، وإنما في الجملة السابقة له وهي :

" جرير هو القائل "

فاستدل بها الشيخ عبدالقاهر على أن المسند المعرف بأل يفيد القصر ، فهذه الجملة أفادت إثبات قيل هذا البيت ، وتأليفه لجرير وحده ، لذا لا يجوز العطف على المبتدأ الأول مبتدأ ثانيا ، فمن فساد المعنى القول :

" جرير هو القائل هذا البيت والفرزدق " ، لأنه قد تم بتعريف

=== والصَّمّان متاخم للدهناء وقيل الصَّمّان جبل في أرض تميم وقيل هو قرب رمل عالج بينه وبين البصرة تسعة أيام وقيل هي من نواحي الشام بظاهر البلقاء ، وقيل الصَّمّان بلد لبني أسد./ معجم البلدان : ٣ / ٤٢٣ ، لسان العرب : (جوا) : ١٤ / ١٥٩.

(١) رَهْبَى : بفتح أوله واسكان ثانيه ، وبالباء المعجمة : موضع في ديار بني تميم / معجم ما استعجم : ٢ / ٦٧٩ .

(٢) المطالي : جمع مطلاء وهي ما انخفض من الأرض واتسع/ اللسان " طلى " : ١٥ / ١٤-١٥.

(٣) الخندفة مِشيةٌ كالهرولة ، وخَنْدَفَ الرَّجل أسرع ، وخندف الرجل انتسب إلى خِنْدِف وهي امرأة إلياس بن مضر بن نزار واسمها ليلى بنت حُلوان ، وقيل عمران وسُمِّيَت بها القبيلة./ اللسان : - خندف -: ٩ / ٩٨-٩٩ .

المسند تخصيص جرير بالقول ، فلا يجوز بعد ذلك إشراك غيره معه .. قال الشيخ عبد القاهر :

" ... انك إذا نكّرت الخبر جاز أن تأتي بمبتدأ ثان على أن تشركه بحرف العطف في المعنى الذي أخبرت به عن الأول ، وإذا عرّفت لم يجز ذلك ، تفسير هذا أنك تقول : زيد منطلق وعمرو ، تريد " وعمرو منطلق أيضا " ولا تقول : زيد المنطلق وعمرو ؛ ذلك لأن المعنى مع التعريف على أنك أردت أن تثبت انطلاقا مخصوصاً قد كان من واحد، فإذا أثبته لزيد لم يصح إثباته لعمرو، ثم إن كان قد كان ذلك الإنطلاق من اثنين ، فإنه ينبغي أن تجمع بينهما في الخبر فتقول : زيد وعمرو هما المنطلقان . لا أن تفرّق فتثبته أولا لزيد ، ثم تجيء فتثبته لعمرو. ومن الواضح في تمثيل هذا النحو قولنا : هو القائل بيت كذا : كقولك :

" جرير هو القائل : " وليس لسيفي في العظام بقية " فأنت لو حاولت أن تشرك في هذا الخبر غيره ، فتقول : جرير هو القائل هذا البيت وفلان : حاولت محالاً ؛ لأنه قولُهُ بعينه ، فلا يتصور أن يشرك جريراً فيه غيره" (١)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٣٧-١٣٨ ، خفاجي : ٢٠٦ ، شاكر : ١٧٨ .

الشاهد الرابع عشر بعد المائة : (*) (المتقارب)

قول الأعشى (١) :

هُوَ الوَاهِبُ المَائَةَ المُصْطَفَاةَ ∴ إِمَّا مَخَاضًا (٢) وإِمَّا عِشَارًا (٣) (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها قيس بن معدي كرب (٥) ، ومطلعها :

أأَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارًا (٦) ∴ وشَطَّتْ عَلَى ذِي هَوىً أَنْ تَزَارَا

(*) الدلائل ، رضا : ١٣٩، خفاجي : ٢٠٧، شاكر : ١٨٠.
(١) أي الأعشى الكبير " ميمون قيس " وقد سبق التعريف به .
(٢) مخاضا : المخاض الحوامل من النوق التي دنت ولادتها وقربت / مختار الصحاح " مخض " : ٦١٨.
(٣) عشارا : " العِشَار " بالكسر جمع " عُشَرَاء " كفقهاء وهي الناقة التي أتى عليها من وقت الحمل عشرةُ أشهر وتجمع على " عُشَرَاوَات " / مختار الصحاح " عشر " : ٤٣٤.
(٤) انظر البيت في :
ديوانه - دار بيروت - : ٨٤ ، ديوان الأعشى الكبير : " تعليق محمد محمد حسين - : ١٠١ ، الإيضاح : ١ / ١٩٠ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٣ أ ، عقود الدرر : ٢٧ ب ، القول الجيد : ٢٠٧ .
(٥) هو قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة الكندي (... نحو ٢٠ ق هـ) من قحطان ملك جاهلي يماني ، يلقب بالأشج ، وكنيته أبو حجية ، وأبو الأشعث ويقال له أيضاً السكسكي ، مات قتيلاً في إحدى وقائعه مع قبيلة " مراد " . / انظر ترجمته في :-
خزانة البغدادي - دار صادر - : ١ / ٥٤٥ ، الأعلام : ٥ / ٢٠٨ .
(٦) ابتكارا : الرحلة في وقت البكور وهو الصباح الباكر / اللسان " بكر " : ٤ / ٧٦ - ٧٧ .

وقبل بيت الشاهد :

إِذَا رَهِبَ المَوْجَ نُوتِيُّهُ(١) ∴ يَحُطُّ القِلَاعَ وَيُرْخِي الزِّيَارَا(٢)

بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِأُدْمِ العِشَا(٣) ∴ رِ(٤) لَطَّ(٥) العَلُوقُ(٦) بِهِنَّ احْمِرَارَا

وبعد هما الشاهد وبعده :

وَكُلَّ كُمَيْتٍ(٧) كَأَنَّ السَّلِيـ(٨) ∴ طَ فِي حَيْثُ وَارَى الأَدِيمَ الشَّعَارَا

موضع الشاهد قوله : " هو الواهب المائة المصطفاة " والشاهد فيه إفادة المسند " الواهب " المعرف بأل الجنسية القصر بطريق التقييد - حيث اشترط له مفعولاً مخصوصاً - على دعوى أنّه لا يوجد إلّا منه لا على معنى المبالغة ، وترك الاعتداد بوجوده في غير المخبر عنه .

قال الشيخ عبد القاهر :

" والوجه الثاني : أن تقصر جنس المعنى الذي تُفيده بالخبر على المُخْبَر عنه ، لا على معنى المبالغة ، وترك الاعتداد بوجوده في غير المُخْبَر عنه ، بل على دَعوى أنّه لا يوجد إلّا منه ، ولا يكون ذلك إلّا إذا قيدت المعنى بشيء يخصصه ويجعله في حُكم نوع برأسه ؛ وذلك كنحو أن يُقيَّدَ بالحال والوقت .. " (٩)

---

(١) نوتيه : النُّوتِيّ : المَلّاح الذي يُدَبِّر السفينة في البحر/ اللسان " نوت " : ١٠١/٢ .

(٢) الزِّيارا : الحبل / اللسان " زور " : ٤ / ٣٣٩ .

(٣) أُدم العشار : البيض .

(٤) رواية اللسان " الركاب " .

(٥) رواية اللسان " لاط " ولَطَّ الشيءَ يَلُطُّهُ لَطًّا ألزقه .

(٦) العلوق : أكل البهائم ورق الشجر وكل ما ترعاه الإبل ./ اللسان " علق " : ١٠ / ٢٦٣
والمعنى أن الإبل إذا سمنت صار الآدم منها أصهب أي أحمر / اللسان " علق " : ٢٦٣/١٠ .

(٧) رواية الديوان - مطبعة بيروت - : " طويل " .

(٨) السليط : ما يُضاء به ، ومن هذا قيل للزيت سليط . / اللسان " سلط " : ٣٢١/٧ .

(٩) الدلائل ، رضا : ١٣٨-١٣٩ ، خفاجي : ٢٠٧ ، شاكر : ١٨٠ .

فالأعشى أراد هنا أن يقصر جنساً معيناً من الهبة على ممدوحه ، وليس مطلق الهبة ،فهو وحده الذي من عادته أن يختار هباته ، ويجود بأفضل ماعنده ، فيعطي الإبل مائة بعد مائة ،عشاراً تضع أثقالها ،أو مخاضاً تتهيأ للنتاج .

ثم أشار الشيخ عبدالقاهر إلى أن اللام في قوله : " هو الواهب " ليست بمنزلة اللام في قولنا : " زيد هو المنطلق " ؛لأن القصد ههنا إلى جنس من الهبة مخصوص لا إلى هبة مخصوصة بعينها ، وهذا يفيد تجدد الهبة منه ،فهو يهب المئة مرة بعد أخرى ،أما اللام في زيد هو المنطلق ،فتدل على انطلاق كان مرة واحدة لا إلى جنس من الإنطلاق ،فالتكرار هنا غير متصور.

قال الشيخ :

" وربما ظَنَّ الظَّان أن اللام في " هو الواهب المائة المصطفاة بمنزلتها في نحو: " زيد هو المنطلق " من حيث كان القصد إلى هبة مخصوصة كما كان القصد إلى انطلاق مخصوص ، وليس الأمر كذلك ؛لأن القصد ههنا إلى جنس من الهبة مخصوص لا إلى هبة مخصوصة بعينها يدلك على ذلك أن المعنى على أنه يتكرر منه ، وعلى أنه يجعله يهب المائة مرة بعد أخرى .

وأما المعنى في قولك : " زيد هو المنطلق " ،فعلى القصد إلى أنطلاق كان مرة واحدة ،لا إلى جنس من الآنطلاق فالتكرر هناك غير متصور " (١)

وخص العشار والمخاض بالذكر لنفاستهما؛لأن الواحدة بمنزلة آثنين ، وإمَّا للإباحة (٢)

---

(١) الدلائل ،رضا : ١٣٩ ،خفاجي : ٢٠٨ ،شاكر : ١٨٠ .

(٢) عقود الدرر : ٢٨ أ .

حـ ـ نكت أخرى في التعريف ـ

الشاهد الخامس عشر بعد المائة : (*) (الوافر)

قول الخنساء[1]:

إذا قبُحَ البكاءُ على قتيلٍ .·. رأيتُ بكاءَكَ الحَسَنَ الجميلا (٢)

والشاهد آخر أبيات أربعة ترثي بها أخاها صخراً[3] وهي :

(*) الدلائل ، رضا : ١٤٠، خفاجي : ٢٠٨، شاكر: ١٨١.

(١) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية السُّلمية (٠٠-٢٤هـ) عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي ، وأدركت الإسلام فأسلمت ، ووفدت على الرسول صلى الله عليه وسلم مع قومها ، أكثر شعرها وأجوده في رثاء أخويها (صخر ومعاوية) وكانا قد قتلا في الجاهلية ، وكان لها أربعة أبناء قُتلوا جميعاً في حرب القادسية (١٦هـ) فقالت : الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم ./ انظر ترجمتها في :
طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢٠٣-٢١٠، الشعر والشعراء : ١/ ٣٥٠ - ٣٥٤، الأغاني : ١٥ / ٧٦-١١١، جمهرة الأنساب : ٢٦١، خزانة البغدادي : ١/ ٢٠٨، الأعلام : ٢ / ٨٦ .

(٢) انظر البيت في :
ديوان الخنساء - طبعة بيروت - : ١١٩ ، نهاية الإيجاز : ٤٤، الإيضاح : ١ / ١٩٠، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (١٠٣) ، شروح التلخيص : - مواهب الفتاح - : ٢ / ١٠١ ، مختصر السعد : ٢ / ١٠٢ ، - حاشية الدسوقي - : ٢ / ١٠٢ ، عقود الدرر : ٢٨ أ ، القول الجيد : ٢٠٨.

(٣) هو صخر بن عمرو بن الحارث ، كان من فرسان بني سُليم وغزاتهم ، جُرح في غزوة له على بني أسد بن خزيمة ، ومرض قريباً من الحول، ثم مات / انظر ترجمته في :-
جمهرة الأنساب : ١٧٢-١٩٦-٢٦١، الأعلام : ٣ / ٢٠١.

أَلَا يَاصَخْرُ إِنْ أَبْكَيْتَ عَيْنِي .·. لَقَدْ أَضْحَكْتَنِي دَهْراً طَوِيلَا
بَكَيْتُكَ فِي نِسَاءٍ مُعْوِلَاتٍ .·. وَكُنْتَ أَحَقَّ مَنْ أَبْدَى العَوِيلَا
دَفَعْتُ بِكَ الجَلِيلَ وَأَنْتَ حَيٌّ .·. فَمَنْ ذَا يَدْفَعُ الخَطْبَ الجَلِيلَا

وموضع الشاهد قوله : " الحسن الجميلا "

والشاهد فيه أنَّ تعريف المسند هنا لا يراد به القصر على معنى أن ماعدا البكاء عليه فليس بحسن ولا جميل ، وإنَّما المراد تقرير المسند للمسند إليه ، وبيان أن ثبوته له أمر مقرر لا يظن فيه ظَانٌ ، ولا يشك فيه شاك ، فالمراد من قول الخنساء تقرير صفة الحسن لبكائه وإثبات أن بكاءه في جنس ماحسنه الحُسن الظاهر الذي لا ينكره أحد .

قال الشيخ عبد القاهر :

" لم ترد أن ماعدا البكاء عليه ، فليس بحسن ، ولم تقيد الحسن بشيء ، فيتصوَّر أن يقصر على البكاء كما قصر الأعشى هبة المائة على الممدوح ، ولكنها أرادت أن تقره في جنس ماحُسْنُهُ الحُسْنُ الظاهر الذي لا ينكره أحد ولا يشك فيه شاك " (١)

فالشاعرة هنا استطاعت أن تسكب آلامها ، وأحزانها في قالب رائع من الشعر ، فأعلنت أنَّ البكاء على القتلى أمر مستقبح ، ولكن أخاها صخراً ليس كغيره من القتلى ، فعرفت المسند بالألف واللام ، لتدل على أن صخرًا قتيل تعارف الناس على أن البكاء عليه حسن وجميل ، فقد عُرف بذلك وشُهر ، ولو أنها قالت : " حسن جميل " بالتنكير لم يَخْرُج المعنى عن كون البكاء على القتلى قبيح ، والبكاء عليك حسن ، وفرق شاسع بين المعنيين .

وتنوين قتيل للتعظيم أو للتنكير فيفيد الشمول على البدلية (٢) .

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٤٠ ، خفاجي : ٢٠٨-٢٠٩ ، شاكر : ١٨١ .

(٢) عقود الدرر : ٢٨ ب

ورأى الفخر الرازي في نهاية الإيجاز أنه لا مانع من اعتبار التعريف هنا مفيداً للحصر على وجه المبالغة . قال :

" وأقول لو جعل ذلك مفيداً للحصر على وجه المبالغة لم يكن فيه خلل " (١)

الشاهد السادس عشر بعد المائة : (*) (الطويل)

قول حسان :

وَإِنَّ سَنَامَ المَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ∴ بَنُو بِنْتِ مَخْزُومٍ وَوَالِدُكَ العَبْدُ (٢)

وهو من قصيدة قالها في هجاء أبي سفيان بن الحارث ،(٣) وذلك حين ترامى

---

(١) نهاية الايجاز : ٤٤ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٤٠ ، خفاجي : ٢٠٩ ، شاكر: ١٨١ .

(٢) انظر البيت في :-

ديوانه - دار صادر - : ٨٩ ، زهر الآداب : ١ / ٦٣ ، المطول : ١٨٠ ، عقود الدرر: ٢٨ ب ، القول الجيد : ٢٠٩ .

(٣) هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو سفيان الهاشمي القرشي (٠٠٠ - ٢٠هـ) ، وهو شاعر مجيد في الجاهلية والإسلام ، وهو أخو الرسول صلى الله عليه وسلم من الرَّضاع ، كانت بينهما أُلفة في صباهما ، ولما أظهر الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته عاداه المغيرة وهجاه ، وهجا أصحابه ، ومكث عشرين سنة عدواً للرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم أسلم قبل فتح مكة هو وابنه جعفر ، وحسن إسلامهما ، شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم فتح مكة ، ثم وقعة حنين وأبلى بلاء حسنا ، وعنه قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " أبو سفيان بن الحرث سيد فتيان أهل الجنة " ، مات رضي الله عنه بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب/

انظر ترجمته في :-

تاريخ الطبري : ٢ / ٤٦٢ ، ٣ / ٥٠ - ٧٤ - ٧٥ ، ٧ / ٦٢٢ ، الكامل لابن الأثير ٢ / ١٦٤ ، طبقات ابن سعد : ٤ / ٤٩ - ٥٤ ، صفة الصفوة : ١ / ٥١٩ - ٥٢١ ، الإصابة : ٤ / ٩٠ - ٩١ رقم (٥٣٨) ، عيون الأثر : ٢ / ١٦٧ - ١٦٨ .

إلى سمع الرسول صلى الله عليه وسلم شعر أبي سفيان ، فشق عليه ، فندب حسان ابن ثابت ، وقال : " إن الله ليؤيده بروح القدس " .

وأول القصيدة :

لَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ ابْنَ هَاشِمٍ ∴ هُوَ الغُصْنُ ذُو الأَفْنَانِ لَا الوَاحِدُ الوَغْدُ

وقبل الشاهد :

وَمَالَكَ فِيهِمْ مَحْتِدٌ يَعْرِفُونَهُ ∴ فَدُونَكَ فَالْصَقْ مِثْلَ مَالَصِقَ القُرْدُ (١)

وبعده الشاهد وبعده :

وَمَا وَلَدَتْ أَفْنَاءُ زُهْرَةَ مِنْكُمُ ∴ كَرِيمًا وَلَمْ يَقْرُبْ عَجَائِزَكَ المَجْدُ

وموضع الشاهد قوله : " ووالدك العبد "

والشاهد فيه - كسابقه - فتعريف المسند لا يُرَاد به القصر، بل المراد تقرير المسند للمسند إليه .

فالشاعر هنا أراد أن يقرر العبودية لوالد المهجو ، ويثبتها له ، ويجعل حاله في العبودية حالة ظاهرة متعارفًا عليها ، وهذا أوجع في الهجاء وأنكى من أن يقول : " ووالدك عبد " ، فالتنكير ليس فيه إلا الوصف بالعبودية فقط.

قال الشيخ :-

" أراد أن يثبت العبودية ثم يجعله ظاهر الأمر فيها ، ومعروفًا بها ، ولو قال : « ووالدك عبدٌ » لم يكن قد جعل حاله في العبودية حالة ظاهرة متعارفة " (٢)

---

(١) القُرْدُ : دويبة تتعلق بالبعير ويضرب بها المثل في اللصوق / انظر : الحيوان : ٢/٥٧ ، ٥/٤٣١-٤٣٥-٤٣٨-٤٣٩ ، ٥/٤٣١-٤٣٢-٤٤١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٤٠ ، خفاجي : ٢٠٩ ، شاكر : ١٨٢ .

جاء في عقود الدرر :

" قوله سنام المجد سنام كل شيء أعلاه ، وقيل كرم الآباء خاصة ، ومن آل هاشم بيان لسنام المجد " وآل " بمعنى أهل لكنه خصّ بالأشراف فلا يقال آل الحجام ولا آل الحائك ، ومخزوم أبو حي من قريش سُمي به ؛ لأنه كان جميلاً طيب الرائحة وأصله من الخُزامي " بالضم " وهو نبت حسن اللون طيب الرِّيح يقول: إن الأكابر من أولاد هاشم هم أولاد بنت مخزوم ، وأنت لست مثلهم لأن والدك العبد ، وقد كان لعبد المطلب عشرة أولاد من أمهات شتى ، وكانت أم عبدالله ، وأبي طالب مخزومية ، ولم تكن أم الحرث مثلهما في النسب ، فلذلك جعله عبداً بالنسبة إليهما " (١)

الشاهد السابع عشر بعد المائة :- (*) (الطويل)

قول الآخر :

أُسُودٌ إِذَا مَا أَبْدَتِ الحَرْبُ نَابَهَا .·. وفي سَائِرِ الدَّهْرِ الغُيُوثُ المَوَاطِرُ (٢)

أورده الشيخ من غير عزو .

وموضع الشاهد قوله : " الغيوث المواطر "

والشاهد فيه كسابقه ، فتعريف المسند باللام لا يفيد هنا القصر بل التقرير .

فالشاعر أراد أن يقرر أنهم هم الذين عُرفوا واشتَهروا بأنهم غيوث ، وأنهم مواطر ، فحالهم هذه ظاهرة للعيان لا يتطرق إليها شك .

---

(١) عقود الدرر : ٢٨ب .

(*) الدلائل ، رضا : ١٤٠ ، خفاجي : ٢٠٩ ، شاكر : ١٨٢ .

(٢) لم أقف على الشاهد ولا على قائله فيما أطلعت عليه من مصادر .

الشاهد الثامن عشر بعد المائة :- (*) (الطويل)

قول ابن الرومي (١) :

هُوَ الرَّجُلُ المَشْرُوكُ فِي جُلِّ مَالِهِ .·. وَلَكِنَّهُ بِالمَجْدِ وَالحَمْدِ (٢) مُفْرَدُ (٣)

وهو من قصيدة له في مدح صاعد بن مخلد (٤)، ومطلعها :

أَبَيْنَ ضُلُوعِي جَمْرَةٌ تَتَوَقَّدُ .·. عَلَى مَامَضَى أَمْ حَسْرَةٌ تَتَجَدَّدُ

وقبل الشاهد :

لَعَمْرِي لَئِن أَضْحَتْ وِزَارَةُ صَاعِدٍ .·. تُثَنَّى لَقَدْ أَضْحَى كَرِيماً يُوَحَّدُ

وِزَارَتُهُ شَفْعٌ وَذَاكَ بِحَقِّهِ .·. كَمَا أَنَّهُ وِتْرٌ إِذَا عُدَّ سُؤْدُدُ

وبعد هما الشاهد وبعده :

يُقَرَّضُ إِلَّا أَنَّ مَاقِيلَ دُونَهُ .·. وَيُوصَفُ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُحَدَّدُ

أَرَقُّ مِنَ المَاءِ الَّذِي فِي حُسَامِهِ .·. طِبَاعاً وَأَمْضَى مِنْ شَبَاهُ وَأَنْجَدُ

(*) الدلائل ، رضا : ١٤١، خفاجي : ٢١٠، شاكر: ١٨٣.

(١) ابن الرومي : هو علي بن العباس بن جريج أو جورجيس الرومي ، أبو الحسن ، شاعر كبير من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل كان جده من موالي بني العباس ، ولد ونشأ ببغداد ، ومات فيها مسموماً ، قيل دَسَّ له السم القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد ، وكان ابن الرومي قد هجاه ، قال المرزباني : لا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مرؤوس إلّا عاد إليه فهجاه ، وكان ينحل مثقالاً الواسطي أشعاره في هجاء القحطبي وغيره ، له ديوان شعر مطبوع / انظر ترجمته : معجم الشعراء : ٢٨٩ - ٤٤٨ ، تاريخ بغداد : ١٢ / ٢٣ - ٢٦ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٣٥٨ - ٣٦٢ ، الأعلام : ٤ / ٢٩٧.

(٢) رواية الديوان : " بالخير والحمد ".

(٣) لم أجده فيما آطلعت عليه من مصادر إلّا في : ديوانه : ٢ / ٥٨٩.

(٤) سبقت ترجمته عند ترجمة ابنه ، أبو عيسى : ص ٢٦٦ : الشاهد " السادس والأربعون ".

وموضع الشاهد قوله : " هو الرجل المشروك "

والشاهد فيه : تعريف الخبر بالألف واللام للإشارة إلى بلوغ المسند إليه مبلغ الكمال في الصفة والحقيقة المتصورة في الذهن ، أي إذا أردت أن ترى صورة الرجل الذي يشارك الناس في كل ماله ، والذي بلغ حد الكمال المتناهي في السماحة والجود المتصور في الذهن ، فانظر إلى هذا الرجل ، فهو لم يرد أن يصفه فقط ببلوغ الكمال " كأن هناك أقواماً يشركون في جل أموالهم ، وهو أكملهم في هذه الصفة " ، ولم يرد أن يقول : " أنه هو الرجل الذي بلغك حديثه ، وعرفت من حاله وقصته أنه يشرك في جل ماله " وعلق الشيخ عبد القاهر على هذا الشاهد بقوله :

" . . . ويزداد هذا المعنى ظهوراً ، بأن تكون الصفة التي تريد الإخبار بها عن المبتدأ مُجراة على موصوف كقول ابن الرومي . . . تقديره كأنه يقول للسامع : فكر في رجل لا يتميز عُفاته وجيرانه ، ومعارفه عنه في ماله ، وأخذ ماشاءوا منه ، فإذا حصلت صورته في نفسك ، فاعلم أنه ذلك الرجل ... فإذا علمت أنه لا يريد بقوله : الرجل المشروك في جَلّ ماله أن يقول : هو الذي بلغك حديثه وعرفت من حاله وقصته أنه يُشرَك في جَلّ ماله على حد قولك : هو الرجل الذي بلغك أنه أنفق كذا والذي وهب المائة المصطفاة من الإبل ، ولا أن يقول إنه على معنى " هو الكامل في هذه الصفة حتى كأن ههنا أقوامًا يُشركون في جَلّ أموالهم إلَّا أنَّه في ذلك أكمل وأتم ؛ لأن ذلك لا يتصور ، وذاك أن كون الرجل بحيث يُشرَك في جَلّ ماله ليس معنى يقع فيه تفاضل ، كما أن بذل الرجل كل مايملك كذلك ، ولو قيل الذي يشرك في ماله جاز أن يتفاوت ، وإذا كان كذلك علمت أنه معنىً ثالث ، وليس إلَّا ماأشرت إليه من أنه يقول للمخاطب : ضع في نفسك معنى قولك " رجل مشروك في جَلّ ماله " ثم تأمل فلاناً ، فإنك تستملي هذه

الصورة منه وتجده يؤديها لك نصاً ويأتيك بها كملاً " (١) .

ورأى الشيخ عبد القاهر أن هذا الوجه دقيق المسلك يقف عنده المتأمل بين العارف والمنكر، وهو عنده فنّ عجيب الشأن ، وله مكان من الفخامة والنبل ، وهو من سحر البيان الذي تقصر العبارة عن تأدية حقه ، والمعول فيه على مراجعة النفس واستقصاء التأمل . (٢)

الشاهد التاسع عشر بعد المائة : (*) (الطويل)

أَنَا الرَّجُلُ المَدْعُوُّ عَاشِقَ فَقْرِهِ .·. إِذَا لَمْ تُكَارِمْنِي صُرُوفُ زَمَانِي (٣)

ذكره الشيخ من غير نسبه ولكن يفهم من سياق الكلام أن البيت لابن الرومي (٤)

موضع الشاهد قوله : " أَنَا الرَّجُلُ المَدْعُوُّ "

والشاهد فيه كسابقه وهو الإشارة إلى أن المسند إليه بلغ مبلغ الكمال في الصفة والحقيقة المتصورة في الذهن .

فالشاعر يريد أن يمدح نفسه بالكرم المتناهي الذي لا يوجد له مثيل في عالم الحقيقية بل يوجد في الصور النفسية المتخيلة فأراد أن يقول : إذا أردت أن تتعرف على صورة الكرم الحقيقة المتصورة في الذهن ماثلة في صورتها العليا ، فانظر إليَّ فإنّي ذلك الرجل . فالشاعر بهذا الأسلوب ينقلنا من عالم الواقع إلى عالم الذهن حيث تتخذ الصور معانيها الحقيقية ومثلها العُليا .

ورأى الشيخ عبد القاهر أن هذا المعنى تسكن إليه النفس سكون الصادي إلى برد الماء لحسنه وقوة تأثيره في النفس . قال :

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٤١-١٤٢ ، خفاجي : ٢١٠ ، شاكر : ١٨٣-١٨٤ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٤٢ ، خفاجي : ٢١١ ، شاكر : ١٨٤ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٤١ ، خفاجي : ٢١٠ ، شاكر : ١٨٣

(٣) لم أقف على الشاهد فيما رجعت إليه من مصادر .

(٤) كذلك نسبه الأستاذ عبد السلام هارون في كتابه معجم شواهد العربية : ٣٩٦ ، لابن الرومي .

" وإن أردت أن تسمع في هذا المعنى ما تسكن النفس إليه سكون الصادي إلى برد الماء فاسمع قوله :

أَنَا الرَّجُلُ المَدْعُوُّ عَاشِقَ فَقْرِهِ .·. إِذَا لَمْ تُكَارِمْنِي صُرُوفُ زَمَانِي "(١)

الشاهد العشرون بعد المائة :- (*) (الكامل)

قولــه :

أَهْدَى إِلَيَّ(٢) أَبُو الحُسَيْنِ يَـدًا .·. أَرْجُو الثَّوَابَ بِهَا لَدَيْهِ غَـــدَا

وَكَذَاكَ عَادَاتُ الكَرِيـــمِ إِذَا .·. أَوْلَى(٣) يَدًا حُسِبَتْ عَلَيْهِ يَـدَا (٤)

إِنْ كَانَ يَحْسُدُ نَفْسَهُ أَحَــــدٌ .·. فَلَأَزْعُمَنَّكَ ذَلِكَ الأَحَـــدَا (٥)

ذُكرت الأبيات في الدلائل من غير نسبه ولكن فُهم من السياق أنها لابن الرومي وهو من قصيدة له قالها في مدح القاسم(٦)، وبعد الشاهد :

---

(١) الدلائل، رضا : ٢ ١٤ ، خفاجي : ٢١٠-٢١١، شاكر : ١٨٤.
(*) الدلائل، رضا : ١٤٢، خفاجي : ٢١١، شاكر : ١٨٤.
(٢) رواية الديوان " أسدى ".
(٣) رواية الديوان " أسدى ".
(٤) ذُكر في الديوان بعد البيت الثاني وقبل البيت الثالث قوله :
فيرى إِجازةَ ما يُســـام وَلَا .·. يَلْقَى مُطَالِبَهُ بِهِ نَكِـــدَا
(٥) لم أجد الأبيات فيما رجعت إليه من مصادر إلّا في :
ديوان ابن الرومي : - تحقيق حسين نصار :- ٢/٧٨٦
(٦) هو القاسم بن عبيدالله بن سليمان بن وهب (٢٥٨هـ - ٢٩١هـ)، كــان من دهاة العالم، ومن أفاضل الوزراء، وكان شهماً فاضلاً لبيبًا محصلاً كريماً مهيبًا جباراً، وكان يُطعن في دينه، وكان سَفَّاكاً للدماء، كانت أول ولايته للوزارة في عهد المعتضد، وكان ابن الرومي منقطعاً لآل وهب يمدحهـم وكانوا يقصرون في حقه في بعض الأوقات فهجاهم، ويروى أن القاسـم بـن عبيدالله هو الذي قتل ابن الرومي بالسم .
وتوفي القاسم في خلافة المكتفي / انظر ترجمته :

=======

يَومٌ يُبَارِيهِ تندى غده ∴ لا زال دأبك هكذا أبدا

يَامَنْ يُسَاجِل نَفْسَهُ حَسَداً ∴ أَحْسَنْتَ حِينَ حَسَدْتَهَا الحَسَدَا

يارِبَّ آيسَهُ فأحسبهُ ∴ مُسْتَوحِشَاً مِمّا قَدْ انْفَرَدَا

وموضع الشاهد قوله : " ذلك الأحدا "

وهو كالشاهدين السابقين ، فالألف واللام هنا للإشارة إلى أن المسند إليه بلغ مبلغ الكمال في الحقيقة والصفة المتصورة في الذهن .

ورأى الشيخ عبدالقاهر أن هذا الشاهد أعجب من سابقيه في الحسن والدلالة .

فالشاعر هنا صور ممدوحه بصورة نادرة ، فهو لا يمن في عطائه ، ولا يعطي السائل تفضلاً ، وإنّما عطاؤه لسماحته كالهدية ، فلا يحسُّ الآخذ حرجاً ، ولا ألماً في النفس ، ثم امتدح فعلته هذه وأثنى عليها بأن يد الكرماء الحقيقيين لا تكون إلّا هكذا ، ولم يهدأ الشاعر حتى جعل ممدوحه مثلاً لا تتحقق صورته إلّا في عالم الأذهان ، فإن كانت هناك صورة رجل يحسد نفسه لشدة كرمه وجوده - وهذا أمر لا يحدث على بساط الواقع - فلن يكون ذلك الرجل إلّا الممدوح .

قال الشيخ عبد القاهر :

" وإن أردت أعجب من ذلك فقوله ...

فهذا كله على معنى الوهم والتقدير ، وأن يُصَوِّر في خاطره شيئاً لم يره ، ولم يعلمه ثم يجريه مجرى ماعهد وعلم ".(١)

=== الفخري في الآداب السلطانية : ٢٥٧ ، وانظره في سيرة والده سير أعلام النبلاء : ١٣ / ٤٩٧ - ٤٩٨ ، الأعلام : ٥ / ١٧٧ .

(١) الدلائل ، رضا : ١٤٢ ، خفاجي : (٢١ ، شاكر : ١٨٤ .

الشاهد الحادي والعشرون بعد المائة : (*) (الطويل)

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدْعُـــهُ لِمُلِمَّةٍ (١) ∴ يُجِبْكَ وَإِنْ تَغْضَبْ إِلى السَّيْفِ يَغْضَبِ (٢)

البيت في الدلائل من غير عزو .

وهو لحجية بن المضرب (٣)، من قصيدة قالها حين عاتبته زوجه ، وغضبت منه ، لصرفه إبله لبني أخيه اليتامى ، (٤) ومطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ١٤٣ ، خفاجي : ٢١١ ، شاكر : ١٨٤ .

(١) رواية الأغاني للبيت :

أَخِي وَالَّذِي إِنْ أَدْعُهُ لِعَظِيمَةٍ ∴ يُجِبْنِي وَإِنْ أَغْضَبْ إِلى السَّيفِ يَغْضَبِ

(٢) انظر البيت في :

الحماسة - تحقيق عسيلان - : ٦٠٢/١ ، الأغاني : ٣١٨/٢٠ ، المؤتلف والمختلف : ٨٥ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١١٧٦/٣ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٩٩/٣ .

(٣) هو أحد بني معاوية بن عامر بن عوف بن سلمة بن شكامة بن شبيب ابن أشرس السكوني ، وكنيته أبو حوط ، وكان سيداً مقدماً وشاعراً فارساً ، وكان حليفاً في بني ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهو نصراني عاش في الجاهلية ، وأدرك الإسلام ، وقد أسلمت زوجه " زينب " ، وذلك في عهد عمر بن الخطاب ، وكانت قد قصدت المدينة ، فلحق بها زوجها يطلبها ، ونزل بالزبير بن العوام ، ولكنه انصرف إلى بلده حزيناً آيساً من رجوع زوجه . / انظر ترجمته في :

الاشتقاق : ٣٧١ ، الأغاني : ٢٠ / ٣١٦-٣١٩ ، المؤتلف والمختلف : ٨٥ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٣٤ ، ٤٠٧ ، سمط اللآلي : ٢٠٤/١-٢٠٥ .

(٤) وملخص القصة : أنه كان لحجية بن المضرب أخوان ، المنذر بن المضرب ، ومعدان بن المضرب ، فمات معدان ، وترك أولاداً ، فأغير عليهم ، فأُخِذَت إبلهم ، وحطمتهم السنة ، فأعطى حجية إبله لأولاد أخيه ، وأُريحَت عن آخرها إليهم ، فغضبت زوجه من ذلك غضباً شديداً ، فأنشأ حجية الأبيات . / انظر القصة مفصلة في :

الأغاني : ٣١٦/٢٠-٣١٨ ، المؤتلف والمختلف : ١٨٣-١٨٤ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١١٧٦ ، رقم (٤٣٧) .

لَـجِجْنَا وَلَجَّتْ هَذِهِ فِي التَّغَضُّبِ ∴ وَسَدَّ(١) الحِجَابِ بَيْنَنَا وَالتَّنَقُّبِ

وقبل الشاهد :

عِيَالِي أَحَقُّ أَنْ يَنَالُوا خَصَاصَةً ∴ وَأَنْ يَشْرَبُوا رَنْقاً لَدَى كُلِّ(٢) مَشْرَبِ

حَبَوتُ بِهَا قَبْرَ آمْرِيءٍ لَوْ أَتَيْتَهُ ∴ حَرِيّاً لآسَانِي لَدَى كُلِّ مَرْكَبِ (٣)

وبعد هما الشاهد وهو آخر بيت في القصيدة .

موضع الشاهد قوله :

" أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدْعُهُ . . . "

فـ "الذي" هنا أفادت بلوغ المسند إليه مبلغ الكمال في الصفة المتصورة في الذهن والخاطر .

فالشاعر يريد أن يكشف للنفوس حقيقة الأخوة ، فإذا أردت أن تعرف تلك الحقيقة ، وذلك المثل الأعلى ، والذي لا يكون إلّا في عالم التقدير والخاطر ، فآنظر إلى هذا الأخ الذي إن تستصرخه في ضيق وملمة أسرع لنجدتك ، وإن أَلَمّ بك خطب طار إليك وغضب لغضبك ، وحقيقة الأخوة هذه لا تتمثل إلّا في هذا الأخ الذي هذه صفته فآعرفه .

قال الشيخ عبد القاهر :

" وليس شيء أغلب على هذا الضرب الموهوم من " الذي " فإنه يجيء كثيراً على أنك تقدر شيئاً في وهمك ثم تعبر بالذي " (٤)

---

(١) رواية الأغاني : " لطّ " ، واللط بمعنى الستر .

(٢) رواية الأغاني : " إلى حين مكسبي " .

(٣) رواية الأغاني لهذا البيت :

أَحَابِي بِهَا مَنْ لَوْ قَصَدْتُ لِمَالِهِ ∴ حَرِيّاً لآسَانِي عَلَى كُلِّ مَوكِبِ

(٤) الدلائل ، رضا : ١٤٢ - ١٤٣ ، خفاجي : ٢١١ ، شاكر : ١٨٤ .

الشاهد الثاني والعشرون بعد المائة: (*) (الطويل)

أَخُوكَ الَّذِي إِنْ رِبْتَهُ (١) قَالَ: إِنَّمَا (٢) ∴ أَرَبْتَ (٣) وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لاَنَ جَانِبُهْ (٤)

ذكره الشيخ من غير نسبه.

والبيت لبشار بن برد (٥) من قصيدته التي يمدح بها مروان بن محمد بن مروان (٦).

ومطلعها:

جَفَا وِدُّهُ فَازْوَرَّ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهْ ∴ وَأَزْرَى بِهِ أَنْ لاَ يَزَالَ يُعَاتِبُهْ

موضع الشاهد قوله: " أَخُوكَ الَّذِي إِنْ رِبْتَهُ "

والشاهد فيه أن «الذي» هنا أضفت على المسند إليه خاصية الكمال الموجود في الوهم والخاطر.

فصورة الأخ، ومعنى الأخوة إنّما هي صورة ذهنية، فإن أردت أن تراها متمثلة، فهي في ذلك الأخ الذي مهما أتيت بأفعال مريبة ظاهرة، فهو يكذب حدثه وظنه؛ لفرط ثقته فيك، ويقول انتفت عنك الريبة.

وكذلك يكفيه منك العتاب ليعود إليك لين الجانب طائعاً مختاراً.

قال الشيخ عبد القاهر:

" فهذا ونحوه على أنك قدرت إنسانا هذه صفته، وهذا شأنه، وأحلت السامع على من يتعين في الوهم دون أن يكون قد عرف رجلاً بهذه الصفة، فأعلمته أنّ المستحق لاسم الأخوة هو ذلك الذي عرفه حتى كأنك قلت:

(*) الدلائل، رضا: ١٤٣، خفاجي: ٢١١، شاكر: ١٨٥.

(١) أي أتيت بما يرتاب فيه. / اللسان " ريب ": ١/ ٤٤٣.

(٢) رواية الحماسة:

" أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدْعُهُ لِمُلِمَّةٍ ∴ يُجِبْكَ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لاَنَ جَانِبُهْ "

(٣) أَرَبْتَ: أي انتفت عنك الريبة، وورد في اللسان أن الرواية الصحيحة أَرَبْتُ بضم التاء أي أخوك الذي إن رِبْتَهُ بريبةٍ قال: أنا الذي أَرَبْتُ أي أنا صاحبُ الرِّيبة، حتى تُتَوَهَّمَ فيه الرِّيبةُ، ومن رواه أَرَبْتَ بفتح التاء، فإنه زعم أن رِبتَه بمعنى أوجبْتَ له الرِّيبةَ فأما أربتُ بالضم فمعناه أَوْهَمْتُه الرِّيبةَ، ولم تكن واجبة مقطوعاً بها / اللسان " ريب ": ١/٤٤٣.

(٤) انظر البيت في: ديوان بشار، تحقيق الطاهر بن عاشور: ١/ ٣٢٥. الحماسة البصرية: ٢/ ٣٤، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٢/ ١٤٢.

(٥) وذكر في اللسان أنه يُنسب أيضا للمُتَلَمِّس.

(٦) سبقت الترجمة له، انظر: ٢٨٥. من البحث

أخوك زيد الذي عرفت أنك إن تدعه لِمُلِمَّةٍ يُجِبْكَ ، ولكون هذا الجنس معهوداً من طريق الوهم والتخيل جرى على ما يوصف بالاستحالة كقولك للرجل وقد تَمَنَّى : هذا هو الذي لا يكون ، وهذا مالا يدخل في الوجود " (١)

الشاهد الثالث والعشرون بعد المائة : (الكامل)

مَالَا يَكُونُ فَلَا يَكُونُ بِحِيلَةٍ ∴ أَبداً وَمَا هُوَ كَائِنٌ سَيَكُونُ (٢) (٣)

أورده الشيخ من غير عزو ، وهو لعبد الله بن محمد بن أبي عيينة (٤) من قصيدة قالها لذي اليمينين (٥)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٤٣ ، خفاجي : ٢١١ ، شاكر : ١٨٥ .

(٢) رواية الأغاني : " وما هو كائن فيكون " .

(٣) لم أقف على البيت فيما رجعت إليه من مصادر إلا في : الكامل ـ مكتبة المعارف ـ : ١ / ٢٣٦ ، الأغاني : ٢٠ / ٩٢ .

(٤) سبقت ترجمته / انظر : ٣٢٦
وجاء في الأغاني أن الأبيات وجدت منقوشة على حجر في بعض أفنية مكة ، وأنشدها جماعة لأبي عيينة .

(٥) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي (١٥٩هـ - ٢٠٧هـ) أبو الطيب، وأبو طلحة من كبار الوزراء والقواد أدباً وحكمةً وشجاعةً ، وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي وقتل الأمين سنة ١٩٨هـ ، ولاه المأمون شرطة بغداد ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب وخراسان ، وكان في نفس المأمون شيء عليه لقتله الأمين من غير مشورته ، قتله أحد غلمانه ، وقيل مات مسموماً ، ولُقِبَ بذي اليمينين لأنه ضرب رجلاً بشماله فقَدَّهُ نصفين ، أو لأنه ولي العراق وخراسان ./ انظر ترجمته في :
تاريخ الطبري : ٨ / ٤١٥ ، ٥٨٢ ، ٥٩٣ ، تاريخ بغداد : ٩ / ٣٥٣ - ٣٥٥ ، ابن الأثير : ٥ / ١٤٣ - ٢٠٥ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٥١٧ - ٥٢٣ ، شذرات الذهب : ٢ / ١٦ ، الأعلام : ٣ / ٢٢١ .

وقبل بيت الشاهد :

لَمَّا رأيتَكَ قاعِداً مُسْتَقْبِلاً ∴ أيْقَنْتُ أنَّكَ لِلْهُمُومِ قَرِينُ

فَارْفضْ بِهَا وَتَعَرَّ مِنْ أثْوَابِهَا ∴ إنْ كَانَ عِنْدَكَ لِلْقَضَاءِ يَقِينُ

وبعدهما الشاهد وبعده :

يَسْعَى الذَّكِيُّ فَلَا يَنَالُ بِسَعْيِهِ ∴ حَظّاً وَيَحْظَى عَاجِزٌ وَمَهِينُ

سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ ∴ وَأَخُو الجَهَالَةِ مُتْعَبٌ مَحْزُونُ (١)

أتى الشيخ عبد القاهر بهذا البيت؛ليدل على أن الصور المعهودة من طريق الوهم والتَّخيل تجري مجرى الوصف المستحيل ،فهي لا وجود لها في الواقع ، فمعنى الاستحالة فيها ،كمعنى الاستحالة في البيت ، وهو أن الشيء غير المقدر مستحيل الوقوع ولو بذلت الحيل لوقوعه ، وكذلك الصور المتخيلة فإنَّها مستحيلة الوجود .

الشاهد الرابع والعشرون بعد المائة :- (*) (الطويل)

وإنِّي لَمُشْتَاقٌ إلى ظِلِّ صَاحِبٍ (٢) ∴ يَرُوقُ وَيَصْفُو إنْ كَدِرْتُ عَلَيْهِ (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ١٤٣ ، خفاجي : ٢١٢ ، شاكر : ١٨٥ .

(١) الكامل ، مكتبة المعارف : ١/ ٢٣٥-٢٣٦ .

(٢) رواية محاضرات الأدباء والكشكول : ٢/ ٣/ ٢٦٧ : " وانِّي لَمُحْتَاجٌ " ويبدو أن رواية الدلائل والديوان أجمل؛لأن فيها تلهفاً على هذا الصديق النادر .

(٣) لم أجد البيت فيما رجعت إليه من مصادر إلاَّ في : ديوان أبي العتاهية : ٢٨٧ ، محاضرات الأدباء : - دار الآثار - : ٢٥٠ ، الأغاني : ١١/ ٣٤٦ ، المخلاة - عالم الكتب - : ٥١٦ ، الكشكول : ١/ ١/ ١٤ ، ٢/ ٤/ ٢٦٧ .

أورد الشيخ البيت من غير عزو ، وهو لأبي العتاهية (١)

وبعده :

عَذِيرِي مِنَ الإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوتُهُ (٢) .·. صَفَا لِي وَلَا إِنْ كُنْتُ (٣) طَوعَ يَدَيهِ (٤)

ساق الشيخ عبد القاهر البيت للتنظير لمعنى الصديق الوفي ، وأنه لا يعلم له وجود ، ورأى أنه من لطيف المعاني ، قال :

" ومن لطيف هذا الباب قوله . . . البيت، قد قَدَّر كما ترى مالم يعلمه موجوداً ، ولذلك قال المأمون : خذ منّي الخلافة وأعطني هذا الصاحب ، فهذا التعريف الذي تراه في الصاحب لا يعرض فيه شك أنه موهوم " (٥)

---

(١) أبو العتاهية : هو إسماعيل بن القاسم بن سُوَيد بن كَيسان (١٣٠هـ - ٢١١هـ) مولى عَنَزة ، وكنيته أبو إسحاق ، وأبو العتاهية لقب غَلَب عليه . منشؤه بالكوفة ، وكان في أول أمره يتخنّث ، ثم كان يبيع الفَخّار بالكوفة ، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم ، ويقال : أطبع الناس بشار والسيد وأبو العتاهية . كان يجيد القول في الزهد والمديح وأكثر أنواع الشعر في عصره . / انظر ترجمته في :-
الشعر والشعراء : ٢ / ٧٩٥ ، طبقات ابن المعتز: ٢٢٧-٢٣٤ ، تاريخ الطبري : ٨ / ١٧٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٩ ، ٦١٨ ، ٦٥٨/٩ : ١٨٩ ، الأغاني : ٤ / ١ - ١١٢ ، تاريخ بغداد : ٦ : ٢٥٠ - ٢٦٠ ، ميزان الاعتدال : ١ / ٢٤٥ ، سير أعلام النبلاء : ١٠ / ١٩٥ ، وفيات الأعيان : ١ / ٢١٩ - ٢٢٦ ، الأعلام : ١ / ٣٢١ .

(٢) رواية المخلاة : عزيزي .

(٣) رواية الأغاني والمخلاة والكشكول :
" وَلَا إِنْ صِرْتُ "

(٤) الديوان : ٢٨٨ ، المخلاة : ٧٦ .
وذُكر هذا البيت في الأغاني ، والكشكول : ١/١/١٤ قبل بيت الشاهد.

(٥) الدلائل ، رضا : ١٤٣ ، خفاجي : ٢١٢ ، شاكر : ١٨٥ .

الشاهد الخامس والعشرون بعد المائة :- (*) (الطويل)

أَبُوكَ حُبَابٌ(١) سَارِقُ الضَّيفِ بُرْدَهُ .'. وَجَدِّي يَاحَجَّاجُ(٢) فَارِسُ شَمَّرَا(٣) (٤)

والشاهد أورده الشيخ من غير نسبة (٥)

وهو لجميل بن معمر، أو لحَرِّي(٦) بن نهشل (٧)

(*) الدلائل ، رضا : ١٤٥، خفاجي : ٢١٣، شاكر: ١٨٨.

(١) رواية حماسة البحتري " أبوك هِنَابٌ " ومعناه خبيث ماكر.

(٢) رواية العقد الفريد " ياشمَّاخ ".

وروابة اللسان " ياعبَّاس " .

(٣) شمر : اسم فرس ، وينشد بفتح الشين وكسرها ، فإذا فتحت ، فهو مسمى بالفعل الماضي كما سمى الرجل خضمٍ لكثرة أكله ويكون على هذا مأخوذاً من قولهم شَمَّرَ ثوبه./ التبريزي : ١/١٦٥.

(٤) انظر البيت في :

الحماسة لأبي تمام-تحقيق عسيلان-: ١/١٨٦ رقم (١٠٤) ، الحماسة للبحتري : ٢٢٠، العقد الفريد : ٦/١٣٠ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١/٣١٥ رقم (١٠٢) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١/١٦٥، شذور الذهب ، لابن عقيل " موانع الصرف " : ٥٣٩، اللسان : مادة " شمر " : ٤ / ٤٢٩.

(٥) وكذلك في الحماسة للمرزوقي وشذور الذهب ، ولسان العرب ، ذُكِر البيت من غير نسبة .

(٦) وجاء ذلك في الحماسة للبحتري-تحقيق عسيلان-، وأضاف المحقق أنه ينسب أيضا لزيادة .

وكذلك نُسب لجميل بن معمر في العقد الفريد ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي .

(٧) وجاء ذلك في الحماسة للبحتري ، وأمالي المرتضى .

وحري بن نهشل هو: حري بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل ابن دارم ، هجاه شمَّاس بن أسود الطهوي ، فقال :

أَغَرَّكَ يَوماً أَنْ يُقَالَ ابنُ دَارِمٍ .'. وَتُقْصَيَ كَمَا يُقْصَي مِنَ البَرْكِ أَجْرَبُ/ انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢/١٠٥، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢/٣٦.

وبعد بيت الشاهد :

بَنُو الصَّالِحِينَ الصَّالِحُونَ وَمَنْ يَكُنْ .·. لآبَاءِ صِدْقٍ (١) يَلْقَهُمْ حَيْثُ سُيِّرَا (٢)

أَرَى كُلَّ عُودٍ نَابِتاً فِي أَرُومَــــــةٍ .·. أَبَى مَنْبِتُ (٣) العِيدَانِ أَنْ يَتَغَيَّرَا (٤)

فَإِنْ تَغْضَبُوا مِنْ قِسْمَةِ اللّهِ حَظَّكُمْ .·. فَلِلَّهِ إِذْ (٥) لَمْ يُرْضِكُمْ كَانَ أَبْصَـــرَا

والبيت شاهد على أنه إذا تكافأ الاسمان في التعريف (٦) اقتضى ذلك أن يختلف المعنى بحسب المقدم فالمبتدأ لم يكن مبتدأ لأنه منطوق به أولا ، ولا كان الخــبر خبرا ؛ لأنه مذكور بعد المبتدأ ، بل كان المبتدأ مبتدأ ؛ لأنه مسند إليه ومثبت لــه المعنى ، والخبر خبراً ؛ لأنه مسند ومثبت به المعنى (٧)

وقال في موضع آخر :

---

(١) رواية حماسة البحتري ، والعقد الفريد " لآباء سوء " ، ورواية أمالـــي المرتضى " لوالد سوء يلقه " .

(٢) ذُكر هذا البيت في حماسة البحتري مكان البيت الثالث ، ولم يذكـــر البيت الرابع ، وكذلك ذُكر في أمالي المرتضى مكان البيت الثالـــث ، ولم يذكر سوى البيتين " الثاني والثالث " ، وذُكر في المختار مـــن شعر بشّـــار البيتان (الثالث والرابع) .

(٣) رواية حماسة البحتري ، وأمالي المرتضى " أبى نَسَبُ العِيدَانَ " .

(٤) لم يرد هذا البيت في " العقد الفريد " وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي .

(٥) رواية العقد الفريد " فيكم " .

(٦) إذا تكافأ الاسمان في التعريف أفاد ذلك القصـــر عن طريق تعريـــف الطرفين إلا أن تقدم أحدهما على الآخر فيه زيادة معنى .

(٧) الدلائل ، رضا : ١٤٦ ، خفاجي : ٢١٤ ، شاكر : ١٨٩ .

" فمتى رأيت اسم فاعل أو صفة من الصفات قد بُدِئ به فَجُعل مبتـــــدأ وجُعِل الذي هو صاحب الصفة في المعنى خبرًا ، فاعلم أن الفرض هنـــاك غير الفرض إذا كان اسم الفاعل ، أو الصفة خبراً كقولك : زيد المنطلـــق .

واعلم أنه ربما اشتبهت الصورة في بعض المسائل من هذا الباب حتى يُظَن أنّ المعرفتين إذا وقعتا مبتدأ وخبراً لم يختلف المعنى فيهما بتقديم وتأخير، وما يوهم ذلك قول النحويين في " باب كان " : إذا اجتمع معرفتان كنـت بالخيار في جعل أيهما شئت اسماً والآخر خبراً كقولك : كان زيد أخاك ، وكان أخوك زيداً ، فيظن من ههنا أنّ تكافؤ الاسمين في التعريف يقتضـي أن لا يختلف المعنى بأن تبدأ بهذا وتثني بذاك ، وحتى كأنّ الترتيب الذي يدعى بين المبتدأ والخبر وما يوضع لهما من المنزلة في التقدم والتأخر يسقط ويرتفع إذا كان الجزآن معا معرفتين " (١)

فالشاعر في هذا الشاهد قدّم المبتدأ " أبوك " على الخبر " سارق الضـيف " وقدّم كذلك المبتدأ " جَدّي " على الخبر " فَارِسٌ شَمَّرَا "(٢) ، ولم يقل سارق الضـيف أبوك ، وفارسٌ شَمَّرَ جَدّي ، لأن أمر السرقة قد كان ، وعرف السامع كونه ، إلاّ أنـه

---

(١) الدلائل : رضا : ١٤٤ ، ١٤٥ ، خفاجي : ٢١٢ ، ٢١٣ ، شاكـر : ١٨٧ .

(٢) أبوك : مبتدأ وهو مضاف وضمير المخاطب مضاف إليه ، وحباب خـبر المبتدأ .

وسارق الضيف صفة لحباب ، وأصله سارق بُرد الضيف لكن أضافه إلـى الضيف؛ لأنه على قولهم سرقت الضيف بُرْدَهُ ، المراد سرقت من الضيف لكنه لمّا حذف الجار تخفيفاً ، وصل الفعل فعمل فيه ثم أضـاف اسم الفاعل إليه .

ويجوز أن يكون حباب بدلاً ، وسارق الضيف خبراً/ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٣١٥ ، وهذا الوجه فيما يبدو هو الذي اختاره الشيخ عبد القاهر ، وبنى عليه الشاهد .

شاك في الفاعل ،فأثبت الشاعر إثباتاً قاطعاً لا مجال للشك فيه ،بأن الخبث والسرقة كانا من والد المهجو، فهو مشهور بذلك ، فجعل الأمر بعد أن كان على سبيل الجواز حادثاً بالوجوب والقطع ، وهذا أنكى وأوجع في الهجاء من أنه لو قال سارق الضيف برده أبوك ؛لأن حصول السرقة هنا أغنى عن إخبار مخبر وإثبات مثبت سرقته البُرد فجعل السامع عالماً بالسرقة لكنه يجهل فاعلها أصلاً ، فليس هناك شك في الفاعل ، وهذا خلاف مراد الشاعر ،فالشاعر يريد أن يبين أن والد المهجو ممن يُشَك فيه أولاً ثم إثبات ذلك على سبيل الوجوب.

ورأى الشيخ الصبّان أنّ إضافة سارق إلى الضيف قد تكون من إضافة اسم الفاعل إلى فاعله ، والمعنى عليه أنه يرمي أباه بالجبن حتى أن الضيف الذي من عادته أن يكون خجلاً مستكيناً وكأنه أسير عند مضيفه يسرق برده .

ورجح ابن هشام أنه من قبيل إضافة اسم الفاعل إلى مفعوله فهو أقوى في معنى الهجاء ، والمراد على ذلك أنه خبيث دنيء حتى أنه ليضيف الناس ليخدعهم عن أموالهم ويسرقها منهم (١) .

فالفرق في بيت الشاهد كالفرق بين " زيد المنطلق " و " المنطلق زيد " ولكي يتضح الفرق في الشاهد ،لابد من عرض كلام الشيخ في هذا الموضع ،قال :

" وأما قولنا : المنطلق زيد والفرق بينه وبين " زيد المنطلق " ،فالقول في ذلك أنك ،وإن كنت ترى في الظاهر أنهما سواء من حيث كون الغرض في الحالين إثبات انطلاق قد سبق العلم به لزيد ،فليس الأمر كذلك ،بل بين الكلامين فصل ظاهر ، وبيانه أنك إذا قلت : زيد المنطلق ، فأنت في حديث انطلاق قد كان،وعرف السامع كونه إلّا أنّه لم يعلم أمن زيد كان أم من عمرو ؟ فإذا قلت : زيد المنطلق ،أزلْتَ عنه الشك، وجعلته

---

(١) شذور الذهب " منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب " محمد محيي الدين عبد الحميد : ٥٤٠ .

يقطع بأنه كان من زيد بعد أن كان يرى ذلك على سبيل الجواز، وليس كذلك إذا قدّمت " المنطلق " ، فقلت : المنطلق زيد : بل يكون المعنى حينئذٍ على أنك رأيت إنساناً ينطلق بالبعد منك ، فلم يثبت ولم تعلم أزيد هو أم عمرو، فقال لك صاحبك ، المنطلق زيد أي هذا الشخص الذي تراه من بعد هو زيد " (١) .

والشاهد يستشهد به النحاة على منع " شمر " من الصرف لكونه علماً موازناً للفعل ، فهو على وزن قدم وكرم وكلم ونحو ذلك وهذا وزن لا يكون إلّا للفعل (٢) .

الشاهد السادس والعشرون بعد المائة : (*) (الوافر)

قول جرير : (٣)

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايا

ذكر الشيخ صدر البيت فقط ، وعجزه :

وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ (٤)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٤٤ ، خفاجي : ٢١٢ ، شاكر : ١٨٦ .

(٢) انظر: شذور الذهب : ٥٤٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٤٦ ، خفاجي : ٢٤١ ، شاكر : ١٨٨ .

(٣) ذكر البيت غير منسوب في :

المقتضب / الخصائص / الإعجاز والإيجاز / شرح المفصل .

(٤) انظر البيت في :-

ديوان جرير: ٩٨ ، مجاز القرآن : ١ / ٣٦ ، معاني القرآن للأخفش الأوسط : ١ / ٥٦ ، ١٨٣ ، المقتضب : ٣ / ٢٩٢ ، الفاضل : ١٠٩ ، الخصائص : ٣ / ٢٦٩ ، ٢ / ٤٦٣ ، المصون : ٢١ ، الإعجاز والإيجاز : ١٤٨ ، زهر الآداب : ٤ / ١١٥٨ ، العمدة : ٢ / ١٣٩ ، بهجة المجالس وأنس المُجَالس: ٢ / ٥٠٨ ، ذيل الأمالي والنوادر : ٤٤ ، المحاسن والمساوي: ٢١٢ ، المقتصد في شرح الإيضاح : ٢ / ٨٣٠ ، الرسالة الشافية " ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " : ١٤٣ ، الممتع في صنعة الشعر : ٢٨٣ ، شرح المفصل : ٨ / ١٢٣ ، ======

وهو من قصيدة (١) في مدح عبد الملك بن مروان (٢)، ومطلعها :

=== المغني لابن هشام : ١/١٧، شرح شواهد المغني : ١/٤٢، الإيضاح : ١/٢٣٨، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٣٩أ ، شروح التلخيص: " عروس الأفراح " : ٢/ ٢٥٠.

(١) مدح جرير الحجاج مدحاً ملأ الأرض ، وبلغ أهل الشام ، وأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وآتفق أن أرسل الحجاج جريراً إلى أمير المؤمنين فأخذ يسمعه مديحه للحجاج :

صَبَرْتَ النَّفْسَ يَابنَ أَبِي عَقِيلٍ ∴ مُحَافَظَةً فَكَيفَ تَرَى الثَّوَابَا

حتى إذا أنشده قوله :

مَنْ سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفَاقِ عَلَيهِم ∴ أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَولَةِ الحَجَّاجِ
أَمَّنْ يَغَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَفِيظَةً ∴ إِذْ لَا يَثِقْنَ بِغَيْرَةِ الأَزْوَاجِ

غضب الخليفة ، وحجب عنه جريراً حتى تشفع له بعض القوم ، فدخل على الخليفة مادحاً ، وقال قصيدته هذه حتى وصل إلى قوله :

أَلَسْتُمْ خَيرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا . . .

فاستأنس الخليفة بذلك ، وقال : من أراد أن يمدحنا فليمدحنا بمثل هذا وإلَّا ، فلا ، ثم أجزل لجرير العطاء ./ آنظر القصة مفصلة في ذيل الأمالي والنوادر : ٤٣ - ٤٤.

(٢) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة الفقيه ، أبو الوليد (٢٦هـ - ٨٦هـ) تملك بعد أبيه الشام ومصر، ثم حارب ابن الزبير الخليفة ، وقتل أخاه مصعباً ، واستولى على العراق ، ثم قتل ابن الزبير سنة ٧٢هـ واستوثقت له الممالك ، وهو أول من ضرب الدنانير / انظر :-
تاريخ الطبري : ٢ / ١٥٦، ٢٦٤، ٣٢٨، ٤٢١، ٦٤٩، ٣/ ٥٥، ١٦٣، ١٧٠، ٤/ ١٦٠، ٣٨١، ٥/ ٢٣٩، ٢٩٤، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٩٣، ٥٣٠، ٥٩٨، ٦٠٠، ٦/ ١٠-٢٥٦، ٤١٢، ٧/ ٢٥، ٢٦، ٣٦، ٨/ ٩ ،
الفخري في الآداب السلطانية : ٥٩، ١٠٧، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١، التنبيه والإشراف : ٢٨٦، تاريخ الخلفاء : ٢١٤، تاريخ اليعقوبي : ٢/ ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣٠٥.

أَتَصْحُو بَلْ فُؤَادُكَ(١) غَيرُ صَاحِ .·. عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِالـرَّوَاحِ

وقبل بيت الشاهد :

أَغِثْنِي يَافِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي .·. بِسَيْبٍ مِنْكَ إِنَّكَ ذُو ارْتِيَاحِ

فَإِنِّي قَدْ رَأَيتُ عَلَيَّ حَقًّا .·. زِيَارَتِيَ الخَلِيفَةَ وَامْتِدَاحِي

سَأَشْكُرُ أَنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيشِي .·. وَأَثْبَتَّ القَوَادِمَ فِي جَنَاحِي

وبعدها بيت الشاهد وبعده :

وَقَومٍ قَدْ سَمَوتَ لَهُمْ فَدَانُوا .·. بِدُهْمٍ(٢) فِي مَلَمْلَمَةٍ(٣) رَدَاحِ(٤)

أَبَحْتَ حِمَى تِهَامَةَ بَعْدَ نَجْدٍ .·. وَمَاشَيءٌ حَمَيْتَ بِمُسْتَبَاحِ

والشاهد أورده الشيخ زيادة إثبات على أن المعنى يختلف بحسب التقديم والتأخير إذا تكافأ الطرفان في التعريف .

فالشاعر أراد أن يثبت أنهم هم خير من ركب المطايا ، لا غيرهم فذكرهم ابتداء ؛ لأن هذا أبلغ في رفع شأنهم من أنه لو قال : " أَلَيْسَ خَيرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا إِيَّاكُمْ " ؛ لأن في التقديم زيادة إثبات ، وتقرير عن طريق الادعاء الحقيقي على سبيل الوجوب لا الجواز .

والنفس عند قلب طرفي الجملة شاعرة لا شك بالفرق ، وإن لم تدرك كنهه .

---

(١) رواية ذيل الأمالي : " أم فُؤَادُكَ " .

(٢) الدُّهمة : السواد ، والأدهم : الأسود يكون في الخيل والإبل وغيرهما ، يقال : فرس أدهم وبعير أدهم ، والعرب تقول ملوك الخيل دُهْمُها / انظر : لسان العرب " دهم " : ١٢ / ٢٠٩ .

(٣) الململمة : كتيبة ملمومة ومُلَمْلَمة : مجتمعة / اللسان " لمم " : ١٢ / ٥٥٠ .

(٤) الرداح : كتيبة رَدَاح : ضخمة ململمة كثيرة الفرسان ثقيلة السير لكثرتها . / اللسان " ردح " : ٢ / ٤٤٧ .

وهذا الشاهد يستدل به النحاة على أن الهمزة في قوله : " ألستم " للتقرير ، والمقصود " أنتم كذلك ".

فذكره المبرد في المقتضب تنظيراً للهمزة في بعض الآيات القرآنية كقوله تعالى : ﴿ الٓمٓ تَنزِيلُ الكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ العَالَمِينَ ، أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ ﴾ (١)

وقال بعد ذكر البيت :

" أنت تعلم أنه لم يستفهم ، ولكن قرّرهم بأنهم كذلك ، وأنّه قد ثبت لهم ، فمجاز هذه الآيات - والله أعلم - : أيقولون افتراه ؟ على التوبيخ لهم .. " (٢)

وذكر ابن جني أن الهمزة هنا للإنكار الإبطالي ، فتقتضي أن ما بعدها غير واقع وإن كان مابعدها نفياً لزم ثبوته ؛ لأن نفي النفي إثبات ولهذا كان قول جرير مدحاً .

قال ابن جني في باب (نقض الأوضاع إذا ضامّها طاريء عليها " أي أنتم كذلك وإنّما كان الإنكار كذلك ؛ لأن منكر الشيء إنّما غرضه أن يحيله إلى عكسه وضده ، فلذلك استحال به الإيجاب نفياً والنفي إيجاباً " (٣)

وبيت جرير هذا هو أمدح بيت قالته العرب .

ذكر أبو أحمد العسكري في المصون أن عبد الملك بن مروان قال : إن أمدح بيت قول جرير :

" أَلَسْتُمْ خَيرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا " (٤)

وذكر ابن رشيق مفاضلة لبعض النُّقّاد في أبيات المديح فروى أنه حين حضرت الحطيئة الوفاة قال : أبلغوا الأنصار أن أخاهم أمدح الناس حيث يقول :

---

(١) السجدة : ١ : ٢ .

(٢) المقتضب : ٣ / ٢٩٢ .

(٣) الخصائص : ٣ / ٢٦٩ .

(٤) المصون : ٢١ .

يُفْشَونَ حَتَّى مَاتَهِرُّ كِلَابُهُم ∴ لَا يَسْأَلُونَ عَنْ السَّوَادِ المُقْبِلِ

قال ثعلب بل قول الأعشى :

فَتًى لَوْ يُبَارِي الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا ∴ أَوْ القَمَرَ السَّارِي لَأَلْقَى المَقَالِدَا (١)

أمدح منه .

وقال أبو عمرو بن العلاء : بل بيت جرير :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا ∴ وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

أسير ماقيل في المدح وأسهله (٢)

وكذلك ذكر ابن عبد البر في بهجة المجالس أنه أحسن ماقيل في المدح (٣) .

ورأى الإمام عبد القاهر في " الرسالة الشافية " أن بيت جرير أمدح بيت ؛ لأنه آهتدى فيه إلى معاني لم يهتدِ إليها نظراؤه ، وليس من أجل لفظه ونظمه (٤)

وذكر الأصمعي أن أبا عمرو بن العلاء قال : إن العرب أجمعت على أن أقسام الشعر أربعة : افتخار ، ومديح ، وهجاء ، ونسيب ، وفي كلٍ كان السبق لجرير .

فأما الآفتخار فسبق الناس إليه في قوله :

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ ∴ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُم غِضَابَا (٥)

وأما المديح فبرز فيه على الناس في قوله :

أَلَسْتُمْ خَيرَ مَنْ رَكِبَ المَطَايَا ∴ وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

وأما الهجاء فبرز فيه على الناس في قوله :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ∴ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلَا كِلَابَا (٦)

---

(١) ديوان الأعشى : ١١٥ ، قصيدة رقم (٧) .

(٢) العمدة : ٢ / ١٣٩ .

(٣) بهجة المجالس : ٢ / ٥٠٨ .

(٤) الرسالة الشافية (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) : ١٤٣ .

(٥) ديوانه : ٧٨ .

(٦) ديوانه : ٧٥ .

وأما النسيب فبرز فيه على الناس بقوله :

إنَّ العُيُونَ التي فِي طَرْفِهَا حَـوَرٌ ∴ قتَلْنَنا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَا (١) (٢)

الشاهد السابع والعشرون بعد المائة : (*) (الوافر)

قول المتنبي :

أَلَسْتَ ابْنَ الأُولى سَعِدُوا وَسَادُوا .

ذكر الشيخ الصدر فقط، وعجزه :

وَلَمْ يَلِدُوا امْرَءًا إِلَّا نَجِيبَـا (٣)

وهو من قصيدة قالها في مدح علي بن مكرم التميمي (٤)، لما أنفذ إلى أبي الطيب وكيلاً له يحب الشعر، ليناشده، فتلقاه أبو الطيب وأكرمه ثم كتب إلى علي بن مكرم قصيدته، التي مطلعها (٥) :

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَّاقٌ ضُرُوبا ∴ فَأَعْذَرُهُمْ أَشَفُّهُمُ حَبِيبَـا

---

(١) ديوانه : ٥٩٥.   (٢) الممتع في صنعة الشعر: ٢٨٢، ٢٨٣.

(*) الدلائل، رضا : ١٤٦، خفاجي : ٢٤١، شاكر: ١٨٨.

(٣) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :- ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ١٤٤، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب : ١ / ١٠٦.

(٤) هو علي بن محمد بن سيّار بن مكرم التميمي، كان يحب الرمي بالنّشّاب، وفيه قال المتنبي قصيدته التي خالف فيها سنة الشعراء حيث ابتدأهـا بمدح نفسه، قال :

أَقَلُّ فِعَالِي بَلْهَ أَكْثَرَهُ مَجْدُ ∴ وَذَا الجِدُّ فِيهِ نِلْتُ أَوْلَمْ أَنَلْ جَـدُّ
سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالقَنَا وَمَشَـايِخٍ ∴ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا التَثَمُوا مُـرْدُ،

وقد نزل به المتنبي وهو في طريقه إلى دمشق راحلاً عن أنطاكية. / انظر: الديوان بشرح العكبري: ١/ ١٣٧، المتنبي - محمود شاكر: ٨٤.

(٥) الديوان بشرح العكبري: ١/ ١٣٧، العرف الطيب : ١ / ١٠٤.

وقبل بيت الشاهد :

يِكُلِّ مَقَوّمٍ لَمْ يَعْصِ أَمْـرًا ∴ لَهُ حَتَّى ظَنَنَّاهُ لَبِيبَا

يُرِيكَ النَّزْعُ بَيْنَ القَوسِ مِنْهُ ∴ وَبَيْنَ رَمِيِّهِ الهَدَفَ اللَّهِيبَا (١)

وبعدهما بيت الشاهد وبعده :

وَنَالُوا مَا اشْتَهَوْا بِالحَزْمِ هَوْنًا ∴ وَصَادَ الوَحْشَ نَمْلُهُمُ دَبِيبَا

وَمَا رِيحُ الرِّيَاضِ لَهَا وَلَكِنْ ∴ كَسَاهَا دَفْنُهُمْ فِي التُّرْبِ طِيبَا (٢)

والشاهد فيه كسابقه .

فقد تكافأ الطرفان في التعريف ، وكان لتقديم المبتدأ سر معنوي .

فأراد بقوله : " أَلَسْتَ ابْنَ الأُولَى سَعِدُوا وَسَادُوا "

أي أنت ابن الأولى سَعِدُوا وَتَنَعَّموا وَقَادُوا الشُّعُوبَ وسادوها .

فجعله هو البنوة بعينها حيث ادَّعَى ذلك ادعاء حقيقياً على سبيل الوجوب ،

ففي ذكره ابتداءً نفي لِكُلِّ شك قد يعلق بالنفس .

وإنك لا مس الفرق لو قلبت طرفي الجملة فقلت : " أَلَيْسَ ابْنَ الأُولَى سَعِدُوا وَسَادُوا إِيَّاكَ " فَإِنَّ قوة الإثبات هنا أقل .

الشاهد الثامن والعشرون بعد المائة :- (*) (البسيط)

قول المتنبي :

أَنْتَ الحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ ∴ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مَحْبُوبِ (٣)

---

(١) الديوان بشرح العكبري : ١ / ١٤٣ .

(٢) الديوان بشرح العكبري : ١ / ١٤٣ ، ١٤٤ ، العرف الطيب : ١/١٠٦ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٤٧ ، خفاجي : ٢١٥ ، شاكر : ١٩٠ .

(٣) لم أجده فيما رجعت إليه من مصادر إلا في :-

ديوانه بشرح العكبري : ١ / ١٧٦ ، ولم يرد في ديوانه بشرح اليازجي المسمى " العرف الطيب " .

والبيت من قصيدته في مدح كافور قالها سنة ست وأربعين وثلاثمائة وهو آخر بيت فيها ومطلعها :

مَنِ الجآذِرُ فِي زِيِّ الأَعَارِيبِ ∴ حُمْرَ الحُلَى وَالمَطَايَا وَالجَلَابِيبِ (١)

وقبل بيت الشاهد :

يَا أَيُّهَا المَلِكُ الغَانِي بِتَسْمِيَةٍ ∴ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ (٢)

ساق الشيخ عبد القاهر هذا الشاهد في معرض كلامه عن الفرق بين " أنت الحبيب " و " الحبيب أنت " ؛ ليدل على أن معنى " أنت الحبيب " هو نفس معنى بيت الشاهد أي أنت الذي اختصه بالمحبة من بين الناس ، وقوله : " ولكنّي أعوذ به من أن أكون محباً غير محبوب " دَلّ على أن هناك فرقاً ، وفاصلاً بين المحب والمحبوب ، والمعنى : " أنا محبك ، وأنت محبوب لي ، وأعوذ بك من أن لا تحبني ، فإن أشقى الشقاوة أن تحب من لا يحبك كما قال : ومن الشقاوة أن تُحِبَّ وَلَا يُحِبَّكَ من تُحِبُّه " (٣)

أمّا قوله : " الحبيب أنت " فمعناه : أنّه لا فصل بينك وبين من تحبه إذا صدقت المحبة ، وأن مثل المتحابين مثل نفس يقتسمها شخصان .

قال الشيخ :

" ومما يدل دلالةً واضحةً على اختلاف المعنى - إذا جئت بمعرفتين ، ثم جعلت هذا مبتدأ ، وذاك خبراً تارةً ، وتارةً بالعكس - قولُهم : " الحبيب أنت " و " أنت الحبيبُ " : وذاك أن معنى " الحبيبُ أنت " : أنه لا فصل بينك وبين من تحبّه إذا صدقت المحبّة ، وأنّ مَثَل المتحابَّيْن مَثَلُ نَفْسٍ يقتسمها شخصان كما جاء عن بعض الحكماء أنه قال : الحبيبُ أنتَ إلّا أنّهُ

---

(١) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ١٥٩ .

(٢) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ١٧٦ .

(٣) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ١٥٩ .

غيرك : فهذا كما ترى فرق لطيف ونُكتة شريفة ، ولو حاولت أن تفيد هـا بقولك : أنت الحبيب : حاولت مالا يصحّ ؛ لأن الذي يعقل من قولك أنت الحبيب هو ماعناه المتنبي في قوله :

أَنْتَ الحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِـهِ ∴ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مَحْبُوبِ

ولا يخفى بُعْدُ مابين الفرضين فالمعنى في قولك " أنت الحبيب " أنك الذي أختصّه بالمحبة من بين الناس .

وإذا كان كذلك عرفت أنّ الفرق واجبٌ أبداً ، وأنه لا يجوز أن يكون " أخوك زيد " و " زيد أخوك " بمعنى واحد " (١)

الشاهد التاسع والعشرون بعد المائة : (*) (الكامل)

قول المتنبي :

وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الوَغَى ، والطَّعْنُ فِي الـ ∴ ـهَيْجَاءِ غَيْرُ الطَّعْنِ فِي المَيْدَانِ (٢)

وهو من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة عند منصرفه من بلاد الروم سنة خمس وأربعين وثلاث مئة ومطلعها :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ ∴ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثَّانِي (٣)

وقبل بيت الشاهد :

وَسَعَى فَقَصَّرَ عَنْ مَدَاهُ فِي العُلاَ ∴ أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانِ

تَخِذُوا المَجَالِسَ فِي البُيوتِ وَعِنْدَهُ ∴ أَنَّ السُّرُوجَ مَجَالِسُ الفِتْيَانِ

(١) الدلائل ، رضا : ١٤٧ ، خفاجي : ٢١٥-٢١٦ ، شاكر : ١٩٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٥٠ ، خفاجي : ٢١٨ ، شاكر : ١٩٣ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ١٧٦ ، العرف الطيب : ٤ / ٥٩١ .

(٣) الديوان بشرح العكبري : ٤ / ١٧٤ ، العرف الطيب : ٤ / ٥٩١ .

وبعده :

قَادَ الجِيَادَ إِلى الطِّعَانِ وَلَمْ يَقُدْ .·. إِلَّا إِلى العَادَاتِ وَالأَوْطَانِ
كُلَّ ابْنِ سَابِقَةٍ يُغِيرُ بِحُسْنِهِ .·. فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ عَلَى الأَحْزَانِ (١)

ساقه الشيخ عند حديثه عن الجنسية ، والتفريق بين " زيد المنطلق " وبين " أنت الحبيب " ، فوضح أن أل في " المنطلق " عهدية ، ولا وجه فيها للجنسية إذ ليس ثم إلّا انطلاق واحد ، قد عرف المخاطب أنه كان واحتاج أن يعين له الذي كان منه ، وينص له عليه .

أما أل في " أنت الحبيب " فهي للجنسية ، فإن لك في المحبة التي أثبتها طرفاً من الجنسية من حيث كان المعنى أن المحبة مِنّي بجملتها مقصورة عليك ، ولم تعمد إلى محبة واحدة من محباتك . ولو وصل الانطلاق أو وصف عرض فيه معنى الجنسية على حدها في " أنت الحبيب " ، ثم ذكر أن ههنا أصلا يتفرع على هذا الأصل ، أو هو كالنظير له ، وهو أن من شأن المصدر أن يفرق بالصلات ، كما يفرق بالصفات ثم ساق البيت شاهداً على أن اختلاف صلة المصدر تقتضي اختلافه في نفسه ، وتحدث فيه تنوعاً وانقساماً وتضفي عليه معنى الجنسية حيث يصبح كل نوع جنساً برأسه .

فقوله : " الطعن " مصدر جعل له صلتين " في الهيجاء " و " في الميدان " ، فدَلّ ذلك على أن كلاً من الطعنين جنس برأسه غير الآخر ، ولولا هذا التنوع لما حسن الكلام .

قال الشيخ عبد القاهر بعد أن ذكر بيت الشاهد :

" لولا أن اختلاف صلة المصدر تقتضي اختلافه في نفسه ، وأن يحدث فيه انقسام وتنوع لما كان لهذا الكلام معنى ، ولكان في الاستحالة كقولك

---

(١) الديوان بشرح العكبري : ٤ / ١٧٥/١٧٦ ، العرف الطيب : ٤ / ٥٩٠ / ٥٩١ .

والطعن غير الطعن ، فقد بان إذن أنه إنما كان كل واحد من الطعنين جنسًا برأسه غير الآخر بأن كان هذا في الهيجاء ، وذاك في الميدان ، وهكذا الحكم في كل شيء تعدّى إليه المصدر وتعلق به ، فاختلاف مفعولي المصدر يقتضي اختلافه ، وأن يكون المتعدي إلى هذا المفعول غير المتعدي إلى ذاك ." (١)

ومعنى الشاهد : أن هؤلاء الأعداء لقلة شجاعتهم وعدم تمرسهم في الحرب اعتقدوا وظنوا أنّ الحرب لعب، وغفلوا عن أن الطعن في اللعب غير الطعن في الحرب ، فطعن اللعب طعن فيه إبقاء ، وطعن الحرب لا إبقاء فيه . (٢)

الشاهد الثلاثون بعد المائة :(*) (الخفيف)

قول المتنبي :

وَهُوَ الضَّارِبُ الكَتِيبَةَ وَالطَّعْـ .·. ـنَةُ تَغْلُو وَالضَّرْبُ أَغْلَى وَأَغْلَى (٣) (٤)

وهو من قصيدته التي يرثي بها أخت سيف الدولة الصغرى ، ويُسَلِّيهِ ببقاء الكبرى ، وأنشده إيّاها يوم الأربعاء النصف من شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثلثمائة ، ومطلعها :

---

(١) الدلائل : رضا : ١٥٠ ، خفاجي : ٢١٨ ، شاكر : ١٩٤ .
(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١٧٥/٤ .
(*) الدلائل ، رضا : ١٥٠ ، خفاجي : ٢١٩ ، شاكر : ١٩٤ .
(٣) هذه رواية الدلائل ، تحقيق محمد رشيد رضا ، ورواية الدلائل تحقيق ، محمد عبد المنعم خفاجي .
أما رواية الديوان بشرح العكبري وشرح اليازجي ، ورواية الدلائل تحقيق : محمود محمد شاكر :
" والضَّرْبُ أَغْلَى وَأَغْلَى " .
(٤) لم أجده فيما لديّ من مصادر إلّا في :
ديوانه بشرح العكبري : ١٣٢/٣ ، العرف الطيب : ٤ / ٢٥٧ .

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرَّزِيَّةِ[1] فَضْلاً .·. فَكُنِ[2] الأَفْضَلَ الأَعَزَّ الأَجَلَّا (٣)

وقبل بيت الشاهد :

وَإِذَا اهْتَزَّ لِلنَّدَى كَانَ بَحْرًا .·. وَإِذَا اهْتَزَّ لِلْوَغَى كَانَ نَصْلَا

وَإِذَا الأَرْضُ أَظْلَمَتْ كَانَ شَمْسًا .·. وَإِذَا الأَرْضُ أَمْحَلَتْ كَانَ وَبْلَا

وبعد هما الشاهد وبعده :

أَيُّهَا البَاهِرُ العُقُولَ فَمَا يُدْ .·. رَكُ وَصْفًا أَتْعَبْتَ فِكْرِي فَمَهْلَا

مَنْ تَعَاطَى تَشَبُّهًا بِكَ أَعْيَا .·. هُ وَمَنْ دَلَّ فِي طَرِيقِكَ ضَلَّا (٤)

وموضع الشاهد قوله : " وهو الضارب الكتيبة "

والشاهد فيه : أن أل في "الضارب" للجنسية حيث قُيِّد المسند " الضَّارب" بمفعول مخصوص له "الكتيبة" وأصبح المسند بمنزلة الجنس المطلق ، وصار القصد إلى جنس من الضرب مخصوص ، فأفاد المسند القصر بطريق التقييد على دعوى أنه لا يوجد إلا منه لا على معنى المبالغة ، وترك الاعتداد بوجوده في غير المخبر عنه .

ولمَّا صار القصد إلى جنس من الضرب مخصوص لا إلى ضرب مخصوص بعينه أفاد ذلك تجدد الضرب منه لكل كتيبة ، وليس معناه أنَّ ضربه مقصور على كتيبة واحدة .

فالشاهد فيه كالشاهد في قول الأعشى السابق :

" هُوَ الوَاهِبُ المائَةَ المُصْطَفَاةَ " .

---

(١) رواية العرف الطيب : " ذي الرزيئة ".

(٢) رواية العرف الطيب : " تَكُنْ ".

(٣) ديوانه بشرح العكبري : ٣/١٢٣ ، العرف الطيب : ٤/٢٤٩ .

(٤) ديوانه بشرح العكبري : ٣/١٣٣ ، العرف الطيب : ٤/٢٥٧ .

ومعنى بيت الشاهد كما ذكره العكبري : أنَّ سيف الدولة هو الذي يضرب الجيش إذا آشتد الأمر ، وصعب الأمر وغلت الطعنة وعز وجودها ، وإذا عز وجودها كان الضرب أغلى من الطعن لحاجة الضارب إلى مزيد من الإقدام .

وذكر ابن فورجة أنه يريد : إذا لم يقدر على الدُّنُو من العدو قيد رمح ، فالدُّنُو إليه قيد سيف أصعب والمعنى على ذلك : أنه يضرب بسيفه حين لا يقدم الطاعن والضارب .

ورأى أبو الفتح " ابن جني " أنه يريد إن كان الطعن صعباً على الطاعن فهو أيسر من الضرب ؛ لأن بُعد الطاعن عن عدُّوه أكثر من بُعدِ الضَّارِب ، والرامي أبعد من الطَّاعِن ، وقد رتب ذلك زهير بقوله :

يَطْعَنُهُمْ مَا آرْتَمَوا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا ∴ ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارَبُوا آعْتَنَقَا

والمعنى : هو الضارب الجماعة من الخيل والكتيبة من الجيش ، والحرب متوقدة ، ونيرانها مضطرمة ، والطَّعن بين الفرسان يغلو ويشرف ، ويشتد ويفرط ، والضَّرب أَغْلَى وَأَفْرَط ، وأشد وأبلغ ، فَدَلَّ على أن سيف الدولة عند آشتداد الحرب ، يقتحم الكتائب بنفسه ، ويستخف ذلك بشدة بأسه.(١)

الشاهد الواحد والثلاثون بعد المائة :- (*) (الرجز المشطور)

وَحَاتِمُ الطَّائِيُّ وَهَّابُ المِئِي (٢)

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٣ / ١٣٢ ، ١٣٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٥١ ، خفاجي : ٢١٩ ، شاكر : ١٩٥ .

(٢) انظر البيت في :
نوادر أبي زيد الأنصاري : ٩١ ، الخصائص : ١ / ٣١١ ، الإفصاح : ٦٠ ، الإنصاف في مسائل الخلاف : ٢ / ٦٦٣ ، لسان العرب : (مأى) : ١٥ / ٢٧١ ، خزانة الأدب - دار صادر - : ٣ / ٣٠٤ .

ذكره الإمام عبد القاهر من غير عزو ، وهو لامرأة من بني عقيل تفخر بأخوالها من اليمن ، وقيل هو للعامرية ،(١) وقبله :

حَيْدَةُ خَالِي وَلَقِيطٌ وَعَلِيّ (٢)

وبعده الشاهد وبعده :

وَلَمْ يَكُنْ كَخَالِكَ العَبْدِ الدَّعِي

يَأْكُلُ أَزْمَانَ الهُزَالِ وَالسِّنِي

هَنَاتِ عَيرٍ مَيِّتٍ غَيرِ ذَكِي (٣)

موضع الشاهد قوله : " وَهَّابَ المِئِي "

ذكره الشيخ عقب قول الشاعر :

" هُوَ الوَاهِبُ المَائَةَ المُصْطَفَاةَ "

وذلك للاستئناس به في إثبات أنه لا يقصد إلى مئة خاصة معينة بل إلى جنس المئة فشأنه أن يهب المِئَات مرة بعد مرة ، وهذا هو مجال المدح .

---

(١) لم يُنسب البيت إلَّا في "النوادر في اللغة" لأبي زيد ، وفي لسان العرب وذكر صاحب اللسان أن أبا زيد ينسبه للعامرية أيضا .

ولم أجد هذا القول في النَّوادِر فلعله يقصد أبا زيد آخر .

(٢) ذُكر البيت الثاني مع الشاهد في :

الإفصاح : ٦٠ ، الإنصاف : ٢ / ٦٦٣ .

(٣) ووردت الأبيات جميعها في :

النوادر : ٩١ ، لسان العرب : (مأى) : ١٥/ ٢٧٠ .

الشاهد الثاني والثلاثون بعد المائة : (*) (السريع)

لَيْسَ[1] عَلَى اللَّهِ[2] بِمُسْتَنْكَرٍ ∴ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ (٣)

ذكره الشيخ من غير عزو ، وهو لأبي نواس[4]، والبيت من قصيدته التي يمدح

(*) الدلائل ، رضا : ١٥٢ ، خفاجي : ٢٢٠ ، شاكر : ١٩٦ .

(١) رواية خاص الخاص ، والمثل السائر ، وبديع القرآن ، والحماسة البصرية ، وشرح التصريح :
" وليس " بتقديم واو .

(٢) رواية الديوان ، والمثل السائر ، وبديع القرآن ، ونهاية الأرب ، ومعاهد التنصيص ، والدلائل تحقيق شاكر :
" وَلَيْسَ لِلَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ "

(٣) انظر البيت في :
ديوانه : ٤٥٤ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٨٢٩ ، زهر الآداب : ٤ / ١٠٣٣ ، خاص الخاص : ١١١ ، المثل السائر : ٣ / ٢٥٢ ، بديع القرآن : ٣١٨ ، الحماسة البصرية : ١ / ١٩٢ ، التصريح بمضمون التوضيح : ١ / ١٥٠ ، شرح المضنون به على غير أهله : ١٧٨ ، معاهد التنصيص : ٤ / ٨٠ ، رقم الشاهد (٢٠٢) ، نهاية الأرب : ٣ / ٨٣ .

(٤) أبو نواس : هو الحسن بن هانيء بن عبد الأول بن صباح الحكميّ بالولاء ، وهو شاعر العراق في عصره ، ولد في الأهواز ، ونشأ بالبصرة ، ورحل إلى بغداد واتصل بالخلفاء من بني العباس ، ومدح بعضهم ، كان جده مولى للجراح بن عبد الله الحكمي أمير خراسان ، وذكر ابن عساكر أن والده كان من أهل دمشق من جند مروان بن محمد ، قال عنه الجاحظ : أنه أعلم الرجال باللغة وأفصحهم لهجة ، وقال أبو عبيدة : كان أبو نواس للمحدثين كامرىء القيس للمتقدمين . / انظر ترجمته في :-
الشعر والشعراء : ٢ / ٨٠٠-٨٣٠ ، تاريخ بغداد : ٧ / ٤٣٦-٤٤٩ ، تهذيب ابن عساكر : ٤ / ٢٥٤-٢٨٢ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٩٥-١٠٤ ، خزانة البغدادي : - دار صادر - : ١ / ١٦٨ ، الأعلام : ٢ / ٢٢٥ .

بها الفضل بن الربيع (١) ، ويستعطف الرشـيد على الفضل ، ومطلعها :

قُولا لِهَارُونَ إِمَامَ الهُـدَى .·. عِنْدَ ٱحْتِفَالِ المَجْلِسِ الحَاشِدِ

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله :

أَنْتَ عَلَى مَابِكَ مِنْ قُـدْرَةٍ .·. فَلَسْتَ مِثْلَ الفَضْلِ بِالوَاجِدِ

أَوجَدَهُ اللَّهُ فَمَا مِثْلُـهُ .·. لِطَالِبٍ (٢) ذَاكَ وَلَا نَاشِدِ (٣)

وبعد هما الشاهد .

ساق الشيخ الشاهد للتنظير لمعنى الاستغراق ، فمعنى البيت أنه ليس ببعيد على الله ، ولا مستبعد أن يجمع الخلق كلهم بصفاتهم ، ومميزاتهم في فرد واحد ، وهذا هو معنى الاستغراق ، فاللام الدالة على الاستغراق تستغرق الجنس وتشمله وتشيع فيه .

وأورد هذا الشاهد عند حديثه عن الفرق بين أل الجنسية في الخبر ، وأل الجنسية في المبتدأ ، فعنده أن مذهب الجنسية في الاسم وهو خبر غير مذهبها وهو مبتدأ ،

---

(١) هو الفضل بن الربيع بن يونس ، أبو العباس (١٣٨هـ - ٢٠٨هـ) وزير أديب حازم ، كان أبوه وزيراً للمنصور العباسي ، واستحجب المنصور الفضل ، وفي عهد الرشيد ولي الوزارة إلى أن مات الرشيد ، ثم جاء الأمين وأقره في وزارته ، فعمل على مقاومة المأمون ، ولما ظفر المأمون استتر الفضل (١٩٦هـ) ثم عفا عنه المأمون وأهمله بقية حياته ، وتوفي بطوس ، وهو من أحفاد أبي فروة " كيسان " مولى عثمان بن عفان ، انظر ترجمته في :-

معجم الشعراء للمرزباني : ٣١٢ ، جمهرة الأنساب : ٢٣٦ ، تاريخ بغداد : ١٢ / ٣٤٣ - ٣٤٤ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٣٧ ، ٤٠ .

(٢) رواية الحماسة : " لطالب فيه " .

(٣) انظر البيت في :-

ديوانه : ٤٥٤ ، الحماسة البصرية : ١ / ١٩٢ ، والبيت الثاني فقط في خاص الخاص : ١١١ .

فاللام في الخبر تفيد الجنس ، واللام في المبتدأ تفيد الاستغراق . قال :

" وأصل آخر وهو أن من حقنا أن نعلم أن مذهب الجنسية في الاسم وهو خبر غير مذهبها وهو مبتدأ .

تفسيرُ هذا أنّا وإنْ قلنا : إنّ اللام في قولك :"أنت الشجاع"للجنس،كما هو له في قولهم : " الشُّجاعُ موقًّى ، والجبان مُلقًّى،فإنّ الفرقَ بينهما عظيم ، وذلك أن المعنى في قولك"الشجاعُ مُوَقًّى"،أنك تُثْبت الوِقاية لكل ذاتٍ من صفتها الشَّجاعة ،فهو في معنى قولك : الشُّجْعَان كلُّهم مُوقَّون . ولست أقول إنّ الشجاع كالشجعان على الإطلاق ، وإن كان ذلك ظَنَّ كثيرٍ من الناس، ولكنّي أريد أنّك تجعل الوِقاية تستغرقُ الجنس وتَشْمَله ،وَتشيعُ فيه ، وأما في قولك : أنتالشجاع ،فلا معنى فيه للاستغراق ،إذْ لست تريد أن تقول:"أنت الشجعان كلهم"حتى كأنك تذهب به مذهب قولهم :"أَنْتَ الخلق كلهم"،و"أنت العالم"،كما قال :

لَيْسَ عَلَى اللّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ ∴ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدٍ " (١)

وهذا الشاهد من أبلغ أبيات المدح يستشهد به علماء العربية على أنه أمدح بيت للمحدثين .

ذكر الثعالبي : أنّ هارون بن علي بن يحيى المنجم قال بإجماع أهل العلم بالشعر على أن أجود بيت للمحدثين في المدح قول أبي نواس :

وكلتَ بِالدَّهرِ عَيناً غَيْرَ غَافِلَةٍ ∴ بِجُودِ كَفِّكَ يَأْسُو كُلَّ مَاجَرَحَا

وقال غيره بل قوله :

أَنْتَ عَلَى مَابِكَ مِنْ قُدْرَةٍ ∴ فَلَسْتَ مِثْلَ الفَضْلِ بِالوَاجِدِ

---

(١) الدلائل ،رضا : ١٥١ / ١٥٢ ، خفاجي : ٢١٩ / ٢٢٠ ، شاكر : ١٩٥ - ١٩٦ .

وَلَيْسَ عَلَى اللَّـهِ بِمُسْتَنْكَرٍ ∴ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ (١)

وذكر الحصري القيرواني في زهر الآداب أن أبا نواس نظر في معنى البيت إلى قول جرير :

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ ∴ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غِضَابَا (٢)

وذكر ابن الأثير في المثل السائر في باب " السلخ " في الضرب السادس منه " وهو أن يُؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر " - أن هذا البيت - بيت الشاهد - قد لهج به الناس لهجاً كثيراً ، وظنّه بعضهم من مبتدعات أبي نواس حتى قيل أن أبا تمام دخل على ابن أبي دؤاد ، فقال له : أحسبك عاتباً ياأبا تمام فقال : إنّما يُعتب على واحد ، وأنت الناس جميعاً ، فكيف نعتب عليك ، فقال : من أين هذه اللفظة ياأبا تمام قال من قول الحاذق أبي نواس ، وأنشده البيت .

ورد ابن الأثير هذه الرواية ؛ لأن أبا تمام رجل عالم بالشعر ، ولا يخفى عليه أن هذا المعنى ليس لأبي نواس ، وإنّما هو مأخوذ من قول جرير إلّا أنه أبلغ منه ؛ لأن أبا نواس زاد زيادة حسنة ، وذلك أن جريراً جعل الناس كلهم بني تميم ، وأبا نواس جعل العالم كله في واحد ، وذلك أبلغ . (٣)

واستشهد ابن أبي الإصبع ببيت الشاهد في " باب حصر الجزئي وإلحاقه بالكلي " . قال :

" وألحق داره بالدنيا التي هي كل بالنسبة إلى داره ، وألحق يوم القيامة بالدهر الذي هو كل بالنسبة إلى ذلك اليوم ، ولم أسمع في هذا الباب بمثل هذا البيت ". (٤)

---

(١) خاص الخاص : ١١١ .

(٢) ديوان جرير : ٧٨ ، انظر: زهر الآداب : ٤ / ١٠٣٥ .

(٣) المثل السائر : ٣ / ٢٥٢ .

(٤) بديع القرآن : ٣١٨ .

وقد جاء في معنى البيتين قول المتنبي (من الكامل) :

نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الحِسَابِ مُقَدَّمًا .·. وَأَتَى فَذَلِكَ إِذَا أَتَيْتَ مُؤَخَّرَا (١)

وقوله أيضا (من الطويل) :

قَضَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدْتَ بِفِعْلِهِ .·. وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِّعَتْ وَاحِدٌ فَرْدُ (٢)

وقد ضمن القيراطي (٣) بيت أبي نواس فقال يهجو (من السريع) :

تَجَمَّعَتْ مِنْ نُطَفٍ ذَاتُهُ .·. حَتَّى بَدَا فِي قَالَبٍ فَاسِدِ

لَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ .·. أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ (٤)

الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائة : (*) (الوافر)

وَأَنَّكَ لَا تَجُودُ عَلَى جَوَادٍ .·. هِبَاتُكَ أَنْ يُلَقَّبَ بِالْجَوَادِ (٥)

والبيت مذكور في الدلائل من غير نسبة ، وهو للمتنبي من قصيدته في مدح

---

(١) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ١٧١ .

(٢) المرجع السابق : ١ / ٣٨١ ، ورواية الديوان :

قَضَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدْتَ بِفَضْلِهِمْ .·. وَأَلْفٌ إِذَا مَا جُمِّعَتْ وَاحِدٌ فَرْدُ

(٣) هو إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عسكر الطائي ، برهان الدين القيراطي (٧٢٦ هـ - ٧٨١ هـ) شاعر من أعيان القاهرة اشتغل بالفقه والأدب وجاور بمكة ، فتوفي فيها ، له ديوان شعر سماه "مطلع النيرين" ، ومجموع أدبه اسمه "الوشاح المفصل" / انظر ترجمته : شذرات الذهب : ٦ / ٢٦٩-٢٧٠ ، الدرر الكامنة : ١ / ٣١ ، طبقات الشافعية : ٦ / ٤٦-٨٢ .

(٤) معاهد التنصيص : ٤ / ٨٢ .

(*) (٤) الدلائل ، رضا : ١٥٣ ، خفاجي : ٢٢١ ، شاكر : ١٩٨ .

(٥) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٣٥٩ ، العرف الطيب : ١ / ١٤٨ .

علي بن إبراهيم التنوخي (١) ، ومطلعها :

أَحَادٌ أَمْ سُدَاسٌ فِي أُحَادِ .·. لُيَيْلَتُنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِ (٢)

وقبل بيت الشاهد :

تَلُومُكَ يَا عَلِيُّ لِغَيْرِ ذَنْبٍ .·. لِأَنَّكَ قَدْ زَرَيْتَ عَلَى الْعِبَادِ

وبعده البيت وبعده :

كَأَنَّ سَخَاءَكَ الإِسْلَامُ تَخْشَى .·. إِذَا مَا حُلْتَ عَاقِبَةَ ارْتِدَادِ (٣)

ساق الشيخ البيت للتنظير على أن معنى اللام في " أنت الشجاع " هو نفس معنى بيت الشاهد الدال على التفرد بالشيء ونفيه عن غيره ، فمعنى البيت أن الممدوح قد جاد وانفرد بالجود حتى أصبح كل من عداه من الكرام بخلاء ، ومنع لكثرة جوده أن يستحق اسم الجود أحد غيره .

قال العكبري :-

" يقول هباتك تصل إلى كل أحد ، غير أنها لا تجود على أحد باسم الجواد ؛ لأنه لا يستحق هذا الاسم غيرك مع ما يرى من جودك وزيادتك عليه ، فإنك

---

(١) علي بن إبراهيم التنوخي : كان يقيم بالشام في مدينة اللاذقية ، وعليه نزل المتنبي حين نزل الشام ، ومدحه بقصائد عديدة ، وهو الذي أشار على المتنبي أن يذهب إلى طبرية ، ويمدح بها رجلاً من العلويين ، فذهب المتنبي ومدحه مرغماً ، ولم يظفر منه بطائل ، فعاد إلى علي من فوره ./ انظر :-
المتنبي ، محمود شاكر : ١ / ٩٠ - ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٣ - ١٣٥ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٣٥٣ ، العرف الطيب : ١ / ١٤٦ .

(٣) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٣٥٩ ، العرف الطيب : ١ / ١٤٨ ، ١٤٩ .

تستحق أن يقال لك الجواد لا لغيرك ، فأنت مستحق بهذا الاسم دون غيرك " (١) .

وكذلك معنى " أنت الشجاع " أي أنت المنفرد بحقيقة الشجاعة ، وقد أوتيت فيها مزية وخاصية لم يؤتها أحد حتى صار الذي كان يعده الناس شجاعة غير شجاعة ، فالمعنى هناك ليس كالمعنى في " أنك كأنك جميع الشجعان " وعلى حد " أنت الخلق كلهم " - وهو المعنى الدال على الاستغراق - ، لأن المعنى هنا على ادعاء أن له جميع المعاني الشريفة المتفرقة في الناس من غير أن تبطل تلك المعاني وتنفيها عن الناس بل أن تدّعي له أمثالها . (٢)

فلام الجنس تفيد القصر ، وهو إثبات أمر لأمر ، ونفيه عمن عداه . أما اللام الدالة على الاستغراق ، فتفيد إثبات أمر لأمر دون نفيه عمن عداه بل بادّعاء المثلي .

قال الشيخ قبل ذكر الشاهد :

" ... وأما في نحو " أنت الشجاع " فإنك تدّعي له أنه قد انفرد بحقيقة الشجاعة ، وأنه قد أُوتيَ فيها مَزِيَّةً وخاصّيَّة لم يؤتها أحدٌ حتى صار الذي كان يعدّه النّاس شجاعةً غيرَ شجاعةٍ ، وحتى كأنّ كلّ إقدام إحجامٌ ، وكُلّ قوةٍ عُرفت في الحرب ضعفٌ ، وعلى ذلك قالوا : جادَ حتى بَخّلَ كلّ جَوادٍ ، وحتى منع أن يستحق اسم الجواد أحد ، كما قال :

وأَنّكَ لا تَجُودُ عَلَى جَـوَادٍ ∴ هِبَاتُكَ أَنْ يُلَقَّبَ بِالجَوَادِ " (٣) .

الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائة : (*) (البسيط)

أَعْطَيْتَ حَتّى تَرَكْتَ الرِّيحَ حَاسِرَةً ∴ وَجُدْتَ حَتّى كَأَنَّ الغَيْثَ لَمْ يَجُدِ (٤)

---

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٣٥ .
(٢) الدلائل ، رضا : ١٥٣ ، خفاجي : ٢٢٠ ، ٢٢١ ، شاكر : ١٩٧-١٩٨ .
(٣) الدلائل ، رضا : ١٥٣ ، خفاجي : ٢٢١ ، شاكر : ١٩٨ .
(*) الدلائل ، رضا : ١٥٣ ، خفاجي : ٢٢١ ، شاكر : ١٩٨ .
(٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في : ديوان البحتري : ١ / ٣٣ .

أورده الشيخ من غير عزو، وهو للبحتري من قصيدة في مدح أبي نهشل محمد ابن حميد الطوسي . (١)

ومطلع القصيدة :

إنّي تَرَكْتُ الصِّبَا عَمْداً وَلَمْ أكَدِ ∴ مِنْ غَيْرِ شَيْبٍ وَلَا عَذْلٍ وَلَا فَنَدِ (٢) (٣)

وقبل بيت الشاهد :

مُحَمَّدُ بنُ حُمَيدٍ أيُّ مَكْرُمَةٍ ∴ لَمْ تَحْوِهَا بِيَدٍ بَيْضَاءَ بَعْدَ يَدِ

شَمَائِلٌ مِنْ حُمَيْدٍ فِيكَ بَيِّنَةٌ ∴ لَهَا نَسِيمُ رِياضِ الحَزْنِ فَالْجَنَدِ (٤)

تَبَسُّمٌ وَقُطُوبٌ فِي نَدًى وَوَغًى ∴ كَالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ وَسْطَ العَارِضِ البَرِدِ (٥)

وبعدها بيت الشاهد وهو آخر بيت في القصيدة .

---

(١) هو محمد بن حميد الطاهري الطوسي (٠٠ - ٢١٤ هـ) وال من قوّاد جيش المأمون العباسي ولّاه فقاتل : " زريق " و " بابك الخرمي " الثائرين سنة " ٢١١ هـ " ، واستعمله على الموصل ، فقاتل زريقاً حتى استسلم فسيره إلى المأمون ، واستخلف على الموصل محمد بن السيد بن أنس ، وكان محمد الطوسي شجاعاً ممدوحاً جواداً رثاه الشعراء وأكثروا ، وعظم مقتله على المأمون / انظر ترجمته :-
الكامل لابن الأثير : ٥ / ٢١٧ - ٢١٨ ، الوافي بالوفيات : ٤ / ٤٧ ، الأعلام : ٦ / ١١٠ .

(٢) الفَنَدُ : الخَرَفُ وإنكار العقل من الهَرَم أو المرض ، وقد يستعمل في غير الكبر ، وأصله في الكبر . / اللسان : " فند " : ٣ / ٣٣٨ .

(٣) ديوان البحتري : ١ / ٣٣ .

(٤) الحزن والجَنَد : الأرض الغليظة ./ اللسان " جند " : ٣ / ١٣٢ .

(٥) العارض البرد : سحاب كالجَمد ، سمي بذلك لشدة برده وسحاب برد وأبرد ذو قر وبرد / اللسان " برد " : ٣ / ٨٤ .

والشاهد فيه كسابقه حيث ساقــه الشيخ للتنظير بأن معنى " أنت الشجاع " هو نفس معنى بيت الشاهد الدّال على التفرد ونفي هذا التفرد عن غيره .

فمعنى البيت " أن الممدوح قد جاد حتّى أصبح لا يُعرف لأحد جود غـــيرَه ، وحتى كأن الواصفين الغيث بالجود قد كذبوا في وصفه ، فلا جود إلاّ جود الممدوح ، وما عداه ليس بجود .

قال الشـيخ :-

" . . . وكما يقال : جاد حتى كَأَنَّ لم يعرف لأحد جود ، وحتى كأن قـــد كذب الواصفون الغيث بالجود ، كما قال :

أَعْطَيْتَ حَتَّى تَرَكْتَ الرِّيْحَ حَاسِـرَةً .·. وَجُدْتَ حَتَّى كَأَنَّ الغَيْثَ لَمْ يَجُدِ " (١)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٥٣ ، خفاجي : ٢٢١ ، شاكر : ١٩٨ .

الفَصْل السَابع

شواهد الفروق في الحال

لعل الشيخ عبد القاهر جعل هذا الفصل وسطاً بين فصل " فروق في الخبر " وبين فصل " الفصل والوصل " لتعلقه بكل منهما .

فهو يتعلق بـ" فروق في الخبر "؛ لأن الشيخ يعتبر الحال خبراً في الأصل .

وهو يتعلق بـ" الفصل والوصل " من جهة أنه لما كان باب الفصل والوصل هو مخ البلاغة ، والكلام فيه على الواو العاطفة ، ولما كانت واو الحال هي في الأصل واو العطف جاء التعلق من هذه الناحية ، وكان ذكر هذا الفصل تمهيداً لتلك الواو وليُعلم الفرق بينهما ، وخاصة أن الجملة الحالية تارة تجيء بالواو ، وأخرى بغيرها ، فكان لابد أن نتعرف على هذه الأحوال المفارقة ، والسر في هذه المفارقة ، وأثرها على المعنى .

* الفـــروق في الحـــال *

الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائة :- (*) (الطويل)

قول بشـــار :

إذا أنْكَرَتْنِي بَلْدَةٌ أو نَكِرْتُهَـــا ∴ خَرَجْتُ (١) مَعَ البَازِي (٢) عَلَيَّ سَـوَادُ (٣)

وهو من قصيدة قالها في خالد بن جبلة بن عبد الرحمن الباهلي (٤)، ويُروَى أنه قالها في خالد بن برمك (٥)، ومطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ١٥٧، خفاجي : ٢٢٥، شـاكر: ٢٠٣.

(١) رواية الديوان : " نهضت مع البازي ".

(٢) البازي : الصقر وهو أبكر الطيور خروجاً. / انظر :
الحيوان : ١/ ١٣، ٢/ ٥٤، ٢/ ١٨٧، ٣/ ١٨٠، ٤/ ٤٧، حياة الحيوان الكبرى: ١/ ١٥٢-١٥٧.

(٣) لم أجده فيما أطلعت عليه من مصادر إلّا في :-
ديوانه " تحقيق الطاهر بن عاشور " : ٣/ ٥٠، الأغاني: ٣/ ٢٠٣ ، الإيضاح : ١ / ٢٧٦ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٤٧ أ ، شروح التلخيص : ٣ / ١٥٤ ، خزانة الأدب - دار صادر - : ١/ ٥٤٠ ، معاهد التنصيص : ١/ ٢٨٧ رقم "٥٥" ، القول الجيد : ٢٦٣.

(٤) وخالد هذا هو ابن أخ مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم الباهلي الـــذي كان من جملة الثائرين على العباسيين في البلخ وترمذ أيام تمخض الدعوة العباسية في سنة (١٣٠ هـ) في آخر الدولة الأموية ، ويبدو أن بشـــاراً رحل إلى الممدوح ببلدة غير البصرة . / نقلا عن : تحقيق الديـــوان - لمحمد بن طاهر بن عاشور - : ٣ / ٥٠.

(٥) ذكر أبو فرج الأصفهاني أنها قيلت في خالد بن بَرْمَك وفد عليه بهـــا ، وهو ببلاد فارس ، فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكيـــاس فوضع واحداً عن يمينه ، وواحداً عن شماله ، وآخر بين يديه ، وآخـــر خلفَه ، وقال : يا أبا معاذ هل استقلّ العماد ؟ فلمس الأكياس، ثم قال : استقل والله أيها الأمير .

ورأى الطاهر بن عاشور محقق ديوان بشار أن ما جاء في كتاب الأغانـــي =====

أَخَالِدُ لَمْ أَخْبِطْ (١) إِلَيْكَ بِنِعْمَةٍ (٢) ∴ سِوَى أَنَّنِي عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ (٣)

وقبل بيت الشاهد :

فَإِنْ تُعْطِنِي أُفْرِغْ إِلَيْكَ مَحَامِدِي ∴ وَإِنْ تَأْبَ لاَ يُضْرَبْ عَلَيْكَ سِدَادُ

رِكَابِي عَلَى حَرْفٍ وَقَلْبِي مُشَيَّعٌ ∴ وَغَيْرُ بِلاَدِ البَاخِلِينَ بِلاَدُ

وبعد هما البيت وبعده :

أَخَالِدُ بَيْنَ الأَجْرِ وَالحَمْدِ حَاجَتِي ∴ فَأَيُّهُمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ (٤)

==== أصح ما جاء في الديوان .

وكذلك ذكر صاحب خزانة الأدب، ومعاهد التنصيص أنها قيلت في خالد بن برمك .

وخالد بن برمك هو : ابن جاماس بن يشتاسف أبو البرامكة وأول من تمكن منهم في دولة بني العباس (٩٠ هـ - ١٦٣ هـ) ، كان برمك من مجوس بلخ ، وكان خالد سخياً ثريا عاقلاً فيه نبل لم يبلغ أحد من أولاده مابلغه جوداً وحكمة وعلماً ونزاهةً وبأساً وفصاحة .

تقلب في مناصب عديدة في دولة بني العباس ، فحل من السفاح محل الوزير، وبعد وفاة السفاح أقره المنصور نحو سنة، ثم صرفه عن الديوان وقلده بلاد فارس ثم عزله ونكبه ثم رضي عنه وأمَّره على الموصل ، ولمَّا ولي المهدي أعاده إلى إمارة فارس ووجهه مع ابنه هارون الرشيد في صائفة سنة ١٦٣ هـ ومات بعدها. / انظر ترجمته :

الكامل لابن الأثير: ٥ / ٤١ ، وفيات الأعيان : ١ / ٣٣٢ ، خزانة البغدادي : ١ / ٥٤٢ ، الأعلام : ٢ / ٢٩٥ .

(١) لم أخبط : الخَبْطُ طلب المعروف والعطاء ، وهو مستعار من خبط الشجر لأخذ ورقه./ اللسان " خبط " : ٢٨٠ - ٢٨٣ .

(٢) رواية خزانة الأدب للبغدادي : " لم أهبط " .

(٣) رواية الأغاني والخزانة : " بذمة " .

(٤) الديوان : ٣ / ٥١ .

وموضع الشاهد قوله : " عَلَيَّ سَوَادُ "

والشاهد فيه خلو جملة الحال من " الواو " لكون الخبر " عَلَيَّ " ظرفاً مقدماً عليها ، لأنه بتقدم الظرف صار المبتدأ بعده كالفاعل ، فأشبهت الجملة الفعلية ، فصارت جملة " عَلَيَّ سَوَادُ " كأنها فعلية . قال :

" فإن كان الخبر في الجملة من المبتدأ والخبر ظرفاً ، ثم كان قد قُدِّم المبتدأ كقولنا " عليه سيف " أو " في يده سوط " كَثُر فيها أن تجيء بغير " واو " .

فالشيخ يرى أن الوجه فيما كان مثل قول بشار هذا ، أن يؤخذ فيه بمذهب أبي الحسن الأخفش ، وهو رفع " سواد " بالظرف دون الابتداء لما يحمله الظرف من معنى الفعل ، وأن يجعل الظرف في تقدير اسم فاعل لا فعل بأن يكون المعنى " خرجت كائناً عَلَيَّ سَوَادُ ، وباقياً عَلَيَّ سَوَادُ " ولا يقدر " يكون عَلَيَّ سَوَادُ ، ويبقى عَلَيَّ سَوَادُ " إلَّا أن يُقَدَّر فعلاً ماضياً مع " قد " كأن يقال : " خرجت مع البازي قد بقي عَلَيَّ سَوَادُ ، ولكن الرأي الأول أظهر .

قال الشيخ :

" واعلم أن الوجه فيما كان مثل قول بشار :

" خَرَجْتُ مَعَ البَازِي عَلَيَّ سَوَادُ "

أن يؤخذ فيه بمذهب أبي الحسن الأخفش ، فيرفع " سوادُ " بالظرف دون الابتداء ، ويجري الظرف ههنا مجراه إذا جرت الجملة صفة على النكرة نحو : " مررتُ بِرَجُلٍ مَعَهُ صَقْرٌ صائداً به غداً " ، وذلك أنَّ صاحب الكتاب يوافق أبا الحسن في هذا الموضع فيرفع " صقراً " بما في " معه " من معنى الفعل ، فلذلك يجوز أن يُجْرَى الحالُ مُجْرَى الصِّفَة ، فيُرْفَعُ الظاهر بالظرف إذا هو جاء حالاً ، فيكون ارتفاع " سواد " بما في " عَلَيَّ " من معنى الفعل لا بالابتداء . ثم ينبغي أن يُقَدَّر ههنا خصوصاً أنَّ الظرف في تقدير اسم فاعل لا فعل ، أعني أن يكون المعنى : " خَرَجْتُ كَائِناً عَلَيَّ سَوَادُ ،

وَبَاقِياً عَلَيَّ سَوَادُ ، ولا يقدر : " يَكُونَ عَلَيَّ سَوَادُ " ، و" يَبْقَى عَلَيَّ سَــوَادُ " ، اللهم إِلَّا أن تقدر فيه فعلاً ماضياً مع " قد " كقولك : " خَرَجْتُ مَعَ البَــازِي قَدْ بَقِيَ عَلَيَّ سَوَادُ " والأول أظهر " (١) .

وربما كان السر والغرض من حذف الواو هنا أنَّ الشاعر قصد جعل فعل الخروج ووقته في آن واحد ، وهذا دليل على شـدة إسراعه وبكوره ، ودليل على اقتداره ، وأنه لا يعجزه شيء عن الارتحال ، وبتقدم الظرف، وحذف الواو أشبهت الجملــة الفعلية ، فدلّ أنَّ فعل الخروج هذا فعل متجدد منه في كل حال لا توافقه ، وفـي كل مكان يشعر فيه بالنبو ، ولو أنه قال : " خرجت مع البازي وَعَلَيَّ سَوَادُ " لشعرت النفس أن بين الفعل والزمن مهلة وتراخياً ، وكأن هناك تردداً من الشاعر، وهــذا خلاف مراده .

والمعنى إذا لم يعرف قدري أهل بلدة أو أنكرتها ، ولم أجدهم عارفين لقـدري خرجت من عندهم ، وفارقتهم مبكراً ، مصاحباً البازي وسواد الليل ، ولم أنتظــر إسفار الصبح ، وفي هذا وصف لنفسه بالقوة والاقتدار حيث لا يعجزه الارتحــال عن مكان ينبو به ، ولا يوافقه (٢) ، وقد أخذ الأبيوردي هذا المعنى وزاد عليه فـي قـوله :-

وَتِلْكَ رِكَابِي إِنْ غَرِضْنَ (٣) بِبَلْدَةٍ ∴ بَكَرْنَ وَلَمْ تَشْعُرْ بِسَيْرِي بُزَاتُهَا (٤) (٥)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٦٩ ، خفاجي : ٢٣٨ ، شاكر : ٢١٩-٢٢٠ .

(٢) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤٧ أ . المصدر السابق - النسخــة الأزهرية - الشاهد رقم (١٨٠) .

(٣) غَرِضْن : الغَرَضُ : الضجر والملال . / اللسان : " غرض " : ٧/ ١٩٤ .

(٤) بُزَاتُهَا : جمع بازي . / اللسان " بزا " : ١٤ / ٧٢ .

(٥) ديوانه : ١ / ٢٨٥ .

وقد برع الشاعر في استخدام اللغة وتشكيلها بحسب المعاني النفسية التي تدور في صدره ، فاستعمل أداة الشرط " إذا " والتي تستعمل في الأحوال الكثيرة الوقوع . وجعل فعل الشرط مركبا من المجاز العقلي " أنكرتني بلدة " وعطف عليه مجازاً عقلياً آخر . كل ذلك ليبرز قوته واقتداره فاستعماله لإذا الشرطية دل على أن تكرار الإنكار له لا يفت من عزمه .

والمجاز العقلي الأول : " أنكرتني بلدة " دل على العموم والاستغراق، فلو أنّ كل فردٍ في البلدة أنكره لم ينقص ذلك من قدره شيئاً والمجاز الثاني " نكرتُها " دل على اقتداره وقوته في مواجهة كل فرد في البلدة .

وآثر الكناية على التصريح في قوله : " عَلَيَّ سَوَادُ " وقدّم المسند على المسند إليه ليوحي للنفس بعموم السواد وشموله وإحاطته بجميع الكون .

وَقَدَّمَ الجار والمجرور " مع البازي " على الجملة الاسمية " عَلَيَّ سَوَادُ " ليصف سرعة مفارقته لتلك البلدة .

الشاهد السادس والثلاثون بعد المائة :(*) (البسيط)

قول أُمَيَّةَ (١) :

(*) الدلائل ، رضا : ١٥٧ ، خفاجي : ٢٢٦ ، شاكر : ٢٠٣ .

(١) هو أمية بن عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن أبي الصلت، وأم أمية رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وكان أمية أشعر بني ثقيف ، وقد نظر في الكُتب وقرأها ، ولبس المُسوح تعبداً، وكان ممن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفية ، وَحَرَّمَ الخمر ، وشَكَّ في الأوثان ، وكان يطمع في النبوة فقد قرأ في الكتب أن نبياً يُبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكونه ، فلما بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم كان من أعدائه ، وكان يحرض قريشاً بعد وقعة بدر، ورثى من قُتِل فيها .
ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة ، كان له من الولد أربعة : عمرو، وربيعة ، ووهب ، والقاسم ، وكان القاسم شاعراً. / انظر ترجمته : =====

فَاشْــرَبْ هَنِيئاً عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقاً (١) .·. فِي رَأْسِ غُمْدَانَ (٢) دَاراً مِنْكَ مِحْلَالَا (٣)

والبيت من قصيدة (٤) في مدح سيف بن ذي يزن (٥) ملك اليمن، لمّا استنجد بكسرى، وأخرج الحبشة من جزيرة العرب، ومطلع القصيدة :

=== الأغاني : ٤ / ١٢٠ - ١٣٣، الموشح : ٧٠، جمهرة أنساب العرب : ٢٦٩، سمط اللآلي : ١ / ٣٦٢، تهذيب ابن عساكر : ٣ / ١١٨، خزانة البغدادي - دار صادر - : ١ / ١١٩ - ١٢٢، الأعلام : ٢ / ٢٣.

(١) رواية الديوان، وشرح أبيات الإيضاح : " مرتفعا ".
ومرتفقا معناها : متكئاً على مرفقك، فوصفه بالحالة التي يكون عليها الممدوحون أو بعضهم حال الإنشاد. / اللسان " رفق " : ١٠ / ١١٩.
ورواية الطبري : " متكئاً ".

(٢) غمدان : قصر في اليمن يُعتبَر من أعاجيب الفنون ونادر الأبيات / معجم البلدان : ٤ / ٢١٠.

(٣) انظر البيت في :
ديوانه : ٦٦، حماسة البحتري : ١٦، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢٦١، الكامل للمبرد : - دار الفكر - : ٢ / ٢١، تاريخ الطبري : ٢ / ١٤٧، الأغاني : ١٧ / ٣١٣، العقد الفريد : - دار الكتب العلمية : ١ / ٢٩٠، أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ٢ / ١٩٢، اللسان " رفق " : ١٠ / ١١٩، الإيضاح : ١ / ٢٧٧، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٤٧، شروح التلخيص : ٣ / ١٥٤، القول الجيد : ٢٦٤.

(٤) روى الطبري وابن سلام، وابن عبد ربه، القصيدة لوالد أُمَيَّة بن أبي الصلت " عبد الله ".

(٥) هو سيف بن ذي يزن بن أصبح بن مالك الحميري، من ملوك العرب اليمانيين، ودُهاتهم، قيل اسمه معدي كرب، ولد ونشأ بصنعاء، وكان الحبشة قد ملكوا اليمن، وقتلوا أكثر ملوكها من آل حمير، فاستنجد سيف بقيصر ملك الروم فخذله، ثم استنجد بكسرى ملك الروم فنصره، فألحقت اليمن ببلاد الفرس على أن يكون ملكها والمتصرف في شؤونها سيف بن ذي يزن، واتخذ سيف " غمدان " قصراً له، ومكث في الملك خمس وعشرين سنة حتى أئتمر به بقايا الأحباش، فقتلوه بصنعاء، وهو آخر من ملك اليمن من قحطان. / انظر ترجمته : ======

لِيَطْلُبَ الثَّأْرَ(١) أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزَنٍ ∴ فِي البَحْرِ(٢) خَيَّمَ لِلأَعْدَاءِ أَحْـــوَالا

وقبل بيت الشاهد :

أَرْسَلْتَ أُسْداً عَلَى سُودِ الكِلَابِ(٣) فَقَدْ ∴ أَضْحَى شَرِيدُهُمُ فِي الأَرْضِ فُلَّالا (٤)

وبعد بيت الشاهد :

وَاطلِ(٥) بِالمِسْكِ إِذْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ ∴ وَأَسْبِلِ اليَوْمَ فِي(٦) بُرْدَيْكَ إِسْبَالا

تِلْكَ المَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ مِنْ لَـــبَنٍ ∴ شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالا (٧)

=== طبقات فحول الشعراء : ١/ ٢١٦ ، مروج الذهب : ٢/ ٨٠-٨٥ ، الكامـــل لابن الأثير : ١/ ٢٦٣-٢٦٥ ، نهاية الأرب : ١٥/ ٣٠٩ .

(١) رواية الحماسة : " لِيَطْلُبَ الوِتْرَ " .

(٢) رواية الحماسة : " خَيَّمَ فِي البَحْرِ " .

(٣) أراد الأحباش .

(٤) فُلَّالا : منهزمون . فَلَّ القوم يُفَلُّهم فَلًّا : هزمهم فانفَلُّوا وتَفَلَّلـــوا . / اللسان " فلل " : ١١ / ٥٣٠ .

(٥) رواية الحماسة : " واخطم " ، ورواية فحول الشعراء : " واضطم " ، وعلّق المحقق - شـــاكر - على هذه الرواية بقوله : واضطم فعـــل أمر من اضطمخ بالمسك ، وتضمخ : تلطخ به وتطيب فلما سكنت الخاء طرحها ، والعرب تحذف من كلامها الحرف والحرفـــين . / انظر هامش طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢٦٠ ، لسان العـــرب : " ضمخ " : ٣ / ٣٦ ، ورواية الأغاني : " فَالْتَـــطْ " .

(٦) ورواية الحماسة : " من برديك " .

(٧) انظر الأبيات في :-

ديوانه : ٦٥ - ٦٦ ، الحماسة للبحتري : ١٦ ، العقد الفريـــد : ١ / ٢٩٠ ، الأغاني : ١٧ / ٣١٢ - ٣١٣ .

وموضع الشاهد قوله : " عَلَيكَ التَّاجُ مُرْتَفِعًا " .

والشاهد فيه كسابقه حيث جاءت جملة الحال خالية من " واو " الحـال ، لتقدم الخبر على المبتدأ ، فأشبهت الفعلية ، فَقُدِّم الجار والمجرور " عَلَيْـك " على المبتدأ " التاج " .

وربما حَسَّنَ حذف الواو هنا ، وخلو الجملة منها ؛ لأن الشاعر أراد أن يثبت لممدوحه السلطة والقوة الدائمة ، فلا أحد يتجرأ على منازعته إياها ، لذا فهـو دائما يُرى هانئاً مسروراً ، فحذف " الواو " ليجعل حالة شربه كؤوس السـرور وحالة ارتفاع التاج عليه حالة واحدة مستمرة ، فهو دائماً يُرى على هذه الصورة .

أضف إلى ذلك أنه لو عُرِض قوله : " عَلَيكَ التَّاجُ مُرْتَفِعًا " على النفس تارة بالواو ، وتارة من غير الواو ، فهي بلا شك شاعرة أن هناك فرقاً في المعنى ، وإن لـم تهتدِ إلى كنهه .

ومعنى الشاهد : اشرب كأس السرور ، واخرج هنيئاً مريئاً عليك تاج الملـك والرياسة مرتفعاً دائماً ، وعلى رواية ، مرتفقًا " يحمل المعنى على الكناية عـن الراحة والدّعة أي متكئاً على سرير الملك في رأس قصر غمدان وغرفاته ، فهـي دار معمورة بوجودك الدائم فيها .

الشاهد السابع والثلاثون بعد المائة : (*) (الطويل)

قول الآخـر :

لَقَدْ صَبَرَتْ لِلذُّلِّ أَعْوَادُ مِنْـبَرٍ .·. تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيكَ قَضِـيبُ (١)

(*) الدلائل ، رضا : ١٥٧ ، خفاجي : ٢٢٦ ، شـاكر : ٢٠٣ .

(١) لم أعثر على الأبيات فيما رجعت إليه من مصادر إلا في :-
البيان والتبيين : ١ / ٢٩٢ ، ٢ / ٣١٣ ، ٣ / ٧٨ ، الإيضـاح : ١ / ٢٧٧ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٤٧ أ ، القول الجيد : ٢٦٣ .

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو لواثلة - وقيل واثلة - آبن خليفة السدوسي(١) ، في هجاء عبد الملك بن المهلب بن أبي صفرة(٢) .

وبعد البيت :

بَكى المِنْبَرُ الغَرْبيُّ إِذْ قُمتَ فَوْقَهُ .·. وَكادَتْ مَسامِيرُ الحَدِيدِ تَذُوبُ

رَأَيتُكَ لَمَّا شِبْتَ أَدْرَكَكَ الَّذِي .·. يُصِيبُ سَرَاةَ الأَسْدِ حِينَ تَشِيبُ

سَفَاهَةُ أَحْلَامٍ وَبُخلٌ بِنَائِلٍ .·. وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ المَزُونَ عُيُوبُ (٣)

موضع الشاهد قوله : " فِي يَدَيكَ قَضِيبُ " .

والشاهد فيه كسابقه حيث جاءت جملة الحال خالية من الواو ، فعند الشيخ أنه إن كان الخبر ظرفاً مقدماً على المبتدأ أكثرُ أن تجيء الجملة من غير واو ، ورأى أن الواو في الشواهد الثلاثة غير محتملة . قال بعد أن ذكر الأبيات السابقة .

" . . . كل ذلك في موضع الحال ، وليس فيه " واو " كما ترى ولا هو مُحتمل لها إذا نَظَرْت " (٤) .

أراد الشاعر أن يُوسع عبد الملك بن المهلب هجاء مرّاً ، فأثبت أن استمراره في الوقوف على المنابر لم يكن لحسن بيانه ، وتفتح الأذهان لمقاله ، بل ما صبرها عليه إلّا لاستعماله القوة والقسر والجبر ، فهو في حالة وقوفه دائم الملازمة للقضيب ، وكأنّ هذا القضيب جزء من أجزائه ، وعضو من أعضائه ، وجاء معنى الملازمة هذا

---

(١) ذكر محقق البيان والتبيين أنه ورد في إحدى مخطوطات الكتاب : " واثلة ابن الأسقع السدوسي . وعقب على ذلك بأن كلمة " الأسقع " مقحمة .
وواثلة بن الأسقع صحابي جليل كان من أهل الصفّة ، توفي سنة (٨٣ هـ) في خلافة عبد الملك بن مروان . /انظر ترجمته :
تهذيب التهذيب : ١١ / ١٠١ ، الإصابة : ٣ / ٥٨٩ ، رقم (٩٠٨٩) ولم أجد ترجمة لواثلة بن خليفة السدوسي .

(٢) كان عبد الملك من شجعان العرب وأشرافهم خرج على بني مروان مع أخيه يزيد ، وشهد الوقائع في العراق ، فقتل أخوه وتفرقت جموعهما ، ثم قتل مع أخيه المفضل على أبواب قندابيل بالسند . /انظر ترجمته : الأعلام : ٤ / ١٦٥ .

(٣) البيان والتبيين : ٢ / ٣١٤ .

(٤) الدلائل ، رضا : ١٥٨ ، خفاجي : ٢٢٦ ، شاكر : ٢٠٣ .

من حذف واو الحال حيث جعل الوقوف ، وحمل القضيب ، وكأنهما حالة واحدة ، وفعل واحد .

ولو أنه قال : " وفي يديك قضيب " بالواو ، لشعرت النفس أن حمله القضيب أمر قد يطرأ عليه أحياناً ، ولشعرت بالفصل بين قيامه ، وبين حمله القضيب .

ومراد الشاعر أن يثبت له التلازم ؛ لتكون صفة الجبروت فيه أبين وألزم .

الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائة : (*) (الكامل)

نَصَفَ النَّهارَ (١) الماءُ غامِرُهُ .·. ورَفيقُهُ (٢) بالغَيبِ لا يَدْري (٣) (٤)

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وإنما أشار أنه من بيت الإصلاح .

وقائل (٥) البيت المسيَّب بن عَلَس ، (٦) وهو من قصيدة مطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ١٥٨ ، خفاجي : ٢٦٠ ، شاكر : ٢٠٣ .

(١) رواية شرح المفصل " النهارَ " بالنَّصب بإسناد الفعل نَصَفَ إلى الغائص أي " نصف هو النهار " .

(٢) رواية إصلاح المنطق ، وشعراء النصرانية : " وشريكه " .

(٣) رواية إصلاح المنطق ، وشعراء النصرانية : " وما يدري " .

(٤) لم أجد البيت إلاّ في :-
إصلاح المنطق : ٢٤١ ، أدب الكاتب : ٢٧٨ ، ديوان الأدب : ٢ / ١٢٢ ، الإفصاح : ١٢٢ ، شرح الأشموني : ١ / ٤٤٠ ، شرح المفصل : ٢ / ٦٥ ، المفتاح : ١١٩ ، المغني : ٢ / ٥٠٠ ، ٦٣٦ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - عند الشاهد رقم (١٧٩) ، خزانة الأدب للبغدادي - مكتبة الخانجي - : ٣ / ٢٣٣ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٨٧٨ ، شعراء النصرانية قبل الإسلام : ٣٥٦ .

(٥) نُسب البيت في خزانة الأدب للأعشى في مدح قيس بن معدي كرب ، وليس في ديوان الأعشى .

(٦) هو المسيَّب بن علس بن عمرو بن قُمامة واسم المسيَّب زُهير وانما سُمي المسيَّب حين أوْعَدَ بني عامر بن ذُهل ، فقالت بنو ضبيعة " قومه " قد سَيَّبْنَاك والقوم .

=======

أَصَرَمْتَ حَبْلَ الوِدِّ مِنْ فَـتَرٍ ∴ وَهَجَرْتَهَا وَرَضِيتَ بِالْهَجْـرِ (١)

والشاهد من أبيات في أول القصيدة يتغزل فيها بمحبوبته إلى أن شبهها بالدُرَّة ، ثم وصف تلك الدُرَّة كيف استُخْرِجَت من البحر فقال :

كَجُمَانَةِ البَحْرِيِّ جَاءَ بِهَـا ∴ غَوَّاصُهَـا مِنْ لُجَّـةِ البَحْـرِ

صُلبُ الفُؤادِ رَئِيسُ أَرْبَعَـةٍ ∴ مُتَخَالِفِي الأَلْوَانِ وَالنَّجْـرِ (٢)

فَتَنَازَعُوا حَتَّى إِذَا اجْتَمَعُـوا ∴ أَلْقَوا إِلَيهِ مَقَالِدَ الأَمْـرِ

وَعَلَتْ بِهِم سَجْحَاءُ خَادِمَـةٌ (٣) ∴ تَهْوِي بِهِمْ فِي لُجَّةِ البَحْـرِ

حَتَّى إِذَا مَا سَاءَ ظَنُّهُـمُ ∴ وَمَضَى بِهِمْ شَهْرٌ إِلَى شَـهْرِ

أَلْقَى مَرَاسِيَهُ بِتَهْلُكَـةٍ ∴ ثَبَتَتْ مَرَاسِيهَا فَمَا تَجْـرِي (٤)

وبعدها أبيات قبل الشاهد تصور بطولة هذا الغوَّاص ، وما قاساه في استخراج هذه الدرة ، وبعد الشاهد :

فَأَصَابَ مُنْيَتَـهُ فَجَاءَ بِهَـا ∴ صَدَفِيَّـةً كَمُضِيئَـةِ الجَمْـرِ

يُعْطَى بِهَا ثَمَنًا وَيَمْنَعُهَـا ∴ وَيَقُولُ صَاحِبُـهُ أَلَا تَشْـرِي (٥)

=== ذكره ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية ، وهو خال الأعشى ، وكان الأعشى راويته ، والمسيب من شعراء المفضليات / انظر ترجمته : المفضليات : ٦٠-٦٣ ، طبقات فحول الشعراء : ١/١٥٦-١٥٧ ، الموشح للمرزباني : ٤٧ ، ٧٠ ، خزانة الأدب للبغدادي :- مكتبة الخانجي -: ٣/٢٤٠-٢٤١ ، شرح شواهد المغني : ٢/٨٧٨ .

(١) شرح شواهد المغني : ٢ /٨٧٨ .

(٢) النَّجر والنِّجار والنَّجار : الأصل والحسب / اللسان : "نجر" ٥/١٩٣ .

(٣) السجحاء من الإبل ، التامة طولاً وعظماً / اللسان " سجح " : ٢ /٤٧٥ . فالشاعر هنا شبه السفينة في عظمها وطولها بالسجحاء من الإبل .

(٤) خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي - : ٣ / ٢٣٦ .

(٥) خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي - : ٣/٢٣٧ .

وموضع الشاهد قوله : " الماء غامره " .

والشاهد فيه وقوع الجملة الاسمية حالاً ، ولم تسبق بـ" واو " مع أن الأكثر في مثل هذا أن تأتي مسبوقة بـ" الواو " .

قال الشيخ عبد القاهر :

" وقد يجيء ترك " الواو " فيما ليس الخبرُ فيه كذلك ، ولكنه لا يكثر، فمن ذلك قولهم : " كلَّمْتُهُ فُوه إلى فِيَّ " و " رجع عَودُه على بَدْئِه " في قول من رَفع" (١)

ولعل حذف الواو هنا حسن للاختصار والإيجاز، فالحال التي يريد أن يصورها الشاعر حال تدعو إلى العجب والاستغراب ، فكونه في داخل البحر أمر يدعو إلى الخوف ، وكون النهار ينتصف ، وهو بداخله لا يعلم أحد خبره أمر يزيد الخوف والعجب ، فالنفس هنا مضطربة قلقة خائفة ، فأرادت أن تنقل مايدور بداخلها بسرعة فلجأت إلى الحذف .

وهذا البيت يستشهد به اللغويون على أن نَصَفَ هنا بمعنى " انتصف " ، فإنه يقال لكل شيء بلغ نصف غيره " قد نصف " بلا ألِف ، يقال : " قد نَصَفَ الإزَارُ ساقه " ينصُفُها ، وإذا بلغ الشيء نصف نفسه قيل " أنصف " بالألف ، يقال أنصَفَ النهارُ إذا بلغ نِصْفَهُ ، ويجوز نَصَفَ النهارُ ينصُفُ إذا انتصف (٢)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٥٨ ، خفاجي : ٢٢٦ ، شاكر : ٢٠٣ .

(٢) انظر :-

إصلاح المنطق : ٢٤١ ، أدب الكاتب : ٢٧٨ ، ديوان الأدب : ٢ / ١٢٢ ، وغيرها من كتب اللغة .

الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائة :- (*) (الطويل)

(١) (٢) (٣) (٤) (٥)

وَلَوْلَا جَنَانُ اللَّيْلِ مَاآبَ عَامِرٌ ∴ إِلى جَعْفَرٍ سِرْبَالُهُ لَمْ يُمَزَّقِ (٦)

والبيت ذكره الشيخ من غير نسبة ، وإنما ذكر أن أبا علي الفارسي أنشده في كتابه " الإغفال " (٧)

والبيت لسلامة بن جندل (٨)، وهو من قصيدة مطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ١٥٨، خفاجي : ٢٢٦، شاكر: ٢٠٤.

(١) رواية الديوان : " لولا سواد الليل " ، والجنان ظلمة الليل./اللسان ، " جنن " : ١٣ / ٩٢.

(٢) رواية العيني نقلاً عن الإغفال : " ماآل جعفر "

(٣) رواية العيني ـ نقلاً عن الإغفال : " إلى عامر " .

(٤) سِرْبَالُهُ : السِّرْبَال القميص أو الدرع / اللسان " سربل " : ١١/ ٣٣٥ .

(٥) رواية الديوان والعيني : " سِرْبَالُهُ لَمْ يُخَرَّقِ " .

(٦) انظر البيت في :-
ديوان سلامة بن جندل : ١٧٦ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة : ١/ ١٩٨، ١٩٩ ، الأصمعيات : ١٣٢ ، رقم (٤٢) ، شرح شواهد الألفية للعيني : ١ / ٤٣٦ ، شرح شواهد الأشموني : ١ / ٤٣٦ ، الإيضاح : ١/ ٢٧٥ ، شرح أبيات الإيضاح ـ فيض الله ـ : ٤٦أ ، لسان العرب : " جنن " : ١٣ / ٩٢.

(٧) الإغفال كتاب لأبي على " ٣٧٧هـ " جمع فيه مسائل نحوية تعقب فيها الزجاج .

(٨) هو سلامة بن جندل بن عمرو بن عبيد بن الحرث (... - ٢٣هـ) شاعر جاهلي كنيته أبو مالك ، كان من فرسان العرب المعدودين ، وأشدائهم المذكورين ، وكان من أشهر وصَّافي الخيل ، له أخ يدعى أحمر بن جندل ، وهو من الشعراء الفرسان أيضا ، جعل ابن سلَّام سلامة بن جندل في الطبقة السابعة من فحول الجاهلية . / انظر ترجمته :-
طبقات فحول الشعراء : ١ / ١٥٥ ، الشعر والشعراء : ١/ ٢٧٨ ، سمط اللآلي : ١/ ٤٤٩-٤٥٤ ، خزانة الأدب للبغدادي : ٢ / ٨٦ ، شعراء النصرانية : ٤٨٦-٤٩١ ، الأعلام : ٣ / ١٠٦.

لِمَنْ طَلَلٌ مِثْلَ الكِتَابِ المُنَمَّقِ .·. خَلَا عَهْدُهُ بَيْنَ الصُّلَيْبِ فَمُطْرِقِ

وقبل بيت الشاهد :

وَمَنْ يَدْعُوا فِينَا يُعَاشُ بِبِئْسَةٍ .·. وَمَنْ لَا يُغَالُوا بِالرَّغَائِبِ تُعْتَقِ

وَأُمُّ بَجِيرٍ (١) فِي تَمَارُسِ بَيْنَنَا .·. مَتَى تَأْتِهَا الأَنْبَاءُ تَخْمِشْ وَتَحْلِقِ

تَرَكْنَا بَجِيرًا حَيْثُ أَزْحَفَ جَدُّهُ .·. وَفِينَا فِرَاسٌ (٢) عَانِيًا غَيْرَ مُطْلَقِ

وبعد هذا البيت وبعده :

بِضَرْبٍ تَظَلُّ الطَّيْرُ فِيهِ جَوَانِحًا .·. وَطَعْنٍ كَأَفْوَاهِ المَزَادِ المُفَتَّقِ (٣)

وموضع الشاهد : " سرباله لم يمزق ".

والشاهد فيه أن ترك " الواو " هنا جائز غير أنه لا يكثر . فالجملة الاسمية إذا وقعت حالاً جاز فيها مجيء الواو ، وجاز فيها تركها إلَّا أن مجيء الواو أولى (٤) ولعله حذف الواو هنا للاختصار، وإبراز جوهر المعنى ، فالذي سر جعفراً هي رؤيته حالة عامر سالماً ، ولمَّا كانت هذه الحالة موجبة للسرور، وموجبة لمدح الليل ، وإظهار فضله ، فهي جوهر المعنى ذكرها مباشرة من غير واو.

والمعنى : أن لظلام اللَّيل وسواده فضلاً على جعفر ، فلولاه لما رجع عامر سالماً راضياً غير ممزق النفس ، فالسربال هنا مستعار للنفس ، وهذا

---

(١) بَجير هو ابن عبدالله بن سلمة الخير القشيري ، قتله في يوم المُروت قَعنبُ بن عتَّاب بن الحارث بن عمرو بن همَّام الرياحي ، وقيل قتله كرام ابن نخيلة التميمي / الاشتقاق : ٢٢٢.

(٢) فراس بن عبدالله القشيري . / ديوان سلامة بن جندل : ١٧٦.

(٣) انظر : ديوانه : ١٧٧ ، الأصمعيات : ١٣٢ - ١٣٦.

(٤) شرح ابن عقيل : ٢ / ٢٨١ - ٢٨٢ ، شرح شواهد الألفية للعيني : ١/ ٤٣٥.

المعنى مدح للظلام ، وإظهار لنعمته على جعفر (١) كما قال أبو الطيب :

وَكَمْ لِظَلَامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَدٍ (٢)

الشاهد الأربعون بعد المائة : (*) (البسيط)

إِذَا أَتَيْتَ أَبَا مَرْوَانَ تَسْأَلُهُ ∴ وَجَدْتَهُ حَاضِرَاهُ الجُودُ والكَرَمُ (٣)

لم ينسبه الشيخ عبد القاهر، ويقال: إنه للأخطل (٤) (٥) من قصيدة يمدح بهـا بشر بن مروان (٦)

---

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤٦ أ .

(٢) لم أجده في ديوانه .

(*) الدلائل ، رضا : ١٥٨ ، خفاجي : ٢٢٧ ، شاكر : ٢٠٤ .

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :- القول الجيد : ٢٦٢ غير منسوب .

(٤) هو غيّاث بن غوث بن الصلت بن خارقه بن عمرو من بني تغلب ، أبو مالك (١٩هـ - ٩٠هـ) شاعر مصقول الألفاظ حسن الديباجة، في شعره إبداع ، اشتهر في عهد بني أمية بالشام ، وأكثر من مدح خلفائهم ، وهو أحد الثلاثة المتفق أنهم أشعر عصرهم ، جرير، والفرزدق ، والأخطل ، نشأ على المسيحية ، واتصل بالأمويين ، فكان شاعرهم ، تهاجى مع جرير والفرزدق ، فتناقل الرواة شعره ./ انظر ترجمته : الشعر والشعراء : ١/ ٤٩٠-٤٣٠ ، الأغاني - دار احياء التراث -: ٨/ ٢٨٠-٣٢٠ ، خزانة البغدادي (دار صادر) : ١/ ٢٢٠-٢٢١ .

(٥) معجم شواهد العربية : ٣٤٥ ، الدلائل ، تحقيق خفاجي : ٢٢٦ ، وقد بحثت في ديوانه - صنعة السكري - فلم أجده .

(٦) هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص القرشي الأموي ، من أمراء الدولة الأموية ، كان سمحًا جوادًا ولي امرة العراقين "البصرة والكوفة" ، لأخيه عبد الملك بن مروان سنة (٧٤هـ) وهو أول أمير مات بالبصرة توفي عن نيف وأربعين سنة . / انظر ترجمته :-

=======

وموضع الشاهد : " حَاضِرَاهُ الجُودُ والكَرَمُ "

والشاهد فيه أن الجملة الاسمية وقعت حالاً ، ولم تسبق بـ " واو " والخبر فيها مقدم .

ورأى الشيخ عبد القاهر أن لتقدم الخبر هنا تعلقاً ، وتأثيراً في حذف الواو ؛ لأنه لو قال وجدته الجود والكرم حاضراه لم يحسن حسنه مع التقديم ، فمع التقديم يقرب المعنى من قولنا : " وجدته حاضره الجود والكرم " ، أو " حاضراً عنده الجود والكرم " وكأنه يرى أن في التقديم تجسيداً وتصويراً لذلك الكرم ، وتأكيداً لوجوده .

قال الشيخ عبد القاهر :

" فقوله : حاضراه الجود : جملة من المبتدأ والخبر كما ترى ، وليس فيها " واو " ، والموضع موضع حالٍ ، ألا تراك تقول : " أتيتُه فَوَجَدته جالساً " ، فيكون " جالساً " حالاً ، ذاك لأن " وَجَدْتُ " في مثل هذا من الكلام لا تكون المتعدّية إلى مفعولين ، ولكن المتعدّية إلى مفعول واحد كقولك : " وَجَدْتُ الضَّالَّة " إلا أنه ينبغي أن تعلم أن لتقديمه الخبر الذي هو " حاضراه " تأثيراً في معنى الغِنَى عن " الواو " ، وأنه لو قال : " وجدته الجودَ والكرمَ حاضراه " لم يَحْسُن حُسْنَه الآن ، وكان السببُ في حسنه مع التقديم ، أنه يَقْرُب في المعنى من قولك : " وجدته حاضِرَه الجودُ والكرمُ " أو " حاضرًا عنده الجود والكرم " " (١) .

=== المعارف لابن قتيبة : ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٤٥٨ ؛ ٥٧١ ، تهذيب ابن عساكر : ٣/ ٢٥١-٢٥٦ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ٤/ ١١٧ ، الأعلام : ٢/ ٥٥ .

(١) الدلائل ، رضا : ١٥٨ ، خفاجي : ٢٢٧ ، شاكر : ٢٠٤ .

وقد ساعد مجيء " إذا " الشرطية في إبراز عظم ذلك الجود ووفرته ، فأظهرت أن إقبال طلّاب العطايا على الممدوح أمر دائم الحصول لا ينقطع ، وبذل الممدوح العطاء بسخاء موفور أمر مجزوم ومقطوع بحصوله ، فهو مع كثرة الطالبين لا يَرُدُّ أحداً ، ولا يمنع عطاءه عن طالب .

الشاهد الواحد والأربعون بعد المائة :(*) (البسيط)

وَقَدْ عَلَوْتُ(١) قُتُودَ(٢) الرَّحْلِ يَسْفَعُنِي(٣) .·. يَوْمٌ قُدَيْدِيمَةَ(٤) الجَوْزاءِ مَسْمُومُ(٥) (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ١٥٩ ، خفاجي : ٢٢٧ ، شاكر : ٢٠٥ .
وانظر الدلائل ، رضا : ١٦٥ ، خفاجي : ٢٣٤ ، شاكر: ٢١٤ .

(١) رواية الديوان : " وقد غدوت " .

(٢) القتود : خشب الرحل ، وقيل القتدُ من أدوات الرَّحلِ ، وقيل : جميع أداته ./ اللسان " قتد " : ٣ / ٣٤٢ .

(٣) يسفعني : السُّفعةُ والسَّفَع : السَّواد والشحوب ، وقيل نوع من السواد ليس بالكثير ، وقيل السواد مع لون آخر ، وقيل السواد المُشْرَب حُمْرة . / اللسان " سفع " : ٨ / ١٥٦ .

(٤) قد يديمة : ظرف وهو تصغير قُدّام / اللسان " قدم " : ١٢ / ٤٦٦ ، رواية الديوان : " يَوْمٌ تَجِيءُ بِهِ " ورواية ديوانه - بشرح الأعلم - والمفضليات : " يَوْمٌ تَجِيءُ بِهِ " .

(٥) مسموم : السموم حر النَّهار ، ونبت مسموم أصابته السَّموم ، ويوم مسموم ذو سموم ./ اللسان " سمم " : ١٢ / ٣٠٤ .

(٦) انظر البيت في :
ديوانه - بشرح الأعلم الشنتمري - : ٧٣ ، ديوانه : ٢٥ ، المفضليات : ٤٠٣ ، (رقم ١٢٠) ، المقتضب : ٢ / ٢٧٢ - ٤ / ٤١ ، أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ١ / ١٥٧ ، المخصص : ٢ / ٩ / ٩٠ ، اللسان " سمم " : ١٢ / ٣٠٤ .

وهو في الدلائل من غير عزو ، والبيت لعلقمة بن عبدة (١)

والشاهد من قصيدة مطلعها :

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومُ ∴ أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ اليَومَ مَصْرُومُ (٢)

وقبل الشاهد :

وَقَدْ غَدَوتَ عَلَى قِرْنِي يشيّعني ∴ مَاضٍ أَخُو ثِقَةٍ بِالخَيْرِ مَوسُومُ

وبعد الشاهد :

حَامٍ كَأَنَّ أُوَارَ النَّارِ شَامِلَهُ ∴ دُونَ الثِّيَابِ وَرَأْسَ المَرْءِ مَعْمُومُ (٣)

وموضع الشاهد قوله :" يشفعني " .

والشاهد فيه : أن الجملة هنا وقعت موقع الحال ولم تُسبق بـ " واو " لأن الفعل فيها مضارع مثبت غير منفي .

---

(١) هو علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة ، الشاعر المشهور أحد شعراء الجاهلية ، وقيل له الفحل من أجل رجل يقال له علقمة الخصي ، ويقال: إنه سمي بذلك عند تحكيم أم جندب بينه وبين امرئ القيس ، وكانت تحت امرئ القيس ، فلما غلبت عليه علقمة في قصيدته البائية طلقها امرؤ القيس ، وخلف عليها علقمة ،فسمي علقمة الفحل ، وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من شعراء الجاهلية./ انظر ترجمته :- طبقات فحول الشعراء : ١ / ١٣٩ ، الأغاني : ٢١ / ٢٠٠ -٢٠٤، المؤتلف والمختلف : ١٥٢ ، منتهى الطلب : ورقة ١٨أ .

(٢) ديوانه : ١٧ .

(٣) ديوانه : ٢٥ - ٢٦ .

قال الشـــيخ :-

" وإن كانت الجملة من فعل وفاعل ، والفعل مضارع مثبت غير منفي، لم يكـد يجيء بالواو، بل ترى الكلام على مجيئها عارية من الواو " (١) .

فالشاعر في البيت يمتدح شجاعته وإقدامه وصبره على المكاره ، فهو يعلو رحله للنضال في كل وقت حتى في أشد الأوقات حرارة ، فهو لا يخشى حرارة الشـــمس وحرقتهـــا .

ولعله حذف " الواو " هنا لينوه بجرأته على الإقدام في كل وقت حيث عمـــد إلى الفعل الأول " قد علوت " وضم إليه الفعل الثاني " يسفعني " وجعلهما فـــي إثبات واحد ، فكأنه قال : وقد علوت قتود الرَّحل بارزاً للشمس ضاحياً ، فهـــو يريد أن يجعلهما خبراً واحداً مبالغة في المعنى .

قال الشـــيخ :

" ... فاعلم أن كل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من " الواو " ، فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها ، فَضَمَمْتَه إلى الفعل الأول في إثبـات واحد ، وكل جملة جاءت حالاً ثم آقتضت الواو ، فذاك لأنك مستأنف بهــــا خبراً ، وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات تفسير هذا : أنك إذا قلت : " جاءني زيد يسرع " ، كان بمنزلة قولك : " جاءني زيـــد مسرعاً " ، في أنك تثبت مجيئاً فيه إسراع وتصل أحد المعنيين بالآخر ، وتجعل الكلام خبرًا واحداً ، وتريد أن تقول : " جاءني كذلك ، وجاءنـــي بهذه الهيئة " ، وهكذا قوله : ... بيت الشاهد " (٢)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٥٨ ، خفاجي : ٢٢٧ ، شاكر : ٢٠٤ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٦٤ ، خفاجي : ٢٣٤ ، شاكر : ٢١٣ .

ونزّل الشيخ عبد القاهر الجملة الواقعة حالاً، ولم تسبق "ب" واو" منزلة الجزاء الذي يستغني عنْ الفاء، لأن من شأنه أن يرتبط بالشرط من غير رابط، وهو قولك: "إنْ تعطني أشكرك".

قال الشيخ :-

" ونزّل الجملة في نحو: "جاءني زيد يسرع" و"قد علوت قَتُود الرَّحْل يسفَعُني يومٌ" منزلة الجَزاء الذي يستغني عن "الفاء"، لأن من شأنه أن يرتبط بالشرط من غير رابط، وهو قولك: "إن تُعْطِني أشكُرك"، ونزّل الجملة في "جاءني زيد وهو راكب"، منزلة الجزاء الذي ليس من شأنه أن يرتبط بنفسه، ويحتاج إلى "الفاء"، كالجملة في نحو: "إن تأتني فأنت مكرمٌ"، قياساً سويّاً ومُوازنةً صحيحة" (١)

ويُستشهد بهذا البيت في النحو في باب التصغير: "مايُصغر من الأماكن، ومايمتنع من التصغير"، فقُدَيديمة تصغير قُدَّام "فالظروف إنما هي هذه على الحقيقة فما جاء منها مؤنثاً بغير علامة قُدَّام ووراء، وتصغيرهما: قديديمة ووُرَيِّئة فإن قلت فما الهاءتين لحقت كل واحدة منهما الهاء، وليستا من الثلاثة؟ قيل: لأنّ الباب على التذكير، فلو لم يُلحِقوهما الهاء لم يكن على تأنيث واحد منهما دليل" (٢).

الشاهد الثاني والأربعون بعد المائة :- (*) (الخفيف)

قولـه : (٣)

وَلَقَد اغْتَدِي يُدَافِعُ رُكْنِـي .:. أَحْوَذِيٌّ ذُو مَيْعَةٍ إِضْرِيجُ (٤)

(١) الدلائل، رضا: ١٦٦، خفاجي: ٢٣٥، شاكر: ٢١٥.
(٢) المقتضب: ٢ / ٢٧١-٢٧٢.
(*) الدلائل، رضا: ١٥٩، خفاجي: ٢٢٧، شاكر: ٢٠٥.
(٣) هو أبو دواد الإيادي. "وقد سبق تعريفه" / انظر: ٢٨٦.
(٤) سبق البيت في فصل "مزايا" النظم بحسب المعاني والأغراض" انظر: الشاهد الثامن والثلاثون: ص ٢٤٠.

موضع الشاهد قوله :

" يُدَافِـعُ رُكْـبَتِي "

والشاهد فيه كسابقه حيث جاءت جملة الحال فعلية ، فعلها مضارع مثبـت غير منفي لذا جاءت غير مسبوقة بـ" واو ".

الشاهد الثالث والأربعون بعد المائة : (*) (المتقارب)

قول ابن همّام السَّلُولي (١) :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُـم (٢) .·. نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُـم (٣) مَالِكَـا (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ١٥٩ ، خفاجي : ٢٢٨ ، شاكر : ٢٠٥ .

(١) هو عبد الله بن همّام بن نُبيشه بن رياح بن مالك بن الهجيم (٠ .- نحو ١٠٠ هـ) ، وكان يقال له من حسن شعره " القَطَّار " جعله ابن سلّام في الطبقة الخامسة من فحول الاسلام . انظر :

طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٦٢٥ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٦٥٥ ، سمط اللآلي : ٦٨٣ ، الخزانة (دار صادر) : ٣ / ٦٣٨-٦٣٩ ، الأعلام : ٤ / ١٤٣ .

(٢) رواية ديوان الأدب ، وشرح شواهد ابن عقيل ، والدلائل تحقيق شاكر : " أظافيره " .

(٣) رواية إصلاح المنطق واللسان " وأرهنتهم " ، ورواية ديوان الأدب : " وأرهنتم " ، وعلى هاتين الروايتين لا شاهد في البيت لأن الفعل ماض فيجوز أن يسبق بـ" الواو " .

(٤) انظر البيت في :-

إصلاح المنطق : ٢٤٩ ، ديوان الأدب : ٢ / ٣٣٣ ، شرح الأشموني : ١ / ٤٣٢ ، شرح شواهد الألفية للعيني : ١ / ٤٣٢ ، شرح شواهد ابن عقيل : ١٣٧ ، الإيضاح : ١ / ٢٦٩ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - ٤٣ أ ، اللسان " رهن " : ١٣ / ١٨٨ ، شروح التلخيص : ٣ / ١٣٣ ، معاهد التنصيص : ١ / ٢٨٥ ، رقم الشاهد (٥٤) ، القول الجيد : ٢٥٧ .

قاله ليزيد بن معاوية (١) ، حين أمر عبيد الله بن زياد (٢) أن يأخذه ، فأخذه ، فسأله أن يكلفه عريفه ، وكان اسم العريف " مالكا " ، ففعل ، ثم هرب ابن همام ، ولحق بيزيد بن معاوية ، فاستجار به ، فآمنه ، فقال أبياته هذه عند رجوعه إلى دياره .

وبعد الشاهد :

غَريباً مُقيماً بِدارِ الهَوا .·. نِ أَهْوِنْ عَلَيَّ بِهِ هالِكا

وَأَحْضَرتَ عُذْرِي عَلَيهِ الشُّهو .·. دِ إِنْ عاذِراً لِي وَإِنْ تارِكا

وَقَدْ شَهِدَ النّاسُ عِنْدَ الإِما .·. مِ أَنّي عَدُوٌّ لِأَعدائِكا (٣)

---

(١) هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي (٢٥هـ - ٦٤هـ) ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام ، نشأ بدمشق ، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٠ هـ ، وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير ، والحسين ابن علي ، فانصرف الأول إلى مكة والثاني إلى الكوفة . / انظر ترجمته :-

تاريخ الطبري : ٥ / ٤٩٩ - ٥٠٠ ، وانظر حوادث سنة ٦٤ هـ ، مروج الذهب : ٣ / ٦٣ - ٨١ ، الكامل لابن الأثير : ٣ / ٢٦٣ - ٣١٦-٣١٧ ، الأعلام : ٨ / ١٨٩ .

(٢) عبيد الله بن زياد بن أبيه (٢٨ هـ - ٦٧هـ) ، وال فاتح من الشجعان جبّار خطيب ، ولد بالبصرة ، وكان مع والده لما مات بالعراق ، فقصد الشام ، فولّاه عمه معاوية خراسان سنة ٥٣ هـ ، ثم نُقل أميراً على البصرة سنة ٥٥ هـ ، فقاتل الخوارج ، واشتد عليهم ، وأقره يزيد على إمارته سنة ٦٠هـ ، قتل على يد إبراهيم بن الأشتر في خازر من أرض الموصل ، وكان خصومه يدعونه ابن مرجانه ، وهي أمه / انظر ترجمته :-

تاريخ الطبري : ٥ / ٣٠٠-٣٠٤-٣٧٥-٣٨٠ ، ٦ / ٣٨-٤٠-٤٣-٨٦-٨٨-٩٠-٩٢ ... ، الأعلام : ٤ / ١٩٣ .

(٣) اللسان " رهن " : ١٣ / ١٨٨ .

وموضع الشاهد قوله : " وَأَرْهَنَهُم مَالِكَا "

والشاهد فيه : مجيء جملة الحال مسبوقة بالواو ، والفعل فيها مضارع مثبت ، والمتفق عليه في هذه الحال أن تأتي بلا " واو " ، ولا ترتبط إلّا بالضمير لشدة شبهها باسم الفاعل ، لذا أوّلها بعضهم بالجملة الاسمية بجعل " أرهنهم " خبرًا لمبتدأ محذوف تقديره " أنا أرهنهم " (١)

ورأى الشيخ عبد القاهر أن " الواو " هنا ليست واو الحال بل هي واو العطف ، لأن أرهن هنا ، وإن كان فعلاً مضارعاً إلّا أنّه بمعنى الماضي ، فليس المعنى " نَجَوتَ رَاهِنًا مَالِكًا " ، بل هو حكاية حال بمعنى رهنت ، وذلك لأجل المناسبة بين المتعاطفين ، وكذلك قولهم " قمتُ وَأَصُكُّ وَجْهَهُ " أي " وَصَكَكْتُ وَجْهَهُ " .

قال الشيخ عبد القاهر :

" فأمّا قول ابن همّام السّلُولي :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُم ∴ نَجَوْتُ وَأَرْهَنُهُمْ مَالِكَا

في رواية من روى " وأرهنهم " وما شبهوه به في قولهم : قمت ، وأصك وجهه ، فليست الواو فيها للحال ، وليس المعنى " نجوت راهناً مالكاً وقمت صَاكًا وجهه " ، ولكن أرهن وأصك حكاية حال .. " (٢)

والمعنى : لما خفت من أسلحة هؤلاء الرجال ، وخشيت إيذاءهم وإيلامهم نجّاني الله منهم ، وخلّصني من شرهم في حال حبسي لمالك عندهم ، وإبقائه في أيديهم . (٣)

---

(١) فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل : ١٣٨ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٥٩ ، خفاجي : ٢٢٨ ، شاكر : ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٣) شرح شواهد ابن عقيل : ١٣٨ .

الشاهد الرابع والأربعون بعد المائة :- (*) (الكامل)

وَلَقَدْ أَمُرُّ(١) عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي .'. فَمَضَيْتُ(٢) ثُمَّتَ(٣) قُلْتُ لَا يَعْنِينِي (٤)

أورده الشيخ من غير نسبة .

والبيت يروى لرجل من بني سلول(٥) ، ويروى لشِمْر بن عمرو الحنفي(٦) ،

(*) الدلائل ، رضا : ١٥٩ ، خفاجي : ٢٢٨ ، شاكر : ٢٠٦ .

(١) رواية الأصمعيات : " ولقد مررت " .

(٢) رواية الكامل : " فأجوز " ، ورواية التصريح بمضمون التوضيح : " فأعف " .

(٣) رواية حماسة البحتري : " فَمَضَيْتُ عَنْهُ وَقُلْتُ لَا يَعْنِينِي " ، ورواية الكامل : " ثم أقول لا يعنيني " ، ورواية المغني : " ثمة " .

(٤) انظر البيت في :-

الكتاب : ٣ / ٢٤ ، شرح قصيدة كعب لابن هشام : ٩٧ ، معاني القرآن للأخفش الأوسط : ١ / ١٣٩ ، الأصمعيات : ١٢٦ ، رقم (٣٨) ، الحماسة للبحتري : ١٧١ ، الصاحبي - مؤسسة بدران -: ٢١٩ ، الخصائص ٣ / ٣٣٠ ، شرح جمل الزجاجي : ١ / ٢٥٠ ، شرح الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٥٩٣ ، الكشاف : ١ / ٧٠ ، الإيضاح : ١ / ٢٦٩ ، المغني : ١ / ١٠٢ ، ٢ / ٤٢٩-٦٤٥ ، شرح الشواهد الكبرى للعيني : ٢ / ٦٧ ، شرح الأشموني : ٢ / ٦٧ ، شروح التلخيص : ٣ / ١٣٤ ، التصريح بمضمون التوضيح : ٢ / ١١١ ، همع الهوامع : ١ / ٩ ، ٢ / ١٤٠ ، شرح شواهد ابن عقيل : ٢٠٠ ، خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي -: ١ / ٣٥٧ ، تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات - الكشاف -: ٤ / ٥٤٦ ، معاهد التنصيص : ١ / ٢٨٦ ، القول الجيد : ٢٥٨ .

(٥) هذه نسبة الكتاب ، وشرح شواهد ابن عقيل .

(٦) وهذه نسبة الأصمعي ، وآثرت نسبة الأصمعي؛ لأنه أورد القصيدة كاملة ، وأما معظم المراجع فلم تذكر غير بيت الشاهد ، ومن غير نسبة .

وشِمْر بن عمرو الحنَفيّ هو أحد شعراء بني حنيفة باليمامة ، وكان كريم الأخلاق ، يفهم ذلك من قصته في يوم عين أباغ - وهو موضع بالشام ، أو بين الكوفة والرقة) ، وكان بين المنذر بن ماء السماء ، وبين الحرث الأعرج بن أبي شمر الغساني ، وكان شِمْر الحنفي في بادىء الأمر من أتباع المنذر بن ماء السماء إلّا أنه وقع من المنذر خيانة وغدر بالحرث الأعرج ======

ويروى لعميرة بن جابر الحنفي (١) .

والقصيدة خمسة أبيات أولها بيتان قبل الشاهد :

لَوْ كُنْتُ في رَيْمَانَ (٢) لَسْتُ بِبَارِحٍ ∴ أَبَداً وَسُدَّ خَصَاصُهُ (٣) بِالطِّينِ

لِي في ذَرَاهُ مَآكِلٌ وَمَشَارِبٌ ∴ جَاءَتْ إِلَيَّ مَنِيَّتِي تَبْغِينِي

وبعدهما البيت وبعده :

غَضْبَانُ مُمْتَلِئاً عَلَى إِهَابَهُ ∴ إِنِّي وَرَبِّكَ سُخْطَهُ يُرْضِينِي (٤)

يَارُبَّ نِكْسٍ (٥) إِنْ أَتَتْهُ مَنِيَّتِي ∴ فَرِحٍ وَخِرْقٍ (٦) إِنْ هَلَكْتُ حَزِينِ (٧)

=== وأبنائه ، فقال شِمْر - وكانت أمه غسّانية - : إنَّ الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام وقد غدرت بابن عمك ، فغضب المنذر وأمر بإخراجه ، فانضم إلى عسكر الحرث ، وذُكر في الأغاني أن شِمْر هذا قتل المنذر بن ماء السماء غيلة . / انظر ترجمته :
الأغاني : ١١ / ٦٦ ، سبائك الذهب : ٤٥٤ .

(١) هذه نسبة الحماسة للبحتري .

(٢) رَيْمَان : بفتح الراء وسكون الياء : قصر باليمن / معجم البلدان : ٣ / ١١٤ .

(٣) خَصَاصُه : فروجه وخلله / اللسان " خصص " : ٧ / ٢٥ .

(٤) ذكر هذا البيت مع بيت الشاهد في حماسة البحتري ، وخزانة البغدادي ، وذكر البغدادي أن بيت الشاهد أول بيتين لرجل من بني سلول ، وكأنه يرى أنهما بيتان لا ثالث لهما ، ورواية الحماسة : " إنّي وَحَدِّكَ رَغْمُهُ يُرْضِينِي " .

(٥) نِكْسٍ : بكسر النون وسكون الكاف : الرجل الضعيف ، أو المقصر عن غاية النجدة والكرم / اللسان : " نكس " : ٦ / ٢٤٢ .

(٦) الخِرق : بكسر الخاء الفتى الظريف في سماحة ونجدة أو الكريم المتخرق في الكرم / اللسان " خرق " : ١٠ / ٧٤ .

(٧) هذه الأبيات لم تذكر إلَّا في الأصمعيات : ١٢٦ رقم (٣٨) .

وموضع الشاهد قوله : " أَمُرُّ " .

والشاهد فيه : مجيء الفعل المضارع بمعنى الماضي أي " مررت " فهو حكاية عن الماضي .

واستشهد به الشيخ للتنظير على أن " أرهنهم " في البيت السابق جاءت بمعنى الماضي مثل الفعل " أَمُرُّ " ، فقد جاء مضارعًا ، وهو بمعنى الماضي .

والبيت من شواهد النحاة المشهورة ، فيرد عندهم في باب النعت شاهداً على أن جملة " يسبني " في محل جر صفة " للئيم " وهو وإن كان معرفاً بأل إلّا أنه في معنى النكرة إذ لو كان معرفة حقيقية لكانت الجملة حالاً .

ويرد كذلك شاهداً على أنه إذا زِيدت التاء في " ثم " العاطفة اختصت بعطف الجمل .

والمعنى : والله إنني لأمر على اللئيم الذي من عادته شتمي والإساءة لي ، فأتركه وأنصرف عنه محدثاً نفسي بأنه لا يقصدني بذلك الشتم ، فالواو هنا للقسم " ولقد أمر " جوابه والمقسم به محذوف ، وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية أو للاستمرار التجددي ، أي أن هذا أمره ودأبه ، فجعله كالفعل الدائم ، وقيل إن معناه " ربما أمر " فيكون الفعل في موضعه .

وجملة يسبني وصف للئيم في المعنى، وحال منه باعتبار اللفظ ، إلّا أنّ الأول أظهر في المعنى ، وأبين للمقصود ، وهو التمدح بالوقار والتحمل .

وقيل إن " مضيت " بمعنى المضارع أي فأمضي وُعبِّر عنه بالماضي إشارة إلى أنه متحقق في نفسه ، وعازم على ترك هذا السَّاب ، والذهاب عنه حتى كأنه وقع ذلك بالفعل . (١) .

---

(١) انظر :-

خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي -: ١/٣٥٧-٣٥٨ ، فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل : ٢٠٠ .

قال الشيخ :-

" . . . ولكن " أرهن وأصك " حكاية حال مثل قوله :

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي ∴ فَمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لَا يَعْنِينِي

فكما أنَّ " أَمُرُّ " ههنا في معنى " مررت " كذلك يكون " أرهن ، وأصك " هناك في معنى " رهنت وصككت " ويبين ذلك أنك ترى "الفاء" تجيء مكان الواو في مثل هذا ، وذلك كنحو ما في الخبر في حديث عبد الله ابن عَتيك حين دخل على أبي رافع اليهودي حِصْنَه قال : " فانتهيت إليه ، فإذا هو في بيت مظلم لا أدرى أَيْنَ هو من البيت ، فقلت : أبا رافع! فقال : من هذا ؟ فَأَهْوَيتُ نحو الصوت ، فَأَضْرِبُه بالسَّيف وَأنا دَهِشٌ -، فكما أن " أَضْرِبُه " مضارع قد عَطَفه بالفاء على ماضٍ ، لأنه في المعنى ماضٍ ، كذلك يكون " أرهنهم " معطوفاً على الماضي قبله ، وكما لا يُشَكُّ في أنَّ المعنى في الخبر : " فَأَهْوَيتُ فَضَرَبْتُ " ، كذلك يكون المعنى في البيت : " نَجَوتُ وَرَهَنْتُ " ، إلَّا أن الغرض في إخراجه على لفظ الحال ، أن يحكي الحال في أحد الخبرين ، ويدع الآخر على ظاهره ، كما كان ذلك في " وَلَقَدْ أَمُرُّ على اللئيم يَسُبُّنِي فمضيت " إلَّا أنَّ الماضي في هذا البيت مؤخَّر معطوف ، وفي بيت ابن همام وما ذكرناه معه ، مُقَدَّم معطوف عليه ، فاعرفه " (١)

ومثال بيت الشاهد في المعنى :

لَا يَغْضَبُ الحُرُّ عَلَى سِفْلَةٍ ∴ وَالحُرُّ لَا يُغْضِبُهُ النَّذْلُ

إِذَا اللَّئِيمُ سَبَّنِي جَهْدَهُ ∴ أَقُولُ زِدْنِي فَلِيَ الفَضْلُ (٢)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٥٩-١٦٠ ، خفاجي : ٢٢٨-٢٢٩ ، شاكر : ٢٠٦-٢٠٧ .

(٢) خزانة الأدب للبغدادي - مكتبة الخانجي - : ١ / ٣٥٨ .

الشاهد الخامس والأربعون بعد المائة :- (*) (الرمل)

قول مسكين الدارمي (١) :

أكْسَبَتْهُ الوَرِقُ البِيضُ أباً (٢) .·. وَلَقَدْ كانَ وَلا يُدْعَى لِأَبْ (٣)

والبيت من قصيدة قالها في فتاة من قومه خطبها فكرهته لسواد لونه ، وقلة ماله ، وتزوجت بعده رجلاً من قومه ذا يسار ليس له مثلُ نسب مسكين ، فمر بها مسكين ذات يوم ، وهي جالسة مع زوجها فقال :

أنَا مِسْكِينٌ لِمَنْ يَعْرِفُنِي .·. لَونِيَ السُّمْرَةُ أَلْوَانُ العَرَبْ

مَنْ رَأى ظَبْياً عَلَيهِ لُؤْلُؤٌ .·. وَاضِحَ الخَدَّينِ مَقْرُوناً بِضَبْ

وبعد هما بيت الشاهد وبعده :

(*) الدلائل ، رضا : ١٦٠ ، خفاجي : ٢٢٩ ، شاكر : ٢٠٧ .

(١) هو ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله ابن دارم بن تميم (٠٠ - ٨٩ هـ) ، ومسكين لقب غلب عليه لقوله :
أَنَا مِسْكِينٌ لِمَنْ أَنْكَرَنِي .·. وَلِمَنْ يَعْرِفُنِي جِدُّ نُطُقْ
هو شاعر عراقي شريف من سادات قومه هاجى الفرزدق ثم كافّه ، كان متصلاً بزياد ابن أبيه / انظر ترجمته :
كتاب ألقاب الشعراء - نوادر المخطوطات - : ٢ / ٣٠٥ ، الشعر والشعراء : ١ / ٥٥١ - ٥٥٢ ، تهذيب ابن عساكر : ٥ / ٣٠٣-٣٠٦ ، الأعلام : ٣ / ١٦ .

(٢) رواية الديوان والأغاني : " وما يُدْعى " .

(٣) انظر البيت في :-
ديوانه : ٢٢ ، الأغاني : ٢٠ - ٢١١ ، المفتاح : ١٢٠ ، الإيضاح : ١ / ٢٧٠ ، شرح شواهد الألفية للعيني : ١ / ٤٣٥ ، الأشموني : ١ / ٤٣٥ ، التصريح بمضمون التوضيح : ١ / ٣٩٢ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - ٤٣ أ ، شروح التلخيص - عروس الأفراح : ٣ / ١٣٧ .

اصْحَبِ الأَخْيَارَ وَارْغَبْ فِيهِم .·. رُبَّ مَنْ صَحِبْتَهُ مِثْلُ الجَرَبْ

وَاصْدُقِ النَّاسَ إِذَا حَدَّثْتَهُم .·. وَدَعِ الكِذْبَ لِمَنْ شَاءَ كَذَبْ

رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٌ بَيْتُه .·. وَسَمِينُ البَيْتِ مَهْزُولُ النَّسَبْ

أَصْبَحَتْ عَاذِلَتِي مُعْتَلَّةً .·. قَرِمًا ، أَمْ هِيَ وَحْمَى للصَّخَبْ

أَصْبَحَتْ تَتْفُلُ فِي شَحْمِ الذُّرَى (١) .·. وَتَظُنُّ اللَّومَ دُرًّا يُنْتَهَبْ (٢)

وموضع الشاهد قوله : " وَلَا يُدْعَى لِأَبْ "

والشاهد فيه وقوع الجملة الفعلية في موضع الحال ، وفعلها مضارع منفي ، فجاز فيها أن تسبق بـ " واو " الحال .

قال الشيخ :

" فإن دخل حرف نفي على المضارع تغير الحكم ، فجاء بـ " الواو " ، وبتركها كثيرًا ، وذلك مثل قولهم : كُنْتُ وَلَا أَخْشَى بالذِّئب . وقول مسكين الدارمي .. " (٣)

ولعله جاء بـ " واو " الحال هنا ، لأنه قصد أن يجعل كل فعل خبراً قائماً بذاته ، فإكساب الورق له أبا " خبر " ، وأنه كان لا يُدعى لأب " خبر آخر " ، ليكون ذلك أوجع وأبلغ في التحقير والهجاء .

قال الشيخ :

" . . . وكل جملة جاءت حالاً ، ثم اقتضت " الواو " ، فذاك ، لأنك مستأنف بها خبراً ، وغير قاصدٍ إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات " (٤)

والمعنى : أن هذا الرجل قد أكسبه ماله الكثير ، وغناه الوفير

---

(١) رواية الأغاني : " تُرزَق من شحم الذُّرَا " .

(٢) ديوانه : ٢٢-٢٣ ، الأغاني : ٢٠ / ٢١١ .

(٣) الدلائل ، رضا : ١٦٠ ، خفاجي : ٢٢٩ ، شاكر : ٢٠٧ .

(٤) الدلائل ، رضا : ١٦٥ ، خفاجي : ٢٣٤ ، شاكر : ٢١٣ .

حُسن السمعة وطيب النسب ، وقد كان من قبل دنيء الأخلاق مجهول النسب .

وانظر كيف صاغ الشاعر هذا المعنى صياغة تصور نفسيته الكارهة لذلك الشخص تصويراً متقناً ، حيث جاء بالمجاز العقلي " أكسبته الورق " ليؤكد أن ما يتمتع به مهجوه من العزة وكرامة المحتد إنما هو أمر زائف طارئ عليه ؛ لأنه استقاه من نبع غير متعارف عليه في علم الأنساب .

وشارك لفظ " أكسبته " في إبراز هذا المعنى حيث ناسب غرض الشاعر وهو الهجاء ، فلو أنه قال " منحته ، أو وهبته " لقصرت مثل هذه الألفاظ وعجزت عن خدمة المعنى الذي أراده الشاعر . ثم انظر إلى التأكيد باللام وقد " ولقد " ، ومجيء كان التي حكت لنا استمرار حاله في الماضي .

وتأمل العبارة " لا يُدْعَىٰ لِأَبْ " ودلالتها على أنه وُلِد من سفاح ، وتقييده الوَرِق بكونها " بيض " مع أن لونها معلوم بداهة ، ذم وتحقير واستهزاء .

الشاهد السادس والأربعون بعد المائة : (*) (الوافر)

قول مالك بن رُفَيع :(١)

أَتَانِي مُصْعَبٌ وَبَنُو أَبِيهِ (٢) .:. فَأَيْنَ أَحِيدُ عَنْهُمْ لَا أَحِيدُ

(*) الدلائل ، رضا : ١٦٠ ، خفاجي : ٢٢٩ ، شاكر : ٢٠٧ .

(١) جاء في شرح شواهد الألفية للعيني ، والتصريح على التوضيح أن الأبيات لمالك بن رقية .

ونُسبا في ذيل الأمالي : لمالك بن أخي رُفَيْع الأسدي ، ولم أقف على ترجمة لمالك بن رفيع .

(٢) رواية الدلائل تحقيق "شاكر" ، ورواية الإيضاح ، وشرح أبيات الإيضاح ، والقول الجيد : " بَغَانِي مُصْعَبٌ " .

وهذه الرواية أحسن وأجود من رواية " أتاني " ؛ لأنها تدل على الإلحاح في طلبه .

أَقَادُوا (١) مِنْ دَمِي وَتَوَعَّدُونِي (٢) .:. وَكُنْتُ وَمَا يُنَهْنِهُنِي الوَعِيدُ (٣)

وكان قد جنى جناية فطلبه مصعب بن الزبير. (٤)

وذكر في ذيل الأمالي بعد البيت الأول :

أَسُودٌ بِالْحِجَازِ عَلَى أُسُودٍ .:. خَوَادِرَ مَا تُنَهْنِهُنَا الأُسُودُ

وبعده البيت الثاني من الشاهد ، وبعده :

---

(١) رواية شرح شواهد الألفية للعيني : " أَمَاتُوا مِنَّ دَمِي ".

(٢) النهنهة : الكَفُّ والمنع والزجر ، وأصله من النَّهي / اللسان " نهنه " : ١٣ / ٥٥٠ .

(٣) انظر البيتين في :
ذيل الأمالي والنوادر : ١٢٧ - ١٢٨ ، المفتاح : ١٢٠ ، الإيضاح : ١ / ٢٧٠ ، شرح شواهد الألفية للعيني : ١ / ٤٣٤ ، التصريح على التوضيح : ١ / ٣٩٢ ، شرح الأشموني : ١ / ٤٣٤ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤٣ أ ، شروح التلخيص - عروس الأفراح - : ٣ / ١٣٧ ، القول الجيد : ٢٥٩ .

(٤) هو مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي بن كلاب ، أبو عبد الله ، وأمه الرباب بنت أُنيف الكلبية كان من أحسن الناس وجهاً ، وأشجعهم قلباً ، وأسخاهم كفاً ، ولي إمارة العراقين وقت دعى لأخيه عبد الله بن الزبير بالخلافة ، فلم يزل كذلك حتى سار إليه عبد الملك بن مروان فقتله . / انظر ترجمته :
طبقات ابن سعد : ٥ / ١٨٢ - ١٨٣ ، تاريخ الطبري : ٦ / ١٥١ - ١٦٧ ، انظر حوادث (٧١ هـ) وماقبلها ، تاريخ بغداد : ١٣ / ١٠٥ - ١٠٨ ، الكامل لابن الأثير : ٤ / ٩ - ١٦ - حوادث (٧١هـ) وماقبلها ، شذرات الذهب : ١ / ٧٩ ، الأعلام : ٧ / ٢٤٧ - ٢٤٨ .

شَقِيتُ بِهِمْ عَلَى طُولِ التَّنَائِي ∴ كَمَا شَقِيَتْ بِأَحْمَرِهَا ثَمُودُ

عَسَى ابنُ الكَاهِلِيَّةِ فِي نَدَاهُ ∴ يَعُودُ بِحِلْمِهِ فِيمَا يَعُودُ

فَيَأْمَنَ خَائِفٌ بِهِمُ طَرِيدٌ ∴ وَيَأْتِيَ أَهْلَهُ النَّائِي البَعِيدُ (١)

وموضع الشاهد قوله :

" وَمَا يَنْهَنِهُنِي الوَعِيدُ "

والشاهد فيه كسابقه وهو مجيء جملة الحال فعلية فعلها مضارع منفي فجاز دخول واو الحال عليها .

ولعله جاء بـ" الواو " هنا ، لأنه أراد أن يستأنف بجملة الحال خبراً جديداً تغنياً بماضيه التليد الحافل بالبطولات وفي هذا إظهار لحاله المحزنة التي آل إليها ، فقد كان فيما سبق لا يخاف وعيداً من أحد أما الآن فهو لا يجد مفراً منهم .

فالشاعر صاغ هذين البيتين صياغة محكمة النسج أبرزت حاله المحزنة التي انتهى إليها ، فقوله : " بغاني " دل هذا اللفظ على إصرار مصعب على الظفر به ، وجاء بالفعل الماضي وأضافه إلى ضمير المتكلم ليدل على تمكن مصعب منه ، وكأن بغية مصعب إياه أمر قد وقع وحصل ، وقوله : " وبنو أبيه " دل على تأزم الحال لشدة المطاردة ، وكثرة الطالبين ، ولجأ الشاعر إلى الاستفهام " أين " ليصور حيرته وشدة كربه وحزنه ، وجاءت " الفاء " " فأين " لتدل على محاولاته المتكررة والمتعاقبة في الهروب ، فزادت بذلك من بيان صورة فزعه وخوفه .

ثم أصغ إلى نبرات الألم ، ورنات الأسى تشيع في تركيب البيت وذلك من عطف الجمل " أقادوني ، وتوعدوني ، وكنت " وتعبيره عن ماضيه المنصرم بجملة " وكنت " فيه تحسر وحرقة على انصرام ذلك الماضي المجيد .

---

(١) ذيل الآمالي : ١٢٧ - ١٢٨ .

الشاهد السابع والأربعون بعد المائة : (*) (الطويل)

قال أبو الأسود [(١)] :

* يُصِيبُ وَمَايَدْرِي [(٢)] *

وهي جملة في صدر بيت لأبي الأسود يقوله لعبد الله بن فروخ [(٣)] .

وذكر أبو الفرج أنه قال قصيدته التي منها الشاهد للحصين بن أبي الحر العنبري [(٤)]

(*) الدلائل ، رضا : ١٦١ ، خفاجي : ٢٣٠ ، شاكر : ٢٠٨ .

(١) سبقت ترجمته : ص ٨١ .

(٢) لم أجد الشاهد إلا في :
الأغاني : ١٢ / ٣٠٧ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣١٧ ، وفي ديوانه - تحقيق محمد حسن آل ياسين : ٤٩ - ٥٠ ، ذكر القصيدة كاملة من غير إيراد الشاهد .

(٣) لعله عبد الله بن فروخ القرشي التيمي مولى عائشة رضي الله عنها نزل الشام روى عنها وعن أبي هريرة ، روى عنه شداد بن عمار وأبو سلّام الحبشي ، ومبارك بن أبي حمزة وغيرهم ، قال أبو حاتم مجهول ، وقال العجلي شامي تابعي ثقة روى له مسلم حديثين ./
أو لعله عبد الله بن فروخ القرشي التيمي مولى آل طلحة بن عبيد الله روى عن طلحة بن عبيد الله ، وعثمان ، وابن عباس وأم سلمة رضي الله عنهم . ذكره ابن حبان في الثقات ، روى له النسائي حديثاً واحداً في الصيام ./
انظر : تاريخ الثقات : ٥/١٢ ، تهذيب التهذيب : ٥/٣٥٦ .

(٤) هو حصين بن مالك بن الخشخاش ، وهو حصين بن أبي الحر التميمي العنبري أبو القلوص البصري ، روى عن أبيه وجده ، وعمران بن حصين وسمرة بن جندب وعامر بن عبد قيس الزاهد ، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل البصرة ، وكان حصين بن أبي الحر عاملاً لعمر على ميسان " بلد بالبصرة " وبقي حتى أدرك الحجاج فأتى به ، فَهَمَّ بقتله ثم خلّاه ، وحبسه حتى مات .
وهو جد القاضي عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري الذي تولى قضاء البصرة سنة ١٥٧ هـ وعزل سنة ١٦٦ هـ وتوفي بها ./

======

حين كتب أبو الأسود إليه وإلى نُعَيم بن مسعود النهشلي[(١)] أن يبرّاه ، ففعل ذلك نعيم ، ورمى الحصين الكتاب وراء ظهره ، فعلم أبو الأسود الخبر،[(٢)] فقال للحصين :

حَسِبْتُ كِتَابي إِذْ أَتَاكَ تَعَرُّضاً .·. لِسَيبِكَ لَمْ يَذْهَبْ رَجَائِي هُنَالِكَا

وَخَبَّرَنِي مَنْ كُنْتُ أَرْسَلْتُ أَنَّمَا .·. أَخَذْتَ كِتَابي مُعْرِضاً بِشِمَالِكَا

نَظَرْتَ إِلى عنوانِهِ فَنَبَذْتَهُ .·. كَنَبْذِكَ نَعْلاً أَخْلَقَتْ مِنْ نِعَالِكَا

نُعَيمُ بنُ مَسْعُودٍ أَحَقُّ بِمَا أَتَى .·. وَأَنْتَ بِمَا تَأْتِي حَقِيقٌ بِذَلِكَا

يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَيُخْطِي وَمَا دَرَى .·. وَكَيْفَ يَكُونُ النُّوكُ[(٣)] إِلَّا كَذَلِكَا (٤)

===== وذُكر في الأغاني أن حصين بن أبي الحر كان يلي بعض أعمال الخراج لزياد ، وذُكر في الإصابة أنه كان من عمال خالد بن الوليد في بعض نواحي الحيرة . / انظر :

كتاب الثقات : ٤ / ١٥٦ ، الأغاني : ١٢ / ٣٠٧ ، تهذيب التهذيب : ٢ / ٣٨٨ ، الإصابة : ١ / ٣٣٥ .

(١) هو نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي (.. نحو ٣٠ هـ) ، صحابي من ذوي العقل الراجح ، قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم أيام الخندق ، وأسلم وكتم إسلامه ، وهو الذي خذل المشركين وبني قريظة حتى صرف الله المشركين بعد أن أرسل عليهم ريحًا وجنودًا لم يروها ، مات في خلافة عثمان ، وقيل قتل يوم الجمل / انظر :

الاستيعاب - على هامش الإصابة - : ٣ / ٥٢٨ - ٥٢٩ ، الإصابة : ٣ / ٥٣٩ .

(٢) انظر :

ديوانه - تحقيق محمد حسن آل ياسين - : ٤٩ - ٥٠ ، ذكر القصيدة كاملة من غير إيراد الشاهد ، الأغاني : ١٢ / ٣٠٧ ،

(٣) النُّوك : بالضم - وفي القاموس بالضم والفتح - : الحُمق ، والعجز والجهل / اللسان " نوك " : ١٠ / ٥٠١ ، القاموس المحيط " نوك " : ٣ / ٣٢٣ .

(٤) انظر الأبيات في :

ديوانه : ٤٩ - ٥٠ ، الأغاني : ١٢ / ٣٠٧ .

وذكر المرزباني أن البيت لفرات بن حيان[١] أجاب به على قول حسّان بن ثابت:

فَإِنْ تَلْقَ فِي تَطْوَافِنَا وَالتِمَاسِنَا .·. فُرَاتَ بنَ حَيَّانٍ يَكُنْ وَهْنَ هَالِكِ (٢)

فأجابه فرات :

أَبُوكَ أَبُو سَوْءٍ وَخَالُكَ مِثْلُهُ .·. وَلَسْتَ بِخَيْرٍ مِنْ أَبِيكَ وَخَالِكَا

يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي وَيُخْطِي وَمَا دَرَى .·. وَكَيْفَ يَكُونُ النَّوكُ إِلَّا كَذَالِكَا

ويقال هي لأبي سفيان بن الحارث. (٣)

وموضع الشاهد قوله : " وَمَا يَدْرِي " .

والشاهد فيه : مجيء الفعل المضارع حالاً مسبوقاً بـ" الواو " ، وهذا شائع كثير في الكلام .

قال الشيخ :

" وليس مجيء الفعل المضارع حالاً على هذا الوجه ، بعزيزٍ في الكلام ، ألا تراك تقول : " جعلتُ أمشي وما أدري أين أضع رجلي " و " جعل يقول ولا يدري " وقال أبو الأسود : " يُصيبُ وَمَا يَدْري " وهو شائع كثير" (٤)

---

(١) كان دليل قريش في الجاهلية ، وهو ممن هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مدحه ، فقبل مديحه ./انظر : طبقات ابن سعد : ٢ / ١٣ ، ٣٦ ، ٣ / ٤٥ ، ٤ / ٣٦١ ، ٦ / ١١٦ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣١٧ ، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : ٢٦٩.

(٢) ديوان حسان بن ثابت : ١٧١.

(٣) معجم الشعراء للمرزباني : ٣١٧.

(٤) الدلائل ، رضا : ١٦١ ، خفاجي : ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، شاكر : ٢٠٨.

الشاهد الثامن والأربعون بعد المائة: (*) (الطويل)

مَضَوا لا يُرِيدُونَ الرَّوَاحَ (١) وَغَالَهُمْ (٢) ∴ مِنَ الدَّهْرِ أَسْبَابٌ جَرَيْنَ (٣) عَلَى قَدَرِ (٤)

والشاهد أورده الشيخ من غير عزو، وهو لعكرشة العبسي (٥).

(*) الدلائل، رضا: ١٦١، خفاجي: ٢٣٠، شاكر: ٢٠٨.

(١) رواية مجالس ثعلب، والأشباه والنظائر، والدلائل تحقيق شاكر: " ثووا " وذكر الأستاذ شاكر أن ما أثبته هو الأصوب.

ويبدو لي أن رواية " مضوا " هي الأحسن؛ لأن معنى المضي (وهو الخلو والذهاب " يُناسب معنى عدم إرادة الرواح، ولو كانت الرواية " ثووا " - والثواء هو طول المقام - لما كان معنىً لتخصيص عدم الإرادة بالرَّواح، ويؤيد ما ذهبت إليه شرح المرزوقي للبيت - سيرد فيما بعد -.

(٢) الرَّوَاح: مصدر من راح أي راح يروح رَواحا وهو نقيض قولك: غدا يَغْدُ وغُدُوًّا، والمراد بالرَّواح هنا الرجوع إلى المكان الذي غدوا منه، راحت الإبل تَرُوحُ وتُرَاح رائحةً، فرواحُها ههنا أن تأوي بعد غروب الشمس إلى مُراحِها الذي تبيت فيه / اللسان " روح ": ٢/ ٤٦٤.

(٣) رواية الأشباه والنظائر: " أسباب تجيء على قدر ".

(٤) انظر البيت في :-

الحماسة - ت: عسيلان -: ١/ ٥٢٠، رقم (٣٧١)، مجالس ثعلب: ١/ ٢٠١ رقم (٢٤٢)، الأشباه والنظائر: ٢/ ١٥٣، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٣/ ١٠٥٥ رقم (٣٧١)، شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٣/ ٥٠، الحماسة البصرية: ١/ ٢٤٦، المفتاح: ١١٩، الإيضاح: ١/ ٢٧٠، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٤٤أ.

(٥) هو أبو الشغب العبسي، واسمه عكرشة بن أزيد بن سحل العبسي، ويبدو أنه من شعراء الدولة الأموية، إذ أنه قال أبياتاً في خالد بن عبد الله القسري، وهو أسير في يدي يوسف بن عمر الثقفي، ومما قال:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا ∴ أَسِيرُ ثَقِيفٍ عِنْدَهُمْ فِي السَّلَاسِلِ
لَعَمرِي لَقَدْ عَمَّرْتُمُ السِّجْنَ خَالِدًا ∴ وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطْأَةَ المُتَثَاقِلِ

انظر ترجمته: كنى الشعراء - نوادر المخطوطات -: ٢٨٤، سمط اللآلي: ٢/ ٦٢٩، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٢/ ٩٢٧-٩٢٨.

والبيت من قصيدة قالها حين خرج إلى الشام ، فهلك بنوه بالطاعون[١]، وقيل أنها في رثاء بني الزهراء[٢]، وأول القصيدة :

سَقى اللّهُ أجداثاً[٣] وَرائي تَرَكْتُها ∴ بِحاضِرِ قِنَّسْرِينَ مِنْ سَبَلِ القَطْرِ

وبعده الشاهد وبعده :

وَلَوْ يَسْتَطِيعُونَ الرَّواحَ تَرَوَّحُوا ∴ مَعِي[٤] وَغَدَوا فِي المُصْبِحِينَ عَلَى ظَهْرِ

لَعَمْرِي لَقَدْ وارَتْ وَضَمَّتْ قُبُورُهُمْ ∴ أَكُفّاً شِدادَ القَبْضِ بالأَسَلِ السُّمْرِ

غَطارِفَةٌ[٥] زُهْرٌ مَضَوا لِسَبِيلِهِمْ ∴ فَلَهْفِي[٦] عَلى تِلْكَ الغَطارِفَةِ الزُّهْرِ

أَبَعْدَ بَنِيَّ الدَّهْرَ[٧] أَرْجُو غَضَارَةً[٨] ∴ مِنَ العَيْشِ أَوْ آسَى لِمَا فَاتَ مِنْ عُمْرِي[٩]

يُذَكِّرُنِيهِمْ كُلُّ خَيْرٍ رَأَيْتُهُ ∴ وَشَرٍّ فَمَا أَنْفَكُّ[١٠] مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرِ (١١)

---

(١) انظر : الحماسة البصرية : ١ / ٢٤٥ .

(٢) انظر : البيان والتبيين : ٣ / ٣٢٩ ، سمط اللآلي : ٤٢٨ .

(٣) رواية مجالس ثعلب : " سقى الله فتيانا " .

(٤) رواية الحماسة - ت : عسيلان - : أو غدوا .

(٥) غطارفة : جمع غِطريف وهو السيد الشريف السخي الكثير الخير ، وقيل هو الفتى الجميل الشاب . / اللسان " غطرف " : ٩ / ٢٦٩-٢٧٠ .

(٦) رواية البيان والتبيين : " ألهفي " .

(٧) رواية البيان والتبيين : " أَبَعْدَ بَنِي الزَّهْرَاءِ أَرْجُو بَشَاشَةً " .
ويبدو لي أنه من الممكن أن تكون الرواية (بني الزهر) ، ويؤيده " الزهر " في البيت قبله .
كما يظهر لي أن الشاعر قال الأبيات في بنيه لا في بني الزهراء ، ومما يؤيد ذلك قوله : " تَرَوَّحُوا معي " فهذا أشبه ببنيه .

(٨) رواية البيان والتبيين : " بشاشة " .

(٩) رواية البيان والتبيين : " أَوْ أَرْجُو رَخَاءً مِنَ الدَّهْرِ " .

(١٠) رواية الحماسة تحقيق عسيلان :
" فَمَا أَنْفَكُّ إِلاَّ عَلَى ذِكْرِ "

(١١) الأبيات (١ - ٢ - ٣ - ٦) مع بيت الشاهد في : الحماسة - تحقيق عسيلان - : ١ / ٥٢٠ ، والمرزوقي : ٣ / ١٠٥٥ - ١٠٥٦ ، =====

موضع الشاهد قوله : " لا يريدون " .

والشاهد فيه : مجيء المضارع منفياً حالاً من غير " الواو " وهذا شائع في الكلام .

قال الشيخ :

" فأما مجيء المضارع منفياً حالاً من غير " الواو " فيكثر أيضا ويحسن " (١)

ولعله حذف " الواو " هنا ، ليجعل مُضيهم ، وعدم إرادتهم الرّوَاح ، واللبث خبراً واحداً ، وفي ذلك تصوير لسرعة انتقالهم ورحيلهم ، وكأنهم كانوا يتسابقون إلى قضائهم ، وفيه أيضا تصوير لاستسلامهم التام للقضاء والقدر .

والمعنى : " ساروا لا يعرّجون على شيء ، فلا يريدون لُبثاً ، ولا مُقاماً ، بل استُعجلوا فتعَجّلوا ، وأهلكهم مِنْ أحداث الدّهر أسبابٌ جاءت على قَدر ، فكأنّهم كَمَا دُعُوا أجابوا ، وكما تهيّئوا أُخِذوا ، لا تَلَوُّم ، ولا اختلاف ، ولا قُصور ، ولا امتناع " (٢)

الشاهد التاسع والأربعون بعد المائة : (*) (البسيط)

وقال أَرْطَاةُ بن سُهَيّة : (٣)

==== والتبريزي : ٣ / ٥٠ - ٥١ ، والأبيات : "١-٢-٣-٤-٥-٦" مع بيت الشاهد ، وأبيات أخرى في الحماسة البصرية : ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦ .
والأبيات (٤-٥-٦) من غير ذكر بيت الشاهد في البيان والتبيين ، والأبيات (١-٣-٦) مع ذكر الشاهد في الأشباه والنظائر : ٢ / ١٥٢ — ١٥٣ ، والأبيات : (١-٦) مع بيت الشاهد في مجالس ثعلب .

(١) الدلائل ، رضا : ١٦١ ، خفاجي : ٢٣٠ ، شاكر : ٢٠٨ .

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢ / ١٠٥٥ ، رقم ٣٧١ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٦١ ، خفاجي : ٢٣٠ ، شاكر : ٢٠٩ .

(٣) هو أرطاة بن زُفر بن عبد الله بن مالك بن شداد بن ذبيان ، كنيته أبو الوليد ، وسَهيّة أمه ، وهي بنت زامل بن مروان بن زهير بن أبي جُشم ====

إِنْ تَلْقَنِي لَا تَـرَى غَيْرِي بِنَاظِـرَةٍ .·. تَنْسَ السِّلَاحَ وَتَعْرِفْ جَبْهَةَ الأَسَدِ (١)

والشاهد من قصيدة قالها أرطاة حين بلغته مقالة شبيب ابن البرصاء (٢):

" وددت أنّي جمعني ، وابن الأمة أرطأة بن سُهَيّة يوم قتال ، فأشفي منه غيظي " ، فقال أرطاة الأبيات ، ومطلعها :

=== سبية من كلب ، وكانت لضرار بن الأزور ، ثم صارت إلى زُفَر ، وهي حامل فجاءت بأرطاة من ضرار على فراش زُفَر ، فلما ترعرع جاء ضرار طالباً إياه ، فأعطاه الحارث إياه ، فأدركه نهشل بن حَرّي فانتزعه منه وردّه إلى زُفَر ، وأرطاة شاعر فصيح ، معدودٌ في طبقات الشعراء المشهورين ، وهو من شعراء الإسلام في دولة بني أمية لم يسبقها ولم يتأخر عنها ، وكان امرأً صدقٍ ، شَريفاً في قومه جواداً . / انظر ترجمته - :

كُنىَ الشعراء - نوادر المخطوطات - : ٢ / ٢٨٩ ، الشعر والشعراء : ١ / ٥٢٩ ، الاشتقاق : ٢٩٠ ، رقم (١٧٧) ، الأغاني : ١٣/ ٢٩ ، سمط اللآلي : ٢/ ٦٣٠ ، شرح الحماسة للتبريزي : ١/ ٢٠٨ ، مختار الأغاني : ١ / ٢٩٦ - ٣٠٠ ، الإصابة : ١/ ١١١ رقم (٤٣٣) .

(١) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :
شعر أرطاة بن سهية - جمع صالح محمد خلف - : ١٧٧ ، الأغاني : ١٣ / ٣٤ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (٣٩٩) .

(٢) هو شبيب بن يزيد بن جمرة بن عوف بن أبي حارثة المري ، ابن البرصاء (.. نحو .. ١ هـ) شاعر إسلامي بدوي لم يحضر إلاّ وافداً أو منتجعاً ، خبيث الهجاء ، اشتهر بنسبته إلى أمه " أمامة " أو " قرصانة " بنت الحارث بن عوف المري المنعوتة بالبرصاء لبياضها لا لبرص فيها ، أدرك إمارة عثمان بن حيان في المدينة ، وعده الجمحي في الطبقة الثامنة من الإسلاميين قال عنه صاحب الخزانة أنه كان شريفاً سيداً في قومه ، من شعراء الدولة الأموية . / انظر ترجمته :
طبقات فحول الشعراء : ٢/ ٧٠٩ - ٧٢٧ - ٧٣٣ ، البرصان : ٩٦ ، جمهرة أنساب العرب : ٤٤١ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ١/ ١٩٢ ، الأعلام : ٢/ ١٥٧ ، الأعرابيات : ٢٢٢ - ٢٣٨

عُوجَا نُلِمَّ عَلَى أَسماءَ في الثَّمَدِ (١) .·. مِنْ دُونِ أَقْرُنَ (٢) بَيْنَ القُورِ (٣) وَالنَّجَدِ (٤) (٥)

وبعده الشاهد وبعده :

مَاذَا أَظُنُّكَ تُغْنِي في أَخِي رَصَدٍ .·. مِنْ أُسْدِ خَفَّانَ جَابِي العَيْنِ ذِي لِبَدِ

وموضع الشاهد قوله : " لا ترى " :

والشاهد فيه كسابقه ، وهو وقوع الجملة الفعلية في موضع حال ، وفعلها مضارع منفي ، ولم تسبق بـ " واو " الحال .

ورأى الشيخ عبد القاهر أن حذف " الواو " هنا لطيف جداً ، ولم يعلل سبب هذا اللطف .

ولعل حذف الواو لطف هنا ؛ لأن الشاعر قصد من هذا الحذف أن يجعل لقاءه والنظر إليه وحده خبراً واحداً ، متحداً في الزمان والمكان ؛ ليبالغ في وصف شجاعته برسم الحيرة ، والاضطراب على وجوه أعدائه بمجرد لقائه ، ووقوع النظر عليه .

والمعنى : " إن لقيتني أيها المعاند ، وأنت متفرد غير مبصر غيري ، نسيت السلاح لما يتداخلك من الحيرة والدهشة ، وعرفت مرونة جبهتي جبهة الأسد ،

(١ ، ٢) الثَّمَد ، وأَقْرُن : مواضع ، انظرها في :
معجم البلدان : ٢ / ٨٤ ، ١ / ٢٣٦ .

(٣) والقُور : جمع القارة والقيران جمعُ القارَة وهي الأصاغر من الجبال ، والأعاظم من الآكام وهي متفرقة خشنة كثيرة الحجارة / اللسان (قور) : ٥ / ١٢٢ .

(٤) النَّجْدُ من الأرض : قِفافُها وصَلابَتُها وماغلظ منها وَأَشْرَفَ وارتفع واستوى . / اللسان " نجد " : ٣ / ٤١٣ .

(٥) شعر أرطاة بن سهية : ١٧٧ .

يريد وعرفت أنّي أسد ، فأنتزع من جبهته جبهة الأسد ، وتوصل به إلى أنه أسد ، وصار هذا النوع نوعاً آخر من التجريد "(١).

الشاهد الخمسون بعد المائة : (*) (الوافر)

قول أعشى همدان (٢) :

أَتَيْنَا أَصْبَهَانَ (٣) فَهَزَّلَتْنَا .·. وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي نَعِيمِ

وَكَانَ سَفَاهَةً مِنِّي وَجَهْلاً .·. مَسِيرِي لَا أَسِيرُ إِلَى حَمِيمِ (٤)

والبيتان من قصيدة قالها في هجاء خالد بن عتاب (٥) ، وكان الشاعر صديقاً

---

(١) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -: رقم الشاهد : (٣٩٩).
(*) الدلائل ، رضا : (٦١-٦٢) ، خفاجي : (٢٣٠) ، شاكر: ٢٠٩ .
(٢) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نظام بن جشم بن عمرو بن الحارث، وكنيته : أبو المصبّح ، شاعر فصيح كوفي من شعراء الدولة الأموية ، وكان زوج أخت الشعبي الفقيه ، والشعبي زوج أخته ، وكان الأعشى أحد الفقهاء القُرّاء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر ، وخرج مع ابن الأشعث ، فأتي به الحجاج أسيراً من الأسرى فقتله . / انظر ترجمته : الأغاني : ٦ / ٣٣ - ٦٢ ، الحيوان : ٥ / ٥٩٠.
(٣) أصبهان : منهم من يفتح الهمزة ، وهم الأكثر وكسرها آخرون ، وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ، وأصبهان اسم للإقليم بأسره ، وهي من بلاد فارس . / معجم البلدان : ١ / ٢٠٦-٢١٠.
(٤) انظر البيتين في :- ديوانه : ١٦٠ ، رقم (٥٤) ، البيان والتبيين : ٤ / ٥٠ ، رسائل الجاحظ : ٢ / ٢٩٤ ، الأغاني : ٦ / ٤٣ ، الإيضاح : ١ / ٢٧١ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤٤أ .
(٥) خالد بن عَتّاب بن ورقاء الرياحي (٠٠-٧٧هـ) ، شجاع من الأبطال كان من أشراف الكوفة ، وأحد من حاربوا شبيباً الخارجي في جيش الحجاج ، وهو الذي قتل مصاداً أخا شبيب وغزالة أخته - وكانت امرأة صالح بن =====

خميساً له ، وقد مَنّاهُ خالد إن هو استُعمِل وولي الإمارة أن يجعل له من العطاء والتصرف فوق ما للناس جميعا ، فاستعمل خالد على أصبهان وصار معه الأعشى ، فلما وصل إلى عمله جفاه ، وتناساه ، ففارقه ورجع إلى الكوفة ، وأنشد فيه هذا الهجاء[(1)] ، ومطلع القصيدة :

تُمَنِّيني إمَارَتَهَا تَمِيمٌ ∴ وَمَا أُمِّي[(2)] بِأُمِّ بَنِي تَمِيمِ

وبعد مطلع القصيدة ، وقبل البيت الأول من الشاهد :

وَكَانَ أَبُو سُلَيمانَ أَخَا لِي ∴ وَلَكِنَّ الشِّرَاكَ مِنَ الأَدِيمِ

وبعد البيت الأول من الشاهد :

أَتَذْكُرُنَا وَمُرَّةَ إِذْ غَزَوْتَنَا ∴ وَأَنْتَ عَلَى بُغَيْلِكَ ذِي الوُشُومِ

وقبل البيت الثاني من الشاهد :

وَكَانَتْ أَصْبَهَانُ كَخَيرِ أَرْضٍ ∴ لِمُغْتَرِبٍ وَصُعْلُوكٍ عَدِيمِ

وَلَكِنَّا أَتَيْنَاهَا وَفِيهَا ∴ ذَوُو الأَضْغَانِ وَالحِقْدِ القَدِيمِ

فَأَنْكَرْتُ الوُجُوهَ وَأَنْكَرَتْنِي ∴ وُجُوهٌ مَا تُخَبِّرُ عَنْ كَرِيمِ

وبعد ها البيت وبعده :

فَلَوْ كَانَ ابنُ عَتَّابٍ كَرِيماً ∴ سَمَا لِذُؤَابَةِ الأَمْرِ الجَسِيمِ (٣)

= = = = مُسترح - والتحم مع أصحاب شبيب في معركة بناحية المدائن ، فانهزم أصحاب خالد فتراجع حتى أشرف على دجلة ، فألقى نفسه فيها بفرسه ولؤلؤة بيده ، فقال شبيب : قاتله الله هذا أشد الناس . /
انظر ترجمته :-
جمهرة أنساب العرب : ٢٢٧ ، الكامل لابن الأثير : ٤ / ١١-٥٥ ، الأعلام : ٢ / ٢٩٧ .

(١) القصة في الأغاني : ٦ / ٤٣ .

(٢) رواية البيان والتبيين : " وَمَا أَمْرِي وَأَمْرُ بَنِي تَمِيمِ " .

(٣) انظر الأبيات في : ديوانه : ١٦٠ ، ١٦١ ، رقم (٥٤) ، الأغاني : ٦ / ٤٣-٤٤ ، رسائل الجاحظ : ٢ / ٢٩٤ .

وموضع الشاهد قوله :

" لَاأسِيرُ إلى حَمِيمِ "

والشاهد فيه كسابقه، وهو وقوع الجملة الفعلية في موضع الحال، والفعل فيها مضارع منفي، ولم تسبق بـ" واو " .

ورأى الشيخ أن البيت مثل سابقه لطفاً وحسناً .

قال الشيخ :

" قوله : " لا أسير إلى حميم " حال من ضمير المتكلم الذي هو " الياء " في " مسيري " ، وهو فاعل في المعنى، فكأنه قال : وكان سفاهةً مِنّي وجهلاً أن سرتُ غير سائر إلى حميم، وأن ذهبتُ غيرَ مُتوجِّهٍ إلى قَريب " (١)

ولقد حذف " الواو " هنا ليباشر الأذهان بندمه وتحسره لعدم سيره إلى حميم، وهذا الندم يتضمن الذم المقذع ، والهجاء اللاذع لخالد بن عتّاب ، ففيه تلميح بأن خالداً ليس بالصديق الحميم الذي يُرجى في الملمات ، وهو لا يستحق أن تُشَدّ إليه الرِّحال .

الشاهد الواحد والخمسون بعد المائة : (*) (الكامل)

وقال خالد بن يزيد بن معاوية :(٢)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٦٢ ، خفاجي : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، شاكر : ٢٠٩ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٦٢ ، خفاجي : ٢٣١ ، شاكر : ٢٠٩ .

(٢) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (...- ٩٠ هـ) الأموي القرشي ، أبو هاشم حكيم قريش وعالمها في عصره ، اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم ، فأتقنها وألّف فيها رسائل ، اختلفوا في سنة وفاته إلى أن قال الذهبي : وفيها أي سنة (٩٠ هـ) - على الأصح توفي خالد بن يزيد ، كان فاضلاً في نفسه له همة ومحبة للعلوم وأمر بنقل الكتب من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة ، وقال عنه الجاحظ أنه خطيب شاعر ، وفصيح جامع جيد الرأي كثير الأدب . / ======

لَوْ أَنَّ قوماً لِارْتِفَاعِ قَبِيلَةٍ .·. دَخَلُوا السَّمَاءَ دَخَلْتُهَا لَا أُحْجَبُ (١)

وموضع الشاهد قوله : " لا أُحْجَبُ " .

والشاهد فيه كسابقه، وهو وقوع الجملة الفعلية موضع الحال وفعلها مضارع منفي ، ولم تسبق بـ" واو " .

ورأى الشيخ أن مجيء الفعل المضارع المنفي مسبوقاً بـ" واو " الحال تارة ، وخالياً منها تارة أخرى كثير، إلّا أنه لا يَهْتَدِي إلى وضعه في الموضع المناسب إلّا سَليم الطبع ، قال :

" وهو كثير إلّا أنه لا يَهتدي إلى وضعه بالموضع المرضي إلّا من كان صحيح الطبع " (٢)

فقوله " لا أُحْجَبُ " من غير واو يُشعر بقوة نفس الشاعر، وامتلائها بمعاني البطولة والفخر ، ومعاني العزة والمجد .

حيث جعل دخول السماء ، وعدم اقتدار أحد على منعه خبراً واحداً ، وهذا يدل على قوة هذا الخبر ، وثقه الشاعر البالغة بأن قبيلته من العزة والمنعة بمكان .

=== انظر ترجمته :-

الفهرست لابن النديم : ٤٩٧ ، جمهرة أنساب العرب : ٦٨ ، ٧٧ ، ١١٢ - ١٢١ ، تهذيب ابن عساكر : ٥ / ١١٩ - ١٢٣ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٢٢٤ - ٢٢٦ ، الأعلام : ٢ / ٣٠٠ - ٣٠١ .

(١) انظر البيت في :

شرح الأشموني : ٤٣٤ رقم (٣٨٢) ، شرح شواهد الألفية : ٤٣٤ ، الإيضاح : ١ / ٢٧١ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله -: ٤٤ أ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٦٢ ، خفاجي : ٢٣١ ، شاكر : ٢٠٩ .

والمعنى : " لو ثبت أن قوماً لارتفاع قبيلتهم وعلوهم في المجد والشــــرف علوا بحيث بلغوا السماء ، ودخلوا أبوابها دخلتها غير محجوب ، وغير ممنــــوع ؛ لأن قبيلتي أعلى شرفاً ومجداً من كل قبيلة " (١) .

الشاهد الثاني والخمسون بعد المائة : (*) (البسيط)

مَتى أَرَى الصُّبْحَ قَدْ لَاحَتْ مَخايِلُهُ (٢) .·. وَاللَّيلَ قَدْ مُزِّقَتْ عَنْهُ السَّرابِيلُ (٣) (٤)

أورده الشيخ من غير عزو، وهو لخُنْدُج بنْ خَنْدَج المُرِّي (٥) وهو من قصيــدة مطلعها :-

---

(١) شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الأزهرية - : الشاهد رقم (١٦٤) ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤٤أ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٦٢ ، خفاجي : ٢٣١ ، شاكر : ٢١٠ .

(٢) رواية معجم البلدان : " مخائله " .

ومخايله أو مخائله جمع مخيلة ، ومخايل الصبح علاماته ، يقال : تغـرس فيه الخير، وتَخَوَّلت فيه خالاً من الخير وأخَلْتُ فيه خالاً من الخـــير أي رأيت مَخِيلَته . / اللسان " خيل " : ١١ / ٢٣٠ .

(٣) رواية شرح أبيات الإيضاح " السراويل " .

(٤) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلّا في :

الحماسة - ت : عسيلان - : ٢ / ٤٢٠ ، الأمالي لأبي علي القالــي : ١ / ٩٩ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٨٢٨ رقم (٨٢٧) ، معجم البلدان : " صول " : ٣ / ٤٣٥ ، الإيضاح : ١ / ٢٧٣ ، شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الأزهرية - : الشاهد رقم (١٧٢) .

(٥) لم أقف له على ترجمة كاملة ، وإنما ذُكر في " المبهج " : ٦٨ ، أن اسمه " خندج بن خندج المري " بالخاء ، والخندج كثيب أصفر مــــن النقا (الرمل) ويقال هو رملة طيبة تنبت ألواناً .

وذكر محقق الإيضاح - محمد عبد المنعم خفاجي - أنه شــاعر أمـــوي .

فِي لَيْلِ صُولٍ(١) تَنَاهَى العَرْضُ وَالطُّولُ .·. كَأَنَّمَا لَيْلُهُ(٢) بِاللَّيْلِ مَوْصُولُ

وبعد مطلع القصيدة ، وقبل بيت الشاهد :

لَا فَارَقَ الصُّبْحُ كَفِّي إِنْ ظَفِرْتُ بِهِ .·. وَإِنْ بَدَتْ غُرَّةٌ مِنْهُ وَتَحْجِيلُ

لِسَاهِرٍ طَالَ فِي صُولٍ تَمَلْمُلُهُ .·. كَأَنَّهُ حَيَّةٌ بِالسَّوْطِ مَقْتُولُ

وبعد هما الشاهد وبعده :

لَيْلٌ تَحَيَّرَ مَا يَنْحَطُّ فِي جِهَةٍ .·. كَأَنَّهُ فَوْقَ مَتْنِ الأَرْضِ مَشْكُولُ

نُجُومُهُ رُكَّدٌ لَيْسَتْ بِزَائِلَةٍ .·. كَأَنَّمَا هُنَّ فِي الجَوِّ القَنَادِيلُ

وموضع الشاهد قوله : " قد لاحت " وقوله " قد مزقت " .

والشاهد فيه : وقوع الجملة الفعلية وفعلها ماضٍ موقع الحال، ولم تسبق بـ" الواو " ، والقاعدة أنه يتساوى مجيء "الواو" وعدمه مع الفعل الماضي، ولا بد من اقتران الجملة بقد مُظهرة ، أو مقدَّرة . قال الشيخ :

" ومما يجيء بـ" الواو " وغير " الواو " الماضي ، وهو لا يقع حالا إلّا مع " قد " مُظهرة أو مقدَّرة ، أما مجيئها بـ" الواو " فالكثير الشائع ، كقولك : " أتاني وقد جهده السَّير " " (٣)

ورأى أن حذف الواو هنا الغرض منه أن يجعل الجملتين في قوة جملة واحدة ؛ لأنه في معنى " متى أرى الصبح باديًا لائحًا بَيِّنًا متجليًا ورأى أن القياس في مثل هذا مطرد . (٤)

---

(١) صُول : بالضم ثم السكون وآخره لام كلمة أعجمية - لا أعرف لها أصلاً في العربية - مدينة في بلاد الخزر في نواحي باب الأبواب وهي الدَّربند / معجم البلدان " صول " : ٣ / ٤٣٥ .

(٢) رواية معجم البلدان : " كأنما صبحُه بالليل موصول " .

(٣) الدلائل ، رضا : ١٦٢ ، خفاجي : ٢٣١ ، شاكر : ٢٠٩ .

(٤) الدلائل ، رضا : ١٦٥ ، خفاجي : ٢٣٥ ، شاكر : ٢١٤ .

ورأى المرزوقي أنه يجوز في قوله : " والليلُ قد مُزِّقت " أن يروى " الليـــلُ " بالرفع وتكون الواو للحال ، ويرتفع الليل بالابتداء و " قد مُزِّقت " في موضع الخبر (١)

ولعل السر في مجيء جملة الحال خالية من الواو أنّ القصيدة كلها تشـــيع في معانيها روح الشاعر متململة ، ضجرة ضائقة من طول الليل ، تشعر وكأن الصبح عنها ببعيد فجعل ظهور تباشيره ، وتمزق ليله خبراً واحداً ، ليوهم النفس بتحقق ذلك الظهور فتسكن وتطمئن .

أما لو أنه قال " متى أري الصبح وقد لاحت مخايله " بإثبات الواو ، فـــإن النفس تشعر بأن هناك فاصلاً زمنياً دقيقاً ، وهذا أمر ترفضه نفس الشاعر الضجـرة المتبرمة بذلك الليل ، العجلة في رؤية مخايل الصبح .

ولجمال هذه القصيدة وروعة معانيها واتصال هذه المعاني بسر خلو الجملـــة من " واو " الحال ، سوف أورد شرح الأبيات المتصلة ببيت الشاهد مستقيه ذلـك من شـــرح المرزوقي :

فالشاعر في مطلع قصيدته أعلن تبرمه المطلق بذلك الليل ، وجعله كالمجسمات حتى صار ذا طول وعرض ، بل بلغ الطول والعرض فيه نهايتهما وغايتهما حتى وقفـا لامستزاد فيهما ، فكأنما ليل موصول ليلٌ موصول بليل لا ينقطع ولا ينكشف ، وقولـه :

" لا فارق الصبح كفّي " يجوز أن يكون دعاء ، يريد إن ظفرت بالصبح فلا فَـرَّق الله بيني وبينه كما يقال لا بارك الله في الكُفّار ، ويجوز أن يكون إخباراً[٢] ، والمعنـى أنه يثبت به ، فلا يُخلّيه للزّوال ، وهذا على التّشوق له والتبرم بليله .

والليل في الاستعمال بإزاء النّهار على الإطلاق ، والليله بإزاء اليوم ، وهـــذا يدّل على أنه لا يقصد إلى ليلة واحدة ، وإنما أراد : الليل في صول هكذا عَلَـــيّ على الدوام .

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٨٣٠ .

(٢) ويكون على غير المشهور ، لأن " لا " لا تدخل على الفعل الماضي إلا إذا كررت. أو كان للدعاء / مغني اللبيب : ١ / ٢٤٢ - ٢٤٣ .

وقوله : " إنْ بَدَت غُرَّةٌ منه وتحجيل " يريد تباشيره ممتزجة بالظــــلام ، والمراد إظهار الفاقة إليه ، وشدة التشوف ، وطول الملازمة له إذا ظَفِر به .

وقوله : " متى أرى الصّبح " لفظة استفهام ، ومعناه التمني والتطلع ، واستبعاد المنتظر المترقّب ، ومخايله ما يتَبَيَّن به دُنُوّه كأنه أظهر ما عليه النفس من ضجـــره بالليل واستراحته للصّبح . (١)

وحذف الواو من جملتي الحال وجعلهما مسبوقتين بـ" قد " " قد لاحت مخايله" ، " قد مزقت عنه السرابيل " - على ما بيناه سابقاً - ووصل الجملتين " متى أرى الصبح " و " الليل قد مُزِّقت عنه السرابيل " وبنى الجملة الأخيرة على الاستعارة المكنيـــة حيث شبه الليل بإنسان عليه غطاء ساتر بجامع التغطية في" كل" ، ثم حذف المشبه به ، وجاء بشيء من لوازمه ، وهو السرابيل ، وقوله : " قد مُزِّقت " ترشيح ، كل ذلك ؛ ليظهر شدة شوقه وتشوفه لبزوغ الفجر ففي ظهوره راحة نفسه .

ثم أخذ يظهر استثقاله لذلك الليل ، فجعله لامتداده ، واتصال دوامـــه كالمتحير الواقف عن المسير القائم على حدٍّ لا يزول عنه ، ولا يجنح ، ولا يميـــل ، وساعد على إظهار حالة الضيق والتبرم هذه حذف المسند إليه ، ومجيء المســـند نكرة ، والأصل " هو ليلٌ " .

الشاهد الثالث والخمسون بعد المائة : (*) (الوافر)

فَآبُوا بالرِّمَاحِ مُكَسَّــرَاتٍ (٢) ∴ وَأُبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدِ انْحَنَيْنَـــا (٣)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٨٣١ .
(*) الدلائل ، رضا : ١٦٢ ، خفاجي : ٢٣١ ، شاكر : ٢١٠ .
(٢) رواية حماسة البحتري : " محطمات " .
(٣) انظر البيت في :-
الحماسة - عسيلان - : ١ / ٢٤٨ رقم (١٥٤) ، عيار الشعر : ٦٦ ، الأشباه والنظائر : ١ / ١٥٣ ، الحماسة للبحتري : ٤٨ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٤٤٢ ، بهجة المجالس وأنس المجالس : ٢ / ٤٧٣ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢ / ٢٢٩ .

ورد البيت في الدلائل من غير نسبة ، وهو لعبد الشارق بن عبد العزي (١) الجهني (٢) ، وقيل لسلمة بن الحجاج الجهني (٣) .

وهو من قصيدة قالها في صفة الحرب أو الصدق في اللقاء ، ومطلعها :

أَلَا حُيِّيتِ عَنَّا يَارُدَيْنَا ∴ نُحَيِّيهَا وإِنْ كَرُمَتْ عَلَيْنَا

وقبل الشاهد :

شَدَدْنَا شَدَّةً فَقتَلْتُ مِنْهُمْ ∴ ثَلَاثَةَ فِتْيَةٍ وَقتَلْتُ قَيْنَا

وَشَدُّوا شَدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا ∴ بِأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوَيْنَا

وَكَانَ أَخِي جُوَيْنٌ ذَا حِفَاظٍ ∴ وَكَانَ القَتْلُ لِلْفِتْيَانِ زَيْنَا

وبعدها بيت الشاهد وبعده :

فَبَاتُوا بِالصَّعِيدِ لَهُمْ أُحَاحٌ (٤) ∴ وَلَو خَفَّتْ لَنَا الكَلْمَى سَرَيْنَا (٥) (٦)

---

(١) في الأشباه والنظائر " عبد العزيز " .

(٢) لم أجد للشارق بن عبد العزى ترجمة وافية ، ولكن يُفهم من كلام ابن جني في المبهج "٣٢" أنه جاهلي قال :" الشارق اسم صنم لهم ، ولذلك قالوا عبد الشارق كقولهم عبد العزى ، وكلاهما صنم ومثله عبد يغوث ، وعبد ود ونحو ذلك ، ويجوز أن يكون الشارق من قولهم عبد الشارق وهو قرن الشمس ، فقولهم إذا عبد الشارق كقولهم لا أكلمك ماذرّ شارق أي ماطلع قرن الشمس ، فقولهم إذاً عبد الشارق كقولهم عبد شمس" .

وقد جاء في الحماسة البصرية : ٢ - ٥٤ ، مايؤيد ذلك . قال عند ذكر أحد أبيات القصيدة : قال عبد الشارق بن عبد العزى الجهني جاهليّ .

(٣) ذكرت هذه النسبة في حماسة البحتري : ٤٧ ، ولم أجد لسلمة هذا ترجمة .

(٤) الأُحاح : اشتداد الحزن أو العطش ، وسمعت له أُحاحاً وأحيحاً إذا سمعته يتوجع من غيظ أو حزن ، والأحة : كالأُحاحِ ، والأُحاح والأحيحُ والأُحيحة : الغيظ والضِّغن وحرارة الغم والحقد./ اللسان " أحح " : ٢/٤٠٤ .

(٥) رواية عيار الشعر : " سَلينا .

(٦) انظر الأبيات في : نفس مراجع بيت الشاهد .

وموضع الشاهد قوله : " قد انحنينا " .

والشاهد فيه كسابقه وهو وقوع الجملة الفعلية ، وفعلها ماضٍ موضع الحال ، ولم تسبق بـ" واو " الحال ، وإنما جاءت مقترنة بـ" قد " .

ولعله جاء بجملة الحال خالية من" الواو " ليدل على قوة طعنهم ، ومضاء نصلهم ، بأن جعل رجوعهم ، وحال سيوفهم خبراً واحداً مؤكداً تتلقاه النفس دفعة واحدة فتشعر بقوته ، وإنك لمتذوق طعم هذا الأسلوب وحلاوته إذا نظرت إلى قوله في أول القصيدة :

رُدَيْنَةَ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ جِئْنَا .·. عَلَى أَضَمَاتِنَا وَقَدْ اْحْتَوَيْنَا

حيث جاء بجملة فعلية فعلها ماضٍ واقعة حالاً مسبوقة بـ" الواو " ، وهي قوله : " وقد احتوينا " .

وللنفس هنا أن تتساءل عن سر هذا التغير في الأسلوب ، وجوابها أنّ المقام هنا يقتضي مجيء " الواو " ؛ لأن الشاعر أراد أن يجعل مجيئهم وهم غضاب خبراً قائماً بذاته ؛ ليصور بسالتهم ونضالهم ، ثم أراد أن يزيد صورتهم هذه وضوحاً لتزداد النفس حبورا ، فإن الأخبار السارة تُحَبَّب إلى النفس أن تقف عندها تتأملها وتأنس بها ، فجاء بالخبر الآخر وهو قوله :

" وقد احتوينا " ، وزاد النفس أُنساً حذفه المفعول به والأصل احتوينا الأموال والغنائم وإنما حذف ليدل على كثرة وتنوع ماغنموه .

وذكر ابن طباطبا أن القصيدة التي ورد فيها بيت الشاهد من الأشعار المحكمة المتقنة الحسنة الرصف . قال :

" فمن الأشعار المحكمة المتقنة المستوفاة المعاني ، الحسنة الرصف ، السلسة الألفاظ ، التي قد خرجت خروج النثر سهولة وانتظاماً ، فلا استكراه في قوافيها ، ولا تكلف في معانيها ، ولا داعيّ لأصحابها فيها " (١)

---

(١) عيار الشعر : ٥٤ .

وذكر ابن عبد البر في بهجة المجالس أن هذه القصيدة " من أحسن ما قيل في الإنصاف في صفة الحرب ، واللقاء والصدق في ذلك " (١) .

الشاهد الرابع والخمسون بعد المائة : (*) (الكامل)

يَمْشُونَ قَدْ كَسَرُوا الجُفُونَ إلى الوَغَى .·. مُتَبَسِّمِينَ وَفِيهِم اسْتِبْشَارُ (٢)

أورده الشيخ من غير نسبة (٣)

وموضع الشاهد قوله : " قد كسروا " .

والشاهد فيه كسابقه ، وهو وقوع الجملة الفعلية موقع الحال ، وفعلها ماض ، ولم تسبق بـ " واو " الحال ، وإنما اقترنت بقد .

ورأى الشيخ عبد القاهر أن عدم مجيء الواو هنا لطيف جداً ، ولم يبين وجه اللطافة فيه .

ولعل عدم مجيء الواو لطف هنا لأن الشاعر قصد أن يجعل خبر مشيهم وخبر كسرهم للجفون حين السير إلى الوغى خبراً واحداً ليؤكد أن هذا دأبهم وهذا حالهم في كل صيحة حرب ، فقوتهم لا يصيبها الوهن ولا يطرأ عليها الفتور .

الشاهد الخامس والخمسون بعد المائة : (*) (الرجز)

لَنَا فَتًى وَحَبَّذَا الأَفْتَاءُ (٤)
تَعْرِفُهُ الأَرْسَانُ وَالدِّلاءُ (٥)

---

(١) بهجة المجالس : ٢ / ٤٧٣ .
(*) الدلائل ، رضا : ١٦٢ ، خفاجي : ٢٣١ ، شاكر : ٢١٠ .
(٢) لم أعثر عليه فيما لدي من مصادر .
(٣) لم أقف على قائله بعد .
(*) الدلائل ، رضا : ١٦٣ ، خفاجي : ٢٣٢ ، شاكر : ٢١٠ .
(٤) الأفتاء : جمع فتى وهو الشاب ويقال هو الكامل الجزل من الرجال . / اللسان " فتا " : ١٥ / ١٤٥ - ١٤٦ .
(٥) الأرسان : جمع رسن وهو الحبل ./ اللسان " رسن " : ١٣ / ١٨٠ .

إِذَا جَرَى فِي كَفِّـهِ الرِّشَـاءُ (١)
خَلَّى القَلِيبَ (٢) لَيْسَ فِيهِ مَـاءُ (٣)

نسبه الشيخ إلى أعرابي.
وموضع الشاهد قوله : " ليس فيه ماء " .

والشاهد فيه وقوع الجملة الاسمية المصدرة بـ" ليس " موقع الحال ، وخلوها من " الواو " مع أنّ الشائع أن تصحب " واو " الحال " ليس " . قال الشيخ :

" ومما يجيء بـ" الواو " في الأكثر الأشيع ، ثم يأتي في مواضع بغير " الواو " فَيَلْطُف مكانه ويدل على البلاغة ، الجملة قد دخلها " ليس " تقول : " أتاني وَلَيْسَ عَلَيهِ ثَوبٌ " و " رأيته وَلَيْسَ معه غيره " ، فهذا هو المعروف المستعمل ، ثم قد جاء بغير " الواو " ، فكان من الحسن على ما ترى وهو قول الأعرابي ... الشاهد " (٤)

ولعل عدم مجيء الواو حَسُن هنا مع أنّ الغالب أن تصاحب ليس واو الحال ؛ لأن الشاعر أراد في هذا المقام الذي هو مقام مدح ، وافتخار أن يبالغ في تصوير شجاعة فتيان قبيلته ، فنكر لفظ " فتى " للعموم ، فهو لا يقصد فرداً بعينه ، فكل فتى في قبيلته يتمتع بالشجاعة النادرة ، فإذا جرى في كفه حبل الدلاء جعل القليب خالياً ، وقدم المسند الجار والمجرور " لنا " على المسند إليه " فتى " لتقوية الحكم في الأذهان .

وانظر إلى قيمة الاستعارة المكنية في قوله " تعرفه الأرسان والدلاء حيث شبه الأرسان والدلاء بإنسان يدرك ، ثم حذفه وجاء بشيء من لوازمه ، وهو المعرفة ، لإيقاع المعرفة على الأرسان والدلاء تخييل ، ثم تأمل دور " إذا " التي جزمت بدوام جريان الرشاء في كف ذلك الفتى .

---

(١) الرشاء : حبل الدلو / اللسان " رشا " : ٣٢٢/١٤ .

(٢) القليب : البئر / اللسان " قلب " : ٦٨٩/١ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) الدلائل ، رضا : ١٦٢ ، خفاجي : ٢٣١-٢٣٢ ، شاكر : ٢١٠ .

ولم يكتف الشاعر بهذا الخبر الذي ركبه تركيباً استطاع أن يوصل إلينا معنى الشاعر المراد ، بل عمد إلى خبر آخر بأن نفى وجود الماء وضمه إلى الخبر الأول ، وجعلهما في حكم خبر واحد ؛ ليصور في النفس فرط قوته ، ويؤكد لها بالغ شجاعته .

والمعنى : " لنا فتى يزاول الأمور ، ويقوم بكفايتها يعرفه الأرسان والدلاء ؛ لكثرة استقائه الماء ، وهذا وصف له بالجلادة ، إذا جرى في كفه الدلاء ، وأخذه للاستقاء ترك القليب لفرط قوته خالياً منزوح الماء ، وقوله لنا فتى لفظه مفرد ، والمراد الكثرة ، والدليل مقام التمدح والمفاخرة " (١)

الشاهد السادس والخمسون بعد المائة :(*) (الطويل)

قول الفرزدق :

فَقُلْتُ عَسَى أَنْ (٢) تُبْصِرِيني كَأَنَّمَا ∴ بَنِيَّ حَوَالَيَّ الأُسُودُ الحَوَارِدُ (٣) (٤)

---

(١) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : رقم الشاهد (١٧٢) .

(*) الدلائل ، رضا : ١٦٣ ، خفاجي : ٢ : ٢٣٢ ، شاكر : ٢١١ .

(٢) رواية أساس البلاغة " لعلك يوماً أن تريني كأنما " .

(٣) رواية الديوان " الأسود اللوابد " .

أى لهن لبد واللبدة : الشعر المجتمع بين كتفي الأسد ، والحوارد معناها " الغضاب " جاء في أساس البلاغة مادة " حرد " : حَرِد عليه : غضب ، وهو حَرِدٌ عليه وحارد ، وأسد حَارد وأسود حوارد " : ٧٩ .

(٤) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوانه : ١ / ١٤٦ ، الإيضاح : ١ / ٢٧٨ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٤٧ب ، معاهد التنصيص : ١ / ٣٠٥ رقم الشاهد (٥٦) ، القول الجيد : ٣٦٥ ، شروح التلخيص : ٣ / ١٥٧ .

وبيت الشاهد أحد ثلاثة أبيات قالها الشاعر مخاطباً زوجته طيبة بنت العجّاج المجاشعي حين قالت له :

ليس لك ولد ، وإن مت ورثك قومك .

وقبل الشاهد :

تَقُولُ أَرَاهُ وَاحِداً (١) طَاحَ أَهْلُهُ ∴ يُؤَمِّلُهُ (٢) فِي الوَارِثِينَ الأَبَاعِدُ

وبعده بيت الشاهد وبعده :

فَإِنَّ تَمِيماً قَبْلَ أَنْ يَلِدَ الحَصَى ∴ أَقَامَ زَمَاناً وَهُوَ فِي النَّاسِ وَاحِدُ (٣)

وموضع **الشاهد** قوله : " كَأَنَّمَا بَنِيَّ الأُسُودُ الحَوَارِدُ "

والشاهد فيه : وقوع الجملة الاسمية موقع الحال ، وحُسْن مجيئها من غير واو الحال ، والعلة في هذا الحُسن دخول الحرف الناسخ " كأنما " عليها .

قال الشيخ :

" قوله : " كأنما بَنِيَّ " إلى آخره في موضع الحال من غير شبهة ، ولو أنك تركت " كأن " فقلت : " عسى أن تُبْصِرِينِي بَنِيَّ حَوَالَيَّ كالأُسُودِ " رأيته لا يحسُن حُسْنَهُ الآن ، ورأيت الكلام يقتضي " الواو " كقولك : " عسى أن تُبْصِرِينِي وبَنِيَّ حَوَالَيَّ كالأُسُودِ الحَوَارِدِ " (٤)

ولعل علة عدم مجيء الواو ، وحسن ذلك أنه حصل بالحرف الناسخ " كأنما " نوع من الارتباط بين الجملتين أغنى عن وجود الواو . فجعل إبصارها وحالة وجود بنيه حوله وكأنها حال متحققة موجودة .

---

(١) رواية الدسوقي : " وقالت أراه واحداً لا أخا له " .

(٢) رواية معاهد التنصيص والدسوقي : " يؤمله ولا هو والد " .

(٣) انظر الأبيات في :-

ديوانه : ١ / ١٤٦ ، معاهد التنصيص : ١ / ٣٠٥ .

(٤) الدلائل ، رضا : ١٦٣ ، خفاجي : ٢٣٢ ، شاكر : ٢١١ .

والمعنى قائم على الترجي والتمني فهو يخاطب زوجته التي لا متَه في انعدام ولده، فيقول قلت لهذه المرأة لا تلوميني عسى أن تشاهديني والحال أن أولادي في يميني ويساري كالأسود الغضاب .

الشاهد السابع والخمسون بعد المائة :(*) (السريع)

قول ابن الرومي :

وَاللّٰهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا ∴ بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمُ (١)

وهو من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن عبد الله(٢)، وأولها :

نَحْنُ مَيَامِينُ عَلَى أَنَّنَا ∴ عَلَى أَعَادِيكَ مَشَائِيمُ

وقبل بيت الشاهد :

(*) الدلائل ، رضا : ١٦٣ ، خفاجي : ٢٣٢ ، شاكر : ٢١٢ .

(١) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :
ديوانه : ٦ / ٢٣١٥ ، الإيضاح : ١ / ٢٧٨ ، شرح أبيات الإيضاح : -فيض الله- : ٤٧ب ، شروح التلخيص : ٣ / ١٥٨ ، معاهد التنصيص : ١ / ٣٠٥ رقم الشاهد (٥٧) ، القول الجيد : ٢٦٦ .

(٢) هو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ، أبو أحمد (٢٢٣ هـ - ٣٠٠) ، وقد يُعرف بابن طاهر ، أمير من الأدباء الشعراء ، انتهت إليه رياسة أسرته ، ولي شرطة بغداد ، وقيل : إمارة بغداد وكان مولده ووفاته فيها ، كان مهيباً رفيع المنزلة عند المعتضد العباسي ، له براعة في الهندسة والموسيقى ، حسن الترسل ، وله تصانيف منها : "الإشارة" في أخبار الشعراء ، و"السياسة الملوكية" و"البراعة والفصاحة" ، و"مراسلات" مع ابن المعتز جمعها في كتاب . / انظر :
الفهرست : ١٧٠ ، تاريخ بغداد : ١٠ / ٣٤٠-٣٤٤ ، وفيات الأعيان : ٣ / ١٢٠ - ١٢٣ .

قَلَّ لَكَ المُلْكُ وَلَوْ أَنَّــهُ ∴ مَجْموعَــةٌ فِيــهِ الأَقَالِــيمُ

نِعْمَ المَفَاتِيحُ وَقَدْ قُدِّرَتْ ∴ مِثْلَ المَفَاتِيحِ الخَوَاتِــيمُ

وبعدهما البيت .

وموضع الشاهد قوله " بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمُ " .

والشاهد فيه : وقوع الجملة الاسمية حالاً ثانية ، ولم تُسبق بـ " واو " الحال ، فَلَطُفَ ذَلِكَ ، وسِرُّ هذا اللطف أنها سُبقت بحال مفردة " سالماً " ، ولو حذفت هذه الحال المفردة لانتفى ذلك الحُسن . قال الشيخ :

" . . . وشبيه بهذا أنك ترى الجملة قد جاءت حالاً بعقب مُفْرَد ، فَلَطُفَ مكانُها ، ولو أنك أردْت أن تجعلها حالاً من غير أن يتقدمها ذلك المفرد لم يحسن " (١)

ويجوز أن تكون الحال المفردة " سالماً " وجملة الحال " بُرْدَاك " من الأحوال المترادفة ، وهي أن تكون أحوالاً متعددة ، وصاحبها واحد كالكاف من يبقيك ، ويجوز أن يكونا من الأحوال المتداخلة ، وهي : أن يكون صاحب الحال المتأخرة الاسمَ الذي يشتمل عليه الحال السابقة مثل أن يجعل قوله : " بُرداك تعظيم " حالاً من الضمير في سالماً . (٢)

فهذا التعلق بين الحالين أغنى عن وجود الواو ، فكأنّ مُراد الشاعر أن يجعل حال كونه سالماً ، وحال ارتدائه أثواب التبجيل والتعظيم حالاً واحدة متحدة في الزمن ، ولو أنه جاء بـ " الواو " لتوهم السامع أنه يدعو له بالبقاء سالماً في وقت ، وأن يكون مرتدياً أثواب التبجيل والتعظيم في وقت آخر ، وإنما مراد الشاعر اجتماعهما فيه على الدوام والاستمرار .

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٦٣ ، خفاجي : ٢٣٢ ، شاكر : ٢١١ .

(٢) معاهد التنصيص : ١ / ٣٠٥ شاهد (٥٧) .

والمعنى أبقاك الله لنا سالماً من كل مكروه مُرتدياً أثواب التعظيم والتبجيل في كل زمان ومكان .

الشاهد الثامن والخمسون بعد المائة :(*) (الطويل)

سَأغْسِلُ(١) عَنِّي العَارَ بِالسَّيفِ جَالِبًا .·. عَلَيَّ قَضَاءَ اللّهِ مَاكَانَ جَالِبَا (٢)

ذكره الشيخ من غير عزو ، وهو لسعد بن ناشب المازني(٣) .

(*) الدلائل ، رضا : ١٧٠ ، خفاجي : ٢٣٨ ، شاكر : ٢٢٠ .

(١) رواية تاريخ بغداد : " سأدحض " .

(٢) انظر البيت في :
كتاب الأمثال لابن سلّام : ١١٧ ، الحماسة - ت : عسيلان -: ١/ ٦٩ ، رقم (١٠) ،عيون الأخبار : ١ / ١٨٧ ، الزهرة : ٢ / ٦٨٢ .
وذكر في الأمالي للقالي أبياتاً عديدة من القصيدة من غير أن يورد بيت الشاهد : (٢/ ٧٥) ، وكذلك في جمع الجواهر في الملح والنوادر : ٩٧ ، شرح الحماسة للمرزوقي : ١/ ٦٧ ،زهر الآداب : ١/ ٢٥٨ ، تاريخ بغداد : ٩/ ٣٥٤ ، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال للبكري : ١٥٠ ، سمط اللآلي : ٢ / ٧٩٤ ، المقتصد في شرح الإيضاح : ١ / ١٠٥رقم (١٠٨) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ٣٥ ، التذكرة السعدية ٤٢ ، الكشكول : ٢/ ٣/ ٤ ، خزانة البغدادي - دار صادر -: ٣/ ٤٤٤ .

(٣) هو سعد بن ناشب بن معاذ بن جعدة بن ثابت بن زرارة بن ربيعة ، وجاء في الشعر والشعراء أنه من بني العنبر ، وكان أبوه ناشب ، وكان سعد من شياطين العرب ، وله يوم الوقيط ، وهو يوم كان في الإسلام بين تميم وبكر بن وائل ، فهو على هذا شاعر إسلامي /انظر ترجمته : النقائض : ١ / ٣٠٥ - ٣١٣ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٢٩٦ ، سمط اللآلي : ٢ / ٧٩٣ - ٧٩٤ ، خزانة البغدادي - دار صادر -: ٣ / ٤٤٦ .

والبيت من قصيدة قالها سعد حين أصاب دماً، فهدم بلال بن أبي بردة (١) داره بالبصرة وحرقها، وقيل إن الحجاج هو الذي هدم داره. (٢)

وبيت الشاهد هو مطلع القصيدة وبعده:

وَأُذْهِلُ عَنْ دَارِي وَأَجْعَلُ هَدْمَهَا ∴ لِعِرْضِي مِنْ بَاقِي المَذَمَّةِ حَاجِبَا

وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا انْثَنَتْ ∴ يَمِينِي بِإِدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبَا

وفي زهر الآداب ذكر الحصري خمسة أبيات من ضمنها بيت الشاهد، وجعله قبل البيت الأخير وذكر قبله:

وَلَمْ يَسْتَشِرْ فِي رَأْيِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ∴ وَلَمْ يَرْضَ إِلَّا قَائِمَ السَّيْفِ صَاحِبَا

وبعده البيت وبعده:

وَيَصْغُرُ فِي عَيْنِي تِلَادِي إِذَا انْثَنَتْ ∴ يَمِينِي بِإِدْرَاكِ الَّذِي كُنْتُ طَالِبَا

وذكر الحصري أنّ سعدًا قد أفرط في هذه الأبيات (٣)

وموضع الشاهد قوله: "قضاءُ الله"

والشاهد فيه: ارتفاع الاسم الظاهر "قَضَاءُ" باسم فاعل - جالباً - اعتمد على ذي حال فعمل عمل الفعل.

وساقه الشيخ على أنه مقياس يقاس عليه كل ما جاء على نحو قول الشاعر:

" خَرَجْتُ مَعَ البَازِي عَلَيَّ سَوَادُ "

برفع "سوادُ" بالظرف دون الابتداء، فارتفع سواد بما في عَلَيَّ من معنى الفعل لا بالابتداء، هذا على أن يقدر المتعلق إما فعلاً، وإما اسم فاعل، وتقدير الثاني أولى.

---

(١) (ت: نحو ١٢٦هـ) وقد سبقت ترجمته. انظر الشاهد الثامن بعد المائة.

(٢) انظر: شرح الحماسة للتبريزي: ١ / ٣٥، خزانة البغدادي - دار صادر - ٣ / ٤٤٤.

(٣) زهر الآداب: ١ / ٢٥٨.

قال الشيخ عبد القاهر:

" وإذا تأملت الكلام وجدت الظرف وقد وقع مواقع لا يستقيم فيها إلا أن يُقدّر تقدير اسم فاعل، ولذلك قال أبو بكر بن السرّاج في قولنا: " زيدٌ في الدّار " أنك مخيّر بين أنْ تقدر فيه فعلاً فتقول:

" استقر في الدار "، وبين أن تقدر اسم فاعل فتقول: " مستقر في الدّار "، وإذا عاد الأمر إلى هذا، كان الحال في ترك الواو على ظاهره (١)، وكان " سواد " في قوله: " خرجت مع البَازِي عَلَيّ سَوَادُ "، بمنزلة " قضاء الله " في قوله:

سَأَغْسِلُ عَنِّي العَارَ بالسَّيفِ جَالِباً .:. عَلَيَّ قَضَاءُ اللَّهِ مَاكَانَ جَالِبَا

في كونه اسماً ظاهراً قد ارتفع باسم فاعل قد اعتمد على ذي حال، فعمل عمل الفعل " (٢)

وروى المرزوقي أن قوله " قضاءُ الله " يروى بالرفع والنصب، فعلى رواية الرفع يكون فاعلاً لـ " جالباً عَلَيّ " و " ماكانَ جَالِباً " في موضع مفعوله، ويكون القضاء بمعنى الحكم والتقدير: سأغسل العار عن نفسي باستعمال السيف في الأعداء في حال جلب حكم الله عَلَيّ الشيء الذي يجلبه وعلى رواية النصب يكون " قضاء الله " مفعولا لـ " جالباً "، وفاعله ماكان جالباً، ويكون القضاءُ الموت المحتوم والقَدَر المقدور، كما يقال: للمصيد الصيد، وللمخلوق الخلق، والمعنى جالباً الموتَ عَلَيّ جالبهُ " (٣)

وبعد أن انتهيت من عرض هذا الفصل أحب أن أُشير إلى أنّ الشيخ عبد القاهر سار به في طريق النحاة، فعرض قواعدهم، وبيّن حالات مجيء الجملة

---

(١) في طبعة الأستاذ محمود شاكر: " في ترك الواو ظاهرة ".

(٢) الدلائل، رضا: ١٧٠، خفاجي: ٢٣٨، ٢٣٩، شاكر: ٢٢٠-٢٢١.

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١ / ٦٧.

الحالية مسبوقة بـ" واو " الحال ، وغير مسبوقة بها ، وقليل ماكان يشير أثناء العرض إلى لطف وحسن بعض الجمل التي لم تسبق بـ" واو " الحال مع جواز ذلك. فهو لم يذكر تحديدات ذوقية علمية يعتمد عليها ، وإنما اعتمد على استقراء الأساليب ، واستطعام اللغة ، وإدراك كنهها متكئاً في ذلك كله على الذوق ، فهو يشير إلى أن مجيء " واو " الحال وعدم مجيئها لا يمكن أن يكون عشوائياً ، بل هو من أجل علل توجبه ، وأسباب تقتضيه إلّا أنّ في الوقوف على العلة إشكالاً وغموضاً . قال الشيخ :

" وإنّي قد رأيت الجمل الواقعة حالاً قد اختلف بها الحال هذا الاختلاف الظاهر ، فلا بد من أن يكون ذلك إنما كان من أجل علل توجبه وأسباب تقتضيه ، فمحال أن يكون ههنا جملة لا تصلح إلّا مع الواو ، وأخرى لا تصلح فيها الواو ، وثالثة تصلح أن تجيء فيها الواو ، وأن تدعها فلا تجيء بها ، ثم لا يكون لذلك سبب وعلة . وفي الوقوف على العلة في ذلك إشكال وغموض ذاك لأن الطريق إليه غير مسلوك ، والجهة التي منها تعرف غير معروفة" (١)

والشيخ عبد القاهر وإن لم يوضح السر في تلك المفارقات إلا أن له عظيم فضل في إعطائه المتذوق المفتاح الذي يتعرف به على أسرارها ، وتمهيده الطريق ، وتذليله الصعاب لإحساس المتذوق لتكون رؤيته أكثر وضوحاً وجلاءً ونظرته أكثر عمقاً وتغلغلاً في خبايا الأساليب ، فقسّم الخبر قسمين :

- خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة إلّا به كخبر المبتدأ ، والخبر الفعلي .
- وخبر ليس هو جزءاً من الجملة ، ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له ، وهو (الحال) فهو خبر في الحقيقة من حيث إنه يثبت به المعنى لذي

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٦٣-١٦٤ ، خفاجي : ٢٣٣ ، شاكر : ٢١٢ .

الحال كما يثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ ، ففي مجيء الحال زيادة معنى في الإخبار من حيث يلتبس به الإثبات على سبيل التبع لغيره مع اشتراط كونه في صلته . فقولنا : جاء زيد راكباً اثبتنا المجيء أولاً ، ولزيادة في المعنى وصل المجيء بالركوب ، فالتبس به الإثبات على سبيل التبع لغيره أما في الخبر المطلق " زيد منطلق " فيكون إثبات الخبر من غير واسطة ، ومن غير أن يُتسبب بغيره إليه . (١)

ثم قال :

" وإذ قد عرفت هذا ، فاعلم أن كل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من " الواو " فذاك لأجل أنك عمدت إلى الفعل الواقع في صدرها فضممته إلى الفعل الأول في إثبات واحد ، وكل جملة جاءت حالاً ، ثم اقتضت " الواو " فذاك لأنك مستأنف بها خبراً ، وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات " (٢) .

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٦٤ ، خفاجي : ٢٣٣ - ٢٣٤ ، شاكر : ٢١٢ - ٢١٣ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٦٤ / ١٦٥ ، خفاجي : ٢٣٤ ، شاكر : ٢١٣ .

الفَصْل الثَامِن

شواهد الفصل والوصل

الشاهد التاسع والخمسون بعد المائة :-(*) (الكامل)

أبو تمــــام :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى ∴ صَبِرٌ (١) وَأَنَّ أَبَا الحُسَيْنِ كَرِيــمُ (٢)

الشاهد من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة، (٣) ومطلعها :

أَسْقَى طُلُولَهُمُ (٤) أَجَشُّ (٥) هَزِيمُ ∴ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نَضْرَةٌ وَنَعِيــــمُ

وقبل بيت الشاهد :

زَعَمَتْ هَوَاكَ (٦) عَفَا الغَدَاةَ كَمَا عَفَتْ ∴ مِنْهَا (٧) طُلُولٌ بِاللِّوَى وَرُسُـــومُ

(*) الدلائل ، رضا : ١٧٣، خفاجي : ٢٤٢، شاكر: ٢٢٥.

(١) الصَبِر : عصارة شجر مُرّ / القاموس المحيط " صبر " : ٢ / ٦٩. ورواية زهر الآداب : " مُرّ " ، رواية العمدة : " أجــل ".

(٢) انظر البيت في : ديوان أبي تمام بشـرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٩٠، ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٢٦٥ ، البديع لابن المعتز : ٥٩، زهر الآداب : ٣ / ٦٦١، العمدة : ١ / ٢٣٨، تحرير التحبير : ٣ / ٤٣٥، الإيضاح : ١ / ٢٤٧، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤٠ أ، المطـول : ٢٤٨ ، شروح التلخيص : ٣ / ١١، عقود الدرر : ٣٣ ب ، معاهد التنصيص: ١ / ٢٧٠.

(٣) في الديوان طبعة دار صعب " ابن شــبابة ".

(٤) ذكر محقق ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي أنَّ هناك رواية فــي إحدى النسخ " ديارهم ".

(٥) الأجش : السحاب الغليظ الرعد / اللسان " جشش " : ٦ / ٢٧٤ .

(٦) رواية المطول " هواكِ " بالكسر ، وذكر الحسين بن شهاب شارح شواهد المطول أن قول الشارح أن الخطاب في " هواك " للنفس توهم أن الكــاف مكسورة ، وهو غلط بل الكاف مفتوحة ، وحق العبارة أن يقول : والخطــاب لنفســه .

(٧) رواية مواهب الفتاح والمطول : " كما عفا عنها طلال " ، وذكر شــارح شواهد المطول أن الصحيح هو رواية الديوان " طلول " وقوله " عنهــا " غلط ، وإنَّما هو " منها " بالميم كما في رواية الديوان أيضا .

======

وبعده الشاهد وبعده :

مَازُلْتَ عَنْ سَنَنِ الوِدَادِ وَلاغَدَتْ ∴ نَفْسِي عَلى إِلْفٍ سِوَاكِ تَحُومُ

لِمُحَمدِ بنِ الهَيْثَمِ بنِ شُبَانَةٍ ∴ مَجْدٌ إِلى جَنْبِ السِّمَاكِ مُقِيمُ (١)

والشاهد فيه : عطف جملة " أَنَّ أَبَا الحُسَيْنِ كَرِيمُ " على جملة " أَنَّ النَّوَى صَبِرٌ " مع عدم المناسبة والجامع ، وهذا أمر معيب، فقد اشترط الشيخ في عطف جملة على جملة وجود مناسبة يحصل بها معنى الجمع . قال الشيخ - :

" . . . ومن هنا عابوا أبا تمام في قوله . . . وذلك لأنه لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ، ومرارة النوى ، ولا تعلق لأحدهما بالآخر ، وليس يقتضي الحديث بهذا ، الحديث بذاك " (٢)

فالعطف في البيت غير مقبول سواء جُعِل من عطف المفرد على المفرد ، كما هو ظاهر في البيت " لأن " أن " تؤول مع مدخولها بالمفرد ، أو جُعِل من عطف الجمل بناء على أنَّ " أن " مع مدخولها ، ولو كانت في تأويل المفرد سادة مسد مفعولي علم والمفعولات أصلهما المبتدأ والخبر ، وعلى هذا يكون في تأويل عطف الجملة على أخرى باعتبار الأصل " (٣)

ذكر ابن يعقوب أن بعضهم ممن ينتصر لأبي تمام حاول أن يدفع هذا العيب باختلاق جامع يربط بين الجملتين ، فذكروا أنَّ الجامع هنا خيالي لتفاوت مرارة النَّوى ، وكرم أبي الحسين في خيال أبي تمام ، أو هو وهمي لما بينهما من شبه

=== والطُّلُول بضمتين جمع طلل بفتحتين وهو مابقي من الدار بعد الخراب ، وجمعه على طلال غلط ، وإنَّما يجمع على طُلُول وأطلال . / وانظر كذلك : اللسان " طلل " : ١١/٤٠٦ .

(١) انظر الأبيات في :
الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٨٩-٢٩٠ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٧٣ ، خفاجي : ٢٤٢ ، شاكر : ٢٢٥ .

(٣) شروح التلخيص " مواهب الفتاح " : ٣ / ١٢ ، وانظر كذلك شروح التلخيص " مختصر السعد " ، و " حاشية الدسوقي " : ٣ / ١١ .

التضاد ؛ لأن مرارة النّوى كالضد لحلاوة الكرم لأن كرم أبي الحسين حلو ويدفع بسببه ألم احتياج السائل ، والصبر مُر ويدفع به بعض الآلام ، أو لوجود جامع التناسب ، فهما كالدّواء ، فالصبر دواء العليل ، والكرم دواء الفقير. (١)

ورد ابن يعقوب هذا القول ورأى أنه تعسف بارد ، وتكلف ظاهر ، وكذلك رأى الدسوقي أن هذه التأويلات متكلفة إلّا أنه لا يجوز نفي المناسبة مطلقاً بينهما ، لوجود مناسبة خفية ، ولكن المعتبر في الجامع هو المناسبة الظاهرة القريبة لا المناسبة الخفية. (٢)

حين ترامى إلى الشاعر قول محبوبته وزعمها بدرس حبه كما درست آثار ديارها في هذا الموضع ، ولمّا كان حبها متأصلاً في نفسه متغلغلاً في وجدانه لم يتحمل هذا الزعم الكاذب ، فانفلتت منه صرخة أطن بها بطلان هذا الزعم ، فابتدأ البيت بقوله : " لا " ، ثم أعقبه بالقسم زيادة في التوكيد ، فأقسم بالله الذي هو عالم أنّ الفراق صعب مر المذاق ، وعالم بأنّ هذا الممدوح كريم أنّه ماعدل عن طريق المحبة ، ولا حامت نفسه حول حبيب غيرها ، ولكي يؤكد لمحبوبته تلك الخلجات النفسية الصادقة صورها تصويراً رائعاً ، فجاء بالجواب على طريق الاستعارة التمثيلية " حيث شبه حال تعلق النفس بالمحبوب وملاحظتها له من كل جهاته بحالة حومان الطائر في الهواء فوق الشيء الذي يريد أن يقع عليه" (٣)

ويجوز أن يكون القسم راجعاً إلى مانفاه بقوله : " لا " مؤكداً له ، ويكون قوله : " مازلت عن سنن الوداد " ابتداء كلام. (٤)

---

(١) المصدر السابق " مواهب الفتاح " : ٣ / ١٢ ، حاشية الدسوقي : ٣ / ١١.

(٢) المصدر السابق " حاشية الدسوقي " : ٣ / ١١.

(٣) عقود الدرر : ٣٤ أ .

(٤) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤٠أ .

واستشهد ابن أبي الإصبع ببيت الشاهد في باب براعة التخلص : " وهو امتزاج آخر ما يقدمه الشاعر على المدح من نسب أو فخر أو وصف " أو أدب ، أو زهد ، أو مجون ، أو غير ذلك بأول بيت من المدح ، وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين ، وقد يقع في بيت واحد " ، ثم قال : " وهذه وإن لم تكن طريقة المتقدمين في غالب أشعارهم ، فإنّ المتأخرين قد لَهِجوا بها وأكثروا منها " (١)

وذكر العباسي في معاهد التنصيص أن بيت أبي تمام هذا من التخلص المعيب ، فقال بعد أن ذكره : " وقد عيب عليه هذا التخلص " (٢) .

وقد أرجع الدكتور أبو موسى العيب في مثل بيت أبي تمام إلى الفتور الذي يعتري النفس عند معالجة القول ، وانتشار الحس وعدم سيطرة الشاعر على الحالة والفكرة . قال :

" ومرجع هذا العيب عند التحقيق إلى انقطاع أو فتور يعتريان النفس في وقت معالجة القول ، فإذا أحاط بالنفس ما هي فيه من تفكير ، ومعاناة وسيطر الشاعر أو الكاتب على خلجاته ، وخيالاته ، وهواجسه ، لا يقع في كلامه والحال كذلك لفظ يتنافر مع سابقه ، أو ينبو به مكانه ، وإنما ترى ألفاظاً تتحدر متجانسة تجانس الفكر والحس منصبغة كلها بصبغة واحدة هي صبغة قلبه في حال معاناته ، فإذا رأيت في الكلام لفظاً غريباً ، كان ذلك مظهراً من مظاهر انتشار الحس ، وعدم السيطرة على الحالة ، والفكرة ، وهذا فتور ، وتخاذل وانقطاع . والفضيلة والعيب هنا يتصلان بالموهبة ، ومدى سطوتها ، واقتدارها وتمكنها . . ووصف الشعر بالتماسك والإحكام والملاءمة ، والسلاسة والتحدر ، وما يجري هذا المجرى ، وهو كثير يعني وصف الشاعرية بالسلامة ، وأن يكون الشاعر مجموع النفس في محيطه ، فلا تتواثب في خاطره أخلاط من المعاني " (٣) .

---

(١) تحرير التحبير : ٣ / ٤٣٣ .
(٢) معاهد التنصيص : ٤ / ٢٥١ .
(٣) دلالات التراكيب : ٢٩١-٢٩٢ .

ورأى ابن المعتز أن البيت من محاسن الكلام ، وجعله من حسن الخروج من معنى إلى معنى قال :

" ومنها (١) حسن الخروج من معنى إلى معنى . . .

وقال الطائي - من الكامل - :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى .·. صَبِرٌ وَأَنَّ أَبَا الحُسَينِ كَرِيمُ " (٢)

ورأى الحصري القيرواني أن أبا تمام قد أحسن كل الإحسان في بيته هذا ، ولم يذكر سر هذا الاستحسان قال :

" ومن أبدع ابتدائه قوله :

سَقَى دِيَارَهُمُ أَجَشُّ هَزِيمُ .·. وَغَدَتْ عَلَيهِم نَضْرَةٌ وَنَعِيمُ

جَادَتْ مَعَاهِدَهُمْ عِهَادُ سَحَابَةٍ .·. مَاعَهْدُهَا عِنْدَ الدِّيَارِ ذَمِيمُ

ثم تخلص إلى المدح فقال ، وأحسن كل الإحسان :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى .·. مُرٌّ وَأَنَّ أَبَا الحُسَينِ كَرِيمُ

مَازِلْتَ عَنْ سَنَنِ الوِدَادِ وَلَا غَدَتْ .·. نَفْسِي عَلَى إِلْفٍ سِوَاكَ تَحُومُ " (٣)

واستشهد به ابن رشيق في " باب المبدأ والخروج والنهاية " (٤) وسماه بالإلمام (٥)

---

(١) أي من محاسن الكلام : ٥٩ .

(٢) البديع : ٦١ .

(٣) زهر الآداب : ٣ / ٦٦١ .

(٤) العمدة : ١ / ٢٣٨ .

(٥) الإلمام : هو أن يعترض الشاعر في وسط النسيب بمدح من يريد مدحه بتلك القصيدة ثم يعود بعد ذلك إلى ما كان فيه من النسيب ثم يرجع إلى المدح . / العمدة : ١ / ٢٣٨ .

ورأى صاحب عقود الدرر أن البيت لا عيب فيه لأنه من الاقتضاب[1] قال :

" والشاهد في الأبيات عطف جملة " أَنَّ أَبَا الحُسَينِ كَرِيمٌ " على جملة " أَنَّ النَّوى صَبِرٌ " مع عدم المناسبة ، ولهذا عابوه عليه ، واعتذر عنه بتكلفات تركها أولى ، والحق أنه من الاقتضاب ، ولا عيب فيه " (٢)

الشاهد الستون بعد المائة :- (*) (البسيط)

لَا تَطْمَعُوا أَنْ تُهِينُونَا وَنُكْرِمَكُمْ[3] ∴ وَأَنْ نَكُفَّ الأَذَى عَنْكُم وَتُؤْذُونَا (٤)

---

(١) الاقتضاب : وهو من علم البديع ويسمى الاقتطاع والارتجال وهو أن ينتقل الشاعر مما ابتدأ به الكلام إلى مالا يلائمه ، وهذا مذهب العرب الجاهليين والمخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام . / معاهد التنصيص : ٤/ ٢٦٧ .

(٢) عقود الدرر : ٣٤أ .

(*) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ٢٤٣ ، شاكر : ٢٢٦ .

(٣) يقال طمع فلان في كذا طَمَعاً وَطَمَاعِيَةً ومطمعا ، وأَوْصَلَ الفِعْلَ بنفسه من دون " في " ؛ لأَنَّ " أن " الخفيفة والشديدة إذا اتصل بها حروف الجر حَسُنَ حذفها لطول الكلام بها ، تقول أنا راغبٌ في أن ألقاك وَطَامِعٌ في أن يُحْسِنَ زَيْدٌ إِلَيكَ وَحَرِيصٌ عَلَى أَنْ أَصِلَكَ ، ولو قلت : أَنَا رَاغِبٌ أن ألقاك وطامعٌ أن يُحسِن زَيْدٌ إليك ، وحريص أَنْ أَصِلَكَ لجاز ، ولو جعلت مكان " أَنَّ " المصدر ، فقلت : أنا راغب في لقائك ، وطامعٌ في إحسان زَيْدٍ إليك ، وحريص على صِلَتِكَ لم يجز حذف حرف الجر لا تقل : أنا راغب لقاءك ، وطامع إحسانَهُ إليك ، وحريص صلتك ؛ لأن ماكان يطول الكلام به لم يَحْصُل / انظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١/ ٢٢٤-٢٢٥ .

(٤) انظر البيت في :-

المؤتلف والمختلف : ٣٥ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٠٩ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١/ ٢٢٤ رقم (٥٥) ، بهجة المجالس : ١/ ٧٧٨ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١/ ١٢٠ ، شروح التلخيص - عروس الأفراح : ٣/ ١٧ .

========

ذكر البيت في الدلائل من غير عزو ، وهو للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب (١) وهو من قصيدة قالها في بني أمية (٢) ، وقبل بيت الشاهد :

مَهْلاً بَنِي عَمِّنَا مَهْلاً مَوَالِينَا ∴ لَا تَنْبِشُوا (٣) بَيْنَنَا مَاكَانَ مَدْفُونَا (٤)

وبعده بيت الشاهد وبعده :

مَهْلاً بَنِي عَمِّنَا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا ∴ سِيرُوا رُوَيْدًا كَمَا كُنْتُمْ تَسِيرُونَا

اللّهُ يَعْلَمُ أَنَّا لَا نُحِبُّكُمُ ∴ وَلَا نَلُومُكُمُ أَنْ لَا تُحِبُّونَا

كُلٌّ لَهُ نِيَّةٌ فِي بُغْضِ صَاحِبِهِ ∴ بِنِعْمَةِ اللّهِ نَقْلِيكُمْ وَتَقْلُونَا

=== ذكر البيت في هذه المصادر منسوباً للفضل بن العباس بن أبي لهب ، وفي الأغاني وبهجة المجالس بلفظ " الفضل بن العباس اللهبي " .

(١) هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، واسم أبي لهب عبد العزى ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وكان الفضل أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم ، وكان شديد الأدمة ، فأمه آمنة بنت العباس بن عبد المطلب ، وهي لأم ولد سوداء ، ولذلك يقول الفضل :

وَأَنَا الأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي ∴ أَخْضَرُ الجِلْدَةِ فِي بَيْتِ العَرَبِ

مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلْ مَاجِدًا ∴ يَمْلأُ الدَّلْوَ إِلَى عقد الكَرَبِ

والفضل كنيته أبو المطلب ، وقيل أبو عتبة ، وعاصر الفضل الأحوص والفرزدق ، وهو شاعر خبيث بخيل ، وكان يميل إلى الوليد بن عبد الملك منقطعاً إليه ، فلما مات الوليد جفاه سليمان وحَرَمَهُ . / انظر ترجمته في :

الأغاني : ١٦ / ١٧٥ - ١٩٣ ، المؤتلف والمختلف : ٣٥ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣١٩ ، سمط اللآلي : ٢ / ٧٠٠ - ٧٠١ .

(٢) ذكر ذلك في بهجة المجالس : ١ / ٢ / ٧٧٨ .

(٣) رواية بهجة المجالس : " لا تنشروا " .

(٤) ذكر في بهجة المجالس قبل بيت الشاهد :

=====

والشاهد في البيت وجوب الوصل ؛ لأن الجملة المعطوف عليها لها محل من الإعراب ، وقُصِد من العطف التشريك في الحكم مع وجود الجامع .

ففي البيت ثلاث جمل معطوفة بعضها على بعض ، فالأولى قوله : " أن تهينونا ونكرمكم " ، فجملة " أن تهينونا " - في محل جر بحرف الجر المحذوف ، وهذا قياس مطرد في " أن " - عطفت عليها جملة " ونكرمكم " ، والجامع بينهما التضاد .

والوصل الثاني في عطف جملة " وأن نكف الأذى عنكم " على جملة " أن تهينونا " ، والجامع بينهما التماثل .

والوصل الثالث في عطف جملة " وتؤذونا " على جملة " ونكف الأذى عنكم " والجامع بينهما التضاد .

فوقوع الفعلين في مثل هذه الصلة يزيد الاشتباك بين الجملتين ، ويزيد الاقتران والامتزاج بينهما ؛ لأنه إذا كان للجملة محل من الإعراب قوي شبهها بالمفرد ، فيكون العطف عليها أحكم وأوقع . قال الشيخ :

" وإذا وقع الفعلان في مثل هذا في الصلة ، ازداد الاشتباك والاقتران حتى لا يُتَصَوَّر تقديرُ إفراد في أحدهما عن الآخر ، وذلك في مثل قولك : " العَجَبُ من أنّي أحسنتُ وأسأت " و " يكفيك ما قلتَ وسمعت " و " أيَحْسُن أن تَنْهَى عَنْ شيء وتأتي مثلَه " ، وذلك أنه لا يشتبه على عاقل أن المعنى على جعل الفعلين في حكم فعلٍ واحد " (١)

ولعل الشاعر لجأ إلى هذا الوصل ؛ لأن هذا التشابك بين الجمل ، وهذا الامتزاج القوي قد أكسب المعنى قوة وتأكيدا ، فالشاعر أراد أن يُبَصِّر بَني عمه على حقيقة يجب ألّا يغفلوا عنها ، وهي عزته ، وعزة قومه ، وكرامته وكرامتهم ، وإباؤهم الضيم ، فهم قوم ذوو عزة وأنفة وحفاظ .

= = = مَهْلاً بَني عَمِّنا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا ∴ سِيرُوا قَليلاً كَما كُنْتُم تَسِيرُونَا

(١) الدلائل ، رضا : ١٧٤ ، خفاجي : ٢٤٣ ، شاكر : ٢٢٦ .

وفي الغفلة عن حقيقتهم هذه أثرٌ لن يحمد الأعداء عاقبته ، وجاء هذا اللغت وهذا التنبيه إلى هذه الحقيقة عن طريق عطف الجمل بعضها على بعض ؛ ليكون التنبيه أوقع في النفس ، وأشد في التذكير ، فشرع يخاطب بني عمه قائلاً :
" لا تُقَدِّروا أنكم إذا أهنتمونا قابلناكم بالإكرام وأنكم إذا آذ يتمونا كففنا عن أذاكم لأن عزتنا تمنع من ذلك " (١)

الشاهد الواحد والستون بعد المائة : (*) (الطويل)

قول أبي تمام :

لَهانَ عَلَيْنا (٢) أنْ نَقولَ وَتَفْعَلا * وَنَذْكُرَ بَعْضَ الفَضْلِ مِنْكَ (٣) وتُفْضِلا (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات ، (٥) ويعاتبه والشاهد هو مطلع القصيدة ، وبعده :

أَبا جَعْفَرٍ أَجْرَيْتَ في كُلِّ تَلْعَةٍ (٦) * لَنا جَعْفَراً (٧) مِنْ سَيْبِ كَفَّيْكَ (٨) سَلْسَلا (٩)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢٢٥/١ رقم (٥٥)
الدلائل ، رضا : ١٧٤ ، خفاجي ٢٤٣ ، شاكر : ٢٢٧

(٢) أي والله لقد هان .

(٣) رواية الديوان بشرح الخطيب " ونذكر بعض الفضل عنك " .

(٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :
الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٩٨/٣ ، الديوان - طبعة دار صادر : ٢٢٣

(٥) هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة " أبو جعفر " المعروف بابن الزيات وزير المعتصم والواثق العباسيين ، كان عالماً باللغة والأدب من بلغاء الكتاب والشعراء ، نكبه المتوكل وعذبه حتى مات لأنه عمل على تولية ابن الواثق ، وحرمان المتوكل من الخلافة فلم يفلح ، كان من العقلاء الدهاة ، في سيرته قوة وحزم وله ديوان شعر مطبوع . انظر ترجمته : تاريخ الطبري ٩ / ٢٠ - ٢٢ - ٥٣ - ١٠٣ - ١٠٧ - ١٠٩ - ١١٩ - ١٢٥ - ٦٠ ، تاريخ بغداد : ٣٤٢ - ٣٤٤ - وفيات الأعيان : ٩٤/٥ - ١٠٣ ، خزانة البغدادي : ٢١٥/١ - ٢١٦ .

(٦) التلعة ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها ، وهو من الأضداد / اللسان : " تلع " : ٣٦/٨ .

(٧) الجعفر : النهر الكثير الماء ، وهو أكبر من الجدول والسَّرِيِّ وأصغر من الربيع / اللسان " جعفر " ١٤٢/٤ ، فقه اللغة : ٢٨٨ .

(٨) رواية الديوان - بشرح الخطيب - : " فيض " .

(٩) ذكر محقق الديوان - بشرح الخطيب التبريزي - أنه ورد في نسخة " من فيض فضلك " .

فَكَمْ قَدْ أَثَرْنَا مِنْ نَوَالِكَ مَعْـدِنًا (١) ∴ وَكَمْ قَدْ بَنَيْنَا فِي طلالِكَ مَعْقِـلا

والشاهد في البيت كسابقه ، وهو وجوب الوصل ، لأن الجملة المعطوف عليهما لها محل من الإعراب ، وقُصد من العطف عليها التشريك في الحكم مع وجود الجامع .

ففي البيت ثلاث جمل معطوف بعضها على بعض ، فالأولى في قوله : " أن نقول وتفعلا " ، فجملة " أن نقول " المكونة من المصدر المؤول من " أن والفعل " في محل رفع فاعل ، عطفت عليها جملة " وتفعلا " والجامع بينهما التضاد .

والوصل الثاني : عطف جملة " ونذكر بعض الفضل منك " على جملة " أن نقول " والجامع بينهما التماثل .

والوصل الثالث : عطف جملة " وتُفضلا " على " ونذكر بعض الفضل منك " والجامع بينهما التضاد .

ولعل الشاعر لجأ إلى هذه الطريقة في التعبير ؛ لأنه أراد أن يبالغ في مدح ممدوحه ، فاختار لذلك طريقة وصل الجمل ، وإحكام ترابطها ؛ ليكون ذلك أبلغ في المدح ، ولتكون الصفات ألصق بالممدوح ، فوصفه بسرعة المبادرة إلى المعروف حتى أن فعله يسبق القول ، فكل قول أمام فعله هين سهل لا يؤبه به ، وهو كلما تذاكر القوم بعض أفضاله ازداد فيض عطائه ونواله .

الشاهد الثاني والستون بعد المائة :- (*) (الكامل)

زَعَمَ (٢) العَوَاذِلُ (٣) أَنَّنِي (٤) فِي غَمْـرَةٍ (٥) ∴ صَدَقُوا وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَنْجَلِـي (٦)

---

(١) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي : " في ظِلالِكَ مَعْقِلا " .
(*) الدلائل ، رضا : ١٨٢ ، خفاجي : ٢٥٠ ، ٢٣٥ .
(٢) زعم : الزعم ادعاء العلم ، ويستعمل غالباً في الاعتقاد الباطل ، وقد يستعمل في الحق كما هنا . والزعم يحتمل الصدق والكذب . / الصحاح " زعم " : ٥ / ١٩٤٢ أساس البلاغة : ١٩٢ ، اللسان " زعم " : ١٢ / ٢٦٤ .

======== ==

ذكر البيت في الدلائل من غير نسبة . (١)

والشاهد في البيت فصل جملة " صدقوا " عما قبلها ، وهو قوله : " زعم العواذل " للاستئناف ، والجملة المستأنفة وقعت جواباً للسؤال من غير سبب مطلق(٢) أو خاص(٣) كأنه قيل : صدقوا أم لا ، ولو أنه عطف وقال ، وصدقوا لم يكن في موضع المسؤول ، ولم يكن كلامه كلام مجيب ، قال الشيخ :

" لما حكى عن العواذل أنهم قالوا : " هو في غمرة " وكان ذلك مما يحرّك السامع ، لأن يسأله ، فيقول : " فما قولك في ذلك ، وما جوابك عنه ؟ ، أخْرَجَ الكلامُ مَخْرَجه إذا كان ذلك قد قيل له ، وصار كأنه قال : " أقول :

---

(٣) العواذل : جمع عاذلة لا جمع عاذل ، وهو صفة لمحذوف أي الجماعات العواذل والذي يدل على إرادته الجماعة لا امرأة عاذلة قوله " صدقوا" أي صدق أفراد تلك الجماعة ، والجماعة إمّا المقصود بها الرجال فقط ، أو هم والنساء ، فيكون في قوله صدقوا تغليب. / انظر : شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤١ ب ، عقود الدرر : ٣٤ ب ، معاهد التنصيص : ١ / ٢٨١ .

(٤) غمرة : الغمرة الشدة وأصلها في الماء الكثير / اللسان " غمر" : ٥ / ٢٩ .

(٥) لا تنجلي : الانجلاء الانكشاف والظهور / اللسان " جلا " : ١٤ / ١٥٠ .

(٦) انظر البيت في :
مغني اللبيب : ٢ / ٣٨٣ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٨٠٠ ، المفتاح : ١١٤ ، الإيضاح : ١ / ٢٥٧ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤١ ب ، عقود الدرر : ٣٤ ب ، شروح التلخيص : ٣ / ٦١ ، معاهد التنصيص : ١ / ٢٨١ ، رقم الشاهد (٥٢) .

(١) لم أقف له على قائل .

(٢) السبب المطلق كقول الشاعر :
قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلُ .·. سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ
لأن المنبهم على السامع سبب الحكم الكائن في الجملة الأولى على الإطلاق بمعنى أنه جهل السبب من أصله. / انظر :
الإيضاح : ١ / ٢٥٦ ، شروح التلخيص : ٣ / ٥٧ .

(٣) السبب الخاص : بمعنى أنه تصور نفي جميع الأسباب إلّا سبباً خاصاً =====

صَدقوا ، أنا كما قالوا ، ولكن لا مطمع لهم في فلاحي "، ولو قال : " زعم العواذل أنني في غمرة وصدقوا" ، لكان يكون لم يصح (١) في نفسه أنه مسئول ، وأن كلامه كلام مجيب " (٢)

وقد استحسن السكاكي هذا الفصل ، ورأى أن الشاعر قد أصاب المحز به قال :

" لم يعطف صدقوا على زعم العواذل للاستئناف ، وقد أصاب المحز ، وذلك أنه حين أبدى الشكاية عن جماعات العذّال بقوله زعم العواذل أنني في غمرة ، فكان مما يحرك السامع عادة ليسأل هل صدقوا في ذلك ، أم كذبوا صار هذا السؤال مقتضى الحال مبني عليه تاركاً للعطف على ماعليه إيراد الجواب عقيب السؤال " (٣)

وذكر بعض أصحاب شروح التلخيص أن الاستئناف هنا قد يكون لسبب خاص ، وذلك إذا تصور الصدق فيما زعموا من الكلام الأول ، وتردد هل واقع ذلك الصدق ، أَو لا ، أو كان المقام مقام تردد فيجب التأكيد بأنَ يقال أنهم لصادقون مثلا .

فَيُجَاب على ذلك بأن السؤال المقدر لَمّا كان فعلاً أتى بالجواب مطابقاً ، والتأكيد تقديري بمثل القسم أي صدقوا والله ، مثلاً ، أَوْ يُجَاب بأنه ليس كل سؤال يؤكد جوابه بل إذا ضعف بابتناء عن شك كما هنا لم يؤكد ، ومنه أن الزعم

=== تردد في حصوله ، ونفيه كقوله تعالى :
" وماأُبَرِّئُ نَفْسي إِنّ النَّفْسَ لأَمّارَةٌ بِالسّوءِ " . / يوسف : ٥٣ .
والذي يدل على أن المقام مقام تردد ، التأكيد في الجواب . / انظر: الإيضاح : ١/٢٥٦ ، شروح التلخيص : ٣/٦٠ ، ٦١ .

(١) في طبعة الأستاذ شاكر: " لم يضع في نفسه " ، وهو الأنسب بالمعنى .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٨٢ ، خفاجي : ٢٥٠ - ٢٥١ ، شاكر : ٢٣٦ .

(٣) المفتاح : ١١٤ .

مطية الكذب ، فالأنسب الظن في خلاف الحكم ، وذلك يقتضي التأكيد (١) .

• أظهر الشاعر شكايته من جماعات العواذل التي تترصد له ، وتزعم أنه في شدة وغمرة من ألم العشق ، فلاموه على تلك الغمرة ، وجاء بلفظ " العواذل " على صيغة الجمع ليدل على كثرتهم ، وقوله : " أنني " تأكيد على أنه في غمرة شديدة ، ونكّر لفظ " غمرة " ؛ ليدل على أنها غمرة العشق المعروفة ، وهو في الوقت ذاته للتهويل أي غمرة عظيمة هائلة ، ولما كان إظهار الشكوى بهذه الصورة الدالة على التوجع والتحسر ، تشوقت نفس السامع إلى معرفة الحقيقة ، ومعرفة أثر هذا الزعم على نفس الشاعر ، فجاء الشاعر بقوله " صدقوا " فأظهر جلادته ، وجاء باستدراك لطيف وهو قوله " ولكن غمرتي لا تنجلي " ليؤكد شدة غمرته وبالتالي قوة صبره ، أي مع اعتقادهم وصدقهم غمرتي باقية لا انكشاف لها .

جاء في شرح أبيات الإيضاح :

" وهذا في الحقيقة وصف لنفسه بالتجلد ، وتمدح بالخوض في المهالك " (٢)

وجاء في عقود الدرر :

" اختار زعم للإشارة إلى خطأ ظنهم من أن شدته مما يمكن الخلاص منها ، ولذلك لاموه عليها ، وجمع العواذل للإشارة إلى كثرتهم ، وقوله : أنني تأكيد لأن زعمهم لا شك فيه عندهم ، وقوله : في غمرة إشارة إلى انغماسه في الغمرة بزعمهم ، وتنكير الغمرة للنوعية ، لأن المراد بها غمرة العشق ، وقوله : صدقوا تصديق لهم في أصل الزعم ، وقوله : " غمرتي لا تنجلي " اعتراض . . . والمراد به التعريض ؛ لأن غمرته من الغمرات التي لا يُرجى انكشافها ، فاللوم عليها عبث " (٣)

---

(١) شروح التلخيص - مواهب الفتاح - : ٣ / ٦١-٦٢ ، وعنه أخذ الدسوقي .
(٢) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤١ ب .
(٣) عقود الدرر : ٣٥أ .

يبدو أن كلام صاحب عقود الدرر ليس دقيقاً ، فقد اعتقد أن (زعم) هنا تدل على الزعم الباطل ، وقد ذكرت سابقاً أن (زعم) كثيراً ما تستعمل في الباطل ، وقليلاً في الحق ، وهي هنا مستعملة في الحق، والقول بأن معناها الكذب لا يتفق مع الموقف ، والذي يبدو من قوله (صدقوا) ، ومن الموقف ، أنه في غمرة شديدة ، ومن هنا صدقوا ، وهو يصدقهم إقراراً وتأكيداً للواقع ، وكثرة عواذله ، لأنه ضَلَّ ضلالاً بعيداً في تلك الغمرة ، ومن هنا كان اللوم .

والعاذل يعذل على شدة المحبة لا على ضعفها وقلتها .

وقوله : (ولذلك لاموه عليها) ، لم يلوموه لأنه يمكن الخلاص منها ، وإنما لاموه عليها وعلى شدتها .

وقوله : إن في الكلام اعتراضاً ليس بدقيق أيضاً ، وإنّما هو استدراك(١) يرفع توهم أن غمرته ستنجلي ، فمع اعتقادهم وصدقهم فغمرته باقية لا تنكشف ؛ ولأن الاعتراض هو : (أن يؤتى في أثناء الكلام ، أو بين كلامين متصلين معنى ، بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإيهام) . (٢)

ولا ينطبق هذا التعريف على ما هنا .

الشاهد الثالث والستون بعد المائة : (*) (الكامل)

زَعَمَ العَوَاذِلُ أَنَّ نَاقَةَ جُنْدَبٍ .·. بِجَنُوبِ خَبْتٍ(٣) عُرِّيَتْ وَأُجِمَّتِ(٤)

(١) الاستدراك : هو رفع توهم يتولد من الكلام السابق رفعاً شبيهاً بالاستثناء ، وهو معنى لكن ، ويشترط بدخوله في البديع زيادة نكتة طريفة على معنى الاستدراك / أنوار الربيع : ١ / ٣٨٥ .

(٢) معاهد التنصيص : ١/٣٧٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٨٢ ، خفاجي : ٢٥١ ، شاكر : ٢٣٦ .

(٣) خبت : الخبت أصله ما اطمأن من الأرض ، ويقال أخبتَ الرجُل إذا صار في الخَبْتِ، وتَوسَّعَ فيه ، وقيل أن " خبت " علم لصحراء بين مكة والمدينة يقال له : خبتُ الجَميش ، وخبت أيضا : ماء لكلب، وخَبتُ البزوراء بين مكة والمدينة وخبت: من قرى زبيد باليمن./ اللسان "خبت" : ٢ /٢٧-٢٨ ، معجم البلدان : ٢/ ٣٤٣ .

(٤) أجَمَّت : استراحت من الركوب . / اللسان " جمم " : ١٢ / ١٠٦ .

(١) (٢) (٣)
كَذَبَ العَوَاذِلُ لَوْ رَأَيْنَ مُنَاخَنَا ∴ بِالقَادِسِيَّةِ قُلْنَ: لَجَّ وَذَلَّتِ (٤)

ورد البيت في الدلائل من غير نسبة ، وإنما أشار الشيخ عبد القاهر أنه من أبيات الحماسة ، وهو لجندب بن عمار (٥)

والشاهد فيه فصل جملة " كذب العواذل " عما قبلها ، وهو قوله : " زعم العواذل " للاستئناف ، وأن أمر القطع والاستئناف ، وتقدير الجواب ازداد تأكيداً بأن وضع الظاهر " العواذل " موضع المضمر ، وهذا أبين وأقوى ؛ لأنه وضع الكلام المستأنف وضعاً لا يحتاج فيه إلى ماقبله . قال الشيخ :

---

(١) القادسية : موضع بينه وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً ، وبينها وبين العذيب أربعة أميال ، أو هي مابين الخندق والعتيق ، وبها كانت وقعة القادسية بين المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص ، وبين الفُرس ، وكان ذلك في أيام عمر بن الخطاب ./ معجم البلدان : ٤/ ٢٩١-٢٩٢ .

(٢) لج : أوغل في السير وتمادى / اللسان " لجج " : ٢/ ٣٥٣-٣٥٤ .

(٣) ذلت : أي هي ناقة ذلول سهلة منقادة / اللسان ، " ذلل " : ١١/ ٢٥٦-٢٥٧ .

(٤) انظر البيتين في :
الحماسة - تحقيق عسيلان - : ١/ ١٨٠ رقم (٩٩) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٣٠٧ ، الإيضاح : ١ / ٢٥٧ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤١ ب .

(٥) لم أعثر له على ترجمة .
وإنما ورد في الحماسة - ت : عسيلان - : أنه من طيّء ، وذكر محقق كتاب الإيضاح الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي أنه ممن شهدوا وقعة القادسية في فتح بلاد الفرس ، ولقد بحثت في كتب التاريخ فلم أجده مذكورا فيمن حضر وقعة القادسية ، ولعل المحقق فهم ذلك من قوله : " لو رأين مناخنا بالقادسية " .

" . . . وقد زاد هذا أمر القطع والاستئناف ، وتقدير الجواب تأكيداً بأن وضع الظاهر موضع المضمر ، فقال :

" كذب العواذل " : ولم يقل " كَذَبْن " ، وذلك أنه لما أعاد ذكر " العواذل " ظاهراً ، كان ذلك أبين وأقوى ، لكونه كلاماً مستأنفاً من حيث وضعه وضعاً لا يحتاج فيه إلى ماقبله ، وأتى به مأتى ماليس قبله كلام " (١)

ولعل الشاعر لجأ إلى الفصل ، لأنه أراد أن يبالغ في التمدح بشجاعته ، وملازمته السير ، فذكر لوم العواذل له ، وعتابهن ، وإنكارهن عليه ميله إلى الجلوس والراحة ، وترك السفر ، كل ذلك ليثير النفس ، فتتساءل ، وتتشوق لمعرفة الجواب ، وبعد هذه التهيئة النفسية صرّح بالجواب ، ووضع الاسم الظاهر موضع المضمر ؛ ليكون ذلك أشد في تكذيب العواذل ، وأقوى في تحقيرهن ، فقال : " كذب العواذل " ، لأنهن لو عرفن مبركنا ومنزلنا لتراجعن عن اتهامهن ، ولصرحن بشجاعته ، وإيغاله في السير ، وهذه الطريقة التي لجأ إليها الشاعر لا تدع مجالاً للشك في شجاعته .

قال المرزوقي في شرح الأبيات :

" يقول : قال اللوائم عاتبة على جُنْدَبٍ ، ومُنكرةً لتودُّعِه ومَيلِهِ إلى الراحة ، والخفض وترك السفر إن ناقته حُطَّ عنها رَحْلُهَا ، وأُزِيل كَلَالُهَا ، فهي جَامَّةٌ بجنوب خبت " ، ثم قال في شرح البيت الثاني :

" أبطل قَوْلَهُنَّ فذكر أنهن لو رأينَ مَنزِلَنا ومَبْرَكَنا بهذا البلد ، لقلن لَجَّ جُنْدَب في السير ، وذَلَّتِ الناقةُ ، ويجوز أن يكون قوله : " مُنَاخَنَا " لم يُشِر به إلى إناخة وإلى موضع لها ، وإنَّما يكون كقوله (٢) :

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٨٢ ، ١٨٣ ، خفاجي : ١ / ٢٥١ ، شاكر : ٢٣٦ .

(٢) البيت لعلقمة الفحل ، وصدره : " تُرَادُ عَلَى دِمْنِ الحِيَاضِ فَإِنْ تَعَفْ " / انظر : ديوانه : ٤٢ ، المفضليات : ٣٩٤ .

" فَإِنَّ المُنَدَّى رِحْلَةٌ (١) وَرُكُوبُ " (٢)

فيكون المعنى : لو رأين ما جُعِل بدلاً لِناقتنا في موضع الإناخة لقُلْنَ ذلك" (٣)

الشاهد الرابع والستون بعد المائة : (*) (الوافر)

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ .·. لَهُمْ إِلْفٌ (٤) وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَافُ (٥)

---

(١) رواية المفضليات :" فركوب " .

(٢) رُكوب مصدر رَكِبَ ، ويروى وَرَكُوبُ ،بفتح الراء وهو اسم هضبة ، وفي اللسان أن رحلة وَرَكُوب هما هضبتان ، وركوب وركوبة هي ثنية معروفة صعبة المسلك سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك / انظر : معجم ما استعجم : ١ / ٦٧٠ ،اللسان :" ركب " : ١ / ٤٣٤ ، معجم البلدان : ٣ / ٦٥ .

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١/٣٠٧ .

(*) الديوان ، رضا : ١٨٣ ، خفاجي : ٢٥١ ، شاكر: ٢٣٦ .

(٤) إِلْفٌ وَإِلَاف : يقال أَلِفَ يَأْلَفُ إِلْفًا ، وَإِلَافًا ، وآلف يؤلف إيلافًا : أي أَلِفوا وتعودوا الرحلتين المعروفتين للتجارة ، وهما رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام ./شرح الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٤٥٠ .

(٥) انظر البيت في :-

الحماسة - ت : عسيلان - : ٢/١٦٩ رقم (٦١١) ،شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ /١٤٤٩ رقم (٦٠٦) ،شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ١٢ ، الإيضاح : ١ / ٢٥٩ ،شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤٢ أ ، لسان العرب : " ألف " : ٩ / ١٠، عقود الدرر : ٣٥أ بلوغ الأرب : ٣ / ٣٨٦ ،شروح التلخيص - مختصر السعد ،مواهب الفتاح ، حاشية الدسوقي : ٣/٦٥، ٦٦، معاهد التنصيص : ١ / ٢٨٢، شاهد رقم (٥٣)، القول الجيد : ٢٥٠ .

ذُكر البيت في الدلائل من غير عزو ، وهو للمساور بن هند[1] يهجو بني أسد في انتمائهم لقريش وادعائهم أنهم إخوتهم ، وبعده :

أُولَئِكَ أُومِنُوا جُوعاً وَخَوفاً ∴ وَقَدْ جَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا

والشاهد فيه : حذف الاستئناف وإقامة شيء آخر مقامه يدل على ذلك المحذوف .

فالمحذوف هنا جملة الاستئناف ، فكأنهم قالوا :

أصدقنا أم كذبنا ، فقيل كذبتم ، فَحُذِفَ هذا الاستئناف ، وأُقيمَ قوله : " لهم إلف ، وليس لكم إلاف " مقامه ، لدلالته عليه ، فصار كالبيان له ، ولو أنه أظهر الواو ، وقال :

---

(١) هو المساور أو " مساور " بن هند بن قيس بن زهير بن جُذيمة العَبْسي ، وقيسُ بن زهير جد المساور هو صاحب الحرب بين عبس وفزارة ، وهي حرب داحس والغبراء ، ومساور شاعر فارس إسلامي شريف ، مخضرم أدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ولم يجتمع به ، ومما يدل على أنه أدرك الإسلام ما جاء في الإصابة نقلاً عن الأصمعي : " ذكر الأصمعي ما يدل على أن له إدراكا ، فحكى عن أبي طفيلة قال : وكان نحو أبي عمرو بن العلاء في السن ، قال : حدثني من رأى مساور بن هند أنه وُلِدَ في حرب داحس ، قبل الإسلام بخمسين عاما " - توفي أبو عمرو نحو (١٥٤ هـ) - وذكر له المرزباني قصة مع عبد الملك بن مروان ، وجاء في الاصابة عن المرزباني أنه : " كان أعور ، وهو من المتقدمين في الإسلام ، وهو وأبوه وجده أشراف من بني عبس ، شعراء فرسان " ، وفي المبهج أن " مساور " منقول من اسم الفاعل ، وأما هند فَعَلَمٌ مرتجل ويقال ساور فهو مساور أي واثب / انظر ترجمته :-

المبهج : ٣١ ، الشعر والشعراء : ١ / ٣٥٥ ، شرح الحماسة للتبريزي : ٤ / ١٢ ، الإصابة : ٣ / ٤٦٨ .

زعمتم أنّ إخوتكم قريش ، ولهم إلف وليس لكم إلاف " خرج عن كونه موضوعاً على أنه جواب سائل ، وصار بمنزلة القول " زعمتم أن إخوتكم قريش وكذبتم " ، والسر في حذف قوله : " كذبتم " أنه لو أظهره لجاز العطف عليه " بالفاء "، فيقال : " كذبتم فلهم إلف وليس لكم إلاف " فلا يخرج الكلام عن كونه استشهاداً على أنّ هذا الزعم كان منهم ، أمّا إذا حذف الاستئناف فلا مساغ لدخول " الفاء " البتة ، قال الشيخ :

" وذلك أن قوله : " لهم إلف " تكذيب لدعواهم أنهم من قريش ، فهو إذن بمنزلة أن يقول : " كذبتم ، لهم إلفٌ ، وليس لكم ذلك " : ولو قال : " زعمتم أن إخوتكم قريش ، ولهم إلف ، وليس لكم إلاف " ، لصار بمنزلة أن يقول : " زعمتم أنّ إخوتكم قريش وكذبتم " ، في أنه كان يَخْرُج عن أن يكون موضوعاً على أنه جواب سائل يقول له : " فماذا تقول في زعمهم ذلك وفي دعواهم ؟ " فاعرفه .

واعلم أنه لو أظهر " كذبتم " ، لكان يجوز له أن يعطف هذا الكلام الذي هو قوله : " لهم إلف " عليه " بالفاء " ، فيقول : كذبتم فلهم إلف، وليس لكم ذلك " ، فأمّا الآن فلا مَسَاغَ لدخول " الفاء " البتة ، لأنه يصير حينئذٍ معطوفاً " بالفاء " على قوله : " زعمتم أنّ إخوتكم قريش " ، وذلك يُخْرِج إلى المحال ، من حيث يصير كأنه يستشهد بقوله : " لهم إلف " على أن هذا الزعم كان منهم ، كما أنك إذا قلت : " كذبتم فلهم إلف " كُنْتَ قَدْ استشهدتَ بذلك على أنهم كذبوا ، فاعرف ذلك " (١)

ورأى القزويني وتبعه ابن يعقوب أن قوله: " لهم إلف " جواب لسؤال آخر مقدر بعد الاستئناف المحذوف ، لأن كذبتم المقدر كالمذكور لدلالة " الزعم " عليه

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٣٨ ، خفاجي : ٢٥١ - ٢٥٢ ، شاكر : ٢٣٧ .

فكأنه قيل لماذا قلت كذبنا فقال : لأن لهم إلف وليس لكم إلاف .

قال القزويني :-

" حذف الجواب الذي هو كذبتم في زعمكم ، وأقام قوله " لهم إلف ، وليس لكم إلاف " مُقامَهُ لدلالته عليه ، ويجوز أن يُقدَّر قوله : " لهم إلف وليس لكم إلاف " جواباً لسؤال اقتضاه الجواب المحذوف ، كأنَّه لما قال المتكلم : كذبتم ، قالوا : لِمَ كذبنا ؟ فقال : لهم إلفٌ ، وليس لكم إلاف ، فيكون في البيت استئنافان " (١)

زعمت بنو أسد أنهم من قريش يريدون بذلك أن ينالهم حظ من شرفها ورفعتها . فأثارت هذه الدعوى حمية الشاعر ، وشرع يخاطب بني أسد ويكذب زعمهم ودعواهم في الانتماء إلى قريش ، وقطع الكلام ، وحذف الاستئناف تحقيراً لهم ولدعواهم ؛ لأن كونهم كاذبين أمر ظاهر بَيِّن ، ثم جاء بجملة تقوم مقام الأمر المحذوف ، وهي كالبرهان على كذب دعواهم ؛ لأن لقريش شرفاً وعزاً ضارباً في القدم ، فهم أصحاب الإلف وهو الرحلتان المعروفتان في الصيف والشتاء ، وليس لكم ذلك وأشار بذلك إلى قوله تعالى :

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ (٢)

وفي تقديم الخبر " الجار والمجرور " " لهم " على المبتدأ " إلف " تخصيص قريش بالإلف ونفيه عن بني أسد ، وكذلك في قوله : " ليس لكم إلاف " قدم الجار والمجرور " لكم " على المبتدأ " إلاف " تأكيداً لنفي أن يكون لهم إلاف ، وفي هذا التخصيص والتأكيد مايرد دعواهم رداً مؤكداً مما يبعث الحسرة في نفوسهم

قال المرزوقي في شرح البيت :

---

(١) الإيضاح : ١ / ٢٥٩ - ٢٦٠ .
وانظر كذلك : مواهب الفتاح - ضمن شروح التلخيص -: ٣ / ٦٦ .

(٢) قريش : ١ - ٢ .

" يخاطب بني أسد ويكذب دعواهم في انتمائهم إلى قريش ، وتنسيبهم بالقُربى والقرابة منهم ، فقال : ادَّعيتم أنَّ قريشاً إخوتكم ، وسيماءُ الكذب ظاهرةٌ على هذه الدَّعوى ، لأنَّ لقريش إيلافا في الرِّحلتين المعروفتين للتجارة ، وليس لكم ذا ، وقد آمنهم الله تعالى من الجُوع والخوف ، وأنتم خائفون جائعون " وإنما يشير إلى السورة المنزلة " لإيلاف قُريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف " . . . إلى آخرها " (١)

الشاهد الخامس والستون بعد المائة : (*) (السريع)

قول اليزيدي (٢) :

مَلَّكْتُهُ حَبْلِي وَلَكِنَّهُ .·. أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٤٤٩-١٤٥٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٨٣ ، خفاجي : ٢٥٢ ، شاكر : ٢٣٧ .

(٢) هو أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العَدَوي اليزيدي (١٣٨-٢٠٢ هـ) عالم بالعربية والأدب من أهل البصرة ، سُمي العدَوي ؛ لأنه كان نازلاً في بني عدي ، أو أنه كان من مواليهم ، وسمي اليزيدي لصحبته يزيد بن منصور خال المهدي ، سكن بغداد ، وعهد إليه الرشيد بتأديب المأمون وعاش إلى أيام خلافته ، وتوفي بمرو ، من كتبه : " النوادر " في اللغة و" المقصور والممدود " ، و" مناقب بني العباس " و " مختصر في النحو " ، و" مناقب بني العباس " ، وله نظم جيد في " ديوان " ، وله خمسة بنين كلهم علماء أدباء شعراء رواة للأخبار ، وقد ألَّفوا في اللغة والأدب ، وهم : محمد ، وإبراهيم ، وإسماعيل وعبد الله ، وإسحاق . " . / انظر ترجمته : طبقات ابن المعتز : ٢٧٢-٢٧٥ ، الورقة : ٢٧-٢٩ ، الأغاني : ٢٠ / ٢١٦-٢٣٩ ، معجم المرزباني : ٤٩٨ ، تاريخ بغداد : ١٤ / ١٤٦-١٤٨ ، وفيات الأعيان : ٦ / ١٨٣-١٩٠ ، غاية النهاية في طبقات القراء : ٢ / ٢٧٥-٢٧٧ . ولقد أخطأ الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي في ذكر سنة وفاة " أبو محمد يحيى بن المبارك " فذكر أنها سنة " ٢٩٢ هـ " . / هامش الإيضاح - ١ / ٢٥٠ ، ======

وقالَ إنّي في الهَوى كاذِبٌ .·. انْتَقَمَ اللَّهُ مِنَ الكاذِبِ (١)

والشاهد في البيت الاستئناف على معنى جعل الكلام جواباً في التقدير ، ففصل قوله " انتقم الله من الكاذب "، عن قوله : " وقال إنّي في الهوى كاذبٌ " ، ولم يعطفه ، كأنّ هناك سائلاً قال له : ماتقول فيما اتّهمك به ، فقال : أقول انتقم الله من الكاذب ، ورأى الشيخ عبد القاهر أنّ هذا البيت من لطيف الاستئناف ، قال :

" ومن اللطيف في الاستئناف على معنى جعل الكلام جواباً في التقدير قول اليزيدي ...

استأنف قوله : " انتقم الله من الكاذب " ، لأنه جعل نفسه كأنه يجيب سائلاً

=== ولقد ذكر الأستاذ محمود محمد شاكر في تعليقه على الدلائل أن البيتين ذكرا في الأغاني غير منسوبين ، والصحيح أن أبا الفرج ذكرهما في كتابه ، ولكن جعل نسبتهما لإبراهيم بن المدبر ، قالهما حين أنشدته يوماً كُراعة بسُرَّ مَنْ رأى :

يامَعْشَرَ النَّاسِ أما مُسْلِمٌ .·. يَشْفَعُ عِنْدَ المُذْنِبِ العَاتِبِ

ذاكَ الذي يَهْرَبُ مِنْ وَصْلِنا .·. تَعَلَّقُوا بِاللَّهِ بِالهَارِبِ

فزاد فيها قوله :

مَلَّكْتُهُ حَبْلِي وَلكِنَّهُ .·. أَلْقاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلى غارِبي

وقالَ إنّي في الهَوى كاذِبٌ .·. فَانْتَقَمَ اللَّهُ مِنَ الكاذِبِ

وقد ذكر العباسي في معاهد التنصيص أنها تنسب لليزيدي ، أو إبراهيم ابن المدبر .

وإبراهيم بن المدبر هو أبو إسحاق شاعر كاتب من وجوه كتاب أهل العراق - ستأتي ترجمته : ٩٥٩ .

(١) انظر الأبيات في :-

الأغاني : ٢٢ / ١٦٨ ، الإيضاح : ١ / ٢٥٠ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤٠ ب ، شروح التلخيص - عروس الأفراح - : ٣ / ٢٨ ، معاهد التنصيص : ١ / ٢٧١ - ٢٧٢ .

قال له : " فما تقول فيما تهمك به من أنك كاذب ؟ " فقال : أقول :
" انتقم الله من الكاذب ") (١)

ولعل الاستئناف لَطُف هنا ؛ لأن الشاعر وجد فيه مهرباً من مأساته ، فهو شديد التألم لجفاء محبوبه ، وتنكر ودّه ، واختياره القطيعة واجتهاده في المنابذة ، على الرغم من انقياد الشاعر له ، وجعله متصرفاً يقوده كيف شاء ، فقد ملكه حبله - وهو مثل في الإنقياد التام - ثم تفانيه في المحبة بالجفاء ، والإلقاء على الغارب " الإهمال " وأي إلقاء ؟ ، الإلقاء مع الزهد وعدم الرغبة - وهو مَثَلٌ يُضْرَب في التخلية له وشأنه - . أو هما كنايتان عن الانقياد والإهمال ولم يكتفِ هذا المحبوب بهذه الجفوة ، بل زاد في قساوته ، فاتهمه بالكذب في هواه على الرغم من تفانيه .

وهنا اشتد على الشاعر وطء الاتهام ، وكرّبه ومضه ، فتجمعت آلامه وثارت ، فقطع الكلام واستأنف بقوله : " انتقم الله " وكأنه وجد في هذا الاستئناف ما يعالج بلاءه ، ويخفف وطأة شقائه ، ويسكن هذا الرهج الثائر في صدره . ، وقوله " انتقم الله " دعاء ، وواضح أنه دعاء على نفسه ، والمراد منه نفي التهمة عن نفسه ، فالمسارعة ليست لتخفيف الآمه فقط ، وإنّما لتأكيد هواه أيضاً ، كأنه قال : إن كنت كاذباً فلينتقم الله مني ، ومثل هذا جارٍ في الألسنة لتبرئة النفوس من التهم .
وجعل السكاكي الفصل هنا من كمال الانقطاع للاختلاف بين الجملتين خبراً وطلباً ؛ لأنه أراد بقوله : " انتقم " الدعاء ، فهو كقولهم : مات فلان رحمه الله . قال :
" ومن أمثلة الانقطاع للاختلاف خبراً وطلباً قوله :

مَلَّكْتُهُ حَبْلِي وَلَكِنَّهُ ∴ أَلْقَاهُ مِنْ زُهْدٍ عَلَى غَارِبِي

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٨٢ - ١٨٣ ، خفاجي : ٢٥٢ ، شاكر : ٢٣٧-٢٣٨ .

لأنه أراد الدعاء بقوله : " أنتقم " ، وكذا قولهم : مات فلان رحمه الله ، وكذلك قولهم: لا تدن من الأسد يأكلك ، وهل تصلح لي كذا أدفع إليك الأجرة بالرفع فيهما ، وغير ذلك مما هو في هذا السلك منخرط " (١) .

وسار ابن السبكي مسار السكاكي ، ورأى أنه من كمال الانقطاع ، وأن حمله على الاستئناف بتقدير " قلت " فيه بُعد . قال :

" وحمله الجرجاني على الاستئناف بتقدير " قلت " المعنى ، وقال : أنت في الهوى كاذب قلت انتقم ، وهو واضح فإنه لا يصح أن يكون مما نحن فيه إلّا إذا كان أنتقم الله من كلام المحكي عنه وفيه بَعد " . (٢)

وأضاف أنه إذا حمل على الاستئناف كان مقطوعاً عن " وقال " فيقال أنه من قطع الاحتياط أي شبه كمال الانقطاع ؛ لأن عطف قوله " انتقم الله من الكاذب " على وقال يوهم عطفها على إنّي في الهوى كاذب ، قال :

" وينبغي أن يُعلَم أنّا إذا جعلناه استئنافاً كان مقطوعاً عن " وقال " فيمكن أن يقال أنه من قطع الاحتياط الذي يكون لشبه الانقطاع ؛ لأن عطفها على قال يوهم عطفها على إنّي " (٣)

الشاهد السادس والستون بعد المائة : (*) (الخفيف)

قَالَ لِي : كَيفَ أَنْتَ ؟ قُلْتُ عَلِيلٌ .·. سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلُ (٤)

---

(١) المفتاح : ١١٧ .

(٢) شروح التلخيص : عروس الأفراح : ٣ / ٢٩ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(*) الدلائل ، رضا : ١٨٤ ، خفاجي : ٢٥٢ ، شاكر : ٢٣٨ .

(٤) انظر البيت في : المفتاح : ٧٦ ، الإيضاح : ١/ ١٠٩ ، شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم ٢٩ ، عقود الدرر في حل أبيات المطول : ١٣١ - ١٣٥ أ ، شروح التلخيص : ١ / ٢٧٧ ، معاهد التنصيص : ١ / ٢٨٠ ، القول الجيد : ٢٤٩ .

البيت أورده الشيخ من غير نسبة ، وكذلك ورد غير منسوب في المصادر التي رجعت إليها في تخريج البيت، والشاهد فيه :

فصل الجملة الثانية وهي قوله " سهرٌ دائمٌ وحزنٌ طَويلٌ " عن الجملة قبلها ، وهي قوله " قلت عليلٌ " وجعلها مستأنفة جواباً عن الجملة الأولى المتضمنة للسؤال المفهوم من فحوى الحال .

قال الشيخ :

" لما كان في العادة إذا قيل للرجل : كيف أنت فقال " عليل " أن يسأل ثانياً فيقال : مابك وماعلتك ؟ قدر كأنه قد قيل له ذلك فأتى بقوله : سهرٌ دائمٌ : جواباً عن هذا السؤال المفهوم من فحوى الحال فاعرفه ." (١)

فالجملة الأولى تضمنت السؤال عن سبب مطلق؛ لأن المبهم على السامع سبب الحكم الكائن في الجملة الأولى على الإطلاق بمعنى أنه جهل السبب من أصله .

فالمقام يقتضي أن يكون السؤال عن سبب مطلق؛ لأنه إذا قيل فلان مريض لم يُتَصور منه إلا مجرد المرض ويبقى السبب مجهولاً ، فَيُقال ماسبب مرضه فيكون السؤال تصورياً بمعنى أنه يطلب تصور السبب ، فلا يكون المقام مقام التأكيد في الجواب إذ ليس السؤال على وجه التردد في ثبوت سبب خاص فالسهر والحزن أبعد الأسباب في إحداث المرض في العرف المعتاد ، فهما جديران بأن لا يتردد في ثبوت أَحدهما . (٢)

ورأى الشيخ عبد القاهر أن البيت من النادر ولعل سبب ندرته اجتماع عدة استئنافات في البيت .

الاستئناف الأول والثاني نتج عن الحذف والثالث ناتج عن الفصل .

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٨٤ ، خفاجي : ٢٥٢ ، شاكر : ٢٣٨ .

(٢) شروح التلخيص " مواهب الفتاح " : ٣ / ٥٨ .

فاستطاع الشاعر أن يعبر عن المعاني الكثيرة التي تفيض بها نفسه بأقل العبارات وأروعها .

كما أن هذا الطريق الذي سلكه الشاعر في التعبير كان موافقاً لأحواله النفسية، فهو عليل منهوك ، وهذه العلة - بلا شك - توهن النفس ، وتضعفها ، وتلبسها لباس الوحشة مما جعله يتخيل أن هناك من يخاطبه ، ليؤنس بهذا التخيل وحدته ، ويزيل وحشته ، ولضيق نفسه لجأ إلى الحذف وبنى هذا الحذف على الاستئناف ليعلن الحبيس في صدره لعله يجد في هذا البوح نوعاً من الارتياح فقال مجيباً السائل : " عليل " ولم يقل " أنا عليل " لضيق نفسه ، وهذا الجواب جعل النفوس تزداد اشتياقاً لمعرفة منبع الآلام ، ومصدر أسقامه وبعد أن هيأ النفوس وشوقها وحرك فيها الرغبة في السؤال أسرع في الكشف عن سبب علته فقال : " سهرٌ دائمٌ ، وحزنٌ طويلٌ " .

وجوابه هذا كشف عن شدة مايكابده من الآلام ، لأن ماصرح به من سبب علته غير متعارف عليه في أسباب المرض .

والبيت يستشهد به البلاغيون على حذف المبتدأ في قوله " عليل " أي أنا عليل" ، وقوله : " سهرٌ " أي سبب علتي " سهرٌ " أو قوله " سهرٌ " مبتدأ خبره محذوف تقديره (بي) ، ورأى بعضهم أن نكتة الحذف هنا تعين المحذوف أو ضجر المتكلم . (١) ، أو الاحتراز من العبث مع ضيق المقام . (٢)

---

(١) عقود الدرر " شواهد أحوال المسند إليه " : ١٣م

(٢) معاهد التنصيص : ١ / ١٠٠ .

الشاهد السابع والستون بعد المائة :(*)   (الوافر)

قول المتنبي :

وَماعفَتِ الرِّيَاحُ لَهُ مَحَـــلاً ∴ عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمُ وَسَـاقَا (١)

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، وقد أمر له بفرس وجارية ، ومطلعها :

أَيَدْرِي الرَّبْعُ أيَّ دَمٍ أَرَاقَـــا ∴ وَأَيَّ قُلُوبِ هَذَا الرَّكْبِ شَـاقَا

وبعده :

لَنَا وَلأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُـــوبٌ ∴ تَلَاقَى فِي جُسُومٍ مَاتَلَاقَـى

وبعده الشاهد وبعده :

فَلَيْتَ هَوَى الأَحِبَّةِ كَانَ عَـــدْلاً ∴ فَحَمَّلَ كُلَّ قَلْبٍ مَاأَطَاقَـا (٢)

الشاهد فيه :

الفصل للاستئناف حيث فصل الجملة الثانية " عفاه من حدابهم وساقا " عـن الجملة الأولى " وماعفت الرياح " .

وهو عند الشيخ من الاستئناف الحسن البين : قال :

" ومن الحسن البَيِّن في ذلك قول المتنبي : - - - -

لمّا نفى أن يكون الذي يُرى بِهِ من الدروس والعفاء من الرياح ، وأن تكـون هي التي فعلت ذلك ، وكان من العادة إذا نُفي الفعل الموجود الحاصل عن واحـدٍ فقيل : " لم يفعله فلان " ، أن يقال : " فمن فعله ؟ " قدّر كأنّ قائلاً قال :

" قد زعمت أن الرياح لم تَعْفُ له مَحلاً ، فما عفاه إذن ؟ " فقال مجيباً له :

(*) الدلائل ، رضا : ١٨٤ ، خفاجي : ٢٥٣ ، شاكر: ٢٣٨ .

(١) لم أعثر عليه فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في : ديوانه بشرح العكبري : ٢ / ٢٩٤ ، الإبانة عن سرقات المتنبـي للعميدي : ١٧١ .

(٢) ديوانه : ٢ / ٢٩٥ .

" عَفاهُ مَنْ حَدَا بِهِمُ وَسَاقَا " " (١)

وهو أيضا شاهد على أن جواب السؤال المقدر لا بد أن يقترن بالفعل ليدل على السؤال المحذوف ، قال الشيخ :

" واعلم أن السؤال إذا كان ظاهراً مذكوراً في مثل هذا كان الأكثر أن لا يذكر الفعل في الجواب ويقتصر على الاسم وحده فأما مع الإضمار ، فلا يجوز إلّا أن يذكر الفعل ، تفسير هذا أنه يجوز لك إذا قيل : إن كانت الرياح لم تعفه فما عفاه ؟ أن تقول : مَنْ حَدَا بِهِمُ وَسَاقَا ، ولا تقول : عفاه من حدا ، كما تقول في جواب من يقول : من فعل هذا ؟ زيد ، ولا يجب أن تقول : فعله زيد ، وأما إذا لم يكن السؤال مذكوراً كالذي عليه البيت ، فإنه لا يجوز أن يترك ذكر الفعل ، فلو قلت مثلاً : " وماعفت الرياح له محلاً ، مَنْ حَدَا بِهِمُ وَسَاقَا " تزعمُ أنك أردت " عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِم " ، ثم تركت ذكر الفِعل ، أَحلْتَ ؛ (٢) لأنه إنما يجوز تركه حيث يكون السؤال مذكوراً ، لأن ذكره فيه يدل على إرادته في الجواب ، فإذا لم يُؤْتَ بالسؤال لم يكن إلى العلم به سبيل ، فاعرف ذلك ." (٣)

ولعل الاستئناف حَسُن في هذا البيت؛ لأن الشاعر جاء فيه بما يبعث الغرابة والعجب في النفوس ، فلقد سار الشعراء في شعرهم إذا ذكروا الديار والوقوف على الأطلال والتأمل في درسها أن يعزوا ذلك إلى الرياح والأمطار ، إلّا أن الشاعر هنا لشدة حزنه خرج عن هذا الحد المتعارف عليه فنفى أن تكون الرياح هي

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٨٤ ، خفاجي : ٢٥٢-٢٥٣ ، شاكر : ٢٣٨ .

(٢) أي جئت بالمحال .

(٣) الدلائل ، رضا : ١٨٤ - ١٨٥ ، خفاجي : ٢٥٣ - ٢٥٤ ، شاكر : ٢٣٩ .

السبب في تغير المنازل ودرسها ، وفي هذا النفي مايبعث العجب في النفس ويثير تساؤلاتها ، فيأتيها الجواب كاشفاً عن سبب ألم الشاعر وشدة حنينه حيث ألقى اللوم على الحداة فلو لم يرحلوا بالقوم لما دَرَس الربع .

قال العكبري :

" يقول : لا ذنب للرياح ، لأنها لم تَدْرُسْه ، ولم تغير منازله ، وإنما عفاه الحادي بسكانه ، وذلك أنهم لو لم يرحلوا عنه لما دَرَس الرَّبع ، فالذنب للحُداة " (١)

وذكر العميدي أن هذا البيت مأخوذ من قول الشيباني (٢) :

وَماعَلَى ظَهْرِ غُـرا ... بِ البَيْنِ تُطْوى الرِّحَلُ

وَماغُرَابُ البَيْنِ إلْ ... لَا نَاقَةٌ أَوْ جَمَلُ (٣)

ورأى العكبري في شرح الديوان أن هذا البيت قريب من قول أبي الشيص (٤) :

- وكأنه يشير بأنه مأخوذ منه - :

---

(١) التبيان في شرح الديوان للعكبري : ٢ / ٢٩٤ .

(٢) لم أقف على ترجمته .

(٣) الإبانة عن سرقات المتنبي : ١٧١ .

(٤) هو محمد بن علي بن عبد الله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي ، شاعر مطبوع ، سريع الخاطر رقيق الألفاظ من أهل الكوفة ، غلبه على الشهرة معاصراه : صريع الغواني ، وأبو نواس ، وانقطع إلى أمير الرقة " عقبة بن جعفر الخزاعي ، فأغناه عقبة عن سواه ، وأبو الشيص لقبه ، وكنيته أبو جعفر ، وهو ابن عم دعبل الخزاعي عَمي في آخر عمره ، قتله خادم لعقبة . / انظر ترجمته :
الشعر والشعراء : ٢ / ٨٤٧-٨٥٢ ، الفهرست : ٢٣٠ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٤١ ، تاريخ بغداد : ٥ / ٤٠١-٤٠٢ ، سمط اللآلي : ٥٠٦ ، نهاية الأرب : ٣ / ٨٩ ، نكت الهميان : ٢٥٧ ، الأعلام : ٦ / ٢٧١ .

مَا فَـرَّقَ الأَحْبَـابَ بَعْـ ∴ ـدَ اللّهِ إِلَّا الإِبـلُ

وَالنَّاسُ يَلْحَـوْنَ غُـرَا ∴ بَ البَـيْنِ لما جَهِـلُوا

وَما إِذَا صَاحَ غُـرَا ∴ بٌ في الدِّيَارِ احْتَمَلُوا

وَمَا عَلَى ظَهْرِ غُـرَا ∴ بِ البَـيْنِ تُطْوَى الرَّحَلُ

وَمَا غُـرَابُ البَـيْنِ إِلْـ ∴ ـلَا نَاقَـةٌ أَوْ جَمَـلُ (١)

الشاهد الثامن والستون بعد المائة : (*) (الهزج)

قول الوليد بن يزيد (٢) :

عَرَفْـتُ المَنْزِلَ الخَالِـي ∴ عَفَا مِنْ بَعْـدِ أَحْوَالِ

---

(١) ديوانه : ٩٥-٩٦، التبيان في شرح الديوان للعكبرى : ٢ / ٢٩٤.

(*) الدلائل ، رضا : ١٨٤، رضا : ٢٥٣، شاكر : ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٢) ذكرت هذه النسبة في الأغاني والدلائل ، ونسب البيتان في شرح أبيات الإيضاح للوليد بن مسلم - ولعله يقصد مسلم بن الوليد " صريع الغواني " .

وفي معاهد التنصيص نسبا للبيد ، ويبدو أن الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي قد سجل خطأً نسبة المعاهد ونسبة شرح أبيات الإيضاح حيث قال :

"والبيتان للوليد بن مسلم كما في معاهد التنصيص أو للبيد كما في شرح شواهد الايضاح " - الإيضاح : ١ / ٢٥٨.

والعكس هو الصحيح كما توهت به سابقاً .

والوليد بن يزيد هو: الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ابن أبى العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَنَاف ، وكنيته أبو العباس ، وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي ، وهي بنت أخ الحجاج ، وأم يزيد بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان بن حرب بن أمية ، وكان الوليد بن يزيد من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم ، وأجوادهم وأشدائهم ، وكان فاسقاً خليعاً

=======

عَفـاهُ كُـلُّ حَنّـــانٍ (١) (٢) .·. عَسُوفِ الوَبْلِ هَطّـالِ (٣) (٤)

والبيتان من أشعار الوليد التي قالها في سلمى، (٥) وغنّى المغنون فيها ، وبعد بيتي الشاهد :

=== متهماً في دينه مرمياً بالزندقة ، وشاع ذلك من أمره ، وظهر حتى أنكره الناس فقتل ، وله أشعار كثيرة تدل على خبثه وكفره ، ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره ويقول : إنه نُحِلَه ، وأُلصِقَ إليه ، والأغلب الأشهر غير ذلك ، ولقد ولّاه أبوه العهد بعد هشام ، وطمع هشام في خلعه / انظر ترجمته في :

تاريخ الطبري : ٦ / ٤٣٤، ٥٦٤، ٧ / ٢٢، ٩٨، ١٨٩، ٢٠٨، ٢٠٢-٢٥٣ - ٢٥٨-٢٦٢، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٠، ٨ / ٩٦-٣٦٤، الأغاني : ٧ / ١-٨٣، الكامل لابن الأثير: ٥ / ٢٥٦-٢٦٤، البداية والنهاية: ١٠ / ٢-٨ .

(١) رواية المفتاح : عفاه .

(٢) رواية معاهد التنصيص :" كل هتّان " .

حنّان : كل سحاب مصوت بانصباب المطر، وهو سحاب الرحمة ./ القاموس المحيط " حنن " : ٤ / ٢١٨ .

(٣) عسوف : العسفُ السَّير بغير هداية ، والأخذ على غير الطريق ، والتعسيف السير على غير عَلَم ولا أثر / اللسان " عسف " : ٩ / ٢٤٥، وهو يقصد هنا المطر الشديد .

(٤) لم أجد البيتين فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوانه : ٩٧، الأغاني : ٧ / ٣٢، المفتاح : ١١٥، الإيضاح : ١ / ٢٥٨، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤٢أ، معاهد التنصيص: ١ / ٢٨١-٢٨٢ .

(٥) وسلمى التي عناها الوليد هي سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، أخت زوجته سَعْدة ، أحبها الوليد ، وطلق أختها بعد موت أبيه ، وأراد أن يبني بها ، فرده أبوها أقبح رد ، وازداد حباً لها ، فكان يتريا بزي زيات ليراها ، وله أشعار كثيرة فيها ، وقد تزوجها بعد ولايته الخلافة ، فمكثت عنده أربعين يوما ثم ماتت فرثاها . / انظر : الأغاني : ٧ / ٢٥ - ٣٥ .

لِسَلْمَى قُرَّةِ العَيْنِ ∴ وَبِنْتِ العَمِّ وَالخَالِ
بَذَلْتَ اليَوْمَ فِي سَلْمَى ∴ خِطَارًا (١) أَتْلَفَتْ مَالِي
كَأَنَّ الرِّيقَ مِنْ فِيهَا ∴ سَحِيقٌ (٢) بَيْنَ جِرْيَالِ (٣)

وهي خمسة أبيات فقط .

والشاهد في البيت فصل الجملة الثانية " عفاه كل حنّانٍ " عن الجملة الأولى " عفا من بعد أحوال " للاستئناف . قال الشيخ :

" لما قال : " عَفَا مِنْ بَعْدِ أَحْوَالِ " قَدَّرَ كأنَّه قيل له : " فما عفاه ؟ " فقال : " عفاه كلّ حنّانٍ " (٤)

فالشاعر واقف على الأطلال يتغنّى بالذكريات ، فهي محفورة في نفسه ساكنة في قلبه لشدة ارتباطه بها ، فعلى الرغم من اندثارها لم يخطئها ، ولكنه حين وقف عليها تألم لما اعتراها ، فأعلن في تحسر أنها قد عفت ، وإعلانه بهذه الطريقة يثير التساؤل إلا أنه تجاوز السؤال ، وأعلن الجواب لأنه أراد أن لا يقطع حديث النفس ، لتفرغ ما فيها من شكوى وتحسر ، فألقى التبعة ، وأدان كل سحاب حنّان مر بها ، وانهمل مطره الشديد عليها .

---

(١) خِطارا : جمع خِطر " بالتحريك " ، وهو السبق الذي يترامى عليه في الرهان . / اللسان " خطر " : ٤ / ٢٥١ .

(٢) سحيق : سَحَقَ الشيءَ يَسْحَقُه سَحْقاً دقّه أشدّ الدّق ، وقيل السّحق الدقّ الرقيق ، وقيل هو الدّق بعد الدّق ، وقيل السحق دون الدّق . / اللسان " سحق " : ١٠ / ١٥٢ .

(٣) الجريال : صفوة الخمر أي ريقها مسك سحيق بين قطع جريال أو أجزاء جريال . / اللسان " جرل " : ١١ / ١٠٨ .

(٤) الدلائل ، رضا : ١٨٤ ، خفاجي : ٢٥٣ ، شاكر : ٢٣٨ .

الشاهد التاسع والستون بعد المائة :(*) (الوافر)

قول المتنبي :

تَوَلَّوا بَغْتَةً فَكَأَنَّ بَيْناً .·. تَهَيَّبَنِي فَفَاجَأَنِي اغْتِيَالا

فَكَانَ مَسِيرُ عِيسِهِمُ ذَمِيلاً .·. وَسَيْرُ الدَّمْعِ إِثْرَهُمُ انْهِمَالا (١)

والبيتان من قصيدة قالها في مدح بدر بن عمار(٢) ومطلعها :

بَقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمُ ارْتِحَالا .·. وَحُسْنَ الصَّبْرِ زَمُّوا لا الجِمَالا

وبعده بيتا الشاهد وبعدهما :

كَأَنَّ العِيسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي .·. مُنَاخَاتٍ فَلَمَّا ثُرْنَ سَالا (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ١٨٨ ، خفاجي : ٢٥٧ ، شاكر : ٢٤٤ .

(١) لم أجده فيما لدي من مصادر إلا في :
ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ٢٢١ ، العرف الطيب : ٤ / ٢٦٣ .

(٢) هو بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي ، أبو الحسين ، أرسله أبو بكر محمد بن رائق إلى طبرية ليتولى حربها وقيادة جيشها وحمايتها في سنة ٣٢٨ هـ ، كان أبو الحسين عربيا ، ذكي الفؤاد شجاعاً ماضياً كالسيف حلو الشمائل سمحاً ، قريب المذهب من أبي الطيب المتنبي في بغضاء العجم ، لما أنزلوه بالدولة من التفرقة والتمزيق ، بقي المتنبي إلى جواره من أواخر سنة ٣٢٨ هـ إلى أوئل سنة ٣٣٣ هـ على وجه التقريب ، ومدائح المتنبي في بدر بن عمار تكاد تكون في الطبقة الثانية من جيد شعره ، وفيها أبيات من الطبقة الأولى من الشعر العربي كله ، ثم فارقه المتنبي إلى دمشق حين لم يجد عنده كل ما أراد ، ووجده يسمع للوشاة ، ويصغي إليهم . / انظر :
المتنبي - محمود شاكر - : ١ / ١٣٩ .

(٣) ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ٢٢٢ ، العرف الطيب : ٤ / ٢٦٣ .

والشاهد فيه : عطف مجموعة جمل قد تلاحمت وتضافرت على مجموعة جمل قد تلاحمت وتضافرت أيضا مع وجود جامع بين المعطوف والمعطوف عليه. قال الشيخ :

" هذا فَنٌّ من القول خاصٌ دقيق ، اعلم أن مما يَقِلُّ نَظَرُ الناس فيه من أمر " العطف " أنه قد يُؤتَى بالجملة ، فلا تعطف على ما يليها ، ولكن تُعطف على جُملةٍ بينها وبين هذه التي تُعْطَف جملة أو جملتان " (١) .

وقال في موضع آخر من هذا الفصل :

" فأمر العطف إذن ، موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة، وتَعْمِدُ أخرى إلى جملتين أو جُمَل فتعطف بعضاً على بعض ، ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك " (٢)

فقول الشاعر : " فكان مسير عيسهم " معطوف على " تولوا بغتة " لا على قوله : " ففاجأني " - وإن كانت " الفاء " تُغري بالعطف على السابق المباشر بناءً على الفهم القريب لمعنى الترتيب والتعقيب -؛ لأن العطف على " ففاجأني " يفسد المعنى حيث تدخل هذه الجملة في معنى كأن، فإذا عطفت جملة " فكان مسير عيسهم " عليها أدَّى إلى أن لا يكون مسير عيسهم حقيقة ، ويكون متوهماً كما كان تهيُّب البين كذلك .

قال الشيخ :

" قوله : " فكان مسيرُ عيسِهِمُ " معطوف على " تَوَلَّوا بغتة " دون ما يليه من قوله : " ففاجأني " لأنّا إن عطفناه على هذا الذي يليه أفسدنا المعنى ، من حيث أنه يدخل في معنى " كأنَّ " ، وذلك يؤدي إلى أن لا يكون مَسير عيسِهِمُ حقيقة ، ويكون مُتَوَهماً ، كما كان تَهَيُّبُ البين كذلك " (٣) .

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٨٨ ، خفاجي : ٢٥٧ ، شاكر : ٢٤٤ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٨٩ ، خفاجي : ٢٥٨ ، شاكر : ٢٤٥ .

(٣) الدلائل ، رضا : ١٨٨ ، خفاجي : ٢٥٧ ، شاكر : ٢٤٤ .

فالجملة المتوسطة بين هذه المعطوفة أخيراً ، وبين المعطوف عليها الأولى ، ترتبط في معناها بتلك الأولى؛ (١) فالفاء في قوله : " فكأن بيناً " ، وقوله : " ففاجأني " تربط الجملة التي دخلت عليها ربطاً محكماً ومتتابعاً ، فتوهم تهيب البين كان إثر التولي المباغت ، والمفاجأة بالاغتيال كانت من توهم التهيب ، وإذا عطفنا جملة " فكان مسيرهم " على ففاجأني لم تجرِ في هذا التتابع وهذا الترتيب، وفسد المعنى ؛ لأن ذملان العيس لم يترتب على مفاجأة الاغتيال وإنما ترتب على التولي ولهذا وجب أن تكون عاطفة على قوله " تولوا بغتة " وأن يتصل رأس هذه الجملة بالجملة الأم في البيت السابق .

ثم إن ذملان العيس لم يكن هو المهم فيما ترتب على التولي وإنما كان توطئة لذلك الأمر المهم وهو انهمال الدّمع ، ولقد ذكر الشاعر ذملان العيس لِيُلَائِم بين اندلاع العيس في الرحلة وانهمال دموعه في أثرهم فلابد من ملاحظة المعطوف في البيت الثاني ؛ لأنه سر المعنى ومغزى الكلام . (٢)

قال الشيخ عبد القاهر :

" وههنا شيء آخر دقيق ، وهو أنك إذا نظرت إلى قوله : " فكان مسير عيسهم ذميلاً " وجدته لم يُعْطَف هو وحدَه على ماعُطِف عليه ، ولكن تجد العطف قد تناول جملة البيت مربوطاً آخره بأوله ، ألا ترى أنّ الغرض من هذا الكلام أن يجعل تولّيهم بغتةً ، وعلى الوجه الذي توهم من أجله أنّ البين تهيّبه ، مستدعياً بكاءه ، وموجباً أن ينهمل دمعه ، فلم يَعْنِه أَنْ يذكر ذملان العيس إلاّ ليذكر هملان الدمع ، وأن يوفق بينهما " (٣)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٨٨ ، خفاجي : ٢٥٧ ، شاكر : ٢٤٤ .

(٢) دلالات التراكيب : ٣٦١ .

(٣) الدلائل ، رضا : ١٨٩ ، خفاجي : ٢٥٧-٢٥٨ ، شاكر : ٢٤٥ .

الفَصل التَاسِع :

شواهد باب اللفظ والنظم

أ- شواهد أمور شتى في أمر اللفظ والنظم .

ب- شواهد الكناية والاستعارة والتمثيل .

ج- شواهد إن ومواقعها .

د- شواهد كاد .

هـ- شواهد كل .

و- شواهد المجاز الحكمي .

ز- شواهد الكناية .

ح- عود الى شواهد إن ومواقعها .

أ- شواهد أمور شتى في أمر اللفظ والنظم :

الشاهد السبعون بعد المائة : (*) (الطويل)

بيت الحطيئـــة :

مَتَى تَأْتِـهِ تَعْشُـــو(١) إِلى ضَوْءِ نَارِهِ .·. تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدِ (٢)

والشاهد من قصيدة يمدح بها بعض آل شماس.(٣)

(*) الدلائل ، رضا : ١٩٤ ، خفاجي : ٢٦٣ ، شـاكر : ٢٥١ .

(١) العشو : مصدر عشوت إلى ضوئك أعشو عشواً إذا قصدته بليل ، ثم صـــار كل قاصد شيئاً عاشياً . / اللسان " عشا " : ١٥ / ٥٧ .

(٢) انظر البيت في :
ديوانه - رواية الأعرابي والشيباني : ٥١ ، الكتاب : ٣ / ٨٦ ، تفسـير الطبري : ١٩ / ٢٩ ، معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٧٣ ، مجاز القـرآن : ٢ / ٢٠٤ ، شـرح أبيات سيبويه للنحاس : ٢٢٥ - شاهد (٦١٥) - غير منسوب ، إصلاح المنطق : ١٩٨ ، الأمثال للضبي : ١٢٥ - غير منسوب ، البيان والتبيين : ٢ / ٢٩ - غير منسوب ، الحيوان : ٥ / ١٣٢ ، تفسير غريب القرآن : ٣٩٨ ، المقتضب : ٢ / ٦٣ ، جمهـرة اللغة : ٣ / ٦٢ " شعو " ، الجمل في النحو : ٢١٤ ، ديوان الأدب للفارابي : ٤ / ٧٥ - غير منسوب ، الأغاني : ٢ / ٢٠٠ ، الأمالي للقالي : ١ / ١١٦ - غير منسوب ، مجالس ثعلب : ٩ / ٩٩ ٣ غير منسوب ، زهر الآداب : ٤ / ٩٧٧ ، سمط اللآلي : ١ / ٣٤٥ - ٣٤٦ ، شرح جمل الزجاجـــي : ٢ / ٢٠٣ ، الصحاح : " عشا " : ٦ / ٢٤٢٨ ، اللسان " عشا " : ١٥ / ٥٧ ، التاج : " عشو " : ١٠ / ٢٤٢ ، خزانة الأدب - دار صادر - : ٣ / ٢١٥ ، شرح الأشموني : ٣١٩ ، شرح الشواهد للعيني : ٣١٩ .

(٣) سمط اللآلي : ١ / ٣٤٥ .
لعله يقصد ببعض آل شمّاس بغيض بن عامر بن لأي بن شمّاس أحد بنـي قريع بن عوف ، ينازع يومئذٍ الزبرقان الشرف ، والزبرقان أحد بني بهدلـة ابن عوف ، وبغيض أرسخ في الشرف من الزبرقان ، وقد ناوأه ببدتـــه (أي نسبه وحسبه) بل اعتلاه ، فاغتنم بغيض وأخواه علقمة وهوذة ما فيــه الحطيئة من الجفوة فدعواه إلى ما عندهما ، فأسرع ، فبنوا عليه قبة ، ونحروا له ، وأكرموه كل الإكرام / انظر : طبقات فحول الشعراء : ١ / ١١٥ .

أَتَسَّرتُ إِذْلَاجِي عَلَى لَيْلِ حُــرَّةٍ ∴ هَضِيمِ الحَشَا حُسَّانَةِ المُتَجَـــرَّدِ

وقبل الشاهد :

فَمَا زَالَتِ العَوجَاءُ تَجْرِي ضُفُورُهـا ∴ إِلَيْكَ ابنَ شَمّاسٍ تَرُوحُ وَتَغْتَــدِي

تَزُورُ امرَأً يُؤتِي عَلَى الحَمْدِ مَالَــهُ ∴ وَمَنْ يُؤتِ أَثْمَانَ المَحَامِدِ يُحْمَــدِ

يَرَى البُخْلَ لَا يُبْقِي عَلَى المَرْءِ مَالَهُ ∴ وَيَعْلَمُ أَنَّ البُخْلَ غَيرُ مُخَلَّـــــدِ

كَسُوبٌ وَمِتْلَافٌ إِذَا مَاسَأَلْتَــــهُ ∴ تَهَلَّلَ وَاهْتَزَّ اهتِزَازَ المُهَنَّـــــدِ

وبعـــده :

وَذَاكَ امْرُؤٌ إِنْ يُعْطِكَ اليَومَ نَائِلاً ∴ بِكَفَّيهِ لَا يَمْنَعْكَ مِنْ نَائِلِ الغَـــدِ

استشهد به الإمام عبد القاهر في سياق رده على من يقول بأنّ الفضل والمزيـة للعرب في علم البلاغة ، إنما ثبتا لعلمهم باللغة بالطبع لا بالتكلف فرأى أن هـذا خطأ عظيم ، وغلط منكر يفضي بقائله إلى رفع الإعجاز ، وإبطال التحدي من حيـث لا يعلم ، ورأى أنّ المزية إنما وجبت للعرب بحسن النظم والتأليف ، والعلم بمواضع الألفاظ وتخير مواطنها ، ثم علق على البيت بقول الجاحظ :

" وماكان ينبغي أن يُمدَح بهذا البيت إلّا من هو خير أهل الأرض ، علـى أني لم أُعجب بمعناه أكثر من عَجَبِـي بلفظه وطبعه ، ونحته ، وسبكـه ، فيفهم منه شيئاً أو يقف للطابَع والنّظام والنَّحت والسَّبك والمخارج السهلة على معنىً أو يحلّى منه بشيءٍ ، وكيف بأن يعرفه ؟ ولربما خفي على كثير من أهله " (١)

وإذا نظر الناظر المتأمل في البيت ، وجد فيه من أسرار النظم ، وبديع السبك ما تطرب له النفس ، ويأنس له العقل ، فقد ابتدأ الشاعر بيته بـ " متى " الشـــرطيـة التي دلت على الكرم غير المحدود بزمان ، فهو كرم مطلق لا يسامية كرم ، ثم انظـــر إلى قوله : " ضوء ناره " حيث أثبت الضوء للنار ، وهو معروف لها بداهة ، ليؤكد دوام واستمرار ضوئهـا .

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٩٤ ، خفاجي : ٢٦٣ ، شاكر : ٢٥١ .

ومن المعروف أن نيران العرب كثيرة منها نار المُزدلفة ، ونار الاستسقاء ونار الزائر والمسافر، ونار التحاليف ، ونار السلامة ، ونار الصيد ، ونار الوَسْم ، ثم نار القِرىٰ وهي التي قصدها الشاعر هنا ، وهي من أعظم مفاخر العرب كانوا يوقدونها في ليالي الشتاء ، ويرفعونها لمن يلتمس القِرىٰ فكلما كانت أضخم وموضعها أرفع ،كان أفخر .

لذا وصفها الشاعر بالخيرية " تجد خير نار " ، وانظر إلى طريقته في هذا الوصف حيث قدم لفظ " خير " على لفظ " نار " ، ثم أضاف لفظ " خير " إلى لفظ " نار " كل ذلك ليدل على ثبات الخير في هذه النار ، وملازمته لها ، فهي نار خيرٍ على الدوام ، ثم نكر لفظ " نار " ليدل على أن نار الممدوح نار خاصة عجيبة .

ومبالغة في وصف ممدوحه بالكرم الدائم غير المنقطع ، صرّح بالعندية " عندها " وهذا اللفظ يوحي بملازمة الممدوح لنار القرى وحضوره عندها دائماً .

الشاهد الواحد والسبعون بعد المائة : (*) (الكامل)

قول الحارث بن وعلة[1] :

قَومِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ أَخِي ∴ فَإِذَا رَمَيْتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي

(*) الدلائل ، رضا : ١٩٥ ، خفاجي : ٢٦٤ ، شاكر: ٢٥٣ .

(١) نُسب البيتان في الصحاح لوعلة بن الحارث ، والحارث بن وعلة هو: ابن المجالد بن يَثْرَبِيّ بن الرباب بن الحرث بن مالك بن سنان بن ذهل ابن ثعلبة وكنيته أبو مجالد ، وهو شاعر جاهلي ، وقد حدث خلط في نسبة هذه الأبيات ، فنسبها البعض إلى الحارث بن وعلة الجرمي ، كما فعل الأصمعي في كتابه الأضداد والقالي في أماليه ، وكذلك ذكر محقق بهجة المجالس، وقد صحح ذلك البكري فقال : " وقال إسحق بن إبراهيم: هو الحارث بن وعلة ابن يَثْرَبِيّ أحد بني ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، والدليل على صحة هذا النسب أن أخاه =====

فَلَئِنْ عَفَوْتُ لأَعْفُوَنْ (١) جَلَلاً ∴ وَلَئِنْ سَطَوْتُ (٢) لأُوهِنَنْ عَظْمِي (٣)

== المنذر بن وعلة قتلته بنو شيبان ، فذلك قوله : قومي هم قتلوا - أميم - أخي ، وهكذا ينسبه أكثر النّاس للحارث بن وعلة الذّهلي ، وكذلك هو في الحماسة حيثما ذُكر " وعلل لذلك الخلط بأنه ربما كان الحارث بن وعلة الذّهلي مجاوراً في جَرم ، ومن هنا أتى الخلط./ انظر ترجمته في : المؤتلف والمختلف : ١٩٧ ، نوادر المخطوطات : ١/ ١٦٩ ، سمط اللآلي : ١/ ٥٨٥ ، اللسان " جلل " : ١١/ ١١٨ .

وقد أشار د .عفيف عبد الرحمن مؤلف معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين أن أبا الفرج الأصفهاني قد ترجم له (٢٢/ ٢١٧) ، والصحيح أن المترجم له هناك هو الحارث الجرمي ، ولعله سهو منه .

(١) رواية عيون الأخبار : " ولئن " .

(٢) رواية عيون الأخبار : " ولئن قَرَعْتُ " ، ورواية الزهرة : " ولَئِنْ ضَرَبْتُ " .

(٣) انظر البيتين في :-

ثلاثة كتب في الأضداد " أضداد الأصمعي " : ١٠ - ذكر البيت الثاني فقط . الحماسة "تحقيق عسيلان " : ١/ ١١٨ رقم (٤٥) ، عيون الأخبار ٣/ ٨٨ " من غير عزو " ، الصحاح " جلل " : ٤/ ١٦٥٩ ، أمالي القالي : ١/ ٢٦٢ ، الأغاني : ١٠/ ١١٨ ، الأشباه والنظائر للخالديين : ١/ ٤-٥ ، - من غير نسبة - ، المؤتلف والمختلف : ١٩٧ ، "البيت الأول فقط" ، المصون : ٤ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١/ ٢٠٣ ، بهجة المجالس: ٢ " القسم الأول " : ٧٨٣ " من سمط اللآلي : ١/ ٣٠٥ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١/ ١٠٧ ، الزهرة : ٢/ ٦٦٩ - من غير نسبة - ، مغني اللبيب ١/ ١٢٠ ، الإفصاح : ١٠٨ ، " من غير نسبة " ، المفتاح : ٨١ " من غير نسبة " ، الإيضاح : ١/ ١٢٦ ، " البيت الأول فقط" ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : ٥٧ ، التبيان في شرح الديوان : ١/ ٧٩ ، شرح شواهد المغني : ١/ ٣٦٣ ، اللسان " جلل " : ١١/ ١١٨ ، ريحانة الألبا : ١/ ٢٩٢ ، شروح التلخيص " عروس الأفراح " : ١/ ٣٤٦ .

وبعد الشاهد :

لا تأْمَنَنْ قوماً ظَلَمْتَهُمُ ∴ وبَدَأْتَهُمْ بالشَّتْمِ والرَّغْمِ
أَنْ يَأْبِرُوا نَخْلاً لِغَيرِهِمُ ∴ والشَّيءُ تَحْقِرُهُ وقَدْ يَنْمِي
وزَعَمْتُمْ أَنْ لا حُلُومَ لَنَا ∴ إِنَّ العَصَا قُرِعَتْ لِذِي الحِلْمِ (١)

استشهد به الشيخ على انتصار بعضهم للمعنى فقط، وتفضيلهم البيت لجودة معناه دون النظر في التفضيل إلى الصياغة والسبك ، وذكر في ذلك قصة بعضهم مع البحتري ، قال :

" وعن بعضهم أنه قال : رآني البحتري ومعي دفتر شعر فقال : ماهذا ؟ فقلت : شعر الشَّنفَرَى فقال : وإلى أين تمضي ؟ ، فقلت إلى أبي العباس أقرؤه عليه ، فقال : قد رأيتُ أبا عباسكم هذا منذ أيام عند ابن ثوابة ، فما رأيته ناقداً للشعر، ولا مميزاً للألفاظ، ورأيته يستجيد شيئاً ، وينشده ، وما هو بأفضل الشعر، فقلت له : أمَّا نقده ، وتمييزه فهذه صناعة أخرى ، ولكنه أعرفُ النَّاس بإعرابه وغريبه ، فما كان ينشد ؟ قال : قول الحارث بن وعلة :

قَومِي هُمُ قَتَلُوا أُمَيْمَ .... الشاهد

فقلت : والله ما أنشد إلَّا أحسن شعر في أحسن معنى ولفظ، فقال : أين الشعر الذي فيه عروق الذهب ؟ فقلت : مثل ماذا ؟ فقال : مثل قول أبي ذؤاب :

إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ ∴ بِعُتَيْبَةَ بنِ الحَارِثِ بنِ شِهَابِ
بِأَشَدِّهِمْ كَلَباً عَلَى أَعْدَائِهِمْ ∴ وأَعَزِّهِمْ فَقْداً عَلَى الأَصْحَابِ" (٢)

---

(١) الحماسة" تحقيق عسيلان" : ١/ ١١٨-١١٩ ، أمالي القالي : ١/ ٢٦٢-٢٦٣ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٩٥-١٩٦ ، خفاجي : ٢٦٤-٢٦٥ ، شاكر : ٢٥٣ ، وانظر: المصون : ٤ .

والمتحقق في الأبيات لا يرى فيها جودة المعنى فقط بل هي ذات جودة بالغة في حسن التركيب والصياغة ، وحسن هذا التركيب في التعبير عن الموقف ، فالشاعر مغتت النفس ، مكلوم الفؤاد ، لفقده أخاه الحبيب ، ومما زاد حزنه وحيرة نفسه أنّ الذي قتل أخاه هم قومه ، وهذا أمر تتكره النفس ، ويضيق به الصدر ، لذا لجأ الشاعر إلى الجملة الاسمية ، وابتدأ بها كلامه ؛ ليدل على ثبوت ودوام تفجعه ، وأضاف لفظ " قوم " إلى ضمير المتكلم ثم جاء بالضمير " هم " ليؤكد لنفسه المنكرة كون قومه هم سبب مصيبته ، ويرمز بذلك إلى ما في قلبه من الحزن العميق والأسى العظيم .

والنفس المتفجعة تبحث دائماً عن شيء تسكن إليه وتبثه أحزانها وآلامها لتخف حدة التفجع ، لذا لجأ الشاعر إلى ذكر اسم محبوبته ، وحذف ياء النداء كما حذف آخر الكلمة للترخيم ، وذلك لأن الموقف موقف ضيق وتبرم ، وهذا الحذف يجعله ألصق بمحبوبته ، ويجعله يسرع في بث شكواه " ولعل السبب في نداء هذه المرأة وإظهار التحزن عندها دون غيرها أنها كانت تعجزه في قعوده عن الانتقام من قاتلي أخيه ، فأظهر التحزن عندها على هذا الوجه لتعلم أن قعوده ليس لجبنه بل لأن ذلك يعود بالضرر إليه " (١)

ثم يرسل صوته الحزين بلفظ " أخي " ليعلن لتلك النفس المندهشة أنّ المقتول هو أخوه فعلاً ، ويضيف لفظ أخ إلى ياء المتكلم حتى تهدأ نفسه بهذه الصلة ، وتحس روحه بهذا القرب ، فيكون ذلك نوعاً من التداوي إلاّ أنّ نفسه تثور ثانية فيحس بضرورة الانتقام لهذا الأخ ، فجاء بالفاء " فإذا " ليدل على قدرته السريعة في الانتقام وأتى بـ " إذا " الشرطية ليثبت تحقق وقوع الرمي والانتقام منه ، إلاّ أنه مع قدرته وتمكنه من هذا الرمي سيقابل تلك الإساءة بالعفو والإحسان ،

---

(١) شرح أبيات الإيضاح ـ النسخة الأزهرية ـ شاهد رقم (٥٧) .

فكل فرد في القبيلة هو بمثابة أخيه بل بمثابة نفسه العزيزة ، وعفوه هذا عفو مقدرة وعزة ، وليس عفو عجز وضعف وعبر عن ذلك " بالفاء " في قوله : " فلئن " التي دلت على سرعة استجابة نفسه للعفو و" إن " الشرطية التي دلت على أنّ هذا العفو أمر قليل الوقوع لا يستطيع القيام به ، والإقدام عليه إلّا عظماء الرجال ، وكذلك حذف حرف الجر" عنهم " وأصل الكلام " فلئن عفوت عنهم " ، وجاء بـ" لام " القسم ونون التوكيد في جواب الشرط ليؤكد صفحه وعفوه عن مصيبته العظيمة، ولأن العفو في هذه الحالة قليل الوقوع احتاج إلى هذا الأسلوب المؤكد .

وعبّر عن قدرته على السطو والضرب والانتقام بنفس القوة التي عبر بها عن عفوه وتسامحه ، فهو إنْ سَطَا وانتقم فلن يتوقف حتى يوهن منه العظم ، إلا أنه حين عبّر عن عفوه ابتدأ الجملة " بالفاء " ليدل على حبه لهذا العفو وسرعة استجابة نفسه له ، وحين عبّر عن سطوه لم يأتِ بـ" الفاء " بل جاء بـ" الواو " ليدل على حلمه وطول أناته ، وعدم تسرعه في الانتقام مع قدرته عليه .

ولقد شرح المرزوقي ، وتبعه التبريزي البيتين بقوله :

" قومي يا أميمة هم الذين فجعوني بأخي ووتروني فيه فإذا رمتَ الانتصار منهم عاد ذلك بالنكاية في نفسي ؛ لأن عز الرجل بعشيرته ، وهذا الكلام تحزّن وتفجّع وليس بإخبار . . . وحذف حرف الجر فوصل لأعفون بنفسه ، والكلام تحسّر وتوجّع ، يقول :

إن تركتُ مؤاخذتهم واطّرحْتُ طَلَبَ الانتقام منهم ، صفحت عن أمر عظيم ، ولئن سطوت عليهم أضعفتُ عظمي ، وهددت رُكني " (١)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٢٠٤ ، وعنه أخذ التبريزي/ انظر : شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ١٠٧ .

وذكر البيتان في الإيضاح شاهداً على تعريف المسند إليه بالإضافة ، وذلك لاغناء الإضافة عن تفصيل متعذر ، أو مرجوح لجهة . قال :

" وإن كان بالإضافة ،(١) فإما لأنه ليس للمتكلم إلى إحضاره في ذهن السامع طريق أخصرُ منها . . .

وإما لإغنائها عن تفصيل متعذر ، أو مرجوح لجهة " (٢)

وفي معنى بيت الشاهد قول رجل من العرب ، وكان قد قتل ابن أخيه ، فَدُفِعَ به إلى أخيه " والد المقتول " لِيُقِيدَه ، فلما أَهْوَى بالسَّيفِ أُرْعِدت يداه ، فألقى السيف من يده ، وعفا عنه ، وقال :

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءً وَتَعْزِيَةً ∴ إِحدَى يَدَيَّ أَصَابَتْنِي وَلَمْ تُرِدِ
كِلاَهُمَا خَلَفٌ مِنْ فَقْدِ صَاحِبِهِ ∴ هَذَا أَخِي حِينَ أَدْعُوهُ وَذَا وَلَدِي (٣)

وقال المهلهل بن ربيعة ، وأبياته هي الأصل في هذا المعنى :

بِكُرْهِ قُلُوبِنَا يَاآلَ بَكْرٍ ∴ نُغَادِيكُم بِمُرْهَفَةِ النِّصَالِ
وَنَبْكِي حِينَ نَذْكُرُكُم عَلَيْكُم ∴ وَنَقْتُلُكُم كَأَنَّا لاَ نُبَالِي (٤)

الشاهد الثاني والسبعون بعد المائة : (*) (الكامل)

قول أبي ذؤاب :(٥)

---

(١) أي وإن كان التعريف بالإضافة .

(٢) الإيضاح : ١ / ١٢٥ .

(٣) عيون الأخبار : ٣ / ٨٨ ، الأشباه والنظائر للخالديين : ١ / ٤

(٤) الأشباه والنظائر للخالديين : ١ / ٤ ، وانظر كذلك عيون الأخبار : ٣ / ٨٨ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٩٦ ، خفاجي : ٢٦٥ ، شاكر : ٢٥٣ .

(٥) هو رُبَيعة " بضم الراء " بن سعد ، وقيل بن " أسعد " بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قُعين ، شاعر جاهلي من شعراء بني أسد ، وابنه ذؤاب هو الذي قتل عتبة بن الحارث بن شهاب اليربوعي يوم " خو " ، =======

إنْ يَقْتُلُوكَ(١) فَقَدْ ثَلَلْتَ(٢) عُرُوشَهُمْ(٣) ∴ بِعُتَيْبَةَ بنِ الحَارِثِ(٤) بنْ شِهَابِ

=== وخَوّ : بفتح أوله وتشديد ثانيه ،كل وادٍ واسع في جو سهل يقال له خَو وخَوِيّ ، ويوم خو : من أيام العرب كان لبني أسد على بني يربوع، وقيل خَوٌّ وادٍ بين التينَين ، وقيل : خَوّ كثيب معروف بنجد ، وقيل خَوّ وادٍ في ديار بني أسد يفرغ ماؤه في ذي العُشيرة ، وخو أيضاً لبني أبي بكر بن كلاب / معجم البلدان " خو " : ٢ /٤٠٧ - ٤٠٨، اللسان " خوا " : ١٤/ ٢٤٧ .

انظر ترجمته في :

الحماسة (ت : عسيلان) : ١ / ٤٠٥ ، الحيوان : ٢/٧٠٧، الحماسة البصرية : ١ / ٢٣٠ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٦٦ ، معاهد التنصيص : ٣ / ٢٠١ الشاهد رقم (١٦٠) .

ونُسب البيتان في حماسة أبي تمام ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، وسمط اللآلي " البيت الثاني فقط" لرجل من بني نصر بن قُعين ، ونسب في الأمالي لربيعة الأسدي ، وفي الحماسة البصرية لربيعة بن عبيد القعنبي ، ونُسب في المصون لأبي ربيعة بن ذؤاد الأسدي ، وإعجاز القرآن لأبي ذؤاب الأسدي ، وفي معاهد التنصيص لربيعة من بني نصر بن قُعين ، و يقال قائله : داود بن ربيعة الأسدي .

(١) رواية الفلك الدائر : " إن يَقْتُلُوك " .

(٢) رواية المصون وأمالي القالي : " هتكت " .

ويروى أيضا " هلكت بيوتهم " ذكر ذلك محقق الإبانة عن سرقات المتنبى بأنه ورد ذلك في إحدى مخطوطات الكتاب .

ومعنى ثللت : هدمت .

(٣) رواية المصون وأمالي القالي : " بيوتهم " .

(٤) رواية التبريزي : " الحَرِثِ " .

بِأَشَدِّهِمْ كَلَباً(١) عَلَى أَعدائِهِمْ(٢) ∴ وَأَعَزِّهِمْ(٣) فَقْداً عَلَى الأَصْحَابِ(٤) (٥)

---

(١) رواية شرح شواهد الشافية :
"بأشدهم ضَرّاً" .

ورواية المصون ، وأمالي القالي ، ومعاهد التنصيص : "بأحبهم فقداً"
ورواية المثل السائر والفلك الدائر : "بأشدهم بأساً" .

(٢) رواية المصون وأمالي القالي ومعاهد التنصيص : "إلى أعدائه"
ورواية الدلائل ، تحقيق شاكر : "على أعدائه" .
ورواية المثل السائر: "على أصحابه" .

(٣) رواية معاهد التنصيص : "وأشدهم" .

(٤) ذُكر في الأمالي أن البيت الثاني يُروى :
بِأَشَدِّهِمْ أَوْقاً عَلَى أَعْدائِهِمْ ∴ وَأَجَلِّهِمْ رُزْءاً عَلَى الأَصْحَابِ
ومعنى "أوقاً" أي ثقلاً .

(٥) انظر البيتين في :-
حماسة أبي تمام (ت : عسيلان) : ١ / ٤٠٦ ، أمالي القالي : ٢ / ٧٢ ، ٧٣ ، المصون : ٤ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٠٨ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٨٤٥ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٢٣٦ ـ البيت الأول فقط ، نوادر المخطوطات : "اسماء المغتالين" : ٢ / ٢٣٥ ، المؤتلف والمختلف : ١٢٦ ، سمط اللآلي : ٢ / ٧٠٧ ، البيت الثاني فقط ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٦٦ ، المثل السائر : ١ / ٣٨٠ ، الفلك الدائر : ٤ / ١٩٠ ، الإيضاح : ٢ / ٥٣٥ ، التلخيص : ٣٨٨ ، شرح أبيات الإيضاح ـ النسخة الأزهرية ـ الشاهد رقم (٤٤٣) ، معاهد التنصيص : ٣ / ٢١١ شاهد رقم (١٦٠) .

وأول الأبيات :-

أَبْلِغْ قَبَائِلَ جَعْفَرٍ إِنْ جِئْتَهَا .·. مَا إِنْ أُحَاوِلُ جَعْفَرَ بنَ كِلَابِ

وقبل الشاهد :

أَذُؤَابَ إِنِّي لَمْ أُهِنْكَ (١) وَلَمْ أَقُمْ (٢) .·. لِلْبَيْعِ عِنْدَ تَحَضُّرِ (٣) الأَجْلَابِ

وبعد الشاهد :

وَعِمَادِهِمْ فِي كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ .·. وَثِمَالِ كُلِّ مُعَصَّبٍ قِرْضَابِ

وَأَبُو الْيَتَامَى يَنْبُتُونَ بِبَابِهِ .·. نَبْتَ الفِرَاخِ بِكَالِيءٍ مِعْشَابِ (٤)

وهذه الأبيات قالها ربيعة يرثي ذؤاباً ابنه حين قتل عتيبة بن الحارث بن شهاب ، فأسر قوم عتيبة ذؤاباً وقتلوه . (٥)

---

(١) رواية المؤتلف والمختلف : " لم أبعك " .
رواية أمالي القالي وشرح الحماسة للمرزوقي : " لم أهبك " .
(٢) رواية المؤتلف " لم أهب " .
(٣) رواية المؤتلف والمختلف : " بعكاظ حيث تجمع الأجلاب " .
(٤) الحماسة " عسيلان " : ١ / ٤٠٦ .
(٥) والقصة : أن عتيبة بن الحارث بن شهاب ترأس بني يربوع حين غزت بني نصر بن قعين ، فقتله ذؤاب بن ربيعة ، وكان تحت عتيبة فرس فيها مراح ، واعتراض ، فأصاب زجّ غلام من بني أسد يقال له : ذؤاب بن ربيعة أرنبة عتيبة فنزف حتى مات فحمل ربيع بن عتبة على ذؤاب ، فأخذه من سرجه ، وقتله ، فقال أبو ذؤاب الأبيات .
ويروى في شرح ديوان الحماسة : أنه كان لهذا الشاعر ابن اسمه ذؤاب وكان قد قتل عتبة بن الحارث بن شهاب يوم " خو " ، وأسرت بنو يربوع في ذلك اليوم ذؤاباً أسره الربيع بن عتبة وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ، وأراد أبو ذؤاب افتداء ابنه ، وتواعد مع الربيع على سوق عكاظ فتخلف الربيع عن الموعد ، فظنّ أبو ذؤاب أن ابنه قد قتل فرثاه بهذه الأبيات التي كانت سبباً في مقتله ، فحين وصلت هذه الأبيات إلى بني يربوع علموا أنه قاتل عتبة فقتلوه / انظر :

======

استشهد به الشيخ على استحسان البحتري للبيتين من غير أن يبين وجه هذا الاستحسان .

ويبدو لي أن البيت حسن الصياغة بديع التأليف ، فالشاعر واقع تحت وطأة محنة عظيمة ، وهي مقتل ابنه ، وهذه من أشد المصائب ، وأعظمها وقعاً على النفس ، واستطاع الشاعر ببراعته وبلاغته أن يعبر عن خيلته حيث جعل نفسه المجروحة تأبىٰ أن تصرح بمقتل ذلك العزيز فقال : "إن يقتلوك" فهي تتحدث عنه ، وكأنه موجود ، فهو وإن مات فبفعله حي ، واستعمل في التعبير عن ذلك "إن" الشرطية التي تعبر عن عدم جزم المتكلم بوقوع الشرط ، وجعل جواب الشرط بـ"الفاء" الدالة على التعقيب و"قد" الدالة على التحقيق ، فقال : "فقد ثللت" ليبرهن على عظيم شجاعته ، وتحقق وقوع ذلك منه ، وآنظر "الباء" في قوله "بعتيبة" "بأشدهم" ، والدور العظيم الذي قامت به في بيان تلك السرعة في القتل حيث عدت الفعل "ثللت" إلى المفعول به "بعتيبة" و"بأشدهم" مباشرة فلم يقل "فقد ثللت عروشهم بقتل عتيبة وبقتل أشدهم" .

وآنظر إلى تفخيمه جانب "فقيد العدو" حيث ذكر اسمه كاملاً ، وعظَّم من وصفه بأن جعله أشد القوم هجوماً على الأعداء فهو حامي الذِّمار ، وهو كذلك أعز فقيدٍ على القوم ، وأظهر عظيم هذا الوصف بأن قدم قوله "كَلَباً - وفَقداً" وأوقع الوصل بين الجملتين "بِأَشَدِّهِمْ كَلَباً عَلَى أَعْدَائِهِ" ، والجملة الثانية : "وأعزهم فقداً على الأصحاب" واللتان تحملان عظيم الصفات كل ذلك ليبعث الحسرة في قلوب الأعداء ، ويثير في نفوسهم الألم على فقيدهم ، وفيه عزاء لنفسه عن مقتل ابنه ، فإنه لم يُقتل هدراً ، وإنما قُتل بسيد

=== المؤتلف والمختلف : ١٢٥ - ١٢٦ ، أمالي القالي : ٢ / ٧٢ - ٧٣ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٦٦ .

عظيم ، وفارس مغوار ، وفي هذا وصف لابنه ، برباطة الجأش ، والقدرة على مقابلة الشجعان فهو لم يُقْتَل إلا بعد أن أسكن الألم في نفوس أعدائه بأن أَصَابهم في أعظم أشخاصهم وأعزهم.

جاء في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي :

" وقوله : " إن يقتلوك " وقد كانوا قتلوه يريد إن تبجحوا بقتلك وصاروا يفرحون به فقد أَثَّرْتَ في عزهم ، وهدمت أساس مجدهم بما نلت من رئيسهم عتيبة بن الحارث " (١) .

ورأى الباقلاني أن ذكر الأسامي متتالية قد حَسَّنَ موقعها في هذا البيت قال :

" وقد يتفق في الشعر ذكر الأسامي فيحسن موقعه كقول أبي ذَؤاب الأسدي .. " (٢)

وكذلك استشهد به القزويني في الإيضاح (٣) والتلخيص (٤) على توالي الأسماء أيضاً وسماه الاطراد . (٥)

والبيت استشهد به ابن الأثير في باب الموازنة ، والشاهد عنده في البيت الثاني ، فإنَّ " بأساً " و " فقداً " على وزن واحد . (٦)

---

(١) ٢ / ٨٤٥ .

(٢) ٢٠٨ .

(٣) ٢ / ٥٣٥ .

(٤) ٣٨٨ .

(٥) وهو أن يأتي بأسماء الممدوح أو غيره وآبائه ، على ترتيب الولادة ، من غير تكلّف في السبك ، حتى تكون الأسماء في تحدُّرها كالماء الجاري في اطراده وسهولة انسجامه . / الإيضاح : ٢ / ٥٣٤ .

الشاهد الثالث والسبعون بعد المائة : (*) (الطويل)

زَوَامِلُ (١) لِلأَشْعَارِ (٢) لاعِلْمَ عِنْدَهُم ∴ بِجَيِّدِهَا (٣) إِلَّا كَعِلْمِ الأَبَاعِرِ

لَعَمْرُكَ مَايَدْرِي البَعِيرُ (٤) إِذَا غَدَا ∴ بِأَوْسَاقِهِ (٥) أَوْرَاحَ مَافِي الغَرَائِرِ (٦) (٧)

والبيتان ذكرهما الشيخ في الدلائل من غير نسبة، وهما لمروان بن أبي حفصة (٨)،

يهجو قوما من رواة الشعر بأنهم لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم روايته .

(*) الدلائل، رضا : ١٩٦، خفاجي : ٢٦٥، شاكر: ٢٥٤.

(١) زوامل : جمع زاملة وهي من " زمل " وأصل الزاملة البعير الذي يُحمل عليه الطعام والمتاع، كأنها فاعلة من الزَّمل الحَمل / اللسان " زمل " : ١١ / ٣١٠.

(٢) رواية عيون الأخبار ومروج الذهب : " للأسفار ".
ورواية أمالي الشجري : " للأخبار ".

(٣) رواية أمالي الشجري : " يخبرها " .

(٤) رواية عيون الأخبار : " المطي " .

(٥) بأوساقه : الوسق بالفتح والكسر حمل بعير وهو ستون صاعا / اللسان : " وسق " .
رواية عيون الأخبار : " بأحمالها " .
ورواية مروج الذهب : " بأحماله ".

(٦) الغرائر : جمع غرارة بالكسر، وهو الجوالق، وهو ما يحمل فيه التبن ونحوه. / اللسان " غرر " : ٥ / ١٨.

(٧) انظر البيتين في :
عيون الأخبار: ٢ / ١٣٠، الكامل : ٣ / ٦٦، مروج الذهب : ٢ / ٦٩، المصون : ١٠، أسرار البلاغة - هـ - ريتر - : ١٠٣، أمالي الشجري : ١ / ٦٩، - غير منسوب -، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٢٢٥ غير منسوب، اللسان : " زمل " : ١١ / ٣١٠، المزهر : ٢ / ٣١١.

(٨) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة يزيد، كنيته أبو الهيذام أو أبو الهندام، وقيل كنيته أبو السمط (١٠٥هـ - ١٨٢هـ) كان جده أبو حفصة مولى مروان بن الحكم، وقيل هو من موالي السموأل بن عاديا ء =====

استشهد به الشيخ على ذم من يدّعي العلم بالشعر ونقده ، وهو في الحقيقة قليل المعرفة به ، فكثير من الناس يحفظ الشعر ولكن لا يدرك أسراره وعجائبه وحسن سبكه ، وبديع صياغته ، فهُم بذلك أشبه بالبعير الذي يحمل على ظهره المتاع ذهاباً وإياباً ، ولا يعلم ما فيه .

ورأى العميدي أن هذه الأبيات من أحسن ما قيل في انتقاد الأشعار ، وقد أخذ بعضهم هذا المعنى فقال :

=== أعتقه مروان بن الحكم يوم الدار ، لأنه أبلى يومئذٍ بلاءً عظيماً فجعل عتقه جزاءه ، وكان أبو حفصة يهودياً أسلم على يد عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، وقيل على يد مروان بن الحكم ومروان بن أبي حفصة شاعر من شعراء العصر الأموي من أهل اليمامة ، شعره نحو ثلثمائة ورقة .

ورأى المرتضى في أماليه أنه كان كثير الشعر جيده إلا أنه ينقصه الغوص على المعاني ، وهو دون مسلم بن الوليد وبشار بن برد ، أو هو طبقة بينهما ، ورأى ابن خلكان أنه من الشعراء المجيدين والفحول المقدمين .

وذكر في مطالع البدور أنه كان من أبخل الناس مع يساره ، قدم بغداد ومدح المهدي وهارون الرشيد ، وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلويين / انظر ترجمته في :-

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٦٧ - ٧٦٩ ، طبقات الشعراء لابن المعتز : ٤٢ - ٥٤ ، الفهرست لابن النديم : ٢٢٨ ، معجم الشعراء : ٣٩٦ - ٣٩٧ ، أمالي المرتضى : ١ / ٥١٨ ، وله أخبار عدة في مواضع مختلفة من الكتاب .

تاريخ بغداد : ١٣ / ١٤٢ - ١٤٥ ، وفيات الأعيان : ٥/١٨٩ - ١٩٣ ، شذرات الذهب : ١ / ٣٠١ ، الأعلام : ٧ / ٢٠٨ .

يَعِيبُ الأَحْمَقُ المَغْرُورُ شِعْرِي ∴ وَهَجْوِي فِي بِلَادَتِهِ يَسِيرُ
(١)
وَيَزْعُمُ أَنَّهُ نَقَّادُ شِعْرِي ∴ هُوَ الحَادِي وَلَيْسَ لَهُ بَعِيرُ (٢)

الشاهد الرابع والسبعون بعد المائة :- (*) (الخفيف)

يَا أَبَا جَعْفَرٍ تَحَكَّمُ فِي الشِّعْـ ∴ ـرِ وَمَا فِيكَ آلَةُ الحُكَّامِ
إِنَّ نَقْدَ الدِّينَارِ إِلَّا عَلَى الصَّيْـ ∴ ـرَفِ صَعْبٌ فَكَيْفَ نَقْدُ الكَلَامِ
قَدْ رَأَيْنَاكَ لَسْتَ تَفْرُقُ فِي الأَشْـ ∴ ـعَارِ بَيْنَ الأَرْوَاحِ وَالأَجْسَامِ

الأبيات ذكرها الشيخ من غير نسبة . (٣)

وهذا الشاهد هو نفس معنى الشاهد السابق مع اختلاف الصياغة .

ومعناه أن هنَّاك من يحكم في الشعر ، وهو لا يملك الحس الفني الذي يساعده على إدراك سحره ، فنقد الكلام أصعب بكثير من نقد الصيرفي للدينار ، فالأشعار ليست بهيكل حرفي ، وإنّما هي أرواح تجري في الحروف .

الشاهد الخامس والسبعون بعد المائة : (*) (السريع)

لَا تَحْسَبَنَّ المَوْتَ مَوْتَ البِلَى ∴ وَإِنَّمَا المَوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالْ

---

(١) يبدو لي أن قولنا " نقاد شعرٍ " بإطلاق لفظ شعر أجود ، وأدق ، وأبلغ ، إذ أنه يظهر عظيم مقدرته على نقد الشعر على سبيل الاستهزاء بــه .

(٢) الإبانة عن سرقات المتنبي : ٢٢٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٩٦ ، خفاجي : ٢٦٥ ، شاكر : ٢٥٤ .

(٣) لم أعثر على الأبيات ولا على قائلها فيما رجعت إليه من مصادر .
ونسبها الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي في تحقيق الدلائل ، لابن الرومي ، ولقد بحثت عنها في ديوانه ، ولم أجدها ، ولا أدري على أي شيء استند في نسبتها .

(*) الدلائل ، رضا : ١٩٧ ، خفاجي : ٢٦٦ ، شاكر : ٢٥٦ .

كِلاهُمَا مَوْتٌ وَلَكِـــــنَّ ذا .'. أَشَدُّ (١) مِنْ ذاكَ عَلَى كُلِّ (٢) حَـــالْ (٣)

الشاهد مذكور في الدلائل من غير نسبة ، ونسبه الأستاذ خفاجي في تحقيق الدلائل (٤) لمطرف بن عبد الله (٥)

ذكرهما الشيخ حين ساق كلام الجاحظ الذي يعيب فيه أبا عمرو الشيباني ، لاستجادته هذين البيتين ، لاحتوائهما على معنى جليل دون اهتمام بالصياغة والتركيب .

---

(١) رواية الحيوان : " أفظع " .
رواية المستطرف : " أخف " .

(٢) رواية البيان والتبيين والحيوان وحلية الأولياء ، والمحاسن والمساوىء ، وصفة الصفوة ولباب الآداب ، والمستطرف : " من ذاك لِذُل السؤال " .

(٣) انظر البيتين في :
البيان والتبيين : ٢ / ١٧١ ، الحيوان : ٣ / ١٣١ ، حلية الأولياء : ٢ / ٢١٠ ، المحاسن والمساوىء : ٢٧٧ ، لباب الآداب : ٣٠٦ ، صفة الصفوة : ٣ / ٢٢٦ ، المستطرف : ٢ / ٥٩ .

(٤) الدلائل ، تحقيق خفاجي : ٢٦٦ .

(٥) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي العامري ، أبو عبد الله زاهد من كبار التابعين ، له كلمات مأثورة في الحكمة والمواعظ ، ولد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ٨٧ هـ ، وقيل ٩٥ هـ ، وكان لوالده عبد الله صحبة ، وكان فقيهاً ورعاً من أعبد الناس وأنسكهم / انظر ترجمته في : تاريخ الثقات : ٤٣١ ، صفة الصفوة : ٣ / ٢٢٢-٢٢٦ ، حلية الأولياء : ٢ / ٢١٠ ، وفيات الأعيان : ٥ / ٢١١ ، تهذيب التهذيب : ١٠ / ١٧٣ ، شذرات الذهب : ١ / ١١٠ ، الأعلام : ٧ / ٢٥٠ ، ويبدو أن في نسبة الأستاذ خفاجي لبساً وخطأً ، والصحيح فيما يبدو أن مطرف بن عبد الله تمثل بالبيتين فقط ، وليس هو بقائلهما ، جاء في حلية الأولياء : " .. أن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال لبعض اخوانه : يا أبا فلان إذا كان لك إليَّ حاجة فلا تكلمني فيها ولكن اكتبها إليَّ في رقعه ثم ارفعها إليَّ ، فإنـــي ======

ورأى أن الراوية البصير هو الذي يعرف موضع الجيد من أي شاعر كان ، وفي أي زمان ومكان ، قال الجاحظ معلقاً على هذين البيتين :

" . . . وقد رأيت ناساً منهم يبهرجون أشعار المولّدين ، ويستسقطون مَنْ رواها ، ولم أر ذلك قطّ ، إلّا في راويةٍ للشّعرِ غير بصير بجوهر ما يروي ، ولو كان كان له بَصَرٌ لعرف موضع الجيّد ممن كان ، وفي أيّ زمان كان .

وأنا رأيت أبا عمرو (الشيباني) وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ، ونحن في المسجد يوم الجمعة أن كلّف رجلاً حتى أحضر دواة وقرطاساً حتى كتبهما له ، وأنا أزعم أنّ صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً ، ولولا أن أدخل في الحكم بعض الفتك لزعمت أن ابنه لا يقول شعراً أبداً " (١)

ولقد علّق الأستاذ عبد السلام هارون على نقد الجاحظ لأبي عمر الشيباني ، بأنه وقع هو فيما عابه على غيره حيث جعل البيتين في مختارات البيان والتبيين(٢) وصياغة البيتين فيما يبدو غير جيدة إذ هي صياغة مباشرة لا صنعة فيهما ، والذوق يحس بذلك .

ب - شواهد الكناية والاستعارة والتمثيل :

الشاهد السادس والسبعون بعد المائة : (*) (الوافر)

" فإنّي جَبانُ الكَلْبِ مَهْزُولُ الفَصِيلِ " (٣)

=== أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال ، وقد قال الشاعر :

لَا تَحْسَبَنّ المَوْتَ مَوْتَ البِلَى وَإِنَّمَا . . . البيتان " : ٢ / ٢١٠ ، وانظر كذلك : صفة الصفوة : ٣ / ٢٢٦ .

(١) الحيوان : ٣ / ١٣٠ - ١٣١ . (٢) الحيوان " الهامش " : ٣ / ١٣١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٠٤ ، خفاجي : ٢٧٣ ، شاكر : ٢٦٤ .

(٣) لم أجد البيت في ديوانه ، انظره في :-

الحماسة - تحقيق عسيلان - : ٢ / ٣٠٣ ، الحيوان : ١ / ٣٨٤ ، المعاني =====

ذكر الشيخ في هذا الموضع عجز البيت فقط مع كلمة من صدره وبدون نسبة ،

ثم أعاد ذكره تاماً في موضع آخر من هذا الباب ، وصدره :

وَمَا يَكُ[(١)] فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي *

ذكر صاحب شرح أبيات الإيضاح أنه للحماسي ولم يُعَينه .

ونسبه الأستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي في تحقيق الدلائل ، وتحقيق الإيضاح

لابن هرمة،[(٢)] ولا أعلم على أي شيء أعتمد في نسبته هذه .

وهو بيت منفرد لا ثاني له .

==== الكبير : ١ / ٢٣٤ ، ديوان المعاني : ٣٣ ، الصناعتين : ٣٨٧ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١٦٥٠ ، رقم ٧٢٢ ، العمدة : ١ / ٣١٨ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٩٣ ، المفتاح : ١٧١ ، الإيضاح : ٢ / ٤٥٩ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد (٤٠١) ، شروح التلخيص - عروس الأفراح - : ٤ / ٢٥٧ ، بلوغ الأرب : ١ / ٦٠ ، أنوار الربيع : ٥ / ٣١١ .
ذُكر البيت في هذه المصادر من غير نسبة .

(١) رواية الصناعتين : " وَمَهْمَا فِيَّ مِنْ عَيبٍ " .

(٢) هو إبراهيم بن علي بن سَلَمة بن هَرْمة بن هَذيل بن ربيع بن فِهر (٩٠هـ - ١٧٠هـ) من متقدمي الشعراء ، وممن أدرك الدولتين الأموية والعباسية ، وكنيته أبو إسحق ، وشعره مجرد نحو مائتي ورقة ، وفي صنعة أبي سعيد السكري نحو خمسمائة ورقة ، وقد صنعه الصولي ، فلم يأت بشيء .
ولشعره قيمة عند اللغويين والنحاة إذ وقفوا بالاستشهاد بالشعر العربي على مسائل اللغة والنحو عنده ، ولم يتجاوزوا إلى سواه ، وذُكر في الأغاني أنه كان أحد البخلاء / انظر ترجمته في :-
الشعر والشعراء : ٢ / ٧٥٧-٧٥٨ ، طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٠-٢١ ، الأغاني : ٤ / ٣٦٧-٣٩٧ / ٥ / ٢٥٩-٢٦٣ ، الفهرست : ٢٢٧ ، سمط اللآلي : ١ / ٣٩٨ .

ذكر الشيخ أن في البيت كناية ، ولكن ليس هذا هو هدف الشيخ من وضع الشاهد ، وإنما ساقه شاهداً على توضيح فكرته في النظم " المعنى ومعنى المعنى ".

والمراد بالمعنى : المفهوم من ظاهر اللفظ ، والذي تصل إليه بغير واسطة ، ومعنى المعنى : أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر .

وعلى هذا الأساس يقوم النظم والصياغة ، فزيادة المعنى إنما تتولد من النظم ، وأنّ المعرّض ، وما في معناه ليس هو اللفظ المنطوق به ، ولكن معنى اللفظ الذي يُدَّل به على المعنى الثاني ، فالمعاني الأُول المفهومة من أنفس الألفاظ هي المعارض والوشي والحَلي ، والمعاني الثواني التي يومأ إليها بتلك المعاني هي التي تُكْسَى تلك المَعارض ، وتُزَيَّن بذلك الوَشي والحَلي . (١)

قال الشيخ :

" الكلام على ضربين : ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده . . وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ، ومدار هذا الأمر على " الكناية " و " الاستعارة " ، و" التمثيل " (٢)

وقال أيضا :

" وجملة الأمر أن صُور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ حتى يكون هناك اتساع ومجاز ، وحتى لا يُراد من الألفاظ ظواهر ما وُضِعت له في اللغة ، ولكن يُشار بمعانيها إلى معانٍ أُخر " (٣) .

---

(١) الدلائل : رضا : ٢٠٤ ، خفاجي : ٢٧٤ ، شاكر : ٢٦٢-٢٦٤ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٠٢ ، خفاجي : ٢٧٢ ، شاكر : ٢٦٢ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٠٤ ، خفاجي : ٢٧٤ ، شاكر : ٢٦٥ .

وقد حلل السكاكي[1] كيفية انتقال المعاني الأول إلى المعاني الثواني، فقال:

"فإن جبن الكلب عن الهرير في وجه من يدنو من دار من هو بمرصد لأن يغشى دونها مع كون الهرير له والنباح في وجه من لا يعرف أمراً طبيعياً له، مركوزاً في جبلته، مشعر باستمرار تأديب له لامتناع تغير الطبيعة، وتفاوت الجبلة بموجب لا يقوى. واستمرار تأديبه أن لا ينبح مشعر باستمرار موجب نباحه، وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه واتصال مشاهدته لتلك، مشعر بكون ساحته مقصد أدانٍ وأقاصٍ، وكونه كذلك مشعر بكمال شهرة صاحب الساحة بحسن قرى الأضياف، فانظر لزوم جبن الكلب للمضيافية كيف تجده بوساطة عدة لوازم، وكذلك هزال الفصيل يلزم فقد الأم، وفقدها مع كمال عناية العرب بالنوق لا سيما بالمُتْلَيَات منها لقوام أكثر مجاري أمورهم بالإبل يلزم كمال قوة الداعي إلى نحرها، وإذ لا داعي إلى نحر المتليات أقوى من صرفها إلى الطبائخ، ومن صرف الطبائخ إلى قرى الأضياف، فهزال الفصيل كما ترى يلزم المضيافية بعدة وسائط".[2]

<u>الشاهد السابع والسبعون بعد المائة</u>: (*) (المنسرح)

لَا أُمْتِعُ الْعُوذَ[3] بِالْفِصَالِ[4] وَلَا ∴ أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ[5] الأَجَلِ (٦)

---

(١) وقد نقل عنه الخطيب مع تصرف في عبارات السكاكي: الإيضاح: ٢/ ٤٥٩-٤٦٠.

(٢) المفتاح: ١٧١.

(*) الدلائل، رضا: ٢٠٧، خفاجي: ٢٧٧، شاكر: ٢٦٤.

(٣) رواية تاريخ ابن عساكر: ، ورواية تاريخ ابن عساكر:

"لا أمنع العوذ الفصال".

==========

ذُكر البيت في الدلائل من غير عزو .

وهو لإبراهيم بن هرمة،(١) والبيت من قصيدة(٢) من خمسة أبيات ، ومطلعها :

يَادَارَ سُعْدَىٰ بِالجِزْعِ(٣) مِنْ مَلَلِ(٤) ∴ حُيِّيتِ مِنْ دِمْنَةٍ وَمِنْ طَلَلِ

---

(٤) العوذ : جمع " عائذ " وهي الناقة الحديثة النتاج ، وناقة عائذ عاذ بها ولدها / تاج العروس " عوذ " : ٢ / ٥٧٠ .

(٥) رواية محاضرات الأدباء : (١/٥٠٦) وتاريخ ابن عساكر « إلا قصيرة الأجل »

(٦) انظر البيت في :

ديوانه : ١٨٣ ، عيون الأخبار : ٣ / ٢٤٩ ، الأغاني : ٥ / ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤ ، أمالي القالي : ٣/١١٠ ، رسالة الغفران : ٥١٨ ، محاضرات الأدباء : ١ / ٣٩٥، ٥٠٦ ، تاريخ ابن عساكر : ٢/ ٢٤٠، ٢٣٩ ، المفتاح : ١٧١ ، الإيضاح : ٢/٤٦٠ " من غير نسبة " ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد (٣٠٤) .

(١) وهذه النسبة مأخوذة من المصادر السابقة في تخريج البيت ، وابن هرمة سبقت ترجمته في الشاهد السابق : ص ٦٥٦ .

(٢) ولهذه الأبيات قصة خلاصتها : أن عروة بن أذينة وقف على باب ابن هرمة وناداه ، فأجابته ابنة له بأنه خرج آنفاً فسألها هل من قِرىً ، قالت : لا والله ، قال فأين قول أبيك :

لَا أُمْتِعُ العُوذَ بِالفِصَالِ . . .

قالت : بذلك أفناها .

فبلغ ابن هرمة ما قالت، فضمّها إليه ووهبها دار ومزرعة .

وتروى نوادر أخرى في هذه الأبيات طارد بها الناس ابن هرمة / انظر : عيون الأخبار : ٣ / ٢٤٩ ، الأغاني : ٥ / ٢٦٠ .

(٣) الجِزْع : " بالكسر والفتح " منعطف الوادي ووسطه ، ومنقطعه ، وقيل هو ما اتسع من مضايقه انبتت أو لم تنبت./ تاج العروس (جزع) : ٥ / ٣٠٠-٣٠١ .

(٤) مَلَل : بالتحريك ولامين بلفظ الملل من الملال اسم موضع في طريق مكة بين الحرمين ، فهو منزل على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة / معجم البلدان : ٥/١٩٤ .

وبعده بيت قبل الشاهد :

إِنِّي إِذَا مَا البَخِيلُ آمَنَهَا .·. بَاتَتْ ضَمُوزاً(١) مِنِّي عَلَى وَجَلِ

وبعده الشاهد وبعده :

لاَ غَنَمِي فِي الحَيَاةِ مُدَّ لَهَا .·. إِلاَّ دِرَاكَ القِرَى وَلاَ إِبِلِي

كَمْ نَاقَةٍ قَدْ وَجَأْتَ مِنْحَرَهَا(٢) .·. بِمُسْتَهَلِّ الشُّؤْبُوبِ(٣) أَوْ جَمَلِ

استشهد الشيخ بهذا البيت وبالشاهدين الآتيين وهما : قول الشاعر :

وَصَدْرٍ أَرَاحَ اللَّيلُ عَازِبَ هَمِّهِ .·. تَضَاعَفَ فِيهِ الحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وفيه استعارة .

وقول الشاعر :

لاَ أَذُودُ الطَّيرَ عَنْ شَجَرٍ .·. قَدْ بَلَوْتُ المُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ

وفيه تمثيل .

استشهد بها لبيان أن العبرة في هذه الأبواب إنما هي بالمعنى لا باللفظ، وإن جرت الصفات على اللفظ ، وأن المراد باللفظ في علم البلاغة هو دلالة المعنى على المعنى ، وأن البلاغة في الكناية والاستعارة ، والتمثيل إنما ترجع إلى نظم عبارتها ، وما بين المعاني من ارتباط ، والبلاغة أيضاً في هذه الأبواب هو أن ينتقل الإنسان من المعنى الأول إلى المعنى الثاني في سهولة ويسر، ومن غير غموض وخفاء قال :

---

(١) ضموز : ضمز البعير يضمز ضَمْزاً وضَمَازاً وضُمُوزاً أمسك جرته في فيه ولم يجتر من الفزع ، وكذلك الناقة . / تاج العروس " ضمز " : ٤/ ٤٦ .

(٢) وَجَأْتَ مِنْحَرَهَا : ضربته / تاج العروس " وجأ " : ١ / ١٣١ .

(٣) الشؤبوب : الدُّفعة من المطر وغيره ، ولا يقال للمطر شُؤبوب إلاَّ وفيه بَرَدٌ . / اللسان " شأب " : ١/ ٤٧٩ - ٤٨٠ .

" ... إنَّ من شرط البلاغة أن يكون المعنى الأول الذي تجعله دليلاً على المعنى الثاني ووسيطاً بينك وبينه متمكناً في دلالته ، مستقلاً بوساطته ، يَسْفِر بينك وبينه أحسن سِفارة ، ويشير لك إليه أبين إشارة ، حتى يُخيَّل إليك أنك فهمته من حَاقّ اللفظ ، وذلك لقلة الكُلْفة فيه عليك ، وسُرْعَة وصوله إليك " (١)

والمعنى الأول في بيت ابن هرمة هو أنه لا يترك الناقة الحديثة النتاج مع فصيلها ، وأنه لا يبتاع من النوق إلَّا مَادَنَا أجله ، فهذا المعنى الأول معنى سطحي ساذج إلَّا أنه بالتأمل ، وإعمال الفكر يفضي بنا في سهولة ويسر إلى معنى ثان تُسَرّ به النفس ، ويعجب منه العقل ، فالمعنى المستور هنا أنه كثير الكرم بالغ الجود .

الشاهد الثامن والسبعون بعد المائة: (*) (الطويل)

وَصَدْرٍ (٢) أَرَاحَ (٣) اللَّيْلُ عَازِبَ (٤) هَمِّهِ ∴ تَضَاعَفَ فِيهِ الحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ (٥)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٠٧ ، خفاجي : ٢٧٦ ، شاكر: ٢٦٧-٢٦٨ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٠٧ ، خفاجي : ٢٧٧ ، شاكر: ٢٦٨ .

(٢) رواية بيان إعجاز القرآن " للخطابي " : " بصدر أراح ... " .

(٣) أراح : رده إليه .

ورواية محاضرات الأدباء : " أتاح " .

(٤) العازب : البعيد / اللسان " عزب " : ١ / ٥٩٧ .

(٥) انظر البيت في :

ديوانه : ٩ ، ديوانه ـ تحقيق فوزي عطوي ـ : ٤٨ ، البديع : ٨ ، مجالس العلماء : ٢٠٨ ، الموشح : ٢٩ ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " رسالة الخطابي " : ٦٢ ، الصناعتين : ٣١٢ ، زهر الآداب : ٣ / ٨٠٢ - ٨٠٣ ، محاضرات الأدباء : ٢٩٦ .

وقد سبق الكلام عن هذا البيت ، انظر : ص ١٨٢ .

والشاهد أورده الشيخ من غير عزو، وهو للنابغة الذبياني ، من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر (١) حين هرب إلى الشام ونزل به .

ومطلعها :

كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةَ ناصِبِ ∴ ولَيْلٍ أُقاسِيهِ بَطِيءِ الكَواكِبِ

وبعده :

تَطاوَلَ حتّى قُلتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ ∴ ولَيسَ الذي يَرْعَى النُّجُومَ بِآيِبِ

وبعده الشاهد وبعده :

عَلَيَّ لعمرٍو نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ ∴ لِوالِدِهِ لَيسَتْ بِذاتِ عَقارِبِ

فظاهر لفظ البيت يدل على أن الليل قد أعاد إلى صدر الشاعر همه الذي بَعُدَ وتضاعف عليه الحزن وتكالب عليه من كل جانب .

ولكن المعنى الثاني هو ما نسجه الخيال وأدركه العقل في سهولة ويسر من المعنى الأول ، وذلك بالربط بين صورة المستعار منه وصورة المستعار له ، حيث شبه الشاعر حالته في الليل حين يُظلم عليه ويبدأ السكون والهجوع فيعيد إليه همومه التي بددها النهار بمشاغله ومصالحه لتسكن وتهجع في صدره بصورة الراعي الذي جَنَّ عليه الليل فأخذ يجد ويجتهد في إعادة إبله إلى حظائرها لتسكن وترتاح .

---

(١) هو عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شَمِر، وأم الحارث الأعرج مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن مُعاوية ابن ثور بن مُرتع الكندية ، وهي ذات القُرطين اللذين يُضْرَب بهما المثل فيقال لما يُغلَى به الثمن " خُذه ولو بقُرطَي مارية "، وأختها هند الهنود امرأة حُجر آكل المُرار" والد امرئ القيس، وعمرو بن الحارث من ملوك الغساسنة ، وقد نزل عليه النابغة حين صار إلى غسان، وأقام عنده ، ومدح أخاه النعمان ولم يزل مقيماً عنده حتى توفي عمرو، وملك أخوه النعمان ، فصار النابغة معه / انظر ترجمته :

الأغاني : ١١/ ١٥-١٦ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ١/ ٣٧١ .

جاء في الموشح للمرزباني :

" قال الصولي : فأما قول النابغة :

وَصَدْرٍ أَرَاحَ اللَّيلُ عَازِبَ هَمِّهِ

فإنه جعل صدره مألفاً للهموم ، وجعلها كالنعم العازبة بالنهار عنه ، الرائحة مع الليل إليه كما تريح الرعاة السائمة بالليل إلى أماكنها ، وهو أول من وصف أن الهموم متزايدة بالليل وتبعه الناس .." (١)

الشاهد التاسع والسبعون بعد المائة : (*) (المديد)

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ ∴ قَدْ بَلَوتُ المُرَّ مِنْ ثَمَرِهْ (٢)

الشاهد مذكور في الدلائل من غير نسبة ، وهو لأبي نواس من قصيدة يمدح بها العباس بن عبيد الله.(٣) مطلعها :

---

(١) الموشح ، ٣٠، وانظر كذلك : زهر الآداب : ٣ / ٨٠٣.

(*) الدلائل ، رضا : ٢٠٧، خفاجي : ٢٧٧، شاكر: ٢٦٨.

(٢) انظر البيت في :-

ديوانه - دار الكتاب العربي -: ٤٢٧، الكامل - دار الفكر -: ٤ / ١٤ ، التمثيل والمحاضرة : ٨٠، زهرة الآداب : ٣ / ٨٦٢ - من غير نسبة، بهجة المجالس : ٣ / ١٨٤، المثل السائر : ٣ / ٦٦، الموشى : ٢ / ١٥٧ ، نهاية الأرب : ٣ / ٨٣.

(٣) العباس بن عبيد الله : لم أقف له على ترجمة .

وقد مدحه أبو نواس في ديوانه بثلاث قصائد، ويفهم من هذه القصائد أنه كان شهماً جواداً ، قد أغدق على أبي نواس العطايا الجزيلة ، وهو أمير هاشمي حيث قال أبو نواس:

هَاشِمِيٌّ عَبْدَلِيٌّ ∴ عِنْدَهُ يَغْلُو المَدِيحُ

انظر الديوان : ٤٢٧-٤٣٣-٤٣٤

ولعله يكون العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ======

أَيُّهَا المُنْتَـابُ عَنْ عُفُـرِهِ (١) (٢) ∴ لَسْتَ مِنْ لَيْلِى وَلَا سَمَرِهْ

وبعده البيت وبعده :

فَاتَّصِل إِنْ كُنْتَ مُتَّصِلًا ∴ بِقُوَى مَنْ أَنْتَ مِنْ وَطَرِهْ

خِفْتَ مَأْثُورَ الحَدِيثِ غَداً ∴ وَغَدٌ أَدْنَى لِمُنْتَظِرِهْ

ومناسبة الشاهد : أنه كان لأبي نواس عشيقة تختلف إليه ، فقيل له : أنها تختلف إلى آخر من أهل الريب ، فلم يصدق ذلك حتى تبعها يوماً ، فرآها تدخل منزل ذلك الرجل ، ثم إنّ ذلك الرجل كان صديقاً له ، فأتاه يوماً يكلمه ، فأشاح عنه أبو نواس بوجهه ، ثم قال أبياته هذه (٣)

فظاهر معنى البيت : أنني لا أمنع الطير عن الشجر الذي ذقت مرارته حتى تذوقه فتنتفع بنفسها ، وهذا المعنى الأول قد ساقنا بخفة ، ويسر ، ومن غير تعقيد إلى معنى آخر قصده الشاعر ، وهو أنه جرب صاحبته ، فرأى فيها الغدر والخيانة مع صديق له ، وذاق مرارة ذلك ، لذا فهو لن يُحذِّر ذلك الصديق ، ولن يمنع أحداً من زيارتها حتى يرى كل أحدٍ خيانتها بنفسه ، فيذوق مرارة الغدر .

=== القرشي ، وقد استعمل والده عبيد الله (١ هـ - ٨٧ هـ) على اليمن وقيل أن والده هو أول من وضع الموائد على الطرق . / انظر : خزانة البغدادي - دار صادر - : ٣ / ٢٥٦ - ٢٥٨ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ - ، الأعلام : ٤ / ١٩٤ .

(١) المنتاب : المتردد مرة بعد مرة / اللسان " نوب " : ١ / ٧٧٥ .

(٢) العُفْر : من ليالي الشهر السابعة والثامنة والتاسعة ، وذلك لبياض القمر / اللسان " عفر " : ٤ / ٥٨٥ .

(٣) المثل السائر : ٣ / ٦٦ .

الشاهد الثمانون بعد المائة : (x) (الطويل)

قول العباس بن الأحنف : (١)

سأطلبُ بُعْدَ الدَّارِ عنكمْ لتقربُوا .. وتسكبُ(٢) عينايَ الدُّموعَ لتجمُدَا (٣)

(x) الدلائل ، رضا : ٧ ٢٠ ، خفاجي : ٢٧٧ ، شاكر : ٢٦٨ .

(١) سبقت ترجمته صـ ٢٣٤ .

(٢) يروى " تسكبُ " بالرفع والنصب ، والرفع أصح عطفاً على مجموع سأطلب ، وقرر أنه بالرفع عطفاً على أطلب ، فالمعنى وستسكب ، وفي المعنى الثاني نظر ، لأن البكاء شعار المحبين ، لأنه ينبيء عن شدة الشوق ، فلا ينبغي التسويف به إلا أن يقال : إن التسويف به لابهذا الاعتبار ، بل باعتبار ما فيه من المشاق ، وتكدير عيش العشاق / انظر شروح التلخيص ، حاشية الدسوقي : ١/ ١٠٩ .

ويجوز في قوله " وتسكب " النصب عطفاً على " بعد " من باب " للبس عباءةٍ وتقر عيني " أي بتقدير " أن " / انظر :

المطول : ٢٢ ، شروح التلخيص " عروس الأفراح " : ١/ ١١٢ .

(٣) انظر البيت في :-

ديوانه : لم أجد البيت في ديوانه طبعة دار صادر ، الكامل : - دار الفكر - ١/ ١٣٧ ، " من غير نسبة " ، المطول : ٢٢، معاهد التنصيص : ٥٢/١، شاهد (٨) الإيضاح : ١/ ٧٦ ، شرح أبيات الإيضاح :- النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (٩) شروح التلخيص : ١/ ١٠٩ ، عقود الدرر : ٨ ب .

ولا يطلبه في الحال؛ لكون البعد في ذاته أردئ من الرّدى والحاصل أن البعد ، وإن كان وسيلة للقرب الذي هو مقصد العشاق الأقصى ، إلّا أنه من حيث إنه بعد في نفسه حقيق بأن يسوف عليه ؛ ولكون البعد رديئاً أضافه الشاعر لداره لا لذاته ؛ لأن العاشق لا يطلب بُعد ذاته ، وأضاف القرب لذات المحبوبين. (١)

ورأى ابن يعقوب أن في معنى البيت وجهين :

الأول : " أنّ الزمان والأحبة من عادتهم عكس المراد ، فأطلب خلاف المراد لعلّني أغالطهم ، فيأتون بالمراد ".

والذي يحسّن هذا المعنى إظهار أن القائل طلب مغالطة الزّمان على وجه الظرافة والتمليح .

والوجه الثاني : أنّ المراد بالطلب هو ارتكاب فعل الطالب بإظهار عدم الضجر الحاصل بالصبر، وتوطين النفس على المكروه المؤدّي إلى إفاضة الدموع ؛ ليحصل عن ذلك دوام السرور بدوام التلاقي ، فإنّ الصبر مفتاح الفرج (٢)

ذكر ابن يعقوب أن المبرد فسر هذا البيت في (الكامل) على غير هذا الوجه فقال : إنّ هذا رجلٌ فقيرٌ يبعد عن أهله ويسافر ليحصل ما يوجب لهم القرب وتسكب عيناه الدموع في بُعده عنهم لتجمد عند وصوله لهم وأنشد :

تَقُولُ سُلَيمَى لَوْ أَقَمْتَ بِأَرْضِنَا ∴ وَلَمْ تَدْرِ أَنّي لِلْمُقَامِ أَطَوّفُ (٣)

ومختصر الكلام ماقاله الشيخ عبدالقاهر :

" إن أردت أن تعرف ما حاله بالضد من هذا ، فكان منقوص القوة في تأدية ماأريد منه ؛ لأنه يعترضه مايمنعه أن يقضيَ حق السّفارة فيما بينك وبين

---

(١) شروح التلخيص : " حاشية الدسوقي " : ١ / ١٠٩ .

(٢) شروح التلخيص " مواهب الفتاح " : ١/ ١١١-١١٢ .

(٣) نقلاً عن مواهب الفتاح " شروح التلخيص " : ١/ ١١١-١١٢ ، لم أجد هذا النص في كتابه الكامل .

معناك ، ويوضح تمام الإيضاح عن مغزاك فانظر إلى قول العباس بن الأحنف :

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُم لِتَقْرُبُوا . . .

بدأ فَدَلَّ بسكب الدموع على ما يُوجبه الفراق من الحزن والكَمَد ، فأحسن وأصاب ؛ لأن من شأن البكاء أبداً أن يكون أمارة للحزن ، وأن يُجعل دلالة عليه ، وكنايةً عنه . . . ثم ساق هذا القياس[1] إلى نقيضه ، فالتمس أن يدُلّ على ما يُوجبه دوام التلاقي من السرور بقوله : " لتجمدا " وظَنّ أن الجمود يبلُغ له في إفادة المسرة والسلامة من الحزن ما بلغ سكب الدمع في الدلالة على الكآبة والوقوع في الحزن ، ونظر إلى أن الجمود خُلُوّ العين من البكاء وانتفاء الدموع عنها ، وأنه إذا قال " لتجمدا " فكأنه قال : " أحزن اليوم لئلا أحزن غداً ، وتبكي عيناي جُهدهما لئلا تبكيا أبداً " وغلط فيما ظن ، وذاك أن الجمود هو أن لا تبكي العين ، مع أن الحال حال بكاء ، ومع أن العين يُراد منها أن تبكي ، ويستراب[2] في أن لا تبكي " (٣) .

وقال :

" . . . ولو كان الجمود يصلح لأن يراد به السلامة من البكاء ، ويصح أن يدل به على أنّ الحال حال مسرة ، وحبور ، لجاز أن يُدْعَى به للرجل فيقال : " لا زالت عينيك جامدة " كما يقال : " لا أبكى الله عينك " ، وذاك مما لا يُشَكّ في بطلانه ، وعلى ذلك قول أهل اللغة : " عينٌ جمودٌ لا ماء فيها ، وسَنَةٌ جمادٌ لا مَطَر فيها ، وناقةٌ جَمادٌ لا لَبَنَ فيها " ، وكما لا تجعل السنة ، والناقة جماداً إلّا على معنى أن السنة بخيلة بالقَطر ، والناقة لا تسخو بالدَّرّ كذلك حَكم العين لا تُجعل " جَموداً " إلّا وهناك ما يقتضي إرادة البكاء منها ،

---

(١) أي قول حطان بن المعلى : أَبْكَانِي الدَّهْرُ وَيَا رُبَّمَا أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بِمَا يُرْضِي .

(٢) وفي الدلائل ، تحقيق شاكر " ويشتكي " .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٠٨ ، خفاجي : ٢٧٨ ، شاكر : ٢٦٨-٢٦٩ .

وما يجعلها إذا بكت محسنة موصوفة بأن قد جادت وسخت ، وإذا لم تبكِ مسيئة موصوفة بأن قد ضَنَّت وبَخِلَت " (١)

ورأى ابن السبكي أنه لا حاجة إلى الكناية بالبكاء ، ويجوز أن يكون أراد حقيقته ، والمراد أنه انتقل عن المعنى الظاهر وهو جمود العين إلى السرور بالاجتماع (٢)

وقد يقال إنه استعمل الجمود في مطلق خلو العين من الدمع مجازاً من باب استعمال المقيد في المطلق ثم كنّى به عن المسرة لكونه لازماً لها عادة ، فيُجَاب أن هذا يكفي لصحة الكلام واستقامته ولا يخرجه عن التعقيد المعنوي لظهور أن الذهن لا ينتقل إلى هذا بسهولة .

واعترض ابن السبكي على كون البيت مُخِلّاً بالفصاحة ، بل هو عنده غير عربي ، فليس هو من باب التعقيد المعنوي : قال :

" وفيه لطيفة ، لأن الجمود بالحقيقة إنما يكون للمائع ، ووصف العين بالجمود إمّا على إرادة دمعها ، أو إرادتها على سبيل الاستعارة عن الدمع ، فلا بد أن يتخيل أن الدمع موجود في العين ، ولكن حصل له جمود منعه من الانسكاب ، وذلك لا يتأتى في حال السرور ، لأن المعدوم لا يوصف بالجمود ، واعلم أن هذا الاعتراض فيه نظر ، لأن استعمال الجمود في هذا البخل إن لم يكن جائزاً ، فليس هذا كلاماً غير فصيح بل هو غير عربي ، وإن كان يستعمل ، فمن أين جاء التعقيد؟ " (٣)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٠٨ ، خفاجي : ٢٧٨ ، شاكر : ٢٧٠ .

(٢) شروح التلخيص : " عروس الأفراح " : ١ / ١١٠ .

(٣) شروح التلخيص " عروس الأفراح " : ١ / ١١٠-١١١ .

الشاهد الواحد والثمانون بعد المائة : (*) (السريع)

أَبْكَانِي الدَّهْـــرُ وَيَارُبَّـــا ∴ أَضْحَكَنِي الدَّهْـــرُ بِمَا يُرْضِي (١)

الشاهد ورد من غير نسبة في الدلائل .

وهو لحِطَّان بن المعلَّى ، وذكر المرزوقي أن اسمه : خَطَّاب بن المعلَّى (٢)

وهو من أبيات أولها :

أَنْزَلَنِـي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِـهِ ∴ مِنْ شَـامِخٍ (٣) عَالٍ إلى خَفْـضِ (٤)

وَغَالَنِي الدَّهْرُ بِوَفْرِ الغِنَـى ∴ فَلَيْسَ لِي مَالٌ سِـوَى عِرْضِـي

(*) الدلائل ، رضا : ٢٠٨ ، خفاجي : ٢٧٧ ، شاكر : ٢٦٩ .

(١) انظر البيت في :
شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٢٨٦ رقم "٨٦" العقد الفريد : ٢ / ٢٤٤ ، بهجة المجالس : ج ٢ القسم الأول / ٧٦٩ سمط اللآلي : ٢ / ٨٠٣ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ١٥٢ ، التشبيهات لابن أبي عون : ٣٤٢ - ٣٤٣ ذكر ثلاث أبيات من القصيدة ولم يذكر بيت الشاهد وكذلك في شرح المضنون به على غير أهله : ١١٥ إلا أنه ذكر بيتين فقط.

(٢) لم أجد فيما رجعت إليه من مصادر شيئاً عن ترجمته غير أنه شاعر إسلامي اشتهر بقصيدته هذه التي منها بيت الشاهد ؛ انظر: المصادر السابقة في تخريج البيت . الأعلام : ٢ / ٢٦٣ .

(٣) رواية بهجة المجالس والسمط " من شامخ " .

(٤) جعل في بهجة المجالس بيت الشاهد هو البيت الأول وبعده :
" أَنْزَلَنِي الدَّهْرُ عَلَى حُكْمِهِ . . . "

وبعد هما الشاهد وبعده :

لَولَا بُنَيَّاتٌ كَزُغْبِ القَطَا ∴ رُدِدْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضِ

لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ ∴ فِي الأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالعَرْضِ

وإِنَّمَا أَولَادُنَا بَيْنَنَا ∴ أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الأَرْضِ (١)

استشهد به الشيخ في سياق حديثه عن الكناية بجمود العين، وذلك للتنظير به على أن من شأن البكاء أنَ يكون أمارة للحزن ، وهو دليل وكناية عنه ، كما أن قولهم " أبكاني وأضحكني " على معنى ساءني وسرني قال :

" بدأ فدَّل بسكب الدموع على مايوجبه الفراق من الحزن والكمد، فأحسن وأصاب ؛ لأن من شأن البكاء أبداً أن يكون أمارة للحزن، وأن يُجعل دلالة عليه وكناية عنه ،كقولهم : " أبكاني وأضحكني " على معنى " سَاءني وَسَرَّني " (١)

والمعنى :

" أبكاني الدهر بما أسخطني ،وياقوم ربما أضحكني الدهر فيما مضى بما أرضاني " (٣)

" وقوله ياربما المنادىُ فيه محذوف كأنه قال ياقوم ربما ،وهذا النداء على وجه التحسُّر والتوجع من معاملة الدهر وسوء تنقله " (٤)

---

(١) هذا على رواية الحماسة للمرزوقي .
وورد ت هذه الأبيات في المصادر السابقة مع اختلاف في ترتيب الأبيات.

(٢) الدلائل ،رضا : ٢٠٨ ، خفاجي : ٢٧٧ ،شاكر: ٢٦٩ .

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٢٨٦ .

(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .
وكذلك انظر شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ١٥٢ -نقلا عن المرزوقي - .

الشاهد الثاني والثمانون بعد المائة : (*) (الطويل)

أَلَا إِنَّ عَيْناً لَمْ تَجُدْ يَومَ وَاسِطٍ ∴ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا لَجَمُودُ (١)

الشاهد لم ينسبه الشيخ ،وهو لأبي عطاء السندي(٢) يرثي

(*) الدلائل ، رضا : ٢٦٩، خفاجي : ٢٧٨ ،شاكر: ٢٦٩ .

(١) انظر البيت في :-

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٧٣ ،تاريخ الطبري : ٧/٤٥٦ ،أمالي القالي : ١/٢٧١ ،العقد الفريد : ٣/٢٤٠ ،شرح الحماسة للمرزوقي : ٢/٧٩٩، رقم (٢٦٦) ،أمالي المرتضى : ١ / ٢٢٣ ،زهر الآداب: ٣ / ٨٥٣ ، سمط اللآلي : ١ / ٦٠٢ ،شرح الحماسة للتبريزي : ٢/١٥١ ،الإيضاح : ١/٧٧ ، وفيات الأعيان : ٦/٣١٧ ،شرح أبيات الإيضاح :-فيض الله -: ٥ أ ،الاقتضاب : ٢٩٢ ، شروح التلخيص : ١/١١٠ .

(٢) أبو عطاء السندي قيل اسمه مرزوق ، وهو قول ابن قتيبة في الشعر والشعراء وقيل اسمه أفلح بن يسار مولى بني أسد ، ثم مولى عنبر بن سِمَاك بن حصين الأسدي منشؤه الكوفة ، وهو من مخضرمي الدولتين ، وكان أبوه يسار سندياً أعجميا لا يفصح وكان في لسان أبي عطاء لُكْنَة شديدة ولثغة، وكان له غلام فصيح سماه عطاء ، وتكنّى به ، وهو مع لُكْنَته أحسن الناس بديهة ، وأشدهم عارضة وتقدُّماً ، وكان من شعراء بني أمية وشيعتهم ، هجا بني هاشم ، ومات عقب أيام المنصور ./ انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٧٠-٧٧٤ رقم (١٨٤) ،الأغاني : ١٧/٣٢٧-٣٣٩ ،المؤتلف والمختلف : ٤٨٠ ،سمط اللآلي : ٢ / ٦٠٢ ،وفيات الأعيان : ٦/٣١٧ ،خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي-: ٩ / ٥٤٥-٥٤٧ .

ونسب المرتضى بيت الشاهد لمعن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شَريك بن عمرو بن مَطَر، وهو أخو الحوفزان بن شريك ، وكان معن من أصحاب ابن هبيرة ، فلما قُتل رثاه ، وذكر ابن قتيبة أن الشعر لأبي عطاء قاله في رثاء عمر بن هبيرة ونقل عنه البطليوسي في الاقتضاب، وأثبت الطبري في تاريخه أنّ الذي قتله المنصور بواسط سنة (١٣٢ هـ) والذي رثاه ======

ابن هبيرة (١)، وكان المنصور قد قتله بمدينة واسط بعد أن أعطاه الأمان .
وبعد بيت الشاهد :

عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِحَاتُ وَشُقِّقَتْ ∴ جُيُوبٌ بِأَيْدِي مَأْتَمٍ وَخُدُودُ

فَإِنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الفِنَاءِ فَرُبَّمَا (٢) ∴ أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الوُفُودِ وُفُودُ

فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مُتَعَهِّدٍ ∴ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدُ (٣)

استشهد به الشيخ في سياق حديثه عن جمود العين وذلك للتنظير على أن المعنى المقصود من الجمود هو بخلها وعدم جودها في حالة إرادة البكاء .

قال :

" . . . ولذلك لا ترى أحداً يذكر عينه بالجمود إلا وهو يشكوها ويذمّها وينسُبها إلى البخل ، ويَعُدّ امتناعها من البكاء تركاً لمعونة صاحبها على ما به من الهَمّ " (٤)

=== أبو عطاء هو يزيد بن عمر بن هبيرة ، وكذا الخبر في وفيات الأعيان ، والعقد الفريد والبكري ، وشذرات الذهب . / انظر الخبر مفصلاً في : تاريخ الطبري : ٧ / ٤٥٠-٤٥٨ ، وفيات الأعيان : ٣١٣ ، ٣٢١ ، شذرات الذهب : ١ / ١٩٠ ، العقد الفريد - دار الكتب - : ٣ / ٢٤٠ .

(١) ابن هبيرة هو: أبو خالد يزيد بن أبي المثنى عمر بن هبيرة بن مُعيبة ابن سُكين بن عدي بن فزارة (٨٧هـ - ١٣٢هـ) قُتل وله خمس وأربعون سنة ، وقد كان أبو جعفر المنصور حصر يزيد بواسط شهوراً ثم آمنه ، وافتتح البلد صلحاً ، وركب إليه يزيد في أهل بيته ، وكان أبو جعفر يقول : لا يعز مُلك هذا فيه ، ثم قتله / انظر المصادر السابقة في خبر مقتله .

(٢) رواية أمالي المرتضى : " فطالما " .

(٣) انظر الأبيات في :
أمالي القالي : ١ / ٢٧١ - ٢٧٢ ، شرح الحماسة للمرزوقي : ٢/٧٩٩ — ٨٠٠ ، زهر الآداب: ٣/٨٥٣ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٥١ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٢٠٨ ، خفاجي : ٢٧٨ ، شاكر: ٢٦٩ .

وعلق على البيت بقوله :

" فأتى بالجمود تأكيداً لنفي الجود ، ومحال أن يجعلها لا تجود بالبكاء، وليس هناك التماس بكاء ؛ لأن الجود والبخل يقتضيان مطلوباً يُبْذَل أو يُمْنَع " (١)

وقد علق المبرد على هذا البيت مستحسناً إياه بقوله :

" وهذا معنى كثير حسن جميل " (٢)

ومعنى الشاهد :

أنك يا ابن هبيرة حقيق بالبكاء عليك ، فالعين التي لا تسمح بدمعها الجاري ولا تجود به عليك بخيلة مذمومة .

ولقد أجاد الشاعر نظم البيت وبلغ به مبلغاً عظيماً في التعبير عن النفس المكلومة .

فالموقف موقف تفجع وتحسر لذا افتتح الشاعر أبياته (بألا) الاستفتاحية لإيقاظ وتنبيه جميع الأحاسيس .

" ثم أخذ يعظم أمر الفجيعة ، ويبين موقعها من النفوس، وشدة تأثيرها في القلوب ، واشتراك الناس كافة في الجزع لها والهلع عليها ، فقال: إن عيناً لم تسخ بدمعها الجاري على هذا المرثي يوم واسط لجمود الحجاج على المصائب ، شديدة البخل بما في شئونها من الذخائر " (٣)

واستعمل في التعبير عن ذلك " إنّ " التي تفيد التوكيد، ونكّر عيناً، ليراد بها كل عين على الإطلاق مع " إضافة اليوم إلى واسط، وهو بلد، للتوضيح والتحديد " (٤) فنفسه الحزينة ألجأته لهذه الإضافة ، لأن يوم واسط هو يوم الفجيعة . ففي ذكره تعظيم المصاب ، ثم أكد بخل العين بإدخال لام التوكيد .

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٠٨ ، خفاجي : ٢٧٨ ، شاكر : ٢٧٠ .

(٢) الكامل : ١ / ١٣٧ ، دار الفكر .

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٧٩٩ .

(٤) شرح أبيات الإيضاح : " شرح أبيات تضمنها مقدمة الكتاب " : ١٠ .

ج - شـــواهد إن ومواقعها :

الشاهد الثالث والثمانون بعد المائة : (*) (الخفيف)

قول بشــار :

بَكِّرَا صَاحِبَيَّ قَبْلَ الهَجِـــيرِ ∴ إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِــيرِ (١)

وهو من قصيدة قالها في سَلَم بن قتيبة الباهلي[٢]، يهنئه على ولايته البصـــرة سنة ١٤٥ هـ في خلافة المنصور، والشاهد مطلع القصيدة وبعده :

لَا تَكُونَا عَلَيَّ كَالخَفْــضِ الرَّيِّـ ∴ ـضِ أَمْسَى بِنُـورِهِ غَــيْرَ نُـــورِ

أُولِعَ النَّاسُ بِالمَلَامَـــةِ وَالمَـرْ ∴ ءُ عَلَى خُطَّةٍ مِنَ التَّقْدِيــــــرِ

استشهد به الشيخ على أَنَّ " إِنَّ " إذا وقعت بإثر كلام تقدمها ، ولم يكـــن المقصود بها الرد على إنكار منكر، فإنّها تغني غناء " الفاء " في ربط الجملـــــة بما قبلها .

(*) الدلائل ، رضا : ٢١١ - ٢٤٣ ، خفاجي : ٢٨٠-٢٨١-٣١٦ ، شاكر: ٢٧٢-٢٧٣-٣١٦.

(١) انظر البيت في :-
ديوانه : - تحقيق محمد الطاهر بن عاشور-: ٣ / ١٨٤ ، الأغاني : ٣ / ١٩٠ المفتاح : ٧٥ ، الإيضاح : ١ / ٩٥ ، شرح أبيات الإيضاح :- فيض اللـــه - ٦ أ ، شروح التلخيص : ١ / ٢١٢ ، القول الجيد : ١٧١ .

(٢) هو سلم بن قُتيبة بن مسلم الباهلي الخراساني ، أبو عبد الله " . . .-١٤٩ هـ" والي البصرة ، وليها ليزيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان بن محمد ثـــم وليها في أيام أبي جعفر المنصور، فكان من الموثوق بهم في الدولتيـــن : " الأموية والعباسية " ، وكان من عقلاء الأمراء عادلاً حَسُنَت سيرته ، ومات بالري ، قال ابن الأثير كان مشهوراً عظيم القدر ، انظر ترجمته فـــي : طبقات ابن سلام : ١ / ٣٥٥ - ٤٩٨ -٤٩٩ ، ٢ / ٧٦٢ ، ٧٦٤ ، الكامل لابن الأثير : ٥ / ٢٨ ، الأعلام : ٣ / ١١١ .

قال الشيخ :

" واعلم أنَّ من شأن " إنَّ " إذا جاءت على هذا الوجه أن تُغني غناء " الفاء " العاطفة مثلاً ، وأن تفيد من ربط الجملة بما قبلها أمراً عجيباً ، فأنت ترى الكلام بها مستأنفاً غير مُستأنَف ، ومقطوعًا موصولاً معاً ، أفلا ترى أنك لو أسقطت " إنَّ " من قوله : " إنَّ ذاك النجاح في التكبير " لم تر الكلام يلتئم ، ولرأيت الجملة الثانية لا تتصل بالأولى ، ولا تكون منها بسبيل ، حتى تجيء بالفاء " فتقول :

" بَكِّرَا صَاحِبَيَّ قَبْلَ الهَجِير ، فَذَاكَ النَّجَاحَ في التَّبْكِيرِ " (١)

فالموقف هنا موقف تهنئة بمنصب كبير ، ملأ نفس الشاعر بالابتهاج والسرور ، فأراد أن يسرع بحمل تلك التهنئة للممدوح ، فبدأ قصيدته بفعل الأمر " بَكِّرا " وحذف حرف النداء من قوله " صاحبي " ؛ ليبين لهما أن المقام ضيق ، فليس فيه متسع للإطالة في الحديث ، وكذلك قيد التبكير بزمان معين بقوله " قبل الهجير " كل ذلك ليشحذ الهمم ، ويحثها على الإسراع بالرحيل ، ولم يكتف بهذا الأسلوب في الحث ، وإنَّما لجأ إلى " أَنَّ " التي أدت بدورها دوراً كبيراً في شحذ تلك الهمم إذ أنها لم تأتِ للتوكيد ، والرد على المنكر كعادتها في الكلام ، إنَّما جاءت لتربط جملة الأمر " بَكِّرَا " بجملة الجزاء المترتب على هذا الأمر " إنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ " ، فالنفس حين ينكشف لها جزاء العمل بهذه السرعة تسرع هي أيضا بالقيام به عن سرور وحبور ، وانظر إلى قوله " ذَاكَ النَّجَاحَ " وما يحويه من لطيف المعنى حيث جاء باسم الإشارة للبعيد بقصد تعظيم الجزاء في النفوس .

وبَيَّنَ الشيخ أن باب النظم باب عجيب المسلك قد تناهى في الغموض والخفاء

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢١١ ، خفاجي : ٢٨١ ، شاكر : ٢٧٣ .

إلى أقصى الغايات حتى أنه خفي على كبار العلماء ،وأورد الشيخ لذلك قصة بشار مع أبي عمرو بن العلاء ، وخلف الأحمر . قال :

" ثم لم ينفك العالمون به،والذين هم من أهله ، من دخول الشبهة فيه عليهم ، ومن اعتراض السهو والغلط لهم .

رُوي عن الأصمعي أنه قال : كنتُ أسير مع أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر، وكان يأتيان بشاراً فيُسَلِّمان عليه بغاية الإعظام ، ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ماأحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما ، ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له ، حتى يأتيَ وَقتُ الزَّوال ، ثم ينصرفان ، وأتياه يوماً فقالا : ماهذه القصيدة التي أحدثتها في سَلْم بن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكم قالوا : بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب . قال : نعم ، بلغني أن سَلْم ابن قتيبة يتباصر بالغريب ، فأحببت أن أُورد عليه مالا يعرف ، قالوا : فأنشدناها يا أبا مُعاذ . فأنشدهما :

بَكِّرَا صَاحِبَيِ قَبلَ الهَجِير ∴ إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبكِير

حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان :

"إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبكِيرِ " : "بَكِّرَا فَالنَّجَاحُ فِي التَّبكِير"

كان أحسن ، فقال بشار : إنما بنيتها أعرابية وحشية فقلت : إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ في التَّبكِيرِ ، كما يقول الأعراب البَدويّون ، ولو قلت : " بَكِّرَا فالنَّجَاح " كان هذا من كلام المُوَلَّدين ، ولا يشبه ذاك الكلام ، ولا يدخل في معنى القصيدة . قال : فقام خلفٌ فَقَبَّل بين عينيه " ، فهل كان هذا القول من خلف والنَّقد على بشَّار ، إلَّا للُطفِ المعنى في ذلك وخفائه ؟ " (١)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢١٠ - ٢١١ ، خفاجي : ٢٨٠ - ٢٨١ ، شاكر : ٢٧٢ - ٢٧٣ .

وذكر الخطيب الشاهد في " القول في أحوال الإسناد الخبري " شاهداً على خروج الكلام على خلاف الظاهر " قال :

" وكثيرًا ما يخرج على خلافه ، فَيُنَزَّل غير السائل منزلة السائل إذا قدم إليه ما يُلَوِّح له بحكم الخبر، فيستشرف له استشراف المتردِّد الطالب ، كقوله تعالى :

" وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ " (١)

وقوله : " وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ " (٢)

وقول بعض العرب :

فَغَنِّهَا وَهْيَ لَكَ الفِدَاءُ ∴ إن غناءَ الإبلِ الحُدَاءُ " (٣)

ثم ذكر قصة بشار مع أبي عمرو بن العلاء ، وخلف الأحمر حين أنشدهما بيت الشاهد .

الشاهد الرابع والثمانون بعد المائتين : (*) (الرجز)

قول بعض العرب : (٤)

فَغَنِّهَا (٥) وَهْيَ لَكَ الفِدَاءُ ∴ إِنَّ غِنَاءَ الإِبِلِ الحُدَاءُ (٦)

الشاهد فيه كسابقه .

قال الشيخ عبد القاهر :

---

(١) هود : ٢٦ .   (٢) يوسف : ٥٣ .

(٣) الإيضاح : ١ / ٩٤ - ٩٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢١١-٢٤٣ ، خفاجي : ٢٨١-٣١٦ ، شاكر : ٢٧٣-٣١٦ .

(٤) لم أقف على نسبته .

(٥) الهاء ترجع إلى الإبل .

(٦) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في الدلائل وكتب البلاغة المتأخرة عنه . ومن غير نسبة . انظر البيت في :

المفتاح : ٧٥ ، الإيضاح : ١ / ٩٤ ، شرح أبيات الإيضاح : ١ / ٩٤ ، شروح التلخيص : ١ / ٢١٢ .

" فانظر إلى قوله : " إنَّ غناء الإبل الحداء " وإلى ملاءمته الكلام قبله ، وحسن تَشَبُّثِهِ به ، وإلى حسن تعطف الكلام الأول عليه ثم انظر إذا تركت " إنَّ " فقلت " فغنها وهي لك الفداء ، غناء الإبل الحداء " كيف تكون الصورة ؟ وكيف ينبو أحد الكلامين عن الآخر ؟ وكيف يُشْئِم هذا ويُعْرِق ذاك ؟ حتى لا تجد حيلة في ائتلافهما حتى تجتلب لهما " الفاء " فتقول : " فغنها وهي لك الفداء ، فغناء الإبل الحداء " ثم تعلم أن ليست الألفة بينهما من جنس ما كان وأن قد ذهبت الأَنَسَةُ التي كنت تجد ، والحسن الذي كنت ترى " (١)

والمعنى :

" غني للإبل ونشطها للسير بالتغني فإن غناءها وما هو سبب لنشاطها واهتزازها حداؤك بها ، وتغنيكَ لها ، وهذا بعث لمن خاطبه على السير ، وقوله وهي لك الفداء جملة معترضة " (٢)

ويبدو لي أن " إنَّ " التي تقع موقع الفاء تأتي في موقف الحث والتنشيط. وأن الجملة السابقة لها ، جملة فعلية فعلها أمر.

د - شواهد كان :

الشاهد الخامس والثمانون بعد المائة : (*) (الطويل)

قول ذي الرُّمَّة :

هِيَ البُرْءُ وَالأَسْقَامُ وَالهَمُّ وَالمُنَى (٣) .:. وَمَوْتُ الهَوَى فِي القَلْبِ مِنِّي المُبَرِّحُ (٤)

وَكَانَ الهَوَى بِالنَّأْيِ يُمْحَى فَيَمَّحِي (٥)(٦)(٧) .:. وَحُبُّكِ عِنْدِي يَسْتَجِدُّ وَيَرْبَحُ (٨)(٩)

(١) الدلائل ، رضا : ٢١١-٢١٢ ، خفاجي : ٢٨١-٢٨٢ ، شاكر : ٢٧٣-٢٧٤.

(٢) شرح أبيات الإيضاح : " شرح الأبيات التي تضمنها القول في أحوال الإسناد الخبري : ١ / ١٤.

(*) الدلائل ، رضا : ٢١٢ ، خفاجي : ٢٨٢ ، شاكر : ٢٧٣.

(٣) رواية الديوان : " هي البرء والأسقام والهم ذكرها ".

(٤) رواية الديوان والزهرة " وموت الهوى لولا التنائي المبرح ".

(٥) رواية الديوان والزهرة : " أرى الحب بالهجران يمحى ".

(٦) ورواية المنازل والديار : " وبعض الهوى بالهجر ".

(٧) رواية المنازل : " فينمحي " ، ورواية الزهرة : " فيمتحي ".

(٨) رواية الديوان : " وحبك ميا ".

(٩) يربح : الربح والرباح : النماء في التبحر " لسان العرب : ======

إذا غَيَّرَ النَّأيُ(١) المُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ(٢) .·. رَسِيسُ(٣) الهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ(٤) (٥)

=== " ربح " : ٢ / ٤٤٢.

ورواية الزهرة : " وَحَبُّكِ مِمَّا يَسْتَجِدُّ وَيَذْبَحُ " .

(١) رواية أخبار القضاة : " وإِذا غَيَّرَ اليَأسُ " .

ورواية الأشباه والنظائر للخالديين : " إِذا غَيَّرَ الهَجْرُ " .

(٢) رواية الديوان والأشباه والنظائر، والأغاني، واللسان، والزهرة " لَمْ أَجِدْ " .

(٣) رسيس الحمى : أصلها ، ورسيس الهوى أصله ومسه ، والرسيس الشيء الثابت الذي قد لزم مكانه ، ورسّ الهوى في قلبه ، والسّقم في جسمه رَسّاً ، ورسيساً ، وأَرَسّ : دخل وثبت ، ورس الحب ورسيسه بقيته وأثره . اللسان " رس " : ٦ / ٩٧ .

(٤) رواية الديوان : " رسيس الهوى في ذكر مَيَّةَ يَبْرَحُ "

(٥) الأبيات الثلاثة في الديوان، والزهرة مع اختلاف ترتيبها ، فقوله : " إِذا غَيَّرَ النَّأيُ المُحِبِّينَ " مذكور قبل البيتين ويليه : " وَكانَ الهَوى بِالتَّأْيِ " ثم " هِيَ البُرْءُ وَالأَسْقَامُ وَالهَمُّ " مع وجود أبيات تفصل بينهم //.

انظر :

الديوان : ٢ / ١١٩٢-١١٩٦-١٢٠٦، الأغاني : ١٨ / ٢٩، الزهرة: ١ / ٤٦٤-٤٦٥ ، وانظر البيت الثاني والثالث في المنازل والديار: ١ / ٨٣ - ٨٤.

وانظر البيت الثالث فقط في :

الموشح : ١٦٣-١٦٤، الأشباه والنظائر للخالديين : ٢ / ١٢٠، أمالي المرتضى : ١ / ٣٣٢، لسان العرب : " رسيس " : ٦ / ٩٧، الحماسة البصرية : ٢ / ٢٠٤، شواهد التوضيح والتصحيح : ٨٠، خزانة الأدب للبغدادي - مكتبة الخانجي - : ٩ / ٣٩، الأشموني : ١ / ٢٢٩ ، مصارع العشاق : ١ / ٢٦ .

والشاهد من قصيدته الحائية التي مطلعها :

أَمنزِلَتَيْ مَيٍّ سَـلَامٌ عَلَيْكُمَا ∴ عَلى النَّأيِ والنَّأيُ[(١)] يَوَدُّ وَيَنْصَـحُ

وبعد البيت الثالث :

فَلَا القُرْبُ يُبْدِي مِنْ هَوَاهَا مِلَالَةً ∴ وَلا حُبُّهَا - إِنْ تَنْزَحِ الدَّارُ - يَنْـزَحُ

أَتَقْرَحُ أَكْبَادُ المُحِبِّينَ كُلِّهِـم ∴ كَمَا كَبِدِي مِنْ ذِكْرِ مَيَّةَ تَقْـرَحُ

ولبيت الشاهد قصة ذكرها الشيخ عبد القاهر - مع اختلاف في أسماء الرواة -:

روى أبو خالد زيد بن محمد المهلبي قال : زعم ابن المعذل[(٢)] عن المعذل ابن غيلان ، عن أبيه قال : إنّي لبا لكناسة يوماً ، فقدم ذو الرُّمَّة الكوفة ، ووقف على ناقته ينشد الناس قصيدته الحائية ، فمر منها حتى أتى على قوله :

إِذَا غَيَّرَ النَّأيُ المُحِبِّينَ . . .

فقال عبد الله[(٣)] بن شبرمة : أراه قد بَرِحَ ، ففكر ذو الرُّمَّة ، ثم قال : لم أجد رسيس الهوى من حب مَيَّة يَبْرَحَ ، ثم قال : فرجعت إلى أبي الحكم البختري ، فأخبرته ، فقال : أخطأ ذو الرُّمَّة حيث قبل منه ، وأخطأ ابن شبرمة حين رَدَّ عليه ؛ لأنه إنّما أراد كقوله تعالى : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ﴾[(٤)] أي لَمْ يَرَهَا ، ولَمْ يَكَدْ . (٥)

---

(١) هذه رواية المصادر التي رجعت إليها في تخريج الشاهد .
ويبدو لي أن البيت على هذه الرواية مكسور ، والأصح لوزن البيت " والنائي " .

(٢) هو عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البختري بن المختار ابن ذريح ، سبقت ترجمته ص: ٢٤٨ ، وانظر الأغاني : ٣/ ٢٢٦-٢٥٧ .

(٣) هو عبد الله بن شبرمة الضبي فقيه الكوفة وقاضيها (٠٠٠ - ١٤٤ هـ) ، وقد سبقت ترجمته ، انظر : ص ٣٥

(٤) النور : ٤٠ .

(٥) الخبر مذكور في :-
الأغاني : ١٨ / ٣٤ ، الموشح : ١٦٣ ، ١٦٤ .

وساق الشيخ البيت شاهداً على أنّ "كاد" المسبوقة بالنفي إذا لم يسبقها مايدل على وقوع الفعل وجب أن تلزم الظاهر، ويحمل الفعل على عدم الوقوع ، ويكون المراد من قولنا : "لم يكد يفعل " و " ماكاد يفعل " أن الفعل لم يكن من أصله ، ولا قارب أن يكون ، ولا ظن أنه يكون ، وخاصة إذا وقعت "كاد المنفية" في جواب "إذا" كما هو الحال في البيت ؛ لأن الماضي إذا وقع في جواب الشرط على هذا السبيل كان مستقبلاً في المعنى ، وإذا كان الأمر كذلك استحال أن يكون المعنى في البيت على أن الفعل قد كان .

فكاد عند الشيخ عبد القاهر كأي فعل نفيها نفي وإثباتها إثبات.

قال الشيخ :

" وليس الأمر كالذي ظَنّاه ، فإن الذي يقتضيه اللفظ إذا قيل : "لم يكد يفعل " و " ماكاد يفعل " أن يكون المراد أنّ الفعل لم يكن من أصله ، ولا قارب أن يكون ، ولا ظَنّ أنه يكون وكيف بالشك في ذلك ؟ وقد علمنا أن " كاد " موضوع لأن يَدُلّ على شدة قُرْبِ الفعل من الوقوع ، وعلى أنه قد شارف الوجود ، وإذا كان كذلك ، كان محالاً أن يُوجب نفيه وجود الفعل ؛ لأنه يؤدي إلى أن يوجب نفي مُقاربة الفعل الوجود وجوده ، وأن يكون قولك :

" ماقارب أن يفعل " مقتضياً على البت أنه قد فعل " (١)

ثم قال :

" وإذْ قد ثبت ذلك فمن سبيلك أن تنظر فمتى لم يكن المعنى على أنه قد كانت هناك صورة تقتضى أن لا يكون الفعل ، وحال يبعد معها أن يكون ثم تغير الأمر ، كالذي تراه في قوله تعالى : ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَاكَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ،(٢)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢١٢ ، خفاجي : ٢٨٣ ، شاكر : ٢٧٥-٢٧٦ .

(٢) البقرة : ٧١ .

فليس إلَّا أن تلزم الظاهر وتجعل المعنى على أنك تزعم أن الفعل لم يقارب أن يكون، فضلاً عن أن يكون " (١)

أما ابن شبرمة فقد بنىٰ رأيه على القول القائل :

أنَّ "كَادَ" نفيها إثبات وإثباتها نفي، لذا فسر قول ذي الرمة " لم يكد يبرح " بمعنى برح أما معنى البيت على قول الشيخ عبد القاهر :

" على أن الهوى من رسوخه في القلب، وثبوته فيه، وغلبته على طباعه، بحيث لا يُتوهَّم عليه البراح، وأنَّ ذلك لا يقارب أنْ يكون فضلاً عن أن يكون، كما تقول :

" إذا سَلَا المُحبُّون وفتروا في محبتهم، لم يقع لي في وَهمٍ، ولم يَجْرِ مِنِّي على بالٍ : أنه يجوز عَلَيّ مايُشْبِه السَّلْوَة، ومايعدّ فترةً، فضلاً عن أن يوجد ذلك مِنّي وأصير إليه " (٢)

وفي بيت الشاهد لفتات بلاغية جميلة منها : آستخدام الشاعر لأداة الشرط "إذا" التي من شأنها الدلالة على وقوع الفعل، ليجزم أنَّ البُعْدَ من شأنه أن يغير قلوب المحبين، ثم جاء بلفظ " رسيس الهوىٰ " والرسيس - كما ذكرت - هو الشيء الثابت الذي قد لزم مكانه لا يبرحه كل ذلك ليثبت أن حبه هو حبٌّ ثابتٌ لا يغيره النأي الَّذي من شأنه أن يغير قلوب المحبين .

الشاهد السادس والثمانون بعد المائة : (*) (المتقارب)

قول الشاعر :[٣]

(*) الدلائل، رضا : ٢١٤، خفاجي : ٢٨٤، شاكر: ٢٧٧.

(١) الدلائل، رضا : ٢١٣، خفاجي : ٢٨٣، شاكر : ٢٧٦.

(٢) الدلائل، رضا : ٢١٣، خفاجي : ٢٨٣، شاكر : ٢٧٦.

(٣) لم أعثر على البيت ولا على قائله فيما رجعت إليه من مصادر.

دِيارٌ لِجَهْمَةَ (١) بِالمُنْحَنَى (٢) .·. سَقَاهُنَّ مُرْتَجِزٌ (٣) بَاكِرُ (٤)

وَرَاحَ عَلَيهِنَّ ذُو هَيْدَبٍ (٥) .·. ضَعِيفُ القُوَى مَاؤُهُ زَاخِرُ

إِذَا رَامَ نَهْضًا بِهَا لَمْ يَكَدْ .·. كَذِي السَّاقِ أَخْطَأَهَا الجَابِرُ

وموضع الشاهد في البيت قوله :

" إِذَا رَامَ نَهْضًا بِهَا لَمْ يَكَدْ "

والشاهد فيه كسابقه .

والأبيات تحوي معاني جميلة ، ولطائف دقيقة ، حاولت قدر جهدي كشف النقاب عنها فظهر لي منها : أنه حين ينبعث الحنين في جوانب النفس يسيطر عليها الإحساس بالقرب ، فالشاعر حين شعر بالحنين إلى محبوبته أحسّ بقربها من نفسه ، فحذف المبتدأ وذكر الديار مباشرة وأعقب ذلك اسم محبوبته ، ثم حدَّد موقع تلك الدِّيار كل ذلك ليزداد إحساسه بالقرب .

وحين تفعَّمت نفسه بذلك الحنين والإحساس بالقرب لم تملك إلاَّ أن تدعو لتلك الديار بسقيا الخير والبركة .

وهنا استرسل الشاعر في وصف المطر ، ففي هذا الاسترسال تجد النفس مراحها وسلواها ، فجاء بالدعاء بلفظ الماضي "سقاهن" لتفاؤل الشاعر وإيقانه بالاستجابة

---

(١) جهمة : اسم محبوبته .

(٢) المنحنى : موضع في ديار بني غطفان بين خيبر ونجد . / انظر : معجم ما استعجم ٢ / ٩٨١ - ١٢٦٨ .

(٣) مرتجز : هو السحاب المتتابع الرعد البطيء الحركة لكثرة مائه / اللسان : " رجز " : ٥ / ٣٥٢ .

(٤) باكر : أي وقت البكور ، وهو أول النّهار فبكر كل شيء أوله / اللسان : " بكر " : ٤ / ٧٨ .

(٥) هيدب : إذا تدلى السحاب ودنا من الأرض مثل هُدْبِ القطيفة فهو الهيدب / فقه اللغة : ٢٨٠ .

ثم حدد وقت السَّقيا بوقت البكور؛ لأن فيه تدب الحياة، وتكثر الحركة، وصورة البكور هذه جاءت محاكاة للحنين الذي دَبَّ في نفسه، وكلما زاد دبيب الحنين في صدره ازدادت الحركة في تركيبه الشعري، فَوَصَفَ المطر بأنه "مرتجز" أي: سحاب متتابع الرعد، وأنه ضعيف القوى، زاخر الماء.

وانظر إلى قوله: "ضعيف القوى" وما فيها من جمال التصوير وروعته، فظاهر اللفظ يوهم بالضعف، ولكن حين يرسم العقل هذه الصورة في الخيال ينكشف له المعنى المراد، الذي تعجب له النفس ويطرب له الخيال، فالسَّحاب كلما ضعف سيره دل ذلك على ثقله وامتلائه بالمطر، ويأبى خيال الشاعر إلَّا أن يزيد الصورة توضيحا فجاء "بإذا الشرطية" وجعل جوابها "لم يكد"؛ ليدل على أنَّ هذا المطر دائم الإقامة، فهو يكثر منه النهوض وطلب الرحيل إلَّا أنه لا يقدر على ذلك، وجاء بلفظ "لم يكد" لينفي عنه تلك القدرة نفياً تاماً؛ وليبين لنا قوة النفي الكامنة في "لم يكد" جاء بالتشبيه "كَذِي السَّاق أَخْطَأَهَا الجَابِر".

فهذا السحاب مثله كمثل الإنسان المكسور الساق والذي أخطأ المجبر تجبيره فكلما عزم على النهوض أعجزه الألم.

وكذلك هذا السحاب كلما أراد الرحيل آلمه فراق تلك الديار فيعجز عن تركها.

هـ - شواهد كل:

الشاهد السابع والثامنون بعد المائة: (*) (الرجز)

قول أبي النجم[1]:

(*) الدلائل، رضا: ٢١٥، خفاجي: ٢٨٥، شاكر: ٢٧٨.

(١) هو الفضل بن قُدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن ربيعة بن نزار، وهو من رُجَّاز الإسلام الفحول المقدمين، وفي الطبقة الأولى منهم، وكان أبو النجم أبلغ في النعت من العَجَّاج، وذُكر ======

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الخِيَارِ(١) تَدَّعِي
عَلَيَّ ذَنْبًا كُلُّهُ(٢) لَمْ أَصْنَعِ(٣)

=== أن الأصمعي كان يستجيد بعض رجز أبي النجم،ويضعف بعضاً ؛ لأن له رديئاً كثيراً ، وكان يقول : لا يعجبني شاعر اسمه الفضل بن قدامة يعني أبا النّجم العجلي ، وكانت وفاته آخر دولة بني أمية . / انظر ترجمته : طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٧٤٥ ، الشعر والشعراء : ٦٠٧ ، الأغاني : ١٠ / ١٥١-١٦١ ، الموشح : ١٩٣-١٩٤ ، معاهد التنصيص: ١ / ١٩-٢٦ .

(١) رواية معاني القرآن للفرّاء : " قد عَلِقَتْ أُمُّ الخِيَار " .

(٢) رواية معاني القرآن : " كُلَّهُ " بالنّصب ، وهذه الرواية تفسد المعنى - كما سنرى - .
ورواية الرفع أدخلها بعضهم تحت ما يُسْتَقبح من الضرورات . قال ابن جني : " أفلا تراه كيف دخل تحت ضرورة الرفع ، ولو نصب لحفظ الوزن ، وحمى جانب الإعراب من الضعف " / الخصائص : ٣ / ٦١ ، والصواب أن الرفع هنا ليس ضرورة وإنّما أمر استوجبه المعنى .

(٣) انظر البيت في :-
ديوانه : ١٣٢ ، الكتاب : ١ / ٨٥ ، ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ، معاني القرآن للفراء : ١ / ١٤٠ ، مجاز القرآن : ٢ / ٨٤ شاهد (٦٢٦) ، شرح أبيات سيبويه : ٥٥ شاهد (٧١) ، معاني القرآن للأخفش الأوسط ١ / ٢٥٣ ، الخصائص : ٣ / ٦١ ، المحتسب : ١ / ٢١١ ، الأغاني : ١٠ / ١٥٩ ، شرح المفصل : ٢ / ٣٠ ، مغني اللبيب : ١ / ٢٠١ ، ٢ / ٤٩٨ ، ٦١١ ، ٦٣٣ ، شرح جمل الزجاجي : ١ / ٣٥٠ ، الإيضاح : ١ / ٩٩ ، شرح شواهد المغني " مكتبة الخانجي " : ٢ / ٥٤٤ ، خزانة الأدب : ١ / ٣٥٩ ، معاهد التنصيص : ١ / ١٤٧ ، شروح التلخيص " عروس الأفراح " : ١ / ٤٣٢ ، المرجع السابق " مختصر السعد - مواهب الفتاح - حاشية الدسوقي " : ١ / ٤٤٤- ٤٤٥ ، القول الجيد : ١٤٧ .

وهو مطلع أرجوزة لأبي النجم وبعده :

مِنْ أَنْ رَأَتْ رَأْسِي كَرَأْسِ الأَصْلَعِ

مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزُعاً عَنْ قُنْزُعِ

جَذْبُ اللَّيَالِي أَبْطِئِي أَوْ أَسْرِعِي

قَرْناً أُشِيبِيهِ وَقَرْناً فَانْزِعِي

أَفْنَاهُ قِيلُ اللهِ لِلشَّمْسِ اطْلُعِي

حَتَّى إِذَا دَارَاكِ (١) أُفُقٌ فَارْجِعِي (٢)

والشاهد في البيت أَنَّ "كل" إذا تقدمت على الفعل المنفي ، ولم تقع معمولة للفعل أفادت عموم النفي ، فتنفي الفعل ، والوصف عن الجملة واحداً واحداً ، أمّا إذا أُدخلت في حيز النفي ووقعت معمولة للفعل ، فإنّها تفيد نفي العموم دون نفي الفعل والوصف نفسه .

قال الشيخ :

" واعلم أنك إذا أدخلت "كُلاًّ" في حيز النفي ، وذلك بأن تقدم النَّفي عليه لفظاً أو تقديرًا ، فالمعنى على نفي الشمول دون نفي الفِعل والوصف نفسه ، وإذا أخرجت "كُلاًّ" من حيز النفي ، ولم تدخله فيه ، لا لفظاً ولا تقديراً ، كان المعنى على أنك تتبعت الجملة ، فنفيت الفعل والوصف عنها واحداً واحداً ، والعلة في أن كان ذلك كذلك أنك إذا بدأت "بكل" كنت قد بنيت النفي عليه ، وسَلّطت الكلية على النفي ، وأعملتها فيه ، وإعمال معنى الكلية في النفي يقتضى أن لا يشذ شيء عن النفي ، فاعرفه" (٣)

---

(١) رواية خزانة البغدادي : " وَارَاك " .

(٢) ديوانه : ١٣٢، ١٣٣ ، خزانة البغدادي " مكتبة الخانجي " : (١/ ٣٦٣ ، شرح شواهد المغني : ٢/ ٥٤٤ -٥٤٥ .

(٣) الدلائل : رضا : ٢٢٠ ، خفاجي : ٢٩٠ ، شاكر : ٢٨٥ .

وقال أيضا :

" . . . إذا تأملنا وجدنا إعمال الفعل في " كل " والفعل مَنْفِيٌّ ، لا يصلح أن يكون إلَّا حيث يُراد أن بعضاً كان وبعضاً لم يكن ، تقول : " لم ألق كل القوم " و " لم آخذ كل الدراهم " فيكون المعنى أنك لقيت بعضاً من القوم ولم تلق الجميع ، وأخذت بعضاً من الدراهم وتركت الباقي ، ولا يكون أن تريد أنك لم تلق واحداً من القوم ولم تأخذ شيئاً من الدراهم " (١)

فمعنى البيت في حال النصب - أي كون " كل " معمولة للفعل " أصنع " - أنه قد صنع من الذنب بعضاً وترك بعضا ، وهذا المعنى لم يرده أبو النجم ولم يقتضه المقام ، فهو في حال تبرئة نفسه من ذنب رمته به زوجته أُمُّ الخيار ، ولكون الاتهام صادراً من أقرب الناس إليه ، وهو أمر ينكره السامع أكد الجملة بقوله : " قد أصبحت . . . " ، وقدم " كل " دليلاً قاطعاً ينفي به أن يكون قد صنع شيئاً من هذا الذنب قليلاً كان أو كثيراً .

وكذلك بَيَّن الشيخ أن حال الإثبات في هذا الأسلوب كحال النفي . قال :

" واعلم أنك إذا نظرت وجدت الإثبات كالنفي فيما ذكرت لك ، ووجدت النفي قد احتذاه فيه وتبعه ، وذلك أنك إذا قلت " جاءني القوم كلهم " كان " كل " فائدة خبرك هذا ، والذى يتوجه إليه إثباتك ، بدلالة أن المعنى على أنَّ الشك لم يقع في نفس المجيء أنَّه كان من القوم على الجملة ، وإنَّما وقع في شموله " الكل " وذلك الذي عناك أمره من كلامك " (٢)

والبيت من الشواهد التي يكثر ورانها في كتب النحاة ، فَيُستشهد به على نيابة ياء الإطلاق عن الضمير العائد حتى كأنه قال لم أصنعه .

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢١٥ ، خفاجي : ٢٨٥ ، شاكر : ٢٧٨ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢١٧ ، خفاجي : ٢٨٧ ، شاكر : ٢٨٠ .

واستشهد به سيبويه والبغدادي في خزانته على أن الضمير العائد على المبتدأ من جملة الخبر يجوز حذفه قياساً عند الفراء إذا كان منصوباً مفعولا به .

وَيُستشهد به على أن "لم" ليست من الحروف المستحقة للصدارة حتى لا يجوز أن يعمل مابعدها فيما قبلها ؛لأن مابعدها هنا قد عمل فيما قبلها لامتزاجها بالفعل بتغييرها معناه إلى الماضي ،فصارت كالجزء منه وَيُستشهد به أيضاً على حذف المفعول به. (١)

الشاهد الثامن والثمانون بعد المائة : (*) (الطويل)

فَكَيْفَ وَكُلٌّ لَيْسَ يَعْدُو حِمَامَهُ .·. وَلا لِامْرِيءٍ (٢) عَمَّا (٣) قَضَى اللّهُ مَزْحَلُ (٤) (٥)

(١) انظر: الكتاب : ١ / ٨٥ ، ١٢٧ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ، معاني القرآن للفراء : ١ / ١٤٠ ،شرح أبيات سيبويه للنحاس : ٥٥ ، معاني القرآن للأخفش : ١ / ٢٥٣ ، الخصائص : ٣ / ٦١ ، المحتسب : ١ / ٢١١ ، شرح المفصل : ٢ / ٣٠ ، مغني اللبيب : ١/ ٢٠١ ، ٢ / ٤٩٨ - ٦١١ ،شرح جمل الزجاجي : ١ / ٣٥٠ ،شرح شواهد المغني : ٢ / ٥٤٤ ، خزانة الأدب : ١ / ٣٥٩ .

(*) الدلائل ، رضا: ٢١٨ ، خفاجي : ٢٨٨ ، شاكر : ٢٨١ .

(٢) رواية زهر الآداب والتبريزي وشرح المضنون به : " ومالامريء "

(٣) رواية زهر الآداب : " مِمَّا قَضَى اللهُ "

(٤) " مزحل " : مصدر ميمي من " زَحَل "، والمَزْحَل : الموضع الذي تَزْحَل إليه ، يقال: إن لي عنك مَزحلاً أي منتدحاً / اللسان " زحل" : ١١/ ٣٠٣ .

(٥) انظر البيت في : زهر الآداب : ٤ / ١٠٥٩ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ١٣٧ ، شرح المضنون به على غير أهله : ٤١ ، معاهد التنصيص : ٤ / ٤ .

البيت ورد في الدلائل من غير نسبة ، وهو لإبراهيم (١) بن كُنَيف النبهاني ، ونسبه العبيدي لعامر بن الطفيل (٢) وهو من قصيدة مطلعها :

تَعَزَّ فَإِنَّ الصَّبْرَ بِالحُرِّ أَجْمَلُ ∴ وَلَيْسَ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ مُعَوَّلُ

وبعده :

فَلَوكَانَ يُغْنِي أَنْ يَرَى المَرْءُ جَازِعًا ∴ لِنَازِلَةٍ (٣) أَوْكَانَ يُغْنِي التَّذَلُّلُ

لَكَانَ التَّعَزِّي عِنْدَ كُلِّ مُصِيبَةٍ ∴ وَنَازِلَةٍ (٤) بِالحُرِّ أَوْلَى وَأَجْمَلُ

وبعدها الشاهد وبعده :

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ فِينَا تَبَدَّلَتْ ∴ بِنُعْمَى وبؤسَى (٥) وَالحَوَادِثُ تَفْعَلُ

فَمَا لَيَّنَتْ مِنَّا قَنَاةً صَلِيبَةً ∴ وَلاَ ذَلَّلَتْنَا لِلَّذِي لَيْسَ يَجْمُلُ (٦)

والشاهد فيه كسابقه حيث قُدِّمَت " كُل " على الفعل المنفي ، وهي ليست معمولة له ، فأفادت عموم النفي ، ولعبت دوراً كبيراً في إظهار المعنى فـ" كل "

---

(١) هذه نسبة الحماسة للتبريزي : ولم أجد له ترجمة فيما اطلعت عليه من مصادر غير أنَّ البَكْري ذكر أنه شاعر إسلامي .

(٢) هذه نسبة العبيدي في شرح المضنون به على غير أهله .
ونسبه الهجري في النوادر لبكر بن النطاح . " نقلاً عن الدلائل - تحقيق شاكر - : ٢٨١ ، ونسب في زهر الآداب لبعض الأعراب .

(٣) رواية الحماسة وشرح المضنون به : " لِحَادِثَةٍ " .

(٤) رواية الحماسة وشرح المضنون به : " وَنَائِبَةٍ " .

(٥) رواية الحماسة : " بِبُؤْسَى وَنُعْمَى "

(٦) الأبيات في :-
زهر الآداب : ٤ / ١٠٥٩ ، الحماسة للتبريزي : ١ / ١٣٦-١٣٨ ، والبيت الثاني والثالث مع بيت الشاهد في شرح المضنون به على غير أهله " ٤١ " .

جاءت هنا لتقرر حقيقة ثابتة مجزوماً بوقوعها ، وهي أنَّ الموت مقرر على جميع الخلائق ، ولا يمكن أن يسلم أحدٌ من الموت ، فلو أُخِرَّت " كل " لفسد المعنى ، وفُهم أن هناك من يتعدى الموت ويخلد في الحياة .

قال الشيخ :

" والمعنى على نفي أن يعد و أحدٌ من الناس حِمامه ، بلا شبهة ، ولو قلت : " فَكَيفَ وَلَيْسَ يَعْدُو كُلٌّ حِمَامَهُ " ، فأخرت " كلاً " لأفسدت المعنى ، وصرت كأنك تقول : " إنَّ من النَّاسِ من يسلم من الحِمام ويبقى خالداً لا يموت " (١)

وانظر إلى دور الاستفهام " فكيف " الذي ساعد في إبراز حقيقة أزلية ، فالبيت السابق للشاهد أظهر أنه لو كان يُغني الإنسان رؤية الناس له وهو جزع أو كان يغنيه التذلل لكان العزاء عند كل مصيبة هو الدواء الناجع ، ثم جاء بالاستفهام " فكيف " للتعجب واستبعاد حصول المنفعة من ذلك العزاء ؛ لأن كل إنسان مصيره الموت .

الشاهد التاسع والثمانون بعد المائة : (*) (الطويل)

قول دعبل (٢) :

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢١٨ ، خفاجي : ٢٨٨ ، شاكر : ٢٨٢ .

(*) الدلائل : رضا : ٢١٨ ، خفاجي : ٢٨٨ ، شاكر : ٢٨٢ .

(٢) هو دعبل بن علي بن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل بن خداش ابن خالد بن عبد بن دعبل ، شاعر عباسي شيعي ، كوفي مشهور ، متقدم مطبوع ، هجاء خبيث اللسان ، لم يسلم من لسانه أحد من الخلفاء ، ولا من وزرائهم ، ولا من أولادهم ، ولا ذو نباهةٍ أحسن إليه ، أو لم يحسن ، ولا أفلت منه أحد ، وممن هجاهم من الخلفاء الرشيد ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق .

======

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي بِأَيِّ سِـــهَامِهَا ∴ رَمَتْنِي وَكُلٌّ عِنْدَنَا لَيْسَ بِالْمُكْـدِي (١)
أَبِالْجِيدِ أَمْ مَجْرَى الْوِشَاحِ (٢) وَإِنَّنِي ∴ لَأُتْهِمُ (٣) عَيْنَيْهَا مَعَ الْفَاحِمِ الْجَعْدِ (٤) (٥)

والبيتان من قصيدة قالها في العباس بن جعفر بن محمد الأشعث الخزاعـي (٦)

=== ذكر ابن النديم أن شعره نحو ثلثمائة ورقة ، وله من الكتب : " طبقـات الشعراء "، " كتاب الواحدة " ، عُمِّر دعبل طويلا ، ومات سنة ٢٤٦ هـ . /
انظر ترجمته في :-
الشعر والشعراء : ٢ / ٨٥٣ ، طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٦٤-٢٦٨
الأغاني : ٢٠ / ١٢٠-١٨٤ ، الفهرست : ٢٢٩ ، الموشح : ٢٧٠ ، تاريـخ بغداد : ٨ / ٣٨٢ - ٣٨٥ ، سمط اللآلي : ١ / ٣٣٣ .

(١) المكدي : قليل الخير والعطاء وهو أيضا الذي يخطئ، ولا يصيـب ، وأصله الذي يحفر ولا يجد الماء ./ اللسان " كدا " : ١٥ / ٢١٦-٢١٧ ، والمعنى : وليس من سهامها ما يخطئ .

(٢) الوشاح : كرسان من جوهر ولؤلؤ منظومان يخالف بينهما عطف أحدهـما على الآخر ، وشبه قلادة ينسج من أديم عريض مرصع بالجوهر تصنعه المرأة بين عاتقها وكشحيها . / اللسان " وشح " : ٢ / ٦٣٢ .

(٣) لأتهم : اتهمته أدخلت عليه تهمة / اللسان " وهم " : ١٢ / ٦٤٤ ، والمعنى أَتَّهِم عينيها وأُرميها بالتهمة .

(٤) الفاحم الجعد : الشعر الأسود المجتمع بعضه إلى بعض بمعنى أنه غيـر سبط ، لأن سبوطة الشعر هي الغالبة على شعور العجم من الروم والفرس ، وجعودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب ، وهذا من معاني المدح عند العرب / اللسان " جعد " : ٣ / ١٢٢ .

(٥) لم أجد البيتين فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :-
ديوانه - صنعة عبد الكريم الأشتـر - : ١٢٦ رقم ٧٥ ، الورقــة : ٣٦ - ٣٧ .

(٦) هو صاحب الإيغار الذي يسقي الفرات من عمل كُوثى والفَلُّوجة، أجـراه الرشيد كما أجرى المنصور يقطين بن موسى ، وقاطعه عنه ، وكان قد قلَّده خراسان ، وصيَّر محمداً الأمين في حجره ، واستخلفه بمدينة السلام فـي وقت خروجه عنها ، وكان الرشيد لا يقيم بمدينة السلام من السنة إلا شهراً ======

وهما بيتا غزل ، وقبلهما :

أَمَا فِي صُروفِ الدَّهْرِ أَنْ تَرْجِعَ النَّوى ∴ بِهِمْ وَيُدِ الْقُرْبُ يَوْماً مِنَ البُعْدِ

بَلَىٰ فِي صُروفِ الدَّهْرِ كُلُّ الَّذِي أَرَى ∴ وَلَكِنَّمَا أَغْفَلْنَ حَظِّي عَلَى عَمْدِ (١)

والشاهد فيه كسابقه ، وهو أن " كلا " تقدمت الفعل المنفي ، وهي ليست معمولة له ، فأفادت عموم النفي .

فأبيات الشاهد تصف لنا حالة شاعر قد بلغ به الوجد والتدله مبلغاً أصابه بالحيرة ، فهو لا يعلم سر غلبة هذا الوجد عليه ليس على وجه الحقيقة، ولكنه تجاهل العارف ، وفيه من المبالغة والخلابة مافيه ، وأكثر من الاستفهام في الأبيات ، لحملها كل معاني الحيرة .

ومن شدة غلبة الوجد عليه جاء بـ " الفاء " التي طوت أحداث القصة ، وجاءت بالجزء المهم فيها رغبة منه في الوقوف على ذلك السر .

وجاء بالقسم ، ليؤكد عظيم حيرته في أمره ، ثم جاءت " كل " لتعلن استحكام ذلك الهوى في نفسه ، فجزمت بأن سهامها جميعها لا تخطيء ، فمن تلك السهام جمال الجيد وروعة مجرى الوشاح ، إلاّ أنّ أصوب السهام مرمى وأشدها استحكاماً تلك العيون ، وذلك الشعر الغزير ، ولأنهما السر في حيرته ووجده عبر عنهما بأن ولام التوكيد ، وبلفظ الاتهام .

=== أو شهرين ، ومنزل جعفر بن محمد بن الأشعث بالباب المحوّل من الجانب الغربي ، ومعنى الإيغار : يقال أوغر الملك لرجل أرضا وأوغره أرضا جعلها له من غير خراج ، وسمى ضمان الخراج إيغارا ، وهي لفظة مولده . / انظر ترجمته في :-
معجم الشعراء للمرزباني : ٣١١ - ٣١٢ ، الورقة : ٣٧ .

(١) الأبيات الأربعة في ديوانه : ١٢٦ رقم (٧٥) ، الورقة : ٣٦ - ٣٧ .

الشاهد التسعون بعد المائة :(*) (البسيط)

" ماكُلُّ مايَتَمَنّى المَرْءُ يُدْرِكُهُ "(١)

ذكر الشيخ عبد القاهر صدر البيت دون العجز ، ومن غير نسبة ، وهو للمتنبي وعجزه :

" تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ " (٢)

وهو من قصيدة قالها حين بلغه أن قوماً نعوه(٣) في مجلس سيف الدولة بحلب، وهو بمصر، وفيها يمدح كافور الإخشيدي، ومطلعها :

بِمَ التَّعَلُّلُ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ .:. وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنُ ؟

وقبل الشاهد :

يَامَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ .:. كُلٌّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَهَنُ

كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدْ مِتُّ عِنْدَكُمُ .:. ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَزَالَ القَبْرُ وَالكَفَنُ

(*) الدلائل ، رضا : ٢٢٠، خفاجي : ٢٨٩ ، شاكر: ٢٨٤.

(١) يجوز في " كل " النصب والرفع ، النصب على لغة بني تميم ، لأن لفظ " ما " عندهم غير عاملة ، ونصب " كل " بفعل مضمر فسره بقوله : " يدركه" كأنه قال : مايدرك كل مايتمنى المرء .
والرفع على لغة أهل الحجاز ، لأن " ما " عاملة عندهم ، فهي كـ" ليس " ، ويكون الخبر " يدركه " . / التبيان " شرح العكبري " : ٤ / ٢٣٣.

(٢) انظر البيت في :-
ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ٢٣٣ ، العرف الطيب: ٥٦٦/٤ ، التمثيل والمحاضرة : ١١٢ - ٢٤١ ، المغني : ٢٠١/١ ، الإيضاح : ١ / ١٥١ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - ٢٣ أ ، شروح التلخيص ١ / ٤٣٩ ، معاهد التنصيص : ١ /١٤٥ الشاهد رقم " ٢٤ " ، القول الجيد : ١٤٥.

(٣) الناعي : هو الذي يأتي بخبر الموت . / اللسان " نعا " : ١٥ / ٣٣٤.

قَدْ كَانَ شَاهَدَ دَفْنِي قَبْلَ قَوْلِهِمِ .·. جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا (١)

وبعدها بيت الشاهد .

والشاهد فيه أنّ "كل" إذا دخلت في حيز النفي سواء كانت معمولة للفعل بعدها أم لا أفادت نفي العموم ، فقول أبي الطيب : " ماكل مايتمنى المرء يدركه " أي أن الإنسان لا يمكن أن يدرك كل مبتغاه ، وإنما يدرك البعض ، ويفوته البعض الآخر .

قال العكبري في تفسير البيت :

" أعدائي يتمنون ، ولا يدركون مايتمنون ، فالريح تجري ، وليس كل ماتجري ترضى بها السفن ، وإنما ترضى السفن بالرياح الطيبة ، وهذا مثل ضربه ، وهو من أحسن الكلام " (٢)

ولقد عمم الشيخ عبد القاهر قوله في هذا الشاهد والذي يليه - بأن إعمال الفعل في " كل " والفعل منفي لا يصلح أن يكون إلاَّ حيث يراد أن بعضاً كان وبعضاً لم يكن - ، ولم يحترز لما قد يخالفه من الكلام البليغ ، فاعترض عليه الشيخ سعد الدين التفتازاني ، فجاء بآيات من القرآن الكريم لا تحتمل المعنى الذي ذهب إليه الشيخ . قال العلامة سعد الدين :

" والحق أن هذا الحكم أكثري لاكلي بدليل قوله تعالى * وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * (٣) ، * وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * (٤) ، * وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * (٥) " (٦)

---

(١) ديوانه بشرح العكبري : ٤ / ٢٣٥ ، العرف الطيب : ٤ / ٥٦٦ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ٢٣٦ .

(٣) لقمان : ١٨ .

(٤) البقرة : ٢٧٦ .

(٥) القلم : ١٠ .

(٦) شروح التلخيص : ١ / ٤٤١-٤٤٢ .

فمعنى الآيات لا يستقيم وقاعدة الشيخ حيث يصبح معنى الآية الأولى أن الله لا يكره كُلَّ مختال ، وإنما يكره البعض ، وكذلك الآية الثانية يكون معناها أن الله لا يكره كُلَّ كفار بل يكره البعض ، وعلى هذا تقاس الآية الثالثة ، وكل ما ورد في القرآن الكريم والكلام البليغ .

الشاهد الواحد والتسعون بعد المائة : (*) (البسيط)

" مَاكُلُّ رَأْيِ الفَتَى يَدْعُو إلى رَشَدٍ " (١)

ذكر الشيخ صدر البيت دون العجز ، ومن غير نسبة . (٢)

وعجزه :

" فَإِنْ بَدَا لَكَ رَأْيٌ مُشْكِل فَقِفِ " (٣)

الشاهد فيه كسابقه ، وهو أن " كل " إذا دخلت في حيز النفي سواء كانت معمولة للفعل أم لا أفادت نفي العموم ، فالشاعر هنا يحذر المرء من الإسراع في اتخاذ القرارات ، ويحثه على التروي في الأمور ، فليس كل آراء الفتى صائبة ، بل له آراء خاطئة أيضا ، فالمرء يصيب ويخطيء .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٢٠ ، خفاجي : ٢٨٩ ، شاكر : ٢٨٤ .

(١) انظر صدر البيت في :
المغني : ١ / ٢٠٠ من غير نسبة ، الإيضاح : ١ / ١٥١ من غير نسبة . شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٧٣) .

(٢) ذكر محقق الدلائل الأستاذ محمود شاكر أن البيت أخذه النحاة من عبد القاهر ، ولا يعرف تمامه ولا قائله ، ونسبه الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي في تحقيق الدلائل والإيضاح لأبي العتاهية ، وقد بحثت في ديوانه فلم أجده ، ولا أعلم على أي شيء اعتمد في نسبته .

(٣) نقلاً عن تحقيق الدلائل والإيضاح .

و- شواهد المجاز الحكمي :

الشاهد الثاني والتسعون بعد المائة : (*) (الطويل)

قول الفرزدق :

سَقَاهَا خُرُوقٌ (١) فِي المَسَامِعِ (٢) لَمْ تَكُنْ ∴ عِلاطاً (٣) وَلاَ مَخْبُوطَةً (٤) فِي المَلاَغِمِ (٥) (٦)

الشاهد فيه قوله :

" سَقَاهَا خُرُوقٌ فِي المَسَامِعِ "

وهو مجاز في الإسناد حيث أسند السقي إلى الخروق والخروق كناية عن الشهرة والذكر الحسن .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٠ ، خفاجي : ٢٩٧ ، شاكر: ٢٩٣ .

(١) رواية الكامل ورواية الدلائل تحقيق شاكر " أخذاً عن الكامل فيما يبدو " : " سقتها "
وروي البيت باللفظ السابق " سقاها " في الدلائل تحقيق رضا ، والدلائل تحقيق خفاجي .

(٢) خروق : الخَرْق الفُرجة وجمعه خُروق ، وَشَاةٌ خَرْقاء : مثقوبة الأذن / اللسان : " خرق " : ١٠ / ٧٣ ، أساس البلاغة : ١٠٨ .

(٣) علاطاً : العلاط : صفحة العُنق من كل شيء وهو سمة في عُرْض عنق البعير والناقة وربما كان خطا واحداً وربما كان خطّين ، وربما كان خطوطاً في كل جانب./ اللسان " علط " : ٧ / ٣٥٣ .

(٤) مخبوطة : الخِباط " بالكسر " سمة تكون في الفخذ طويلة عرضاً ، وقيل هي التي تكون على الوجه فوق الخد ./ اللسان" خبط ": ٧ / ٢٨٣ .

(٥) الملاغم : لغام الدابة : لعابها أو زبدها ، وقيل زبدها وحده ، سمي بالملاغم ، وهي ما حول الفم مما يبلغه اللسان ويصل إليه . / اللسان " لغم " : ١٢ / ٥٤٥ .

(٦) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلاّ في :
الكامل : - دار الفكر - : ١ / ٥٥ .

فالفرزدق أراد أن يفخر بقومه ، وشجاعتهم المتناهية ، فذكر أن إبلهم ترد الماء من غير قائد يقودها ، أو سِمةٍ تعرف بها سوى خروق في مسامعها أرشدت إلى أصحابها ومن ثمّ سُقيت بسمعة أصحابها وشهرتهم ، ولم يستطع أحد منعها .

ولقد ذكر الأستاذ خفاجي في تحقيقه للدلائل تفسيراً للبيت يظهر فيه الإخلال بالمعنى الذي قصده الشاعر قال :

" ذكر إبل قوم من السادة ضلّت فعرف الناس من علاطها أصحابها فسقوها وعَنوا بها " ، ووجه الخطأ أن الشاعر نفى أن يكون بها علاط ، فكيف سقيت بالعلاط ؟

فجمال المجاز هنا أنه أكد به مكانة قومه ، فإذا كان مجرد ذكرهم قد أورد إبلهم الماء ولم يجرؤ أحد على منعها فكيف إذا كانوا هم معها ؟ .

وفي البيت مجاز آخر ، ولكنه مجاز في اللفظ وهو قوله : " علاطا " فالعلاط في الأصل صفحة العنق وأراد به هنا السمة والعلامة فهو من إطلاق المحل وإرادة الحال .

قال الشيخ عبد القاهر :

" أنت ترى مجازاً في هذا كله ولكن لا في ذوات الكلم وأنفس الألفاظ ولكن في أحكام أجريت عليها . . .

وهكذا الحكم في قوله : " سقاها خروق " ليس التجوز في نفس " سقاها " ولكن في أن أسندها إلى الخروق " (١)

ويبدو أن الشيخ عبد القاهر قد تفرد بالاستشهاد بهذا البيت في باب المجاز الحكمي فلم تذكره كتب البلاغة المتأخرة عنه ، وقد بحثت في الكتب التي سبقت الشيخ - بحسب المراجع المتوفرة لدي - فلم أجده إلّا عند المبرد الذي أتى به

---

(١) الدلائل : رضا : ٢٢٧-٢٢٨ ، خفاجي : ٢٩٧ ، شاكر : ٢٩٤ .

لتوضيح معنى كلمة " الملاغم " وأن المراد بها العوارض ، فلم يصرح بمصطلح المجـــاز وإنما فُهِم من شرحه أن في البيت مجازاً قال :

" يقول علم أرباب الماء لمن هي؟فسقاها ماسمعوه من ذكر أصحابها لعزهم ، ومنعتهم ، ولم تحتج أن تكون بها سمة ، والعلاط:وسم في العنق والخباط في الوجه " (١)

ويبدو لي أن كلام المبرد دقيق ، فقد نظر إلى مرحلتين :

١- أن الناس عرفوا أصحابها بسبب الخروق . ٢- أنهم سقوها لعزة أصحابهـا .

فالأساس هي " الخروق" ولذلك نسب الفعل إليها مجازاً ، وهذا أدق من قولنـــا أن سبب سقيها أساساً عزة أصحابها وشهرتهم .

الشاهد الثالث والتسعون بعد المائة : (*) (الرجز)

* فَنَامَ لَيلِي وَتَجلَّى (٢) هَمِّي (٣) *

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو لرؤبة بن العجاج (٤) يمدح الحارث بن سليم من آل عمـرو (٥) ومطلعها :

---

(١) الكامل : - دار الفكر - : ١ / ٥٥ .

(٢) الدلائل : رضا : ٢٢٩ ، خفاجي : ٢٩٩ ، شاكر: ٢٩٦ .

(٣) رواية المقتضب : " وتقضَّى هَمِّي " .

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :
ديوان رؤبة : ١٤٢ ، القطعة (٥٣) ، مجاز القرآن : ١ / ٢٧٩ ، الكامل - مكتبـــة المعارف - : ١ / ٧٩ ، " غير منسوب"، المقتضب : ٣ / ١٠٥ ، " غير منسوب" المحتسب : ٢ / ١٨٤ ، خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي - : ١ / ٤٦٦ ، الإيضاح : ١ / ١٠٣ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٧ أ .

(٤) هو رؤبة بن عبدالله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي ، أبو الجحَّـــاف أو أبو محمد ، راجز من الفصحاء المشهورين من مخضرمي الدولتين الأمويـــة والعباسية كان أكثر مقامه في البصرة ، أخذ عنه أعيان أهل اللغة ، وكانـــوا يحتجون بشعره ، ويقولون بإمامته في اللغة ، مات في البادية وقد أســـن (... - ١٤٥ هـ) / انظر ترجمته في :
الشعر والشعراء : ٢ / ٥٩٨-٦٠٥ ، المؤتلف والمختلف : ١٢١ ، لسان الميزان : ٢ / ٤٦٤ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٣٠٣-٣٠٥ ، خزانة البغدادي : - دار صادر - ١ / ٤٣ ، الأعلام : ٣ / ٣٤ .

(٥) لم أقف على ترجمته بعد .

يَاأُمَّ حَوْرَانَ اكْتُمِي أَوْ نُمِّـــي

وقبل الشاهد :

حَارِثُ قَدْ فَرَّجْتَ عَنِّي غَمِّــــي (١)

وبعده الشاهد وبعده :

وَقَدْ تَجَلَّى كُرَبُ المُحْـــــتَمِّ (٢)

بِعَمِّ عَمِيدِ القَـوْمِ وَابْنِ العَـمِّ

يَوماً إِذَا دَارَتْ رَحَى الأُسْطُمِّ (٣)

الشاهد قوله : " فنام ليلي "

استشهد به في بيان أسرار جمال المجاز الحكمي، وأنَّ من شأنه أن يفخم بـــه المعنى وتحدث فيه النباهة . قال الشـــيخ :

" واعلم أنَّ الذي ذكرت لك في المجاز هناك من أن من شـــأنه أن يَفْخُـــمَ عليه المعنى وتحدث فيه النباهة قائم لك مثله ههنا فليس يشتبه على عاقـل أن ليس حال المعنى وموقعه في قوله * فَنَامَ لَيلِي وَتَجَلَّى هَمِّي * كحالـه وموقعه إذا أنت تركت المجاز وقلت : * فَنُمْتُ فِي لَيلِي وَتَجَلَّى هَمِّي * (٤)

ولعل سر الجمال في قوله " فَنَامَ لَيلِي " أنَّ الشاعر أراد أن يجعل ممدوحــه في الدرجة العالية من الكرم وحُسن الخُلُق ، فذكر أن ممدوحه أزال عنه غَمَّــــه

---

(١) رواية شرح أبيات الإيضاح ـ النسخة الأزهرية ـ : " يارب قد فَرَّجت عَنِّـــي غَمِّي " ، وفي شرح أبيات الإيضاح ـ فيض الله ـ ذكر أن أول الأبيـات : قَدْ كُنْـتُ ذَا هَمٍّ وَرَاعِي نَجْـمِ

(٢) المُحْتَمّ : الحتم : القضاء ، والحَتْمُ إحكام الأمر / اللسان " حتم " : ١٢ / ١١٣ .

(٣) الأُسْطُمّ : مجتمع البحر ، وأُسْطُمَّة كل شيء : معظمه / اللسان " سطم " ١٢ / ٢٨٧ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٢٢٨ ، خفاجي : ٢٩٨ ، شاكر : ٢٩٤ .

إزالةً نامَ معها مرتاح النفس هادي البال ، وعبّر عن هذا الارتياح بإسناد النوم إلى الليل ليدل على عموم الهدوء ، واستغراقه كل كائن حي .

الشاهد الرابع والتسعون بعد المائة : (*) (الكامل)

بيت الفرزدق :

يَحْمِي إذا آخْتُرِطَ(١) السُّيُوفُ نِسَاءَنَا .·. ضَرْبٌ تَطِيرُ(٢) لَهُ السَّوَاعِدُ أَرْعَلُ(٣) (٤)

والشاهد من نقيضة للفرزدق قالها في هجاء جرير .

قال أبو عبيدة :

" فلم يزل الفرزدق وجرير يتهاجيان حتى هلك الفرزدق " ومطلع القصيدة :

إنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا .·. بيتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وأَطْوَلُ

(٥) وبعده أبيات قبل الشاهد :

(*) الدلائل ، رضا : ٢٢٨ ، خفاجي : ٢٩٨ ، شاكر: ٢٩٥ .

(١) اخترط : سلّ من غمده / " اللسان " خرط " : ٧ / ٢٨٥ .

(٢) رواية الديوان والنقائض : " ضَرْبٌ تَخِرُّ " .

(٣) أرعل : الرَّعَل : شدة الطّعن والإرعال سرعته وشدته ، وأيضاً يقال لكل شيء مُتَدَلٍ مُسْتَرْخٍ أَرْعَل / اللسان " رعل " : ١١ / ٢٨٦-٢٨٨ ، فأراد أنّ سواعدهم مسترخية متدلية من شدة الضرب / النقائض : ١ / ١٨٤ .

(٤) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في : ديوان الفرزدق : ٢ / ١٥٥ ، نقائض جرير والفرزدق : ١ / ١٨٤ ، رقم القصيدة (٣٩) .

(٥) في النقائض بعد مطلع القصيدة ستة أبيات ، تسبق البيت المذكور فالبيت المذكور هناك بعد مطلع القصيدة :

بَيْتاً بَنَاهُ لَنَا المَلِيكُ وَمَا بَنَى .·. حَكَمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لاَ يُنْقَلُ

أَيْنَ الَّذِينَ بِهِمْ تُسَامِي دَارِماً ∴ أَمْ مَنْ إِلَى سَلَفَيْ طُهَيَّةَ (١) تَجْعَلُ

يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ ∴ جُرْبُ الجِمَالِ بِهَا الكُحَيْلُ (٢) المُشْعَلُ

وَالمَانِعُونَ إِذَا النِّسَاءُ تَرَادَفَتْ (٣) ∴ حَذَرَ السِّبَاءِ جِمَالَهَا (٤) لاَ تُرْحَلُ

وبعدها بيت الشاهد وبعده :

وَمُعَصَّبٍ بِالتَّاجِ يَخْفِقُ فَوْقَهُ (٥) ∴ خِرَقُ (٦) المُلُوكِ لَهُ خَمِيسٌ جَحْفَلُ

الشاهد قوله : (يحمي ... ضرب)

استشهد به أيضا على بيان بلاغة المجاز الحكمي وحسنه ورونقه قال :

" وإن أردت أن تزداد للأمر تبييناً فانظر إلى بيت الفرزدق ... وإلى رونقه ومائه وإلى ماعليه من الطلاوة ، ثم ارجع إلى الذي هو الحقيقة وقل : تحمي إذا اخترط السيوف نساءنا بضرب تطير له السواعد أرعل ، ثم اسبر حالك هل ترى مما كنت تراه شيئاً ؟ " (٧)

---

(١) طُهَيَّة : بنت عبد شمس بن سعد بن زَيْد مناة بن تميم كانت عند مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد ، فولدت له أبا سَوِدٍ وعَوفا ، وحُشَيْشاً فغَلَبَت على بنيها فنُسِبوا إليها / النقائض : ١ / ١٨٣ .

(٢) الكُحَيل : مَبْنِي على التَّصْغير الذي تطلى به الإبل الجَرب ، وقيل هو النِّفط والقَطِران ، وقيل هو القَطِران فقط./ اللسان " كحل " : ١١/٥٨٦ .

(٣) تَرَادَفَت : ويروى تُرُدِّفَت ، وترادفت ركب بعضهن خلف بعض / النقائض : ١ / ١٨٤ .

(٤) ويروى جِمالُها ، والرفع هنالك بقوله لا تُرْحَل / النقائض : ١ / ١٨٤ .

(٥) ويروى حَوْلَهُ . / انظر النقائض : ١ / ١٨٤ .

(٦) خِرَق : المقصود بها هنا الرايات / النقائض : ١ / ١٨٤ .

(٧) الدلائل ، رضا : ٢٢٨ ، خفاجي : ٢٩٨ ، شاكر : ٢٩٥ .

قال أيضـــا :

" وهذا الضـرب من المجاز على حدته كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعـر المفلق ، والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان ، والاتساع في طرق البيان ، وأن يجيء بالكلام مطبوعاً مصنوعاً ، وأن يضعه بعيد المرام قريباً من الأفهام " (١)

ولعل الحسن والرونق يظهر في أن الفرزدق أراد أن يفخر بقومه فخراً يطير إلى الأسماع ، فلجأ إلى المجاز الحكمي ؛ لأن في إسناد الحماية إلى الضرب إشارة إلى شدة الضرب وتميزه واستقلاله ونهوضه بالذود والحماية ، وفي ذلك تأكيد وجزم لقدرة قومه على حماية جميع الحرمات ؛ لأنه إن كان ضربهم قادراً على الحماية فهم عليها أقدر ؛ لأنه إذا صح أن يقع الفعل من الفرع فإن حدوثه من الأصل آكد (٢) وخصّ النّساء من بين جميع الحرمات لأنهن أشرف الحرمات وأجدرها بالحمايـة ، وفصل بين الفعل (يحمي) والفاعل (ضَربٌ) بجملة الشرط (إذا اخترط) ليبين حرج الموقف وشدته وصعوبته على كل النفوس إلا أفراد قبيلته ، وأوقع جملة الشـرط بإذا دون (إن) ليزيد من صورة الاحتدام وشدة حركته ويجزم بوقوعه وكذلك بنى الفعل (اختُرِط) للمجهول ليبين السرعة الرهيبة في سل السيوف حتى كأنهـا من شـدة سرعتها تُسل وحدها من غير فاعل .

" وكلمة " اَختُرِط " لها مغزى جليل ؛ لأنها تعني اجتذاب السيوف وسلهـا بشدة واندفاع وتهور ، فاللحظات لحظات موت خاطف سريع . . والكلمـة تبعث في شطر البيت حركة مفاجئة وفارهة تناسب شعور الفخر الهائج ، وتتلاقـى مع الحركة الطائشة المتناثرة في شطر البيت الثاني " تطير له السواعد " " (٣)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٢٨ ، خفاجي : ٢٩٨ ، شاكر : ٢٩٥ .

(٢) انظر : خصائص التراكيب : ٨٥ .

(٣) خصائص التراكيب : ٨٤ .

الشاهد الخامس والتسعون بعد المائة : (*) (الطويل)

* وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ *(١)

ذكره من غير نسبة .

استشهد به الشيخ للتنظير على أن من المجاز الحكمي مايكون خاصياً ، ومايكون عامياً ، مثله في ذلك مثل الاستعارة ، والتمثيل منه مايكون عامياً ومنه مايكون خاصياً كبيت الشاهد .

قال الشيخ :

"... فكما أن من الاستعارة والتمثيل عامياً مثل : رأيت أسداً ، ووردت بحراً ، وشاهدت بدراً ، وَسَلَّ مِنْ رأيه سيفاً ، وخاصياً لايكمل له كل أحد مثل قوله : * وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ التطِيِّ الأَبَاطِحُ * كذلك الأمر في هذا المجاز الحكمي "(٢)

(*) الدلائل ، رضا : ٢٢٨ ، خفاجي : ٢٩٨ ، شاكر : ٢٩٦

(١) سلف تخريجه في فصل : " الاستعارة " : ص ١٣١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٢٩ ، خفاجي : ٩٩ ، شاكر: ٢٩٦ .

الشاهد السادس والتسعون بعد المائة : (*) (الوافر)

وَصَيَّرَنِي هَوَاكِ وَبِي .·. لِحَيْنِي يُضْرَبُ المَثَلُ (١)

الشاهد في قوله : " وَصَيَّرَنِي هَوَاكِ "

استشهد به الشيخ على أنه ليس من الضروري أن يكون للفعل فاعل في التقدير ، فإنَّ ذلك لا يتأتى في كل شيء ، فالفعل " صَيَّرَنِي " لا يمكن أن نزعم أنَّ له فاعلاً قد نقل عنه الفعل .

قال الشيخ :

" واعلم أنَّه ليس بواجب في هذا أن يكون للفعل فاعل في التقدير إذا أنت نقلت الفعل إليه عدت به إلى الحقيقة مثل أنك تقول في " رَبِحَتْ تِجَارَتُهُم " رَبِحُوا في تِجَارَتِهِم . . . وكذلك لا تستطيع . . . أن تزعم أنَّ لِصَيَّرَنِي فَاعِلاً قد نُقِل عنه الفعل فجعل للهوى كما فعل ذلك في " رَبِحَتْ تِجَارَتُهُم "" (٢)

الشاهد السابع والتسعون بعد المائة : (*) (الوافر)

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْناً .·. إذا مَا زِدْتَهُ نَظَرَا (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٢٢٩ ، خفاجي : ٣٠٠ ، شاكر : ٢٩٦ .

(١) سبق تخريجه : ٢٤٨ .
وهو لابن البواب ولغيره .
وانظره كذلك في : نهاية الإيجاز : ٥٢ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٢٩-٢٣٠ ، خفاجي : ٢٩٩ ، شاكر : ٢٩٦ .

(٣) ديوانه : ٥٥٩ ، رسائل الجاحظ " التربيع والتدوير " : ٣ / ٨٥ ، من غير نسبة ، الوساطه : ٣٩٣ ، ديوان المعاني : ١ / ٢٣ ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ٢ / ٥٢٥ ، من غير نسبة ، العمدة : ٢ / ١٢١ ، محاضرات الأدباء : ٢ / ٢٩٥ ، الإيضاح : ١ / ١٠٧ ، شرح أبيات الإيضاح : ====

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو لأبي نواس[1] من قصيدة مذكورة في باب الهجاء . وذكره ابن رشيق في باب النسيب ،

وذكر صاحب معاهد التنصيص أن البيت من قصيدة من الوافر يهجو فيها الأعراب والأعرابيات ويذم عيشهم ، وتعشقهم النساء دون الغلمان .(٢)

ومطلع القصيده :

دَعِ الرَّسْمَ الَّذِي دَثَرَا ∴ يُقَاسِي الرِّيحَ وَالمَطَرَا

وقبل بيت الشاهد :

لَوْ أَنَّ مرقشاً[3] حَيٌّ ∴ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ ذِكْرَا

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَعْـ ∴ ـنَ من أزرارِهِ قَمَرَا

وَمَرَّ يُرِيدُ دِيوَانَ الـ ∴ ـخَرَاجِ مُضَمَّخاً عِطِرَا

=== ـ فيض الله ـ : ٨أ ، المطول : ٦٤ ، شروح التلخيص : ١ / ٢٦٠ ، عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر : ١٢ب ، معاهد التنصيص : ١ / ٧٨ الشاهد (١٤) ، القول الجيد : ٨١-٨٢ .

(١) ذكر صاحب عقود الدرر أن هناك من نسبه لابن المعذل وأشار هذا القائل أن أبا نواس هو ابن المعذل فلا اختلاف ورد عليه صاحب عقود الدرر بقوله : " لو سكت هذا القائل لكان خيراً له فإنّ ابن المعذل اسمه عبد الصمد وهو شاعر مشهور ، وأبو نواس كذلك ، ولا يرتاب في اختلافهما من له أدنى اطلاع على أحوال الشعر " / عقود الدرر : ١٢ ب ، ١٣ أ .

(٢) معاهد التنصيص : ١ / ٧٨ .

(٣) المرقش الأكبر ، والمرقش الأصغر ، والأصغر أشعرهما وأطولهما عمراً وقد عشق الأكبر ابنة عمه " أسماء " وقد تزوجت غيره ، وعشق الأصغر فاطمة بنت المنذر / الشعر والشعراء : ١ / ٢١٦ - ٢٢٠ .

بِوَجْهٍ سَابِرِيٍّ لَوْ ∴ تَصَوَّبَ مَاؤُهُ قَطَرَا

وَقَدْ خَطَّتْ حَوَاضِنُهُ ∴ لَهُ مِنْ عَنْبَرٍ طُرَرَا (١)

بِعَيْنٍ خَالَطَ التَّفْتِيـ ∴ ـرُ فِي أَجْفَانِهَا الحَوَرَا

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا ∴ إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرَا

وبعده :

لَأَيْقَنَ أَنَّ حُبَّ المَرْ ∴ ءِ يُلْفَى سَهْلُهُ وَعِرَا

وَلَاسِيَّمَا وَبَعْضُهُمُ ∴ إِذَا حَيَّيْتَهُ انْتَهَرَا (٢)

وموضع الشاهد قوله : " يَزِيدُكَ وَجْهُهُ "

والشاهد فيه كسابقه .

قال الشيخ :

" . . . ولا تستطيع كذلك أن تقدر ليزيد في قوله : يزيدك وجهه فاعلاً غير الوجه ، فالاعتبار إذن بأن يكون المعنى الذي يرجع إليه الفعل موجوداً في الكلام على حقيقته معنى ذلك أن القدوم في قولك : أقدمني بلدك حق لي على إنسان موجود على الحقيقة ، وكذلك الصيرورة في قوله : وصيّرني هواك ، والزيادة في قوله يزيدك وجهه موجودتان على الحقيقة ، وإذا كان معنى اللفظ موجوداً على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه ، وإذا لم يكن المجاز في نفس اللفظ كان لا محالة في الحكم ، فاعرف هذه الجملة وأحسن ضبطها حتى تكون على بصيرة من الأمر " (٣)

---

(١) ورواية الديوان " لو أن مرقش "
الطُّرر : جمع طرة وهي الناصية ، وطُرة الجارية أن يُقطع لها في مُقَدَّم ناصيتها كالعَلَم أو كالطُّرة تحت التاج / اللسان : (طرر) : ٤ / ٥٠٠ .

(٢) الديوان : ٥٥٩ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٣٠ ، خفاجي : ٣٠٠ ، شاكر : ٢٩٧ .

يقول الشاعر أنه كلما آزداد الناظر تأملاً في وجه هذا الغلام ازداد حسناً وإعجاباً ، فالمتأمل لا يمل النظر إليه مع التكرار ، وهذا خلاف المعهود في الأشياء التي كلما كرر إليها النظر نقص حسنها ، وأسند الزيادة إلى الوجه ، وهو ليس الفاعل في زيادة الحسن وإنما هو سبب هذه الزيادة ؛ لأن في هذا الإسناد إظهاراً لروعة ذلك الوجه ومنتهى حسنه .

وزاد من جمال التعبير مجيء إذا الشرطية التي جزمت بوقوع الحسن في نفس الناظر وتجدد وتكرار النظر منه .

ولقد اعترض الفخر الرازي على الشيخ عبد القاهر في مسألة عدم وجوب تقدير الفاعل ورأى أنه لا بد لكل فعل من فاعل حقيقي يسند إليه الفعل ، قال بعد أن عرض كلام الشيخ :

" . . . وفيه نظر ، وذلك لأن الفعل يستحيل وجوده إلّا من الفاعل فالفعل المسند إلى شيء إما أن يسند إلى ما هو مستند في ذاته إليه فيكون الإسناد حقيقياً وإذا لم يسند إلى ذلك الشيء فلا بد من شيء آخر يكون هو مستنداً لذاته إليه وإلا لزم حصول الفعل لا عن الفاعل وهو محال " (١)

وتبع الخطيب القزويني الإمام الفخر الرازي فيما ذهب إليه فقال :

" وآعلم أنّ الفعل المبني للفاعل في المجاز العقلي واجب أن يكون له فاعل في التقدير إذا أسند إليه صار الإسناد حقيقة " (٢)

وقد اعترض السكاكي على الشيخ من جهة أخرى وهو أن المجاز فرع الحقيقة وكل فرع لا بد له من أصل قال :

" ولا يختلجن في ذهنك بعد أن اتضح لك كون المجاز فرع أصل تحقق مجاز أيا كان بدون حقيقة يكون متعدياً عنها لامتناع تحقق فرع من غير أصل

---

(١) نهاية الإيجاز : ٥٢ .

(٢) الإيضاح : ١ / ١٠٦ .

فلا يجوز في نحو سرّتني رؤيتك، ونحو أقدمني بلدك حق لي على فلان ونحوه :

وَصَيَّرَنِي هَوَاكِ وَبِي ∴ لِحَيْنِي يُضْرَبُ المَثَلُ

ونحو:

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا ∴ إِذَا مَازِدْتَهُ نَظَرَا

أن لا يكون لكل من هذه الأفعال فاعل في التقدير إذا أنت أسندت الفعل إليه وجدت الحكم واقعاً في مكانه الأصلي عند العقل ، ولكن حكم العقل منها فإيما شيء ارتضى بصحة استنادها فهو ذاك ..." (١)

والظاهر أن الشيخ عبد القاهر لم يعترض على وجود الفاعل ، وإنّما أراد أن يبين أن هناك أساليب في العربية جرت بها الألسنة من غير تقدير فاعل حقيقي لها ، وقد رد ابن يعقوب على من اعترض على الشيخ عبد القاهر فقال :

" .. وقد تبع (٢) في هذا الرد الفخر الرازي حيث قال كل فعل لا بد له من فاعل لاستحالة صدوره بلا فاعل فإن كان ذلك الفاعل هو ما أسند إليه الفعل فلا مجاز وإلا فيمكن تقديره فاعتقد المصنف صحة هذا الكلام فقدر الفاعل في المثالين (٣) (الله تعالى)، لأنه الفاعل الحقيقي وهذا الرد يتجه إن كان مراد الشيخ أنّ ثَمّ أفعالاً لا يتصف بها شيء على وجه الحقيقة ولا يمكن فرض موصوف لها أصلاً وليس ذلك مراده بل المراد أن نحو سرّتني رؤيتك وأقدمني بلدك حق لي على فلان ويزيدك وجهه حسناً لا يقصد في الاستعمال العرفي فيها فاعل الإقدام ولا فاعل السرور المتعدي، ولا فاعل الزيادة المتعدية ، ولذلك لم يوجد في ذلك الاستعمال إسنادها لما يحق أن يتصف بها، لأنها لكونها اعتبارية ألغي عرفا استعمالها لموصوفها

---

(١) المفتاح : ١٦٨ .

(٢) الضمير يعود إلى الخطيب القزويني .

(٣) يريد بالمثالين قوله : " سرّتني رؤيتك " " يزيدك وجهه حسنا " .

الذي تعتبر به ، ولو صحّ أنّ لها موصوفاً؛ لأن الغرض من ذلك التركيب ما وجد خارجاً من القدوم والسرور اللازمين والزيادة اللازمة فصار هذا التركيب في إسناده كالمجاز الذي لم تستعمل له حقيقة ولم يرد الشيخ أنّ هذه الأفعال الاعتبارية لا موصوف لها في نفس الأمر يكون الإسناد إليه حقيقة بل المراد أنه لم يستعمل لعدم تعلق الغرض به ولهذا كان ما ذهب إليه المصنف تكلفاً وتطلباً لما لا يقصد في الاستعمال ولا يتعلق به الغرض في التراكيب ، وهذا إن سلم اندفع به الرد على الشيخ ، وإلا فالرد وارد فليتأمل " (١)

ورأى الجاحظ أن معنى بيت الشاهد مسروق من كتبه في وصف أحمد بن عبد الوهاب ومدحه في رسالة " التربيع والتدوير " قال :

" . . . وكيف لا تكون كذلك ، وأنت الغاية في كل فضل ، والمَثَلُ في كُلِّ شكل ، وأمَّا قول الشاعر :

يَزيدكَ وَجْهُهُ حُسْناً ∴ إِذَا مَازِدْتَهُ نَظَرا

وقول الدمشقيين : ما تأمَّلْنا قطُّ تأليف مسجدنا ، وتركيبَ محرابنا وقُبَّة مُصَلَّانا إِلَّا أثار لنا التأمُّلُ ، واستخرج لنا التَّفَرُّسُ ، غرائبَ حسنٍ لَمْ نَعْرِفْها ، وعجائبَ صنعةٍ لَمْ نَقِفْ عليها ، وما نَدْرِي أَجَوَاهِر مقطَّعاته أكرمُ في الجواهر ، أم تنضيد أَجْزَائِهِ في تنضيد الأَجْزاء ، فَإِنَّ ذلك معنىً مسروقٌ مِنِّي في وصفك ، ومأخوذٌ مِنْ كُتبي في مدحك " (٢)

وذكر القاضي الجرجاني (٣) أن من سرقات المتنبي قوله :

---

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح : ١ / ٢٦١-٢٦٣ .

(٢) رسائل الجاحظ : ٣ / ٨٥ .

(٣) الوساطة : ٣٩٣ .

وهو المُضَاعَفُ حُسْنُهُ إنْ كُرِّرَا (١)

فقد أخذه من قول أبي نواس :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْناً ∴ إذا مَازِدْتَهُ نَظَرَا

وكذلك ذكر العكبري في التبيان (٢)

ورأى أبو هلال العسكري أن البيت من أبلغ ما قيل في حسن الوجه؛ لأنه ذكر مايخالف المعهود ، فذكر أن حسنه يزداد على تكرار النظر ، والمعهود في كل شيء نقصانه على كثرة التأمل .

وقريب منه قول كشاجم : (٣)

بَيْضَاءُ يَحْضُرُ طِيبُ العَيْشِ مَا حَضَرَتْ ∴ وَإنْ نَأَتْ عَنْكَ غَابَ اللَّهْوُ وَالفَرَحُ

كُلُّ اللِّبَاسِ عَلَيْهَا مُعْرِضٌ حَسَنٌ ∴ وَكُلُّ مَا تَتَغَنَّى فَهُوَ مُقْتَرَحُ

---

(١) وهو عجز بيت صدره :

* فَهُوَ المُشَيَّعُ بِالمَسَامِعِ إنْ مَضَى *

انظر : التبيان : ٢ / ١٦٧ .

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٣) هو محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك الكاتب المعروف بكشاجم (... - ٣٦٠ هـ) وهو من أهل الرملة من نواحي فلسطين ، كان رئيساً في الكتابة ، ومقدماً في الفصاحة والخطابة ، لَقّب نفسه بكشاجم فسُئِل عن ذلك فقال : الكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من جواد ، والميم من منجم ، وكان طَبَّاخ سيف الدولة ، شعره أنيق ، له كتب عدة منها : " المصايد والمطارد " فيه كل لفظ ضائع ومعنى شارد ، ومنها : " أدب النديم " ، وذكر أنه انفرد بتصنيفه على التصانيف في المدام واحداً بعد واحد ./ انظر ترجمته :

الفهرست لابن النديم : ٢٠٠ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٧-٣٨ ، الأعلام : ٧ / ١٦٧ - ١٦٨ .

والمعارضة تتخير للجواري على حسب ألوانهن،فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر والأسود والأزرق ، والسوداء في الأصفر ،فذكر أن هذه تحسن في كل معرض فهو غاية .

وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضا :

مُنَعَّمَةٌ يُقَرِّبُهَا هَوَاهَا ∴ وَإِنْ نَزَحَتْ بِمَنْزِلِها البِلَادُ

يُعَادُ حَديثها فيزيدُ حُسناً ∴ وَقَدْ يُسْتَقْبَحُ الشيءُ المُعَادُ (١)

الشاهد الثامن والتسعون بعد المائة : (*) (الوافر)

قول حاجز بن عوف (٢) :

أبي عَبَرَ الفَوَارِسَ يومَ دَاجٍ (٣) ∴ وَعَمِّي مَالِكٌ (٤) وَضَعَ السِّهَامَا (٥)

---

(١) ديوانه : ٤٩ ، وانظر كذلك : ديوان المعاني : ٢٣١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٠-٢٣١ ، خفاجي : ٣٠١ ، شاكر : ٢٩٧ .

(٢) هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأخثم بن عبد الله بن ذهل بن مالك ابن سلامان . . . وهو حليف لبني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي ، وهو شاعر جاهلي مقل ، ليس من مشهوري الشعراء ، وهو أحد الصعاليك المغيرين على قبائل العرب ، وممن كان يعدو على رجليه عدواً يسبق به الخيل . / انظر ترجمته في :

الاشتقاق : ٥١٤ ، الأغاني : ١٣ / ٢٠٩-٢١٧ ، الأعلام : ٢ / ١٥٣ .

(٣) رواية الأغاني :

" أبي رَبَعَ الفوارس يوم داجٍ " أي أخذ رُبع الغنائم وأما رواية " عبر الفوارس " بمعنى استدل لهم وذلك لأن أباه قال لأصحابه حين أغار على بني هلال ، " انزلوا حتى أعتبر لكم " . / نقلاً عن الدلائل تحقيق شاكر : ٢٩٧ .

(٤) هو مالك بن ذهل بن مالك بن سلامان وهو عم أبي حاجز . انظر الأغاني : ١٣ / ٢١٠

(٥) وضع السهاما : يعني بقوله : وضع السهام ، أن الحارث بن عبد الله بن بكر =====

فَلَوْ صَاحَبْتِنَا لَرَضِيتِ عَنَّا (١) .·. إذا لم تَغْبُقِ (٢) المِائةُ الفُلَامَا (٣)

والشاهد من قصيدة قالها حاجز بن عوف حين أغار أبوه عوف بن الحارث على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داجٍ مظلم ، فقال لأصحابه : انزلوا حتى أعتبر لكم ، فانطلق حتى أتى جماعة من بني هلال ، وقد عصب على فرسه عصاباً ليظلع (٤) فيطمعوا فيه ، فلما أشرف عليهم استرابوا به ، فركبوا في طلبه ، وانهزم من بين أيديهم ، وطمعوا فيه ، فهجم عليهم هو وأصحابه من بني سلامان ، فأصيب بنو هلال وملأ القوم أيديهم من الغنائم فقال حاجز بن عوف قصيدته التي مطلعها :

=== ابن يشكر بن مبشر بن صقعب بن دُهمان بن نصر بن زهران ، كان يأخذ من جميع الأزد إذا غنموا الربع ؛ لأن الرياسة في الأزد كانت لقومه ، وكان يقال لهم : " الغطاريف " وهم أسكنوا الأسد بلد السراة ، وكانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين ويعطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم ، فغزتهم بنو فُقَيم بن عدي بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فظفرت بهم ، فاستغاثوا ببني سلامان فأغاثوهم ، حتى هزموا بني فُقَيم ، وأخذوا منهم الغنائم وسلبوهم فأراد الحارث أن يحصل على الرِّبع كما كان يفعل ، فمنعه مالك بن سلامان وهو عم أبي حاجز وقال : " هيهات ، ترك الرُّبع غدوة " فأرسلها مثلاً وهو في معنى المثل المشهور :

" الصيف ضيعت اللبن " ./ الأغاني : ١٣ / ٢١١ .

(١) رواية الأغاني :

" لرضيت منا " وكذلك في الدلائل تحقيق شاكر : ٢٩٧ .

(٢) تغبق : الغبوق الشرب بالعشي / اللسان " غبق " .

(٣) الأغانيَ : ١٣ / ٢١١ .

(٤) الظَّلع : الظلع كالغمز ، ظَلَعَ الرجلُ والدابة في مشيه يَظْلَعُ ظَلْعاً : عَرَجَ وَغَمَزَ في مشيه . / اللسان : " ظلع " : ٨ / ٢٤٣ .

صَبَاحكِ وَاسْلَمِي عَنَّا أُمَامَا .·. تَحِيَّةَ وَامِقٍ وَعِمِي ظَلَامَا

وقبل الشاهد :

سَلِي عَنِّي إذا اغبرّت جَمادي (١) .·. وَكَانَ طَعَامُ ضَيفِهِم الثَّمَامَا (٢)

أَلَسْنَا عِصمةَ الأَضْيَافِ حَتَّى .·. يُضَحِّي مَالُهم (٣) نَفَلاً تُوَامَا (٤)

والشاهد قوله :

* إِذَا لَمْ تَغْبُقِ المَائَةُ الغُلَامَا *

حيث أسند الغبوق إلى الإبل إسناداً مجازياً ، فالغابق في الحقيقة ليست الإبل إنّما هم القوم يغبقون من لبن الأبل .

فالشاعر هنا يفتخر بشجاعة قومه ، فأبوه هو الذي يقود الفوارس ويوجههـا ؛ لأنه خبير بالعدو ومكامنه .

وحدد وقت خبرته " باليوم الدّاج المظلم " وجاء به نكرة مضافة إلى نكرة للتخصيص ؛ لأن معرفة مواقع العدو في الوقت الشديد الظلمة لا يستطيع أن يَخْبُرها كل أحد ، ثم افتخر بشجاعة عمه الذي حدّ من ظلم الحارث بن يشكر الذي كان يأخذ اغتصاباً من جميع الأزد الرّبع إذا غنموا ، ثم ربط بين صورة شجاعة قومه ، وصورة كرمهم بالفاء ليدل على تلاصق هاتين الصفتين ولزومهما وثبوتهما لهم .

ووجه الحديث إلى صاحبته ليبعث في الكلام نوعاً من الحركة فيلفت الانتباه إلى صفات قومه فيشتد العجب بهم ، وقدّم جواب الشرط " لرضيت عنا " وأدخل عليه لام التوكيد وأوقع الشرط بإذا ليؤكد ، ويجزم سخاء قومه في أشد الأوقات وأصعبها ، وهو الوقت الذي يندر فيه وجود الكرماء ، ونبه بقوله " لرضيت عنا "

---

(١) اغبرت جمادي : قل الخير وذلك في الشتاء ، والقول كناية .

(٢) الثمام : نبت معروف في البادية وهو نبت ضعيف له خُوص أو شبيه بالخُوص ، وربما حشي به ، وسد به خصاص البيوت / اللسان " ثمم " : ١٢ / ٧٩-٨١ .

(٣) ضحى ماله : كناية عن رعاية الإبل في وقت الضحى ، ضحيت الإبل عن الورد وعشيتها / اللسان : ١٤ / ٤٧٥-٤٧٦ .

(٤) انظر القصة والأبيات في : ١٣ / ٢١٠-٢١١ .

إلى أنه لا يهمه غير رضا صاحبته ـ وهكذا هم الغزليون .

وأسند الغبوق إلى الإبل وهو لا يصدر منها إنما يصدر من الغابق ، وإنما هي سبب فيه ليبين قلة درها للبن ليدل بذلك على عظيم الجدب . قال الشيخ :ـ

" يريد إذا كان العام عام جدب ، وجَفّت ضروع الإبل وانقطع الدّر حتى إنْ حلب منها مائة لم يحصل من لبنها ما يكون غبُوق غلام واحد ، فالفعل الذي هو غبَق مستعمل في نفسه على حقيقته غير مخرج عن معناه وأصله إلى معنى شيء آخر ، فيكون قد دخله مجاز في نفسه ، وإنما المجاز في أن أسند إلى الإبل وجعل فعلاً لها ، وإسناد الفعل إلى الشيء حكم في الفعل وليس هو نفس معنى الفعل فاعرفه " (١)

والشاهد مع أنه مجاز عقلي ، فهو كناية عن صفة .

الشاهد التاسع والتسعون بعد المائة : (*) (الطويل)

تَنَاسَ طِلابَ العَامِرِيَّةِ إِذْ نَأَتْ .·. بِأَسْجَحَ (٢) مِرْقَالِ (٣) الضُّحَى قَلِقِ الضَّفْرِ (٤)

إِذَا مَا أَحَسَّتْهُ الأَفَاعِي تَحَيَّزَتْ .·. شَوَاةُ (٥) الأَفَاعِي مِنْ مُثَلَّمَةٍ (٦) سُمْرِ

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٣١ ، خفاجي : ٣٠١ ، شاكر : ٢٩٨ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣١ ، خفاجي : ٣٠٢ ، شاكر : ٢٩٨ .

(٢) الأسجح من الرجال الحسن المعتدل ، والسجحاء من الإبل : القامة طولاً وعظماً . / اللسان " سجح " : ٢ / ٤٧٥ .

(٣) مرقال الضحى : الإرقال سرعة سير الإبل ، وأرقلت الدابة والناقة إرقالاً : أسرعت / اللسان : ١١ / ٢٩٣ .

(٤) الضَّفْر : ماشُدّت به البعير من الشعر المضفور / اللسان " ضفر " : ٤ / ٤٩٠ .

(٥) شواة الأفاعي : الشواة جلدة الرأس / اللسان " شوا " : ١٤ / ٤٤٨ .

(٦) مثلمة سمر : ثلم الإناء والسيف ونحوه يثلمه ثلماً ، كسر حرفه / اللسان " ثلم " : ١٢ / ٧٨ .

تَجُوبُ لَهُ الظَّلْمَاءَ عَيْنٌ كَأَنَّهَا ∴ زُجَاجَةُ شَرْبٍ غَيْرُ مَلأَى وَلَا صِفْرِ (١)

الأبيات أوردها الشيخ من غير نسبة ، ونسبها صاحب شرح أبيات الإيضاح ، والأستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي (٢) لمجنون ليلى العامرية (٣)

الشاهد فيه قوله :

" تَجُوبُ لَهُ الظَّلْمَاءَ عَيْنٌ "

استشهد به الشيخ على أنه ليس كل شيء يصلح للمجاز الحكمي بسهولة بل لابد من تهيئة العبارة ، قال الشيخ :

" واعلم أن من سبب اللطف في ذلك أنه ليس كل شيء يصلح لأن يتعاطى فيه هذا المجاز الحكمي بسهولة بل تجدك في كثير من الأمر ، وأنت تحتاج إلى أن تهيىء الشيء وتصلحه لذلك بشيء تتوخاه في النظم " (٤)

وانظر إلى الشاعر كيف هيأ للمجاز هنا ، حيث أسند فعل الجوب إلى العين ، وهو من إسناد الشيء إلى آلته ، ولم يقل " تجوب عين الظلماء " إنما هيأ العبارة تهيئة لها وقعها في النفس والخيال ، فأوقع الاستعارة في لفظ " تجوب " لأن الجوب في الأصل القطع ، واستعير هنا لنفاذ البصر وحدته ، ثم نكّر لفظ " عين " ليبين أن هذه العين عين عجيبة من نوع خاص غير معهود ، وقطع لفظ عين عن الإضافة إلى الجملة فلم يقل

---

(١) لم أجده في ديوانه : انظر :
الإيضاح : ١ / ١٠٦ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٨ أ .

(٢) الدلائل ، تحقيق خفاجي : ٣٠١ .

(٣) استبعد أن يكون هذا البيت للمجنون ، فما أظن أنه خطر بباله يوماً أن يتناسى صاحبته ، ثم أن هذا الشعر لا يشبه شعر المجنون ، فشعره سهل عذب واضح ، وهذا شعر فيه جزالة ، وبعض الغريب .

(٤) الدلائل ، رضا : ٢٣١ ، خفاجي : ٣٠١ ، شاكر : ٢٩٨ .

(عينه) ؛ لأنه أراد أن يصل البيت كله بالجار والمجرور (له) وأيضاً أراد توكيد أن هذه العين العجيبة إنما هي خاصة بجمله هذا ، وزاد حسن جمال الوصف أن أوقع في البيت تشبيهاً تمثيلياً حيث شبه صورة عين جمله في شدة صفائها ولمعانها الدال على حدة نظره ، وسرعته ودورانه في كل اتجاه لشدة الحذر ، بصورة الزجاجة الشديدة الصفاء وهي غير ممتلئة بالخمر ، فيهتز فيها ويدور بسرعة كلما تحركت. قال الشيخ :

" فانظر إلى قوله . . . يصف جملاً ويريد أن يهتدي بنور عينه في الظلماء ، ويمكنه بها أن يخرقها ، ويمضي فيها ، ولولاها لكانت الظلماء كالسد والحاجز الذي لا يجد شيئاً يفرجه به ويجعل لنفسه فيه سبيلاً . فأنت الآن تعلم أنه لولا أنه قال : تجوب له ، فعلق " له " بتجوب لما صلحت العين لأن يُسْنَد " تجوب " إليها ولكان لا تتبيَّن جهة التجوز في جعل " تجوب " فعلاً للعين كما ينبغي ، وكذلك تعلم أنه لو قال مثلاً : تجوب له الظلماء عينه لم يكن له هذا الموقع ولاضطرب عليه معناه وانقطع السلك من حيث كان يُعييه حينئذ أن يصف العين بما وصفها به الآن ، فتأمل هذا واعتبره "(١).

وشَرْحُ الأبيات كما جاء في شرح أبيات الإيضاح :

" يخاطب نفسه فيقول : تكلف في نسيان طلب هذه الحبيبة العامرية إذا بعدت عنك بالبعد عنها والمفارقة لها بركوب جمل أسجح مستقيم السير سهله ، مرقال مسرع في الضحى ، قلق الضفر تَقَلُّق ضُفره ، وهو حزامه لضمره وهزاله من كثرة السفر ، تجوب لهذا الجمل الظلماء ، ويقطعها ليهتدي فيها عينه التي هي من كثرة الأسفار غائرة كأنها في غورها زجاجة لشاربي الخمر غير ممتلئة ، وغير صفر أي خالية بل ذهب بعضها وبقي البعض أن هذا الجمل تجوب لنفسه الظلماء بنور عينيه لكنه أسند الفعل وهو الجوب إلى العين لكونها سبباً له " (٢)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٣٢ ، خفاجي : ٣٠٢ ، شاكر : ٢٩٨-٢٩٩ .
(٢) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٨أ .

الشاهد المائتين : (*) (الطويل :)

وَصَاعِقَةٍ(١) مِنْ نَصْلِهِ(٢) تَنْكَفِي(٣) بِهَا(٤) ∴ عَلَى أَرْؤُسِ الأَقْرَانِ(٥) خَمْسُ سَحَائِبِ (٦)

ذكر الشيخ البيت من غير عزو، وهو للبحتري من قصيدة قالها في أبي سعيد(٧)، في رفع أهل الجزيرة له ، ومطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٢ ، خفاجي : ٣٠٢ ، شاكر : ٢٩٩ .

(١) يُروى بالرفع والجر ، والرفع على الابتداء ، وقوله " من نصله " صفتها والخبر " تنكفي بها " وارتفع " خمس سحائب " بتنكفي ، والجر على إضمار رُبّ " . / شروح التلخيص - حاشية الدسوقي - : ٤ / ٧٤ .

(٢) رواية الأشباه والنظائر وديوان المعاني : " وصاعقة في كفه " .

(٣) رواية الديوان والمفتاح والمثل السائر والإيضاح ، وشرح أبيات الإيضاح ، والمطول ومعاهد التنصيص : " تنكفي " بالتاء .

(٤) رواية المفتاح : " تنكفي بعدها " .

(٥) رواية الأشباه والنظائر : " على أرؤس الأبطال " ، ورواية المثل السائر : " على أرؤس الأعداء " .

(٦) انظر البيت في :

ديوانه : ٢ / ٣٥٦ ، الأشباه والنظائر : ١ / ٣١ ، ديوان المعاني : ١١٧ ، المفتاح : ١٥٩ ، من غير نسبه ، المثل السائر : ٢ / ١٠٥ — من غير نسبة - ، الإيضاح : ٢ / ٤١٨ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد (٣٥٧) - الحقيقة والمجاز - ، المطول : ٣٦٤ ، شروح التلخيص : ٤ / ٧٤ ، معاهد التنصيص : ٢ / ١٣١ ، رقم الشاهد : ١٠١ ، عقود الدرر : ٤٩ ب .

(٧) هو محمد بن يوسف الثغري ، أبو سعيد ، طائي من أهل مرو ، وكان من قواد حميد الطوسي ، وقد كان الثغري حامياً للثغور ، ثم ولّاه العباسيون الجزيرة والشام ، وعزله المتوكل ثم أعاده إلى ولاية أرمينيا ، توفي سنة (٢٣٦هـ) ، وأخبار الثغري منثورة في كتب التاريخ ، والأغاني . / انظر ترجمته في :- تاريخ الطبري : ٧ / ٣٦٦ ، حوادث سنة ٢٣٦ ، أخبار البحتري للصولي : ٢٩-٦٣-٦٤-٩٧-٩٨-١٢٣-١٤٦-١٥١-١٥٣-١٥٤-١٥٦-١٥٧-١٨٧ ، أخبار أبي تمام للصولي : ٢٢٧ ، الأغاني : ٨ / ٢٣ ، ١٠٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ .

هَبيـهِ لِمُنْهَلِّ الدُّمُوعِ السَّـوَاكِبِ ∴ وَهَبَّاتِ شَوْقٍ فِي حَشَـاهُ لَوَاعِـبِ

وقبل بيت الشاهد :

ظَلِلْنَا نُهَدِّيهِ ، وَقَدْ لَفَّ عَزْمَـهُ ∴ مَدِينَةَ قِسْطَنْطِينَ مِنْ كُلِّ جَانِـبِ

تَثَبَّتْ فَمَا الدَّرْبُ الأَصَمُّ بِمُسْتَهِلٍ ∴ إِلَيْهَا وَلَا مَاءُ الخَلِيجِ بِنَاضِـبِ

وبعده الشاهد وبعده :

يَكَادُ النَّدَى مِنْهَا يَفِيضُ عَلَى العِدَى ∴ لَدَى الحَرْبِ فِي ثِنْيَيْ قَنًا وَقَوَاضِبِ (١)

استشهد به الشيخ للتنظير على أن التهيئة والاستعداد في المجاز الحكمي نظير التمهيد والاستعداد في الاستعارة، فالاستعداد في البيت جاء عن طريق معاني مربوط بعضها ببعض فهو حين استعار السحائب لأنامل الممدوح لم يأت بهذه الاستعارة دفعة واحدة ، وإنما هيأ للخيال طريق التعرف عليها بأن ذكر مايدل عليها ، فذكر أن هناك صاعقة ، وأنها من نصل سيف الممدوح ثم قال على أرؤوس الأقران ، وذكر أنها (خمس) فذكر العدد الذي دل على عدد الأنامل فربط المعاني بعضها ببعض هيأ النفس للتعرف على الاستعارة .

قال الشيخ :-

" فهذه التهيئة وهذا الاستعداد في هذا المجاز الحكمي نظير أنك تراك في الاستعارة التي هي مجاز في نفس الكلمة وأنت تحتاج في الأمر الأكثر إلى أن تمهد لها وتقدم أو تؤخر مايعلم بهأنك مستعير ومشبه ويفتح طريق المجاز إلى الكلمة ألا ترى إلى قوله :

وَصَاعِقَـةٍ مِنْ نَصْـلِهِ . . .

عنى بخمس السحائب أنامله، ولكنه لم يأت بهذه الاستعارة دفعةً، ولم يَرْمِهِا إليك بغتة ، بل ذكر مايُنبيء عنها ، ويستدل به عليها ، فذكر أن هناك صاعقة وقال : «من نصله» فبين أن تلك الصاعقة من نصل سيفه ثم قال :

---

(١) الديوان : ٢ / ٣٥٦ .

أرؤس الأقران : ثم قال : «خمس» فذكر «الخمس» التي هي عدد أنامل اليد ، فبان من مجموع هذه الأمور غرضه " (١)

وهذه التهيئة وهذا الاستعداد الذي يقصده الشيخ هو ماسماه المتأخرون " قرينة " والقرينة عندهم إما أن تكون معنى واحداً ، أو أكثر يكون كل واحد منها قرينة ، أو تكون معانيَ مربوطاً بعضها ببعض يكون الجميع قرينة .

وذهب بعضهم إلى جواز تعدد القرينة ورأى الدسوقي أنه الصواب، وذهب بعضهم إلى عدم الجواز .

واعترض ابن السبكي على قول الشيخ : " عنى بخمس السحائب أنامله " ورأى أن الاستعارة هنا للأصابع، وليس للأنامل؛ لأن الأنامل على الإطلاق أكثر من خمس ، وإرادة الأنملة العليا من كل إصبع تكلف قال :

" أما قوله (٢) أراد أنامل الممدوح فالأحسن أن يقال الأصابع كما ذكره هو آخرا ، والسكاكي ذكر الأنامل أولاً وآخراً ، وكان مقصودهما أنّ تشبيه الأنامل بالسحائب أبلغ من تشبيه الأصابع لكن قد يعكس لأن الأنامل على الإطلاق أكثر من خمس وإرادة الأنملة العليا من كل إصبع تكلف لا حاجة له " (٣)

واعترض كذلك على أن القرينة في البيت معانٍ مرتبط بعضها ببعض، وإنما هي قرائن منفصلة " فإن كان المراد استعارة الصاعقة للسيف فالقرينة لذلك هي قوله : «من نصله»، وذكر السحائب فإن السحائب ليس من شأنها أن تأتي بالصاعقة ، ويكونان قرينتين متفاصلتين لا حقيقة ملتئمة منهما ، وأمّا على أرؤس الأقران، فليس قرينة لأن الصاعقة الحقيقية تكفي على الرؤوس إلاّ أن يقال: معناه على رؤوسهم دون غيرهم ، والصّاعقة من شأنها أنها تقصم من واجهته فإن سلّمنا هذا فهي

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٣٢ ، خفاجي : ٣٠٢ ، شاكر : ٢٩٩ .

(٢) الضمير يعود للخطيب القزويني .

(٣) شروح التلخيص ، عروس الأفراح : ٤ / ٧٥ .

قرينة ثالثة منفصلة ، وأما قوله ثم قال:"خمس" فظاهره أن ذكر هذا العدد قرينة ، وليس كذلك ، لأن هذا العدد ليس مصروفًا أن ينسب إلى السحائب ، والخمس، وإن لم يكن لها خصوصية بالسحائب وليس لها خصوصية فالمصروف معناها ، بل القرينة ذكر السحائب فينبغي أن يقال: ثم قال "خمس سحائب" وحاصله أن القرينة هنا ليست حقيقة ملتئمة ، وإن كان المراد استعارة السحائب للأصابع . فالقرينة له ذكر الصاعقة، لأن السحائب الحقيقية لا تنكفي بها الصاعقة وكذلك قوله: "من سيفه" فإن السحائب لا تنكفي بها السيوف فهما قرينتان منفصلتان " (١)

وفي البيت مسألة وهي قوله : " وصاعقه من نصله "

هل هي تشبيه على اعتبار وجود الطرفين " الصاعقة والنصل " إى صاعقة هي نصله ، أو هل هي استعارة على اعتبار أن المراد صاعقة ناشئة من نصله ، فكأن لنصله صاعقة تحرق الأعداء فاستعيرت الصاعقة لضرب السيف .

قال الدسوقي :

" " قوله من نصله " بيان لصاعقة أي صاعقة هي نصله فجعله صاعقة ، أو المراد صاعقة ناشئة من نصله فكأن لنصله صاعقة تحرق الأعداء ، والأول أظهر وإلى الثاني ذهب الشارح " (٢)

وذكر ابن يعقوب أنه قد يُحمل قوله : " وصاعقة من نصله " على التجريد بأن يجعل نصل السيف أصلاً تحدث منه صواعق أو هي استعاره ، وهي على كل حال تفيد الترشيح قال :

" " من نصله " أي تكون تلك الصاعقه من نصل سيف الممدوح ، والنصل حديدة السيف ، وحدوث الصاعقة منه إما على طريق التجريد كما يأتي في

---

(١) شروح التلخيص ، عروس الأفراح : ٤ / ٧٥ .

البديع بأن يجعل نصل السيف أصلاً تحدث منه صواعق على حد قولك لقيني منه أسد ، أو على طريق الاستعارة بأن تستعير الصاعقة إلى ضرب السيف الذي يقع به الإهلاك ، وعلى كل حال فهو يفيد الترشيح باعتبار أصله لأنه يلائم السحائب المستعارة لأنامل الممدوح في قوله " تنكفي " (١)

وفي البيت لفتة بلاغيه جميلة ، وهي قوله : " أرؤس الأقران " فكلاهما جمع قلة وآثره هاهنا على جمع الكثرة لما فيه من الإشارة إلى قلة اكفائه في الحرب وقلة أمثاله فيها أو إلى الاستخفاف بأمرهم وتقليلهم في مقابلته ، وأمّا أن يكون على استعارة صيغة القله للكثرة (٢)

ذكر الخالديان أنّ البحتري أخذ قوله :

وَصَاعِقَةٍ فِي كَفِّهِ يَنْكَفِي بِهَا . . .

يَكَادُ النَّدَىٰ مِنْهَا يَفِيضُ عَلَى العِدَا . . .

من قول القتال الكلابي :

لَقَدْ وَلدتْ عوفَ الطِّعَانِ وَمَالِكَا ∴ وَعَمرو العُلَى وَالحَارِث المُتَنَجِّبَا

رِجَالٌ بِأَيْدِيهَا دِمَاءٌ وَنَائِلٌ ∴ يَكَادُ عَلَى الأَعْدَاءِ أَنْ يَتَحَلَّبَا

إلّا أنّه أجود وأحسن ، وفاق على وِفاق الأول ، فهو أحق بمِمَّن ابتدعه ، جاء في الأشباه والنظائر للخالديين :

" والبحتري وإن كان أخذ المعنى ، وأتى به في بيتين فقد جوّد ، وَفَاقَ الأول بما أبدع في المعنى الأول وزاد ؛ لأنه صير السيف صاعقةً ، فيجوز أن يكون أراد حديدة من صاعقة ، على ما يحكي بعض الناس في الصواعق ، ويجوز أن يكون شبّه السيف بالصاعقة لحدّته ، وأنّه يتلف مامرّ به ، ثم ذكر أنه ينكفي به على أرؤس الأبطال خمس

---

(١) شروح التلخيص ، مواهب الفتاح : ٤ / ٧٤.

(٢) انظر: شروح التلخيص ، مواهب الفتاح : ٤ / ٧٥ ، حاشية الدسوقي : ٤ / ٧٤.

سحائب ، يعني أصابع الممدوح ، ومن النادر في هذا البيت أنه صيّر السحائب مع الصاعقة ، إذ كانا من جنس واحد ، وتقول الفلاسفة : إنّ الصواعق تكون مع السحائب الصيفية دون الأمطار المطبقة في الشتاء ، ومما يقوي هذا القول قول لبيد يرثي أخاه أربد ، وقد أحرقته الصاعقة :

أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الحُتُوفَ وَلَا ∴ أَرْهَبُ نَوْءَ السِّمَاكِ وَالأَسَدِ

وهذان الكوكبان من منازل القمر مطلعهما في آخر الربيع وأول الصيف وهذا هو الحذق في الشعر ، وأخذ معانيه ، ومن أخذ المعنى هذا الأخذ فهو أحق به ممن ابتدعه . . . وبعدُ وقبلُ فقد سبق البحتري جميع الشعراء في هذا المعنى حسناً وملاحةً ، وصحةً وفصاحةً " (١)

وكذلك ذكر أبو هلال العسكري في ديوان المعاني أن بيت البحتري من أجود ما قيل في سكون الجأش وأنّ أجود ما قيل في معناه : " جعل السّيف صاعقة ، وأصابع الضارب سحائب تجود على مؤملين بغيتها وتقتل معاديه بصاعقتها " (٢)

ورأى ابن الأثير أن هذا البيت من النمط العالي حسن السبك بارع المعنى ، قال بعد أن ذكر البيت :

" وهذا من النمط العالي الذي شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر إلى استعارته " (٣)

وقد أخذ الدكتور أحمد بدوي على الشيخ استحسانه لهذا البيت ، ورأى أن ذوقه غير موفق في اختيار هذا الشاهد ، لما فيه من تضارب النفس ، واضطراب الإحساس ، وهذا أمر لم يتنبه له الشيخ ، قال :

---

(١) ١ / ٣١ - ٣٢ .

(٢) ١١٧ .

(٣) المثل السائر : ٢ / ١٠٥ .

" ومن ذلك أنه عندما عرض لقول الشاعر (١) :

وَصَاعِقَةٍ مِنْ نَصْلِهِ يَنْكَفِي بِهَا . . .

لم ينبه إلى ما في هذه الصورة من تضارب نفسي ، وقع فيه الشاعر، عندما أراد أن يصور ممدوحه شجاعاً كريماً ، ولكن فاته أنه عندما يصوره شجاعاً يمسك بيده سيفاً ينقض كالصاعقة على رؤوس أعدائه ، لا توصف اليد الممسكة بالسيف حينئذ بالكرم المفرط، وإنما توصف بالحزم والقوة والمقدرة على إصابة المقاتل ، فتكون الصورة بذلك متجانسة في الإحساس . أما اليد ذات الأصابع الخمس ، تهمي بالكرم كأنها السحائب ، فأخلق بها أن تكون رحيمة مشفقة ، لا عاصفة مدمرة ، ومن هنا جاء اضطراب الإحساس، وهو الذي نعيبه على الشاعر، ونأخذ على عبد القاهر أنه لم يتنبه له ، ولم ينبه إليه ، مكتفياً بما في البيت من استعارة دل الكلام عليها ، فكانت مستجادة عنده " (٢)

الشاهد الواحد بعد المائتين : (*) (الرجز)

فَإِنْ تَعَافُوا العَدْلَ وَالإِيمَانَا .:.

فَإِنَّ فِي أَيْمَانِنَا نِيرَانَا (٣)

(١) أي من الأمثلة التي لم يوفق فيها ذوق الشيخ .

(٢) عبد القاهر الجرجاني - أحمد بدوي - : ٢٨٨ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٢ ، خفاجي : ٣٠٣ ، شاكر: ٢٩٩ .

(٣) لم أجد البيت فيما رجعت إليه من مصادر إلا في :

الخصائص : ٣ / ١٧٦ ، من غير نسبة ، الإيضاح : ٢ / ٤١٧ ، شرح أبيات الإيضاح : ٢ / ٢٩٨ شاهد رقم (٣٥٥) - من غير نسبة ، شروح التلخيص: ٤ / ٧٢ ، معاهد التنصيص : ٢ / ١٣١ رقم الشاهد (١٠٠) .

البيت في الدلائل منسوب لبعض العرب (١)

الشاهد فيه كسابقه ، وهو ذكر ما يهيىء للاستعارة ويصحح مجيئها ، فقوله تعافوا وتعلقه بالعدل والإيمان صحح وهيأ استعارة النيران للسيوف ، قال الشيخ عبد القاهر :

" يريد أنَّ في أيماننا سيوفاً نضربكم بها ، ولولا قوله أولا : " فإن تعافوا العدلَ والإيمان " وأن في ذلك دلالة على أنَّ جوابه أنهم يُحارَبُونَ ويُقْسَرُون على الطاعة بالسيف ، ثم قولُه : " فإن في أيماننا " لَمَا عُقِل مراده ، ولما جاز له أن يستعير النيران للسيوف ؛ لأنه كان لا يعقل الذي يريد " (٢)

والمتأخرون يرون أن القرينة هنا ليست مجموعة معان مرتبطة ، وإنما هي عدة قرائن كل واحدة منفصلة عن الأخرى .

ومن أسرار التعبير في الشاهد أنه جاء بإن الشرطية ؛ ليؤكد أن كرههم للحق أمر لن يستمر وقوعه منهم ، وجعل جوابها جملة اسمية مؤكدة بإن ، وقدَّم المسند على المسند إليه " في أيماننا نيرانا " ؛ ليؤكد انتصار الإيمان والحق على كرههم ، وعيفهم العدل .

ذكر ابن جني البيت في باب " الاكتفاء بالسبب من المسبب وبالمسبب من السبب قال :

" هذا موضع من العربية شريف لطيف وواسع لمتأمله كثير ، وكان أبو علي - رحمه الله - يستحسنه ويعني به ، وذكر منه مواضع قليلة . .

ومنه قول الآخر :

---

(١) كذا في الإيضاح ، ومعاهد التنصيص نقلاً عن الشيخ عبد القاهر فيما يبدو ، وقد بحثت عن قائله فلم أعثر عليه - فيما لدي من مصادر - .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٣٢ ، خفاجي : ٣٠٣ ، شاكر : ٣٠٠ .

فَإِنْ تعافُوا العَدْلَ والإِيمَانَا

فَإِنَّ في أَيْمَانِنَــــا نِيرَانَــا

يعني سيوفاً أي فإنّا نضربكم بسيوفنا فاكتفى بذكر السيوف من ذكر الضرب بها " (١)

الشاهد الثاني بعد المائتين : (*) (الكامل)

نَاهَضْتَهُمْ وَالبَارِقَاتُ كَأَنَّهَا .·. شُعَلٌ عَلَى أَيْدِيهِمْ تَتَلَهَّــبُ (٢)

والشاهد مذكور في الدلائل من غير عزو .

وهو للبحتري من قصيدة يمدح بها إسحاق بن إبراهيم (٣) ومطلعها :

عَارَضْنَنَا أُصُلاً فَقُلْنَا الرَّبْرَبُ .·. حَتَّى أَضَاءَ الأُقْحُوَانُ الأَشْنَبُ (٤)

وقبل الشاهد :

ضَرَبَ الجِبَالَ بِمِثْلِهَا مِنْ عَزْمِهِ .·. غَضْبَانَ يَطْعَنُ فِي الحِمَامِ وَيَضْـــرِبُ

أَوْفَى ، فَظَنُّوا أَنَّهُ القَدَرُ الذِي .·. سَمِعُوا بِهِ فَمُصَدِّقٌ وَمُكَـــذِّبُ

---

(١) الخصائص : ٣ / ١٧٦ .
(*) الدلائل ، رضا : ٢٢٣ ، خفاجي : ٣٠٣ ، شاكر : ٣٠٣ .
(٢) ديوانه : ٢ / ٣١٩ ، الإيضاح : ٢ / ٤١٨ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد (٣٥٦) .
(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب ، المصعبي الخزاعي ، أبو الحسن : (.. - ٢٣٥هـ) صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، وكان وجيهاً مقرباً من الخلفاء ، ذا رأي وشجاعة ، سيره المعتصم في جيش كبير لقتال أصحاب بابك الخرمي ، فأوقع بهم في أطراف همذان وعاد ظافراً ، مات في بغداد وقد جزع المتوكل لموته / انظر:
أخبار البحتري للصولي : ١٥١ - ١٧٨ ، الكامل في التاريخ : ٥ / ٢٢٢ - ٢٧٣ - ٢٨٣ - ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٢٥ ، ٦ / ٨٥ ، الأعلام : ١ / ٢٩٢ .
(٤) ديوانه : ٣١٧ .

وبعد هما الشاهد وبعده :

وَوَقَفْتَ مَشْهُورَ المَقَامِ كَرِيمَةً ∴ والبِيضُ تَطْفُو فِي الغُبَارِ وَتَرْسُبُ

استشهد به الشيخ على أن الاستعارة في قول الشاعر في الشاهد السابق " فَإِنَّ في أَيْمَانِنَا نِيرَانا " أقوى في الدلالة على القوة من التشبيه في هذا الشاهد . قال :

" . . . لأَنَّا وإن كُنَّا نقول : في أيديهم سيوف تلمع كأَنَّها شُعل النيران كما قال :

نَاهَضْتَهُمْ وَالبَارِقَاتُ كَأَنَّهَا ∴ شُعَلٌ عَلَى أَيْدِيهِمُ تَتَلَهَّبُ

فإِنَّ هذا التشبيه لا يبلغ مبلغ ما يعرف مع الإطلاق كمعرفتنا إذا قال : رأيت أسداً : إنه يريد الشجاعة ، وإذا قال : لقيت شمساً وبدراً أنه يريد الحسن ، ولا يقوى تلك القوة فاعرفه " (١)

الشاهد الثالث بعد المائتين : (*) (البسيط)

قول الخنساء :

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ (٢) حَتَّى إِذَا (٣) ادَّكَرَتْ (٤) ∴ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ (٥)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٣٣ ، خفاجي : ٣٠٣ ، شاكر : ٣٠٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٣ ، خفاجي : ٣٠٣ ، شاكر : ٣٠٠ .

(٢) رواية البيان والتبيين والحيوان ومجالس العلماء والتاج واللسان " ماغفلت " ورواية المقتضب : " ماعقلت " ، ورواية زهر الآداب : " ترتع في غفلة " .

(٣) رواية معاني القرآن وعبث الوليد " حتى إذا ذَكَرَتْ " ورواية ابن يعيش " حتى إذا اذَّكَرَتْ " .

(٤) رواية شرح شواهد الكشاف لصدر البيت :
" لَا تَسْأَمُ الدَّهْرَ مِنْهُ كُلَّمَا ذَكَرَتْ " .

(٥) انظر البيت في :-
ديوانها : ٤٨ ، الكتاب : ١/ ٣٣٧ ، معاني القرآن : ١/ ٩٧ ، شرح أبيات ======

والبيت من قصيدة قالها في رثاء أخيها صخر، ومطلعها :

قَذًى بِعَينِكِ أَمْ بِالْعَينِ عَوَّارُ ∴ أَمْ ذَرَّفَتْ إِذْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ

وقبل الشاهد :

وَمَا عَجُولٌ (١) عَلَى بَوٍّ (٢) تُطِيفُ بِهِ (٣) ∴ لَهَا حَنِينَانِ إِعْلَانٌ وَإِسْرَارُ (٤)

=== سيبويه للنحاس : ٦٦ " العجز فقط " البيان والتبيين : ٣ / ٢٠١ ، الحيوان : ٦ / ٥٠٧ ، عبث الوليد : ٢٠٥ ، الكامل - دار الفكر - : ١ / ١٩٥ ، " العجز فقط " ، المحتسب : ٢ / ٤٣ ، " العجز " ، المقتضب : ٤ / ٣٠٥ ، غير منسوب " الخصائص : ٢ / ٢٠٣ " العجز فقط ومن غير نسبه " ، الموازنة : - تحقيق محمد محيي الدين - : ١٥٣ ، الأشباه والنظائر في النحو : ٤ / ٣١٧ ، مجالس العلماء : ٢٦٠ ، أمالي المرتضى : ١ / ٢٠١ ، زهر الآداب : ٤ / ٩٩٩ ، الأزمنة والأمكنة : ١ / ٣١ ومن غير نسبة ، بديع القرآن : ٦٠ " غير منسوب " ، خزانة البغدادي : - مكتبة الخانجي - : ١ / ٤٣١ ، المقتصد في شرح الإيضاح : ١ / ٢٤٥ " العجز فقط " ، الكشاف : ٢ / ٢٧٣ ، عند قوله تعالى في سورة هود " إنه عمل غير صالح " (العجز فقط) ، شرح الأشموني : ٢ / ٢٦٤ " العجز فقط " ، اللسان : " قبل " : ١١ / ٥٣٨ ، التاج " قبل " : ٨ / ٧٢ ، شرح شواهد الكشاف : ٤ / ٤٠٦ .

(١) العَجُول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها ، الثكلى لعَجَلتها في جَيئتِها وذهابها جزعاً / اللسان " عجل " : ١١ / ٤٢٧ .

(٢) البو : هو جلد يحشى تبناً أو حشيشا لتعطف عليه الناقة إذا مات ولدها ، ثم يُقرَّب إلى أم الفصيل لتعطف عليه وتلزمه فتَدِر عليه ، والبو أيضا ولد الناقة اللسان (بوا) : ١٤ / ١٠٠ .

(٣) رواية أمالي المرتضى : " ما أمُّ سَقْبٍ عَلَى بَوٍ تُطِيفُ بِهِ " والسقب : ولد الناقة ، وقيل الذكر من ولد الناقة بالسين لا غيرُ ، وقيل هو سَقْبٌ ساعة تضعه أمه . / اللسان " سقب " : ١ / ٤٦٨ .

(٤) رواية أمالي المرتضى وخزانة البغدادي :

" قَدْ سَاعَدَتْهَا عَلَى التَّحْنَانِ أَظْآرُ "

والأظئار : جمع ظِئر ، والظئر " مهموز " : العاطفة على غير ولدها المرضعة ====

وبعده الشاهد وبعده :

لَا تَسمنُ الدَّهْرَ في أَرْضٍ وإنْ رَتَعَتْ ∴ فإنَّمَا هِيَ تَحْنَانٌ وتَسْجَارُ

يَوماً بأَوجَدَ مِنّي يَوْمَ فَارَقَني ∴ صَخْرٌ ولِلدَّهْرِ إِحْلاءٌ وإِمْرَارُ

استشهد به الشيخ على أن قول الشاعرة (فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَار) مجاز حكمي حيث أسندت الإقبال والإدبار إلى الناقة والإقبال والإدبار أريد بهما معناهما الحقيقي .

وسر جمال هذا المجاز أنه صور الناقة حين تذكر ولدها فتصيبها انتفاضة من الحزن، ولفرط وجدها أخذت تقبل وتدبر حتى كأنها من كثرة الإقبال والإدبار صارت الإقبال والإدبار نفسه . قال الشيخ :

" وذاك أنها لم ترد بالإقبال والإدبار غير معنييهما فتكون قد تجوّزت في نفس الكلمة ، وإنّما تَجَوَّزت في أن جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر، ولغلبة ذاك عليها واتصاله بها، وأنه لم يكن لها حال غيرهما كأنها قد تجسّمت من الإقبال والإدبار ، وإنّما كان يكون المجاز في نفس الكلمة لو أنها كانت قد استعارت الإقبال والإدبار لمعنى غير معنييهما الذين وضعا له في اللغة ومعلوم أن ليس الاستعارة مما أرادته في شيء " (١)

جاء في " المقتضب " ، و " عبث الوليد " و " مجالس العلماء " ، و " أمالي المرتضى " أن قولها " فَإنّما هي إقبال وإدبار " من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي " فَإنّما هي ذات إقبال وإدبار " .

وذكر البغدادي أن في البيت ثلاثة توجيهات ـ ذكرنا منها اثنين ـ والثالث أن المصدر في تأويل اسم الفاعل وتأويل اسم المفعول في نحو زيد خَلْق أي مخلوق ـ وسبق أن ذكر سيبويه هذا الوجه .

=== له، من الناس والإبل، الذكر والأنثى في ذلك سواء والجمع أَظْؤُر، وآظَارٌ وظُؤورٌ، وظُؤَار. / اللسان " ظأر " : ٤ / ٥١٤ .

(١) الدلائل، رضا : ٢٢٣، خفاجي : ٣٠٣، شاكر : ٣٠٠-٣٠١ .

ورفض الشيخ عبد القاهر كون الشاهد على هذين الوجهين أي كونه من باب حذف المضاف - أو على تأويل المصدر باسم الفاعل، أو المفعول ؛ لأن هذا التقدير يفسد الشعر، فهو لا يصف ، ولا يجسم إحساس الرعب والذعر والحزن الذي أصيبت به الناقة حال ادكارها .

قال الشيخ عبد القاهر :

" واعلم أن ليس بالوجه أن يعد هذا على الإطلاق معدّ ما حُذِف منه المضاف، وأقيم المضاف إليه مَقامه مثل قوله عزّ وجل " واسأل القرية " (١) (٢)

ورد الشيخ على القول بجواز الحذف ، بأن صنيعهم في تقدير المضاف كان له وجه لو أنها لم ترد المبالغة، وهي أرادت المبالغة ، فلا مساغ لهذا التقدير ، على أنه كان يجب على زعمهم أن تأتي كلمة " ذات " .

" فالوجه أن يكون تقدير المضاف في هذا على معنى أنه لو كان الكلام قد جيء به على ظاهره، ولم يقصد إلى الذي ذكرنا من المبالغة والاتساع ، وأن تجعل الناقة كأنها قد صارت بجملتها إقبالاً ، وإدباراً حتى كأنها قد تجسمت منها لكان حقه حينئذ أن يجاء فيه بلفظ الذات فيقال : إنما هي ذات إقبال وإدبار " (٤)

وقد سبقه ابن جني في هذا الرفض فقال في :

" باب في الشيء يرد مع نظيره مورده مع نقيضه " :

" وأقوى التأويلين في قولها :

" فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وإِدْبَارُ "

أن يكون من هذا ، أي كأنها مخلوقه من الإقبال والإدبار لا على أن يكون من باب حذف المضاف أي ذات إقبال وذات إدبار " (٥)

---

(١) يوسف : ٨٢ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٣٣ ، خفاجي : ٣٠٣ ، شاكر : ٣٠١ .

(٣) الخصائص : ٢ / ٢٠٣ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٢٣٤ ، ٢٣٥ خفاجي : ٣٠٥ ، شاكر : ٣٠٢ .

(٥) الخصائص : ٢ / ٢٠٣ .

ويُفهم من كلام ابن أبي الإصبع أنه جعله من التشبيه الذي لا يمكن تقدير الأداة معه . قال :

" وفائدة حذف الأداة قرب المشبه من المشبه به ، ومن علماء البيان من جعل المحذوف الأداة استعارة ، ولم يجعله تشبيهاً وأكثرهم على خلافه ، وفي المصادر مالا يمكن تقدير الأداة معه كقول الشاعر " (البسيط) :

" فَإنّمَا هِيَ إقْبَالٌ وإِدْبَارُ "

أي ذات إقبال وذات إدبار " (١)

الشاهد الرابع بعد المائتين : (*) (المتقارب)

قول النابغة الجعدي :

وَكَيْفَ (٢) تُوَاصِلُ (٣) مَنْ أَصْبَحَتْ ∴ خِلَالَتُهُ (٤) كَأَبِي مَرْحَبِ (٥) (٦)

---

(١) بديع القرآن : ٦٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٤ ، خفاجي : ٣٠٤ ، شاكر : ٣٠١ .

(٢) رواية الاختيارين : " فكيف " .

(٣) خلالته : الخُلَّة الصداقة المختصة التي ليس فيها خَلَل ، وجمعها خِلال ، وهي الخَلالة والخِلالة ، والخُلولة ، والخُلالة / اللسان " خلل " : ١١ / ٢١٦ .

(٤) رواية إصلاح المنطق : " وكيف وصالُكَ " .

ورواية أمالي القالي وسمط اللآلي : " وكيف تُصَادِق " .

ورواية مجالس ثعلب : " وكيف يُصَاحِب " .

ورواية الأشباه والنظائر في النحو : " وَكَيفَ أُوَاصِل " .

(٥) أبو مرحب : كنية الظِّل ، ويقال هو كنية عُرقُوب الذي قيل عنه : " مواعيد عُرقُوب " ، وفي اللسان " رحب " ذكر أنه يعني به الظل ، وذكر السيرافي أن أبا مرحب من بني عم الشاعر ، وقال أيضاً أنه من بني قشير ، وقال الغندجاني : أن أبا مرحب هنا هو الذي يقول لك إذا لقيك أهلاً ومرحباً / =====

وهو من قصيدة له مطلعها :

تَمَالكَ هَمٌّ وَلَـمْ تَطْـرَبِ (١) .·. وَبِتَّ بِبَـثٍّ (٢) وَلَمْ تَنْصَـبِ (٣)

=== انظر: اللسان " رحب " : ١ / ٤١٦ ، " خلل " : ١١ / ٢١٧ ،
فرحة الأديب : ٣٤ ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ١ / ٩٤ .

(٦) انظر البيت في :
ديوانه : ٢٦ ، الكتاب : ١ / ٢١٥ ، معاني القرآن للأخفش الأوسط: ١ / ٤٧ "من غير نسبة" ، نوادر أبي زيد : ١٨٩ ، شرح أبيات سيبويه للنحاس : ٧٨ "من غير نسبة" ، إصلاح المنطق : ١١٢ "من غير نسبة" ، الاختيارين : ٥٦٥ "من غير نسبة" ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ١ / ٩٤ ، المقتضب : ٣ / ٢٣١ "من غير نسبة" المحتسب : ٢ / ٢٦٤ ، الأمالي : ١ / ١٣٢ ، مجالس ثعلب : القسم الأول : ٦١ "من غير نسبة" ، أمالي المرتضى : ١ / ٢٠٢ "من غير نسبة" ، فرحة الأديب : ٣٤ ، سمط اللآلي : ١/ ٤٦٥ ، المقتصد في شرح الإيضاح : ١ / ٣٧٠ "من غير نسبة" ، الإنصاف : ١ / ٦٢ ، اللسان " رحب " : ١ / ٤١٦ ، " خلل " : ١١ / ٢١٧ ، التاج: ١ / ٩٦ ، الأشباه والنظائر في النحو : ٤ / ٢٢١ .

---

(١) الطرب : الفرح والحُزن وقيل الطرب خفة تعتري عند شدة الفرح ، أو الحزن والهم ، وقيل : حلول الفرح وذهاب الحُزن / اللسان " طرب " : ١ / ٥٥٧ .

(٢) البث : الحال والحُزن والغَمّ الذي تفضي به إلى صاحبك ، وقيل هو شدة الحزن ، والمرض الشديد . / اللسان " بثث " : ٢ / ١١٤ .

(٣) تنصب : النَّصب الإعياء من العَناء ، والفعلُ نَصِبَ الرجل بالكسر نصباً : أعيا وتَعِبَ ، وهمٌّ نَاصِبٌ منصبٌ ذو نَصَبٍ / اللسان " نصب " : ١ / ٧٥٨ .

وقبل الشاهد :

وَبَعْضُ الأَخِلاّءِ عِنْدَ البَلا ... ءِ وَالرُّزْءِ(١) أَرْوَغُ(٢) مِنْ ثَعْلَبِ

وبعده الشاهد وبعده :

رَآكَ بِبَتٍّ فَلَمْ يَلْتَفِتْ ... إِلَيْكَ وَقَالَ كَذَاكَ آدْأَبِ

الشاهد في قوله : " خلالته كأبي مرحب "

أراد خلالته كخلالة أبي مرحب ، حيث حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه للإيجاز .

واستشهد به الشيخ على أن مافي بيت الخنساء لا يُعَدُّ من قبيل مافي هذا البيت من حذف المضاف .

ومعنى الشاهد :

" يريد أن أبا مرحب قطعه وجفاه في سبب كان احتاج إليه فيه " (٣)

هذا على اعتبار أن " أبا مرحب " كنية شخص .

ويجوز أن يكون المعنى : كيف ترجو أن تصل من كانت صداقته صداقة وهمية كوهم الظِّل الذي يظهر ويختفي ، واستعمل أداة الاستفهام " كيف " للتعجب والاستبعاد .

هذا على اعتبار أن " أبا مرحب " كنية للظل .

---

(١) رزء : الرُّزْءُ المصيبة . / اللسان " رزا " : ١ / ٨٦ .

(٢) أروغ : رَاغَ يَرُوغُ رَوْغاً وَرَوَغَاناً : حاد ، ومال ، وأراغه وَرَاوَغَهُ : خادعه . / اللسان " روغ " : ٨ / ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٣) شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ١ / ٩٥ .

الشاهد الخامس بعد المائتين : (*) (الوافر)

قول الأعرابي :

حَسِبْتَ بُغَامَ(١) رَاحِلَتِي عَنَاقاً(٢) ∴ وَمَا هِيَ وَيْبَ(٣) غَيْرِكَ بِالعَنَاقِ (٤)

نسب الشيخ البيت للأعرابي(٥)، وهو لذي الخرق الطهوي (٦) يخاطب ذئباً تبعه في طريقه .

(*) الدلائل ، رضا ج ٢٣٤ ، خفاجي : ٤٠٤ج ، شاكر : ٣٠١ .

(١) بُغَام : بُغَام الظَّبْيَة : صَوتُهَا . بَغَمَتِ الظَّبْيَةُ تَبْغَمُ وَتَبْغِمُ ، وتبغُمُ بُغَاماً ، وَبُغُوماً ، وهي بَغُومٌ صاحت إلى ولدها بأرخم مايكون من صوتها . / اللسان " بغم " : ١٢ / ٥١ .

(٢) عناقا : العَنَاق : الأنثى من المَعَز ، وقال الأزهري : العَنَاق الأنثى من أولاد المِعْزى إذا أتت عليها سنة وجمعها عُنُوق / اللسان " عنق " : ١٠ / ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(٣) ويب : كلمة مثل وَيْل ، وَيْباً لهذا الأمر أي عجباً لَهُ ، وَوَيْبَةٌ كويلَةٍ ، تقول : وَيْبَكَ ، و وَيْبَ زَيدٍ ، كما تقول : وَيْلَكَ : معناه أَلْزَمَكَ الله ويلاً / اللسان " ويب " : ١ / ٨٠٥ .

(٤) لم أجد البيت فيما أطلعت عليه من مصادر إلاّ في :
معاني القرآن للفراء : ٢ / ١٢٤ ، تفسير الطبري : ١ / ٤٤١ ، ٢ / ٥٦ ، ٣ / ١٠٣ ، ٤ / ٦٠ ، ١٥ / ١٤ ، نوادر أبي زيد : ١١٦ ، الأمثال للضبي : ٥٣ ، مجالس ثعلب : القسم الأول : ١٥٤ ، " من غير نسبة " ، اللسان ، " ويب " : ١ / ٨٠٥ ، " عقا " : ١٥ / ٨٠ ، " عنق " : ١٠ / ٢٧٤ ، " بغم " : ١٢ / ٥١ ، الإنصاف : ١ / ٣٧٢ " من غير نسبة " ، التاج " عنق " : ٧ / ٢٧ ، " بغم " : ٨ / ٢٠٣ .

(٥) وفي اللسان والتاج : " أنشد ابن الأعرابي لقُرَيط " ، فالأعرابي إذاً أنشد البيت فقط وليس هو بقائله .

(٦) اسمه قرط ، ويقال : ذو الخرق بن قرط ، أخو بني سعيدة بن عوف " عمرو " ابن مالك بن حنظلة بن طهية بنت عبد شمس بن سعد بن تميم شاعر فارس / انظر ترجمته : المؤتلف والمختلف : ١١٩ .

وقبل الشاهد :

أَلَمْ تَعْجَبْ لِذِئْبٍ بَاتَ يَسْرِي .·. لِيُؤْذِنَ صَاحِبًا لَهُ بِاللَّحَاقِ

وبعد البيت وبعده :

وَلَوْ أَنِّي رَمَيْتُكَ مِنْ قَرِيبٍ .·. لَعَاقَكَ عَنْ دُعَاءِ الذِّئْبِ عَاقِ (١)

وَلَكِنِّي رَمَيْتُكَ مِنْ بَعِيدٍ .·. فَلَمْ أَفْعَلْ وَقَدْ أَوْهَتْ بِسَاقِي

عَلَيْكَ الشَّاءَ شَاءَ بَنِي تَمِيمٍ .·. فَعَافِقْهُ (٢) فَإِنَّكَ ذُو عِفَاقِ (٣)

الشاهد فيه كسابقه، حيث حذف المضاف " صوت أ و بغام " وأقام المضاف إليه مقامه " عناق " ،أي حسبت بغام راحلتي صوت عناق ، فحذف الصوت ، واكتفى منه " بالعناق " ،فإنَّ العرب تفعل ذلك فيما كان مفهوماً مراد المتكلم منهم به من الكلام ،فأما فيما لا دلالة عليه إلا بظهوره ، ولا يوصل إلى معرفة مراد المتكلم إلَّا ببيانه فإنَّها لا تحذف (٤)

فأشار الشيخ بهذا الشاهد إلى أن المجاز في بيت الخنساء مغاير لهذا النوع من الحذف .

ومعنى الشاهد : أن الشاعر هنا يخاطب ذئباً لحقه في الطريق يقول له : ظننت صوت ناقتي صوت معزٍ، وهو ليس كذلك ،فأراد زجره بشدة ،فجاء بالنفي : " وما هي " ،ثم جاء بكلمة " ويب " أي ويلك للزجر الشديد والإنكار .

---

(١) عاقِ : أراد بقوله " عاقِ " عائق فقلبه ، وقيل هو على توهم عَقَوْتُه قال الأزهري : يجوز عَاقَني عنك عَائِقٌ ،وعَقَاني عنك عاقٍ بمعنىً واحد على القلب ، والعاقي الكاره للشيء/ اللسان " عقق " : ١٥ / ٨١ .

(٢) عافقه : عافقه ،مُعَافقَةً وعِفَاقاً : عالجه وخادعه./ اللسان " عفق " : ١٠ / ٢٥٣ .

(٣) اللسان " عقا " : ١٥ / ٨١ .

(٤) تفسير الطبري : ١٥/ ١٤ .

الشاهد السادس بعد المائتين : (*) (الوافر)

بيت المتنبي :

بَدَتْ قَمَراً وَمَالَتْ(١) خُوطَ(٢) بَانٍ .·. وَفَاحَتْ عَنْبَراً وَرَنَتْ(٣) غَـزَالا(٤)

والبيت من قصيدة قالها في مدح " بدر بن عمار " مطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٤ ، خفاجي : ٣٠٥ ، شاكر : ٣٠٢ .

(١) رواية أمالي المرتضى : " وماست " .

(٢) خوط بان : الغصن الناعم ، وقيل الغصن لِسَنَةٍ ، وقيل هو كلُّ قَضِيبٍ ماكان ، يقال : خُوطُ بان ، الواحدة خُوطةٌ والخُوطُ من الرجال الجسيم الخفيف ، وجارية خُوطانية : مشبهة بالخُوط./ اللسان ، " خوط " : ٧ / ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٣) قوله : " قمراً - خُوط بان - عنبرا - غزالا " هذه الأربعة أحوال تتأول بمشتقات ، فيقال بدت مشرقة ، وماست متثنية ، وفاحت طيباً ، ورَنَت مليحة ، ويجوز أن تكون بتقدير مثل ، وهو الأوجه ، والدليل علي هذا وقوع المعرفة بعد " لا " النافية للجنس مثاله : لا هَيْثَمَ اللّيلةَ للمَطِيّ ، وَقَضِيَّةٌ وَلَا أَبَا حَسَنٍ ، وتقديره : ولا مثلَ هَيْثَمَ ولا مثلَ أبي حسن./ التبيان للعكبري : ٣ / ٢٢٤ .

(٤) لم أجد البيت فيما رجعت إليه من مصادر إلّا في :
ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ٢٢٤ ، العرف الطيب : ٤ / ٢٦٤ ، يتيمة الدهر : ١ / ١٨٠ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ١٣١ ، أمالي المرتضى : ٢ / ١٢٩ ، العمدة : ١ / ٢٩٣ ، الإيضاح : ٢ / ٣٧٠ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٣٧٢ ، خزانة البغدادي - الخانجي - ٣ / ٢٢٢ ، شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٢٩٧) .

بَقَائِي شَاءَ لَيْسَ هُمُ ارْتِحَالاً (١) ∴ وَحُسْنَ الصَّبْرِ زَمُّوا (٢) لَا الجِمَالاَ (٣)

وقبل الشاهد :

بِجِسْمِي مَنْ بَرَتْهُ فَلَوْ أَصَارَتْ ∴ وِشَاحِي ثُقْبُ لُؤْلُؤَةٍ لَجَالاَ

وَلَوْلاَ أَنَّنِي فِي غَيْرِ نَوْمٍ ∴ لَبِتُّ (٤) أَظُنُّنِي مِنِّي خَيَالاَ

وبعد هما البيت وبعده :

كَأَنَّ الحُزْنَ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي ∴ فَسَاعَةَ هَجْرِهَا يَجِدُ الوِصَالاَ (٥)

استشهد به الشيخ للتنظير على أنه لو جُعِل بيت الخنساء من باب حذف المضاف كان شيئاً مفسولاً كما لو قدَّرنا المضاف في بيت الشاهد فقلنا : بدت مثل

---

(١) اسم ليس مضمر فيها ، و " هم " ابتداء ، وخبره محذوف أي ليس الأمر ، والخبر هم شاءوا ،فحذف شاءوا لتقدمه في أول الكلام ، ويجوز أن يكون " هم " اسم ليس إلاَّ أنَّه استعمل الضمير المنفصل موضع المتصل ضرورة ، والتقدير: بقائي شاء الارتحال ليسوا شاءوه . / التبيان للعكبري : ٣ / ٢٢١.

(٢) زَمُّوا : زممت البعير خطمته ، وزممت البعير إذا علَّقت عليه الزِّمام ، والزِّمام الخيط الذي يشد في الخشاش ثم يشد في طرفه المِقْوَد ، وقد يسمى المقود زماماً ، وقد زَمَّ يَزِمُّ إِذَا تقدم في السير / اللسان " زمم " ١٢ / ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٣) ديوان المتنبي بشرح العكبري : ٣ / ٢٢١ ، العرف الطيب : ٤ / ٢٦٤.

(٤) رواية العرف الطيب : " لَكُنْتُ " .

(٥) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ٢٢٣ - ٢٢٤ ، العرف الطيب : ٤ / ٢٦٤ - ٢٦٥.

وفي العرف الطيب ذكر قبل هذا البيت قول الشاعر :

وَجَارَتْ فِي الحُكُومَةِ ثُمَّ أَبْدَتْ ∴ لَنَا مِنْ حُسْنِ قَامَتِهَا اعْتِدَالاَ .

قمر، ومالت مثل خُوط بانَ ، وَفَاحَتْ مثل عنبر، ورنت مثل غزال، إذاً لذهب رونق البيت ، وخرجنا إلى كلام عامي مرذول .

قال الشيخ :

" . . . وليس الأمر كذلك في بيت الخنساء لأنَّا إذا جعلنا المعنى فيه الآن كالمعنى إذا نحن قلنا : فَإِنَّمَا هي ذَاتَ إِقْبَالٍ وَإِدْبَارٍ : أفسدنا الشعر على أنفسنا وخرجنا إلى شيء مفسول ، وإلى كلام عامي مرذول ، وكان سبيلنا سبيل من يزعم مثلاً في بيت المتنبي :

بدت قمراً . . .

أنه في تقدير محذوف وأَنَّ معناه الآن كالمعنى إذا قلت : بدت مثل قمر ، ومالت مثل خوط بان وفاحت مثل عنبر، ورنت مثل غزال : في أَنَّا نخرج إلى الغثاثة وإلى شيء يعزل البلاغة عن سلطانها ، ويخفض من شأنها ، ويصدّ أوجهنا عن محاسنها ، ويَسُدّ باب المعرفة بها ، وبلطائفها علينا "(١)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٣٤ ، خفاجي : ٣٠٤ - ٣٠٥ ، شاكر : ٣٠٢ .

ز - شــواهد الكنــاية :

الشاهد السابع بعد المائتين : (*) (الكامل)

قول زياد الأعجم (١) :

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالمُرُوءَةَ وَالنَّدَى ∴ فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الحَشْرَجِ (٢) (٣)

والشاهد أحد أبيات أربعة أنشدها زياد حين وفد على عبدالله بن الحشرج وهو بنيسابور أميرًا عليها فأمر بإنزاله وألطفه وبعث إليه مايحتاج إليه ثم غدا عليــه زياد فأنشده الأبيات أولها بيت الشاهد وبعده :

مَلِكٌ أَغَرُّ مُتَوَّجٌ ذُو نَائِــلٍ ∴ لِلْمُعْتَفِينَ يَمِينُهُ لَمْ تَشْــنَجِ

يَا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ المَنَابِرَ بِالتُّقَى ∴ بَعْدَ النَّبِيِّ المُصْطَفَى المُتَحَــرِّجِ

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٧ ، خفاجي : ٣٠٨ ، شاكر : ٣٠٦ .

(١) سبقت ترجمته : ص ٢٨٩ .

(٢) ابن الحشرج : هو الممدوح واسمه عبدالله بن الحشرج بن الأشهب ابن ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وكان عبدالله بن الحشرج سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها ، وَلِيَ أكثر أعمال خُراسان ، ومن أعمال فارس ، وكَرْمان في العصر الأموي ، وكان جواداً ، وكان أبوه الحشرج بن الأشهب سيداً شاعراً وأميراً كبيراً .
انظر ترجمته في :-
الأغاني : ١٢ / ٢٣ - ٣٤ ، معاهد التنصيص : ٢ / ١٧٤ .

(٣) انظر البيت في :-
الأغاني : ١٢ / ٣٤ ، ١٥ / ٣٨٦ ، المفتاح : ١٧٢ ، الإيضاح : ٢ / ٤٦٢ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد : ٣١٠ ، شروح التلخيص : ٤ / ٢٥٩ ، معاهد التنصيص : ٢ / ١٧٣ ، رقم الشاهد : ١١٣ ، المطول : ٤١١ ، عقود الدرر : ٥٣ ب ، القول الجيد : ٤٠٧ .

لَمَّا أَتَيْتُكَ رَاجِيًا لِنَوَالِكُـــمْ .·. أَلْفَيْتُ بَابَ نَوَالِكُمْ لَمْ يُرْتَجِ (١)

استشهد به الشيخ عبد القاهر على إثبات الصفة عن طريق الكناية ، ورأى أنه فَنٌّ من القول دقيق المسلك لطيف المأخذ تبدو فيه محاسن تملأ الطرف ، ودقائق تُعجز الوصف ، وترى فيه شعراً شاعراً ، وسحراً ساحراً ، وبلاغة لا يكمل لها إلَّا الشاعر المفلق والخطيب المِصْقَع . (٢)

وهذا النوع من الكناية أطلق عليه المتأخرون كناية عن نسبة . والمراد بالنسبة إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه ، قال الشيخ عبد القاهر:

" . . . أنهم يرومون وصف الرجل ومدحه ، وإثبات معنىً من المعاني الشريفة له ، فَيَدَعونَ التصريح بذلك ، وَيَكْنُونَ عن جعلها فيه بجعلها في شيء يشتمل عليه ويتلبس به ، ويتوصَّلون في الجملة إلى ما أرادوا من الإثبات ، لا من الجهة الظاهرة المعروفة ، بل من طريق يخفى ، ومسلك يدق " (٣)

فزياد الأعجم أراد أن يثبت الصفات الثلاث ، السماحة " وهي بذل ما لا يجب بذله من المال عن طيب نفس سواء كان ذلك المبذول قليلاً أو كثيراً ، والنَّدَى بذل الأموال الكثيرة لاكتساب الأمور الجليلة العامة كثناء كل أحد ، ويجمعها والمروءة في العرف سعة الإحسان بالأموال وغيرها كالعفو عن الجناية وتفسر بكمال الرجولية " (٤)

---

(١) ذكر الأستاذ محمود شاكر أن هذه الأبيات موجودة في هامش إحدى مخطوطات الدلائل والتي رمز إليها بـ(ج) .
والأبيات موجودة في :
الأغاني : ١٢ / ٣٤ ، ١٥ / ٣٨٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٣٦ ، خفاجي : ٣٠٨ ، شاكر : ٣٠٦ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٣٧ ، خفاجي : ٣٠٨ ، شاكر : ٣٠٦ .

(٤) شروح التلخيص : مواهب الفتاح : ٤ / ٢٥٩ ، وانظر حاشية الدسوقي : ٤ / ٢٥٩ .

فترك التصريح بهذه الصفات كأن يقول: إنَّ السماحة والمروءة والندى لَمَجْمُوعَة في ابن الحشرج، أو مقصورة عليه، أو مختصة به، أو ثابتة له، وعدل عن ذلك بأن جعل هذه الصفات في قبة مضروبة عليه.

قال الشيخ عبد القاهر:

" أراد كما لا يخفى أن يُثبت هذه المعاني والأوصاف خلالاً للممدوح وضرائب فيه، فترك أن يصرِّح فيقول: " إنَّ السماحة والمروءة والنَّدى لَمَجْمُوعَة في ابن الحشرج، أو مقصورة عليه، أو مختصةٌ به " وما شاكل ذلك مما هو صريح في إثبات الأوصاف للمذكورين بها، وعَدَل إلى ما ترى من الكناية والتلويح، فجعل كونها في القُبَّة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه، وإشارة إليه، فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة، وظهر فيه ما أنت ترى من الفخامة، ولو أنه أسقط هذه الواسطة من البَيْن، لما كان إلَّا كلاماً غُفلاً، وحديثاً ساذجاً "(١)

ولقد وضح ابن يعقوب وجه دلالة إثبات هذه الصفات في القبة على ثبوتها لابن الحشرج، وذلك أنه لما جعل ظرف حصولها قبة ابن الحشرج، ومن المعلوم أن تلك الصفات لا تخلو من محل تقوم به في تلك القبة، وهي صالحة لصاحب القبة الحائز لها، والأصل عدم مشاركة سواه له في تلك القبة كان ذلك دليلاً على أنه موصوفها، وأنه هو الذي قامت به الاستحالة قيامها بنفسها، وفي إثباتها في قبة تنبيه ولفت على أن صاحبها أو موصوفها هو ذو القبة؛ لأن كون الشيء في حيز الإنسان مع صلاحيته له، والأصل عدم ما سواه يتبادر منه أن ذلك الشيء لمن حصل في خبره.(٢)

---

(١) الدلائل، رضا: ٢٣٧، خفاجي: ٣٠٨، شاكر: ٣٠٧.

(٢) شروح التلخيص، مواهب الفتاح: ٤ / ٢٦٠ - ٢٦١.

وذكر ابن السبكي أن الشيخ عبد القاهر جعل هذا النوع من الكناية من قبيل المجاز الإسنادي قال :

" وجعله الجرجاني من قبيل المجاز الإسنادي " (١)

ولقد بحثت في كتابي عبد القاهر " الدلائل والأسرار " ولم أجد أن عبد القاهر جعل هذا النوع من المجاز الإسنادي، ولا أدري على أي شيء اعتمد ابن السبكي في قوله هذا ، ويرى ابن السبكي أن هذا النوع قريب من المجاز الإسنادي قال :

" فإنّه أراد أن يثبت اختصاص ابن الحشرج بهذه الصفات فترك التصريح بذلك ، والتصريح به أن يقول هو مختص بها ، أي ثابتة له دون غيره إلى أن جعلها في قبة مضروبة عليه ، فأخبر باختصاص القبة المضروبة عليه بالسماحة ليفهم منه اختصاصه بالسماحة؛ لأنه إذا اختص بالسماحة لزم أن تختص قبته بها وهو قريب من المجاز الإسنادي " (١)

وقسّم السكاكي هذا النوع من الكناية قسمين: لطيفًا وألطف ، وجعل بيت الشاهد من اللطيف قال :

" " القسم الثالث " في الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف هي أيضًا تتفاوت في اللطف فتارة تكون لطيفة وأخرى ألطف، وأنا أورد عدة أمثلة منها قول زياد الأعجم وهو لطيف " (٢)

ولعل من أوجه اللطف في البيت أنه أكد الكلام بإنّ لدفع إنكار من عساه ينكر من السامعين ، وعرّف السماحة بلام العهد للإشارة إلى الفرد الكامل منها ، أو أنّ اللام للجنس والمراد بها عموم الأفراد ، وفي عطف النّدى على السماحة إطناب حسن غير مخل لدخول الندى في السماحة ، واختار لفظ القبة دون الخيمة مع كونها بمعناها للإشارة إلى أنه من الأكابر، لأن القبة خيمة خاصة لا يتخذها

---

(١) شروح التلخيص : عروس الأفراح : ٤ / ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٢) مفتاح العلوم : ١٧٢ .

إلّا ذو مكانة من الرؤساء والعظماء ، واختار ضربت على نصبت ؛ لأن الضّرب في الخيمة ونحوها أشهر، وقيد الفعل بعلى للدلالة على تحقق اجتماع هذه الخصال فيه ؛ لأنه لو قال ضربت له ، لم يلزم كونه فيها ، فلا يتحقق الجزم بكونها فيه (١)

الشاهد الثامن بعد المائتين : (*) (الوافر)

وَمَا يَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي ∴ جَبَانُ الكَلْبِ مَهْزُولُ الفَصِيلِ (٢)

استشهد به الشيخ على أنّ الصنعة في طريق إثبات الصفة للموصوف-أي الكناية عن النسبة كما في الشاهد السابق - هي نظير الصنعة في المعاني إذا جاءت كنايات عن معانٍ أُخَر فالكناية هنا حصلت بعد انتقال الذهن من عدة معانٍ أفضى فيها المعنى الأول إلى معنى ثانٍ يتبع المعنى الأول ، وهكذا حتى نصل إلى المعنى الكنائي . قال الشيخ عبد القاهر :

" فكما أنه إنما كان من فاخر الشعر ومما يقع في الاختيار لأجل أن أراد أن يذكر نفسه بالقرى والضيافة فكنّى عن ذلك بجبن الكلب وهزال الفصيل ، وترك أن يصرح فيقول : قد عرف أن جنابي مألوف وكلبي مؤدّب لا يهر في وجوه من يغشاني من الأضياف ، وإنّي أنحر المَتَالي من إبلي ، وأدع فصالها هزلى " (٣)

فقوله جبان الكلب مهزول الفصيل انتقل فيه الذهن من جبن الكلب عن الهرير في وجه من يقرب ويدنو من الدار، وخروج الكلب عن طبعه ، وهو كون الهرير في

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٧ ، خفاجي : ٣٠٩ ، شاكر : ٣٠٧ .
(١) عقود الدرر : ٥١أ ، " شواهد الحقيقة والمجاز " .
(٢) سبق تخريجه ونسبته : ص ٦٥٥ .
(٣) الدلائل ، رضا : ٢٣٨ ، خفاجي : ٣٠٩ ، شاكر : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

وجه من لا يعرفه طبيعياً له ، ثم إلى إستمرار تأديبه ؛ لأن الأمور الطبيعية لا تتغير بموجب لا يقوى ، ثم انتقل من ذلك إلى استمرار موجب نباحه ، وهو اتصال مشاهدته وجوهاً إثر وجوه ، ومن ذلك إلى أنه مشهور بحسن قرى الأضياف ، وكذلك قوله (مهزول الفصيل) انتقل فيه الذهن من هزال الفصيل إلى فقد الأم ، ومنه إلى قوة الداعي إلى نحرها لكمال عناية العرب بالنوق التي يتلوها ويتبعها فصيلها ، ومنها إلى صرفها إلى الطبائخ ، ومنها إلى أنه مضياف . (١)

وهذا النوع سماه المتأخرون الكناية البعيدة وهي الوصول إلى المعنى الكنائي عن طريق الوسائط.

ومثله للكميت يمدح قوماً :

وَلَا لِقَاحُهُمُ إِلَّا مُعَوَّدَةٌ .·. ذُلَّ الكِلَابِ وَأَنْ لَا تَسْمَنُ الفُصُلُ

ذل الكلاب أن لا تنبح الأضياف، وأن لَا تَسْمَن الفُصُل، لأنهم يسقون ألبان الأمهات. (٢)

واستشهد به الشيخ أيضاً على أنه لا يمكن أن يكون قوله (جبان الكلب) نظيراً لقوله : " مهزول الفصيل " بل كل واحدة من هاتين الكنايتين أصل بنفسه ، وجنس على حدة . قال الشيخ :

" وقد يجتمع في البيت الواحد كنايتان ، المغزى منهما شيء واحد ، ثم لا تكون إحداهما في حكم النظير للأخرى ، مثال ذلك أنه لا يكون قوله : " جبان الكلب " نظيراً لقوله : " مهزول الفصيل " بل كل واحدة من هاتين الكنايتين أصل بنفسه ، وجنس على حدة " (٣)

---

(١) انظر : المفتاح : ١٧١ ، وكذلك : الإيضاح : ٢ / ٤٥٩ ، شروح التلخيص - عروس الأفراح : ٢ / ٢٥٧ .

(٢) المعاني الكبير : ١ / ٢٣٤ .

(٣) الدلائل : رضا : ٢٤١ ، خفاجي : ٣١٣ ، شاكر : ٣١٢ .

الشاهد التاسع بعد المائتين : (*) (المنسرح)

قول يزيد بن الحكم : (١)

أَصْبَحَ فِي قَيْدِكَ السَّمَاحَةُ وَالمَجْـ (٢) ... ـدُ وَفَضْلُ الصَّلَاحِ وَالحَسَبُ (٣)

والشاهد مع بيتين آخرين قالهما يزيد بن الحكم في يزيد بن المهلب حين دخل عليه في سجن الحجّاج وهو يعذّب ، وقد حلّ عليه نَجْمٌ (٤) كان قد نُجِّمَ عليه ، وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف درهم ، فأنشده الأبيات ، فالتفت يزيد إلى مولىً له وقال : أعطه نَجْمَ هذا الأسبوع ، ونصبر على العذاب إلى السبت الآخر .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٨ ، خفاجي : ٣٠٩ ، شاكر : ٣٠٨ .

(١) قيل هو يزيد بن الحكم بن عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأصح أنه يزيد بن الحكم بن أبي العاص ، وأنّ عثمان عمّه ، وأبو العاص بن بشر بن عبد دهمان بن عبد الله ابن همام بن أبان بن جُشم بن قيس . وهو ثقفي ، وعثمان جَدُّه أو عمّ أبيه أحد من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بكرة . وَشَطُّ عثمان بالبصرة منسوب إليه ، وقد رَوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ، وروى عنه الحسن بن أبي الحسن ومُطَرِّف ابن عبد الله بن الشخير وغيرهما من التابعين . / انظر ترجمته في : الأغاني : ١٢ / ٢٨٦ - ٢٩٦ .

(٢) رواية الأغاني : والجود .

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلّا في :- الأغاني : ١٢ / ٢٩١ ، شروح التلخيص " عروس الأفراح " : ٤ / ٢٥٨ .

(٤) تنجيم الدَّين : هو أن يُقدَّر عطاؤه في أوقات معلومة متتابعة وأصله أنّ العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت حلول دُيونها وغيرها / اللسان " نجم " : ١٢ / ٥٧٠ .

ذكر أبو الفرج الأصفهاني أن بيت الشاهد مع بيتين آخرين - سأوردهما قريباً - تُنُسّب لحمزة بن بِيْضٍ (١) مع يزيد بن المهلب (٢) وهو أول ثلاثة أبيات وبعده :

لَا بَطِرٌ إِنْ تَتَابَعَتْ نِعَمٌ ∴ وَصَابِرٌ فِي البَلَاءِ مُحْتَسِبُ

بَرَزْتَ سَبْقَ الجِيَادِ فِي مَهَلٍ ∴ وَقَصَّرَتْ دُونَ سَعْيِكَ العَرَبُ (٣)

استشهد به الشيخ عبد القاهر على أنّ الشاهد نظير بيت زياد ، فكلمة "القيد" هنا نظير كلمة "القبة" هناك ، وكما أنّ من شأن الكناية الواقعة في نفس الصفة أن تأتي على صور مختلفة كذلك الكناية في النسبة ، فإنها تأتي على هذا الحد .

قال الشيخ :

"... وكما أنّ من شأن الكناية الواقعة في نفس الصفة أن تجيء على صور مختلفة كذلك من شأنها إذا وقعت في طريق إثبات الصفة أن تجيء على هذا الحد ، ثم يكون في ذلك ما يتناسب كما كان ذلك في الكناية عن الصفة نفسها" (٤)

---

(١) هو حمزة بن بِيْض بن نمر بن عبد الله بن شمر الحنفي من بني بكر بن وائل "... - ١١٦ هـ وقيل ١٢٠ هـ" ، شاعر مجيد سائر القول ، كثير المجون ، من أهل الكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة ، وولده ثم إلى بلال بن أبي بردة ، وحصلت له أحوال كثيرة ، وأخباره مع عبد الملك بن مروان وغيره كلها طُرف . / انظر :
أخبار الحمقى والمغفلين : ٤٣ ، الأغاني : ١٦ / ٢٠٢-٢٢٥ ، فوات الوفيات : ١ / ٣٩٥-٣٩٨ ، الأعلام : ٢ / ٢٧٧ .

(٢) الأغاني : ١٢ / ٢٩١ .

(٣) الأغاني : ١٢ / ٢٩١ .

(٤) الدلائل : رضا : ٢٣٨ ، خفاجي : ٣٠٩ ، شاكر : ٣٠٨ .

الشاهد العاشر بعد المائتين : (*) (الطويل)

* زَجَــرْتُ كِلابِــي أَنْ يَهِرَّ عَقُورُهَا (١) * (٢)

ذكر الشيخ عجز البيت فقط دون الصدر ، ولم ينسبه ، وصدره :

* رَفَعْــتُ لَهُ نَارِي فَلَمَّــا اهْتَدَى بِهَــا (٣) *

وهو لعوف بن الأحوص ، (٤) وقيل لأخيه شريح بن الأحوص ، (٥) وقيل لشبيب ابن البرصاء . (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٨ ، خفاجي : ٣١٠ ، شاكر: ٣٠٨ .

(١) عَقُورُهَا : العَقِيرَة ، منتهى الصوت ، ويقال لكل من رفع صوته بالغناء قد رفع عقيرته . / اللسان " عقر " : ٤ / ٥٩٣ .

(٢) انظر البيت في :
منتهى الطلب : ١ / ١٤٠ ب ، المفضليات : ١٧٦ ، الأغاني : ١٢ / ٢٧٥ ، المرزباني : ٢٧٥ ، بهجة المجالس: م١ القسم الأول : ٢٩٦ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ١١٥ ، مجموعة المعاني : ٣٢ .

(٣) رواية بهجة المجالس ومنتهى الطلب : " فلما اهتدى لها "

(٤) ذكر ذلك المفضل الضبي في " المفضلية رقم ٣٦ " ، وكذلك نسبها له المرزباني وابن عبد البر .
وعوف هو ابن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن مضر ، وهو شاعر جاهلي ، واسم أبيه ربيعة " ، والأحوص لقبه ، وأصل الحوص ضيق في العين ، وكان الأحوص سيداً في قومه ، وذا رأي فيهم ./ انظر ترجمته في :-
المرزباني : ٢٧٥ - ٢٧٦ ، سمط اللآلي : ١ / ٣٧٧ .

(٥) وجاء ذلك في الحماسة للتبريزي .

(٦) سبقت ترجمته : (ص٨٠) من البحث

ومطلع القصيدة :

وَمُسْتَنْبِحٍ يَخْشَى القَوَاءَ وَدُونَهُ ∴ مِنَ اللَّيْلِ بَابَا ظُلْمَةٍ وَسُتُورُهَا

وبعده الشاهد وبعده :

فَلَا تَسْأَلِينِي وَاسْأَلِي عَنْ خَلِيقَتِي ∴ إِذَا رَدَّ عَافِي القِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا

استشهد به الشيخ على أنه نظير قول الشاعر :

" جبان الكلب " .

حيث جعل العقور في كلابه حتى احتاج إلى زجرها عن ضيفه ،كأنه كان في الكلاب مالم يكن يلزم الفناء ، وإنّما يكون مع الراعي في السرح للحفظ ،فاتفق أن حضر مع كلاب الحي ،فلذلك احتاج إلى زجره. (١)

قال الشيخ :

"... كما أنك تنظر إلى قوله : جبان الكلب : فتعلم أنه نظير لقوله :

" زَجَرْتُ كِلَابِي أَنْ يَهِرَّ عَقُورُهَا " من حيث لم يكن ذلك الجبن إلّا لأن دام منه الزجر، واستمر حتى أخرج الكلب بذلك عما هو عادته من الهرير والنبح في وجه من يدنو من دارٍ هو مرصد لأن يَعُسَّ دونها " (٢)

الشاهد الحادي عشر المائتين : (*) (المنسرح)

قول ابن هرمة :

" لَا أُمْتِعُ العُوذَ بِالفِصَالِ "

في هذا الموضع ذكر صدر البيت فقط، وعجزه :

" وَلَا أَبْتَاعُ إِلَّا قَرِيبَةَ الأَجَلِ "

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٣٨ ، خفاجي : ٣١٠ ، شاكر : ٣٠٨-٣٠٩ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٣٨ ، خفاجي : ٣١٠ ، شاكر : ٣٠٩ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٨ ، خفاجي : ٣١٠ ، شاكر : ٣٠٩ .

استشهد به الشيخ ليدل على أن قول الشاعر:

" مهزول الفصيل "

نظير قول الشاعر :

" لَا أُمْتِعُ العُوذَ بِالفِصَالِ "

قال الشيخ :

" وتنظر إلى قوله : مهزول الفصيل ، فتعلم أنه نظير قول ابن هرمة :

" لَا أُمْتِعُ العُوذَ بِالفِصَالِ " " (١)

والطريق الكنائي في البيت وضّحه الإمام القزويني فقال :

" فإنه ينتقل من عدم إمتاعها إلى أنه لا يُبقي لها فصالها لتأنس بها ، ويحصل لها الفرح الطبيعي بالنظر إليها ، ومن ذلك إلى نحرها ، أو لا يُبقي العوذ إبقاءً على فصالها ، وكذا قرب الأجل ينتقل منه إلى نحرها ، ومن نَحْرِها إلى أنه مضياف " (٢)

فالبيت كناية عن صفة ، وهو من الكناية البعيدة .

واستشهد به أيضاً على اختلاف الكنايتين، وإن كان المكنى بهما عنه واحداً ،، فلا تكون احداهما نظيراً للأخرى ، فالكناية في قوله (لا أمتع العوذ بالفصال) ، والكناية في قوله : " ولا أبتاع إلّا قريبة الأجل " ليس إحدى الكنايتين في حكم النظير للأخرى وإن كان المَكْنّي بهما هو الكرم .

قال الشيخ :

" . . . ليس إحدى كنايتيه في حكم النظير للأخرى ، وإن كان المكنّى بهما عنه واحداً " (٣)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٣٨ ، خفاجي : ٣١٠ ، شاكر : ٣٠٩ .

(٢) الإيضاح : ٢ / ٤٦١ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٤١ ، خفاجي : ٣١٣ ، شاكر : ٣١٢ .

ذكره أبو هلال العسكري في باب الارداف والتوابع، وهو أن يريد المتكلم الدلالة على معنى فيترك اللفظ الدال عليه الخاص به، ويأتي بلفظ هو ردفه، وتابع له فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده. (١)

الشاهد الثاني عشر بعد المائتين : (*) (المتقارب)

قول نُصَيْب (٢) :

---

(١) الصناعتين : ٣٨٥، ولم يذكره في باب الكناية والتعريض وكأن هذا النوع عنده قسم قائم برأسه ونوع خاص غير الكناية.

(*) الدلائل، رضا : ٢٣٨، خفاجي : ٣١٠، شاكر : ٣٠٩.

(٢) هو نصيب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، وكان لبعض العرب من بني كِنانة السُّكان بوَدَّان، فاشتراه عبد العزيز منهم، وقيل بل كانوا أعتقوه، فأشترى عبد العزيز ولاءه منهم، وقيل بل كاتب مواليه، فأدَّى عنه عبد العزيز مُكاتبته، وقيل كان أبوه من كنانة من بني ضَمْرَةَ، وكان شاعراً فحلاً فصيحاً، مُقَدَّماً في النسيب والمديح، ولم يكن له حظٌّ في الهجاء، وكان عفيفاً، يقال : أنه لم يَنْسُب قَطُّ إلاّ بامرأته، وكان نُصيب عبداً أسوداً، كنيته أبا الحَجْناء، وهو غير نُصيب مولى المهدي، فهو متأخر عن نُصَيب بن رباح قائل الشاهد./ انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ١ / ٤١٧-٤١٩، طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٦٧٥، الأغاني : ١ / ٣٢٤ - ٣٧٧، معجم الأدباء : ١٩ / ٢٢٨ - ٢٣٤، تزيين الأسواق : ٨٣ - ٨٤.

ونَسَب الجاحظ وصاحب شرح أبيات الإيضاح الأبيات لعمران بن عصام، وهو عمران بن عصام الغنري، خطيب شاعر، من الشجعان، اشتهر في أيام عبد الملك بن مروان، ولما نشبت فتنة عبد الرحمن بن محمد الأشعث اتهمه الحجّاج بالانحياز إليه، وطلبه حتى قتله سنة (٨٥هـ)/ انظر ترجمته في :-

الاشتقاق : ٨ / ٨٦، الوحشيات : ٢٦٤، الأعلام : ٥ / ٧١.

لِعَبْدِ العَزِيزِ عَلَى قَوْمِهِ (١) ∴ وَغَيْرِهِمُ مِنَنٌ (٢) ظَاهِرَهْ (٣)

فَبَابُكَ أَسْهَلُ أَبْوَابِهِمْ ∴ وَدَارُكَ مَأهُولَةٌ (٤) عَامِرَهْ

وَكَلْبُكَ آنَسُ (٥) بِالزَّائِرِينَ (٦) (م) ∴ مِنَ الأُمِّ بِالابْنَةِ (٧) الزَّائِرَهْ (٨)

وبعد أبيات الشاهد :

وَكَفُّكَ حِينَ تَرَى السَّائِلِيـ ∴ ـنَ أَنْدَى مِنَ اللَّيْلَةِ المَاطِرَهْ

---

(١) رواية تزيين الأسواق " على عترته " .

(٢) رواية الديوان والأغاني : " نِعَمٌ " .

(٣) رواية الحيوان، والشعر والشعراء، والأغاني ، ومعجم الأدباء ، وشرح الحماسة للتبريزي :

" غامره "

(٤) رواية الديوان، والحيوان ، والشعر والشعراء ، والأغاني ، وشرح الحماسة للتبريزي :

" آلَسِينُ " .

(٥) رواية الديوان، وأمالي الزجاجي ، وتزيين الأسواق :

" أرأف "

(٦) رواية الحيوان، والشعر والشعراء والأغاني، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي : " بالمعتفين "

(٧) رواية الديوان ، والحيوان ، والشعر والشعراء ، وأمالي الزجاجي ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ، وشرح أبيات الإيضاح :

" بابْنتها " .

(٨) انظر الأبيات في :-

ديوانه : ٩٩ ، الحيوان : ١ / ٣٨٢ ، الشعر والشعراء : ٤١٩ ، أمالي الزجاجي : ٣٢ ، الأغاني : ٣٣٣ ، معجم الأدباء : ١٩/ ٢٢٩ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ١٤١ ، المفتاح : ١٧١ ، الإيضاح : ٢ / ٤٦٠ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد (٤٠٢) ، تزيين الأسواق : ٨٣ .

فَمِنْكَ العَطَاءُ وَمِنَّا(١) الثَّنَاءُ ∴ بِكُلِّ مُحَبَّرَةٍ سَائِرَهْ (٢)

الشاهد فيه أن الكناية في الأبيات نظير الكناية في قول الشاعر :

يَكَادُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلًا ∴ يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهْوَ أَعْجَمُ

فهو حين أراد أن يكني عن عظيم إحسان عبد العزيز ، وعظيم أياديه على القريب ، والبعيد ، والخاص ، والعام جاء بالمعنى الكنائي بطريق خفي تعجب له النفس حين تتكشف المعاني ، فجعل كلبه آنسا فرحاً بالزائرين ذلك الأنس المبالغ ، فدل بمعنى أنسه بالزائرين على أنهم معروفون لديه ، فالكلب لا يأنس إلّا بمن يعرف ، وَدَلَّ بمعنى كونهم معارف عنده على اتصال مشاهدته إيّاهم ليلاً ونهاراً ، وَدَلَّ بمعنى ذلك على لزومهم سدة عبد العزيز ، ودل بمعنى لزومهم سدته على تسني مباغيهم هنالك تسنياً بالاتصال لا ينقطع ، ثم دل بمعنى ذلك على ما أراد ، فانظر كيف لوح مع بُعْدِ المسافة بين أُنس الكلب بالزائرين وبين إحسان عبد العزيز . (٣)

وذكر الشيخ عبد القاهر أن بين الشاهدين " . . قرابة شديدة ونسباً لاصقاً ، وأن صورتهما في فرط التناسب صورة بيتي " زياد(٤) " و " يزيد(٥) ") (٦)

---

(١) رواية الأغاني : " ومنّي " .

(٢) انظر الأبيات في :
ديوانه : ٩٩ ، الحيوان للجاحظ : ١/٣٨٢ ، الأغاني : ١/ ٣٣٣ ، أمالي الزجاجي : ٣٢ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣/١٤١ ، ذكر البيت الثاني بعد أبيات الشاهد دون الأول .

(٣) انظر المفتاح : ١٧١ ، وكذلك الإيضاح : ٢/٦٠ .

(٤) يقصد به الشاهد : الثالث عشر بعد المائتين .

(٥) يقصد به الشاهد : التاسع بعد المائتين .

(٦) الدلائل ، رضا : ٢٣٩ ، خفاجي : ٣١١ ، شاكر : ٣٠٩ .

ورأى القزويني أنه على الرّغم من التنظير القائم بينهما يُرى في قول الشاعر " يكلمه من حبه وهو أعجم " زيادة لُطْفٍ ، ولم يذكر وجه هذا اللطف - وسأوضحه في موضعه إن شاء الله - ومعنى الأبيات واضح ، إلا أن هناك بعض اللطائف أحب أن أشير إليها منها :

الكناية في قوله : " أسهل أبوابهم " كناية عن أنه لا يشق على الوافد إتيانه ولا ينبو بالمقيمين فيه .

وانظر إلى الإلتفات في قوله : " فبابك " " ودارك " فهو التفات من الغيبة إلى الخطاب ، ليلفت الأنظار إلى عظيم كرمه .

وفي وصف الإبنة (بأنها زائرة) زيادة مبالغة في استئناس الأم بها ; (١)

الشاهد الثالث عشر بعد المائتين : (*) (الطويل)

يَكَادُ (٢) إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيفَ مُقبِلاً (٣) .:. يُكَلِّمُهُ مِن حُبِّهِ وَهْوَ أَعْجَمُ (٤)

---

(١) انظر شرح أبيات الإيضاح : ٣/٣٢٩ ، شاهد (٤٠٢) أبيات تضمنها القول في الكناية .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٩ ، خفاجي : ٠ ، (٣ ، شاكر : ٣٠٩ .

(٢) رواية البيان والتبيين ، والموشح ، وسر الفصاحة : " تراه "

(٣) رواية البيان والتبيين والموشح " تراه إذا ما أبصر الضيف كلبه " .

(٤) ديوانه : ٢٠٩ ، الحماسة - تحقيق عسيلان - : ٢ / ٢٥٦ رقم (٦٨٩) - بلا نسبة - ، البيان والتبيين : ٣ / ٢٠٥ ، الحيوان : ١ / ٣٧٨ - بلا نسبة - ، الشعر والشعراء : ٢ / ٧٥٨ ، نقد الشعر : ٢١٠ ، ديوان المعاني : ٣٣ ، الموشح للمرزباني : ٢٠٢ ، سر الفصاحة : ٢٣٢ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٦٦ - ٦٧ ، سمط اللآلي : ١ / ٥٠٠ ، المفتاح : ١٧١ - من غير نسبة - ، الحماسة البصرية ، الإيضاح : ٢ / ٤٦٠ ، شرح أبيات الإيضاح : ٣ / ٣٣٨ ، شاهد ٤٠٣ ، الكشكول : ٢ / ٤ / ٣٨٦ .

البيت ذكره الشيخ من غير نسبه ، وهو لإبراهيم بن هرمه ، (١) وذكر محقق الإيضاح أنه لابن هرمة أو للنابغة الجعدي .

وقبل بيت الشاهد ثلاثة أبيات :

وَمُسْتَنْبِحٍ تَسْتَكْشِطُ الرِّيحُ ثَوْبَهُ ∴ لِيَسْقُطَ عَنْهُ وَهْوَ بِالثَّوْبِ مُعْصِمُ

عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ ∴ لِيَنْبَحَ كَلْبٌ أَوْ لِيَفْزَعَ نُوَّمُ

فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمِعُ الصَّوْتِ لِلْقِرَى ∴ لَهُ مَعَ (٢) إِتْيَانِ المُهِبِّينَ مَطْعَمُ (٣)

استشهد به على أنه نظير بيت نصيب

فالكناية هنا في قوله : " يكلمه من حبه وهو أعجم "

وقد توصل إليها بأن جعل الكلب يبصر الزائرين وانتقل من ذلك إلى ألفته ومحبته إياهم إلى محادثته لهم للمبالغة في ذلك الأُنس ، وَدَلَّ ذلك على كثرة الزائرين ، والقاصدين له ، ومنه توصل إلى شدة كرمه .

وقد سبق أن ذَكَرْتُ في الشاهد السابق أن الخطيب القزويني أشار إلى زيادة لطف في هذا الشاهد عن سابقه ، ولم يبين وجه هذا اللطف ، ولعل زيادة اللطف التي أشار إليها تَكْمُن في أَنَّ ابن هرمة جعل الكلب أشدَّ أُلْفَةً ، وأبلغَ أنساً بأن جعله من فرط أنسه ، وحبه للضيف يكاد يخرج عن المعهود ، فينطق مُرَحِّباً به ، وأكد حب الكلب للضيفان بأن جاء بإذا - دون إن الشرطية - لأنها تدل على جزم المتكلم بوقوع الشرط ، والتي من شأنها أن تأتي في الأحوال الكثيرة الوقوع .

---

(١) سبقت ترجمته : ص ٦٥٦ .

(٢) رواية الحماسة " عند " .

(٣) انظر الأبيات في: ديوان إبراهيم بن هرمة : ٢٠٨ ، الحماسة : ٢/٢٥٦ ، رقم (٦٨٩) ، الحيوان : ١ / ٣٧٧ - ٣٧٨ ، ديوان المعاني : ٣٣ ، سمط اللآلي : ١ / ٤٩٩ - ٥٠٠ .

وقد اعترض قدامة بن جعفر والمرزباني على ابن هرمة في جعله الكلب متكلماً ، ثم أعقب ذلك بوصفه بالعجمة ، قال المرزباني :

" فإنه أقنى الكلب في قوله أنه يكلمه ، ثم عدمه إياه عند قوله إنه أعجم من غير أن يزيد في القول مايدل على أنّ ما ذكره إنّما أجراه على طريق الاستعارة" (١)

ورد الخفاجي في سر الفصاحة على هذا الاعتراض بأن العجمة ليس معناها عدم الكلام ، وإنّما هو الّذي يتكلم مع عدم القدرة على الإفصاح . قال :

" وقد ذهب أبو الفرج قدامة بن جعفر إلى أنّ قول ابن هرمة في صفة الكلب.. من المتناقض ؛ لأنه أقنى الكلبَ الكلامَ في قوله - يكلمه - ، ثم أعدمه إيّاه عند قوله - إنّه أعجم - وهذا غلط من أبي الفرج طريف ؛ لأن الأعجم ليس هو الذي قد عدم الكلام جملة كالأخرس ، وإنّما هو الذي يتكلم بعجمة ، ولا يفصح قال الله تبارك وتعالى :

" لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ"(٢) ، وإذا قيل فلان يتكلم وهو أعجم لم يكن ذلك متناقضاً " (٣)

ويبدو لي أن نقد قدامه ، ورد ابن سنان مردودان ، وذلك أن الشاعر لم يقل " يكلمه " ، وإنما قال : " يكاد " أي يقرب من كلامه ، وهذا لا يتناقض مع العجمة إذ هذه حالة الكلب تشبه من يريد أن يتكلم ، والعبارة تدل على نفي الكلام ، وهو المذهب الصحيح في كاد ، فقد أخطأ قدامة حين نقده ، وأخطأ ابن سنان حين رد : بأن الأعجم ليس كالأخرس ؛ لأن المراد هنا - فعلا - العجمة التي لا يمكن معها الكلام ، ولعل سبب خطئهما أنهما اعتقدا المذهب القائل في " كاد " أن إثباتها إثبات للفعل ، وليس كذلك بل إثباتها إثبات لقرب الفعل ، ولكن لا تدل على وقوعه .

---

(١) الموشح : ٢٠٢ ، نقد الشعر : ٢١٠ .

(٢) النحل : ١٠٣ .

(٣) سر الفصاحة - مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح - : ٢٣٢ .

الشاهد الرابع عشر بعد المائتين : (*) (البسيط)

* وَحَيْثُمَا يَكُ أَمْرٌ صَالِحٌ تَكُنِ (١) * (٢)

ذكر الشيخ العجز دون الصدر، ومن غير نسبة ، وهو لزهير بن أبي سلمى ، وصدره :

* هُنَاكَ رَبُّكَ مَاأَعْطَاكَ مِنْ حَسَنٍ *

وهو من قصيدة قالها في مدح هرم بن سنان بن أبي حارثة المُرّي (٣)، ومطلعها :

كَمْ لِلْمَنَازِلِ مِنْ عَامٍ وَمِنْ زَمَنٍ .·. لِأَلِ أَسْمَاءَ بِالقُفَّيْنِ (٤) فَالرُّكُنِ (٥)

استشهد به الشيخ على إثبات الصفة في الممدوح عن طريق إثباتها في المكان الذي يكون فيه فتلزمه للزومها الموضع الذي يحل به .

والبيت كناية عن المقدرة على كل أمر ، وهي كناية عن نسبة ، وقد توصل إلى تلك الكناية بأن جعل كينونته حاصلة في كل مكان فيه أمر صالح .

وهو في ذلك كقول زياد السابق :

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالمُرُوءَةَ وَالنَّدَى .·. فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الحَشْرَجِ

حيث توصل إلى إثبات هذه الصفات لابن الحشرج بأن جعلها في القبة التي هو جالس فيها .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٩ ، خفاجي : ٣١١ ، شاكر : ٣١٠ .

(١) رواية الديوان، والدلائل تحقيق شاكر : " فكن " .

ويبدو لي أن رواية " تكن " أفضل لأن " تكن " إثبات للكينونة أما " كن " فمجرد أمر وهو أولا لا يليق وثانيا ربما لا يتحقق .

(٢) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

شعر زهير بن أبي سلمى - صنعة الأعلم الشنتمري - : ٢٨٢ .

(٣) سبقت ترجمته ، : ٣٥٤ .

(٤) القُفّان : مثنى " قُفّ " بضم أوله وتشديد ثانيه : وادٍ من أودية المدينة / معجم ما استعجم : ٢ / ١٠٨٧ .

(٥) الرُّكُن : بضمتين : موضع باليمامة ، وقد يُسَكّن ثانيه / معجم البلدان : ٣ / ٦٤ .

الشاهد الخامس عشر بعد المائتين : (*)　　(المتقارب)

يَصِيرُ(١) أَبَانٌ(٢) قَرِينَ(٣) السَّمَا ∴ حِ وَالمَكْرُمَاتِ مَعاً حَيْثُ صَارَا(٤) (٥)

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو للكميت بن زيد(٦) في مدح

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٩ ، خفاجي : ٣١١ ، شاكر : ٣١٠ .

(١) رواية الديوان " يسير " .

(٢) هو أَبَان بن الوليد بن مالك الزيدي من بني زيد بن الغوث البجلي ، كان من أشراف بجيلة في العراق أيام ولاية خالد بن عبد الله القسري ، وكان حَيّاً حين وصول يوسف بن عمر الثقفي والياً على العراق سنة (١٢٠ هـ) وله خبر معه في وساطة بينه وبين نائب خالد القسري في الكوفة ، لقي إياس بن معاوية ، وقامت بينهما محاورة ، توفي سنة (١٢٥ هـ) / انظر ترجمته في :-

البيان والتبيين : ٤ / ٩١ ، الوزراء والكتاب : ٦٣ ، الكامل لابن الأثير : ٤ / ٢٢٧ .

(٣) رواية الديوان والوساطة : " قَرِيعَ " .

(٤) رواية الديوان : " حيث سارا " .

(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

شعر الكميت بن زيد الأسدي : ١ / ٢١٠ رقم (٢٨٢) الوساطة : ٢٨٦ .

(٦) هو الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي ، كنيته أبو المستهل ، شاعر الهاشميين ، من أهل الكوفة ، اشتهر في العصر الأموي ، وكان منحازاً إلى بني هاشم ، كثير المدح لهم ، متعصباً للمضرية على القحطانية وهو من أصحاب الملحمات ، أشهر شعره " الهاشميات " وهي عدة قصائد في مدح الهاشميين ترجمت إلى الألمانية ، وكان عالماً بآداب العرب ولغاتها ، وأخبارها وأنسابها ثقة في علمه .

اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في شاعر ، كان خطيب بني أسد ، وفقيه الشيعة ، وكان فارساً شجاعاً سخياً رامياً لم يكن في قومه - في ذلك الوقت - أرمى منه / انظر ترجمته في :-

الشعر والشعراء : ٢ / ٥٨٥-٥٨٨ ، المؤتلف والمختلف : ١٧٠ ، الأغاني : ====

أبان بن الوليــد ، وهو بيـت مفرد لا ثاني له .

الشاهد فيه كسـابقه .

فالشاعـر هنا توصل للكناية عن النسبة ،و هو إثبات الصفة للموصوف عن طريق إثباتها في المكان الذي يحل به ،فجعل المكرمات تحل وتصـير في المكان الذي يصير فيه أبان ، وكأنهما صديقان حميمان لا يفترقان ، وتوصل بعدم افتراقهـما ،وبكونهما قرينين إلى لزوم المكرمات له .

الشاهد السادس عشر بعد المائتين : (*) (الطويل)

قول أبي نواس :

فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَـهُ .. وَلَكِنْ يَصِيرُ (١) الجُودُ (٢) حَيْثُ يَصِيرُ (٣)

=== ١٧ / ١ - ٤١ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٤٧ - ٣٤٨ ، الموشح : ١٧٤ ، سمط اللآلي : ١ / ١١ ، الأعلام : ٥ / ٢٣٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٩ ، خفاجي : ٣١١ ، شاكر : ٣١٠ .

(١) رواية زهر الآداب وشرح المضنون به على غير أهله : " يسير " .

(٢) رواية الدلائل ، تحقيق رضا : " الجواد " وهي رواية غير صحيحـة لأنه بزيادة الألف ينكسر البيت .

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في : ديوانه : ٤٨١ ، الوساطة : ٢٨٦ ، زهر الآداب : ٤ / ٩٩٣ ، شرح المضنون به على غير أهله : ١٦١ ، المفتاح : ١٧٣ ، الإيضـاح : ٢ / ٤٦٣ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم "٣١١" .

والبيت من قصيدة مطلعها :

أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا أَبُوكِ غَيُورٌ ∴ وَمَيْسُورُ مَا يُرْجَى لَدَيْكِ عَسِيرُ

وقبل الشاهد :

إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الخَصِيبِ رِكَابُنَا ∴ فَأَيَّ فَتىً بَعْدَ الخَصِيبِ تَزُورُ

فَتىً يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ ∴ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ

وبعدها الشاهد وبعده :

فَلَمْ تَرَ عَيْنِي سُؤْدَدًا مِثْلَ سُؤْدَدٍ ∴ يَحِلُّ أَبُو نَصْرٍ بِهِ وَيَسِيرُ

الشاهد فيه كسابقه .

قال الشيخ عبد القاهر معلِّقًا على هذا النوع من الكناية :

" كل ذلك توصّل إلى إثبات الصفة في الممدوح ، بإثباتها في المكان الذي يكون فيه ، وإلى لزومها له بلزومها الموضع الذي يحله " (١)

ورأى السكاكي وتبعه القزويني أنّ في البيت كنايتين ، فإنّه نكر لفظ (جود) ، فكنّى به عن جميع الجود ، ونفى أن يتعدّى الجود ممدوحه ، ويحل دونه ، فيكون متوزعًا يقوم منه شيء بهذا وشيء بهذا ، وكنّى عن إثباته له بتخصيصه بجهته ، وذلك بعد تعريفه باللّام التي تفيد العموم ، فكنّى بالشطر الأول عن اتصافه بالجود ، وبالثاني عن لزوم الجود له . (٢)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٩ ، خفاجي : ٣١١ ، شاكر : ٣١٠ .

(٢) انظر : المفتاح : ٧٣ ، الإيضاح : ٤٦٤ .

قال السكاكي :

" فإنّه أراد أن يجمع الجود لا على سبيل التصريح ، ويثبته للممدوح لا على سبيل التصريح أيضا ، فعمد إلى نفس الجود ، فنفى أن يكون متوزعاً يقوم منه جزء بهذا ، وجزء بذاك ، فنكّر الجود قصداً إلى فرد من أفراد الحقيقة، ونفى أن يجوز ممدوحه ، فقال فما جازه جود بالتنكير كما ترى تنبيهاً بذلك على أنّ لو جازه ، لكان قائماً بمحل هناك لامتناع قيامه بنفسه ، ثم لمثل هذا قال ، ولا حلّ دونه كناية بذلك عن عدم توزعه ، وتقسمه ، ثم خصصه من بعد بجهة تلك الجهة لممدوحه بعد أن عرفه باللام الاستغراقية ، فقال ، ولكن يصير الجود حيث يصير كناية عن ثبوته له "(١).

وذكر القزويني أنّ البيت يحتمل وجهاً آخر ، وهو " أن يكون كل منهما كناية عن اختصاصه به ، وعدم الاقتصار على أحدهما للتأكيد والتقرير ، وذكرهما على الترتيب المذكور؛ لأن الأولى بواسطة بخلاف الثانية " (٢)

الشاهد السابع عشر بعد المائتين : (*) (الطويل)

قول الشّنفرى (٣) :

---

(١) المفتاح : ١٧٣.

(٢) الإيضاح : ٢ / ٤٦٤.

(*) الدلائل ، رضا : ٢٣٩، خفاجي : ٣١١، شاكر: ٣١٠.

(٣) هو شاعر جاهلي من بني الحرث بن ربيعة بن الإواس بن الحجر ابن الهنو " الهنء " بن الأزد بن الغوث والشّنفرى اسمه وقيل لقب له ،واسمه عمرو بن مالك ، ومعناه عظيم الشفة ، وهو ابن أخت تأبط شرّا .

كان أحد العدائين الثلاثة المشهورين حتى قيل " أعدى من الشّنفرى " انظر ترجمته في : الأغاني : ٢١ / ١٧٩ - ١٩٥.

تَبِيتُ بِمَنْجَاةٍ مِنَ اللَّومِ بَيْتُهَا .·. إِذَا مَابُيُوتٌ بِالمَلَامَةِ حُلَّتِ (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦)

وهو من قصيدة قالها في قتله حزاماً قاتل أبيه (٧)، ومطلعها :

أَلَا أُمُّ عَمْرٍو أَجْمَعَتْ فَاسْتَقَلَّتِ .·. وَمَاوَدَّعَتْ جِيرَانَهَا إِذَا تَوَلَّتِ

وقبل الشاهد :

تَبِيتُ بُعَيدَ النَّوْمِ تُهْدِي غَبُوقَهَا .·. لِجَارَتِهَا إِذا الهَدِيَّةُ قَلَّتِ

وبعده الشاهد وبعده :

---

(١) رواية المفضليات : " تَحُلُّ " ورواية الأغاني " يَحُلُّ " .

(٢) ذكر الأستاذ محمود شاكر أنه ورد في هامش إحدى المخطوطات أنَّ الصواب " بمنحاةٍ " بالحاء غير المعجمة ، ورجح أن يكون هذا التصويب للشيخ عبدالقاهر ، فذكر مانصه :

" وفي هامش المخطوطة بخط كاتبها فوق كلمة " بمنجاةٍ " وكأنه قول عبدالقاهر ، مانصه :

" الرواية الصحيحة : بمنحاةٍ ، بالحاء غير المعجمة " .

(٣) رواية الدلائل ، تحقيق شاكر " من اللُّؤْمِ " .

(٤) رواية المفضليات : " بالمذَمَّةِ " .

(٥) انظر البيت في :

المفضليات : ١٠٩ ، الأغاني : ٢١ / ١٨٧ ، نهاية الإيجاز : ١٠٣ ، المفتاح : ١٧٣ ، الإيضاح : ٢ / ٤٦٥ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٣١٢) ، شروح التلخيص " عروس الأفراح " : ٤ / ٢٧٤ .

(٦) أخذ بنو سلامان بن مفرج الشنفرى أسير فداء وهو غلام صغير ، فتربى فيهم ، ولما كَبُرَ عَلِمَ بأمره وغضب لذلك غضباً شديداً وتوعدهم أن يقتل مائة رجل منهم فقتل تسعة وتسعين وكان ممن قتل رجل يقال له حزام بن جابر قتله بمنى حين أُخبر أنَّهُ قاتل أبيه ./ انظر : القصة مطولة في الأغاني : ٢١ / ١٧٩ .

كَأَنَّ لَهَا فِي الأَرْضِ نِسْيَاً تَقُصُّهُ ∴ عَلَى أَمِّهَا وَإِنْ تُكَلِّمْكَ تَبْلَتِ (١)

أُمَيْمَةُ لَا يُخْزِي نَثَاهَا حَلِيلَهَا ∴ إِذَا ذُكِرَ النِّسْوَانُ عَفَّتْ وَجَلَّتِ

استشهد به الشيخ على الكناية عن نفي الصفة عن الموصوف والبيت كناية عن العفة، وتوصل إلى نفي اللّوم عنها، بأن نفاه عن بيتها، فهو حين أراد أن يثبت عفافها وبراءة ساحتها عن التهمة، وكمال نجاتها من أنواع الفجور قصد إلى نفس النجوة عن اللّوم، ولَمَّا رآها غير مختصة وحدها بتلك العفيفة لوجود عفائف كثيرات في الدنيا، نسبها إلى ما يحيط بها، وهو البيت تخصيصاً للنجاة عن اللوم بها، فنبه بنفي اللوم عن بيتها عن انتفاء جميع أنواع الفجور عنها، وبه على براءتها منها.

ولقد اختار الشاعر لفظ "يبيت" بدلاً من "يظل" لمزيد اختصاص الليل بالفواحش (١)

وأشار الشيخ عبد القاهر إلى أنّ هذا الشاهد شبيه بقول زياد السابق:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالمُرُوءَةَ وَالنَّدَى . . .

إلاّ أنّ هناك فرقاً بين الشاهدين، فهو هناك يثبت، والشاعر هنا ينفي.

قال الشيخ:

" وهكذا إن اعتبرت قول الشنفرى يصف امرأة بالعفة . . . وجدته يدخل في معنى بيت زياد، وذلك أنه توصل إلى نفي اللوم عنها، وإبعاده عنه، بأن نفاه عن بيتها، وباعد بينه، وكان مذهبه في ذلك مذهب زياد في

---

(١) تَبْلَتِ: أي تَبْلِتُ الكلام وتقطعه بما يعتريها من البُهْرِ والبَلْتُ بالتحريك: الانقطاع، وقيل تَبْلِتُ في بيت الشنفرى: تفصل الكلام. / اللسان " بلت ": ٢ / ١١.

(٢) انظر: المفتاح: ١٧٣، الإيضاح: ٢ / ٤٦٥.

التوصل إلى جعل السماحة والمروءة والندى في ابن الحشرج ، بأن جعلها في القبة المضروبة عليه ، وإنَّما الفرق أن هذا ينفي ، وذاك يثبت ، وذلك فرق لا في موضع الجمع ، فهو لا يمنع أن يكونا من نصاب واحد " (١)

وأشار القزويني إلى أن الشاهد يحتوي على كنايتين " فإن حلول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة إلى صاحبه ، والمنجاة من اللوم كناية عن العفة " (٢)

وفي البيت كناية ثالثة في قوله : " إذا مابيوت بالملامة حُلَّت " وهي كناية عن عدم طهارة أصحابها .

وفي البيت لطائف بلاغية جميلة منها قوله :

" يبيت ... بيتها " ، فهو مجاز عقلي حيث أسند البيات إلى المنزل ، وهو إنما يصدر من أهل البيت ، وسر هذا المجاز دلالته على عموم الهدوء ، والسكون في دارها .

وقوله : " من اللَّوم " مجاز مرسل علاقته المسببية ، فقوله من اللوم أي من الفجور الذي هو سبب في اللَّوم .

الشاهد الثامن عشر بعد المائتين : (*) (الطويل)

قول حسان :

بَنَى المَجْدُ بَيْتاً فَاسْتَقَرَّتْ عِمَادُهُ ∴ عَلَيْنَا فَأَعْيَى النَّاسَ أَنْ يَتَحَوَّلَا (٣)

---

(١) انظر: الدلائل ، رضا : ٣٣٩ ، خفاجي : ٣١١ - ٣١٢ ، شاكر : ٣١٠ .
(٢) الإيضاح : ٢ / ٤٦٥ .
(*) الدلائل ، رضا : ٢٤٠ ، خفاجي : ٣١٢ ، شاكر : ٣١١ .
(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :
شرح ديوان حسان : وضعه وصححه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي : ٤٠٥ .

وهو من قصيدة مطلعها :

لَكِ الخَيْرُ غُضِّي اللَّوْمَ عَنِّي فَإِنَّنِي .·. أُحِبُّ مِنَ الأَخْلَاقِ مَاكَانَ أَجْمَلَا

قبل الشاهد :

فَنَحْنُ الذُّرَى مِنْ نَسْلِ آدَمَ وَالعُرَا .·. تَرَبَّعَ فِينَا المَجْدُ حَتَّى تَأَثَّلَا

وبعد الشاهد :

وَإِنَّكَ لَنْ تَلْقَى مِنَ النَّاسِ مَعْشَرًا .·. أَعَزَّ مِنَ الأَنْصَارِ عِزًّا وَأَفْضَلَا

الشاهد فيه الكناية عن النسبة ، وهو إثبات الصفة للموصوف بإثباتها في المكان الَّذِي يحل به ، فجعل للمجد بيتاً ، ثم ذكر أن عماد هذا البيت مستقرة على المعد وحين ، إلاَّ أنَّ الشيخ ذكر أن هذا الشاهد يمتاز على الشواهد السابقة ، بأن خرج في صورة أغرب وأبدع ، ولم يبين جمال تلك الصورة ووجه غرابتها .

ولعل جمالها وسر غرابتها يكمن في أنه جاء بالكناية عن النسبة عن طريق التجسيد والتصوير ، فَشَبَّه المجد بصورة إنسان قوي قام بتشييد منزل شامخ مستقر الدعائم ، وأضمر التشبيه في النفس كناية ، فحذف المشبه به وأتي بشيء من لوازمه وهو البناء ، ثم ذكر استقرار تلك الدَّعائم على قبيلته ، وجاء بالفاء في قوله " فاستقرت " دون الواو أو ثم ، ليثبت ويؤكد ثبات المجد لهم ، فهو بمجرد أن بناه أسرع فاستقر عليهم دون غيرهم وزيادة في تأكيد نسبة ذلك المجد لهم زاد من بيان متانته ، وشدة رسوخه عليهم ، فهو قد أعيا الناس فلم يتمكنوا من تحويله عنهم ، فهو ثابت لهم على مر العصور .

قال الشيخ :

" . . . ذاك لأن مدار الأمر على أنه جعل المجد ، والممدوح في مكان ، وجعله يكون حيث يكون " (١)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٤٠ ، خفاجي : ٣١٢ ، شاكر : ٣١١ .

الشاهد التاسع عشر بعد المائتين : (*) (الكامل)

قول البحتري :

أَوَ مَا رَأَيْتَ المَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ ∴ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ (١)

وهو من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسي القمي الكاتب (٢)، ومطلع القصيدة :

أَهْلاً بِذَلِكُمُ الخَيَالِ المُقْبِلِ ∴ فَعَلَ الَّذِي نَهْوَاهُ أَوْ لَمْ يَفْعَلِ

وقبل الشاهد :

(*) الدلائل ، رضا : ٢٤٠ ، خفاجي : ٣١٢ ، شاكر : ٣١١ .

(١) لم أجده فيما لدي من مصادر إلا في :
ديوانه : ٢ / ٣٦٨ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٣٤ ، شرح أبيات الحماسة للتبريزي : ٤ / ٤٨ ، المفتاح : ١٧٤ ، الإيضاح : ٢ / ٤٦٧ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد : ٣١٥ ، عقود الدرر : ٥٢ ب .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن علي بن عيسى بن موسى بن طلحة بن محمد بن السائب بن مالك الأشعري القُمِّي ، أُخذ نسبه هذا من بيت في قصيدته رقم (٥٧٨) - ديوانه تحقيق الصيرفي - يقول فيه :
عَلِي بنِ عِيسَى بنْ مُوسَى بنْ طَلْحَةَ بـ ∴ ـن سَائِبِ بنْ مَالِكٍ حِينَ يَرْمُقُ
كان والده قائداً مشهوراً ، وللبحتري في أبي جعفر اثنتا عشرة قصيدة ومقطوعة .

وكان البحتري كثيراً ما يستسقي منه النبيذ ويتردد على بيته ./ انظر : أخبار البحتري : ٥٣ - ٥٩ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ذيل الأخبار : الخبر "٢٤" ، جمهرة الأنساب : ٤٦١ ، تحقيق ديوانه - صيرفي - : ١ / ٢٠ .

سَارٍ إِذَا ادَّلَجَ العُفاةُ إِلى النَّدَى ∴ لا يَصْنَعُ المَعْرُوفَ غَيْرَ مُعَجَّلِ
عَالٍ عَلَى نَظَرِ العُيونِ كأَنَّمَا (١) ∴ جَذَبَتْهُ أَفْرَادُ النُّجُومِ بِأَحْبُلِ

وبعد هما الشاهد وبعده :

ضَيْفٌ لَهُمْ يُقْرِي الضُّيُوفَ وَنَازِلٌ ∴ مُتَكَفِّلٌ فِيهِمْ بِبِرِّ النُّزَّلِ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَامُحَمَّدُ مِنْ فَتًى ∴ يُوفِي عَلَى ظُلَمِ الخُطُوبِ فَتَنْجَلِي

والشاهد فيه كسابقه وهو مجيء الكناية عن النسبة ، أو إثبات الصفة للموصوف بصورة بديعة غريبة . حيث صور الشاعر المجد برجل شريف له رَحْل يخص بها من يريد ، وحذف المشبه به ، وجاء بشيء من لوازمه ، وهو إلقاء الرَّحْل ، وخص به آل طلحة ، ووصفه بعدم التحول ، فلزم من ذلك كون محله ، وموصوفه آل طلحة .

قال ابن يعقوب :

" . . . فإن القاء المجد رَحْلَهُ في آل طلحة مع عدم التحول معنى مجازي إذ لا رَحْلَ للمجد ، ولكن شُبِّه برجل شريف له رَحْل يخص بنزوله من شاء ، ووجه الشبه الرغبة في الاتصال به ، فأضمر التشبيه في النفس كناية ، واستعمل معه ما هو من لوازم المشبه به ، وهو القاء الرحل أي الخيمة والمنزل ، ولما جعل المجد ملقياً رَحْله في آل طلحة بلا تحول لزم من ذلك كون محله موصوفه آل طلحة لعدم وجدان غيرهم معهم ، وذلك بواسطة أن المجد ولو شبه بذي الرَّحْل هو صفة لا بد له من محل وموصوف ، وهذا الوسط بَيِّنٌ بنفسه ، فكانت هذه الكناية ظاهرة ، والواسطة واحدة ، فقد قلّت الوسائط مع الظهور " (٢)

وهذا النوع سمّاه السكاكي " الإيماء والإشارة " (٣)

---

(١) رواية إعجاز القرآن للباقلاني : " على نظر الحسود " .
(٢) شروح التلخيص - مواهب الفتاح - : ٤ / ٢٧٠ .
(٣) المفتاح : ١٧٤ .

وهو أن تشير إلى قريب منك مع عدم الخفية ، ومع قلة الوسائط .

فالسكاكي قد قسم الكناية خمسة أقسام تعريض، وتلويح، ورمز ، وإيماء ، وإشارة .
وهذه الأقسام قد تتداخل ، وتختلف، والضابط لها اختلاف الاعتبارات من الوضوح والخفاء وقلة الوسائط أو كثرتها .

ولعل من أوجه اللطف في الشاهد أنه بدأه بالهمزه المفيدة للإنكار والتعجب وجعل الواو عاطفه للجملة على جملة مقدرة، والتقدير كيف يُنكر كرم آل طلحة أو ما رأيت المجد (١)

وأنه جاء بـ(ثم) في قوله (ثم لم يتحول) - والتي تفيد التراخي في الزمن - بدلاً من الواو ليدل على ثبات المجد واستمراره لهم .

الشاهد العشرون بعد المائتين : (*) (الطويل)

قال البحتري :

ظَلِلْنَا نَعُودُ الجُودَ مِنْ وَعْكِكَ الَّذِي .·. وَجَدْتَ وَقُلْنَا اعْتَلَّ عُضْوٌ (٢) مِنَ المَجْدِ (٣)

وهو من قصيدة في مدح إبراهيم بن المدبر، ويذكر علة نالته ومطلعها :

بِأَنْفُسِنَا لَا بِالطَّوَارِفِ وَالتُّلْدِ .·. نَقِيكَ الَّذِي تُخْفِي مِنَ الوَجْدِ أَوْ تُبْدِي

وبعده بيت قبل الشاهد :

بِنَا مَعْشَرَ العَافِينَ مَابِكَ مِنْ أَذَى .·. فَإِنْ أَشْفَقُوا مِمَّا أَقُولُ فَبِي وَحْدِي

وبعده الشاهد وبعده :

ولَمْ نُنْصِفِ اللَّيْثَ اقْتَسَمْنَا نَوَالَهُ .·. وَلَمْ نَقْتَسِمْ حُمَّاهُ إِذْ أَقْبَلَتْ تُرْدِي

---

(١) عقود الدرر : ٣٥أ.
(*) الدلائل ، رضا : ٢٤٠-٢٧٥، خفاجي : ٣١٢-٤٤٠، شاكر: ٣١١ - ٤٩٠
(٢) رواية الدلائل ، تحقيق شاكر " عِضو " بكسر العين ، وأعتقد أنه خطأ مطبعي .
(٣) ديوانه : ١ / ٢٤٤.

استشهد به الشيخ على أنه ليس كل ما جاء كناية في إثبات الصفة يصلح أن يحكم عليه بالتناسب ، وأن يكون كل منهما نظيراً للآخر ، فالبحتري جعل الجود والكرم والمجد يمرض بمرض الممدوح ، وقصد من ذلك إثبات الجود والمجد.. للممدوح، وهذا ليس معناه أنه نظير لبيت "زياد" فالغرض وإن كان واحداً إلَّا أن طريقة الإثبات قد اختلفت .

قال الشيخ عبد القاهر :

" وآعلم أنّه ليس كل ما جاء كناية في إثبات الصفة يصلح أن يحكم عليه بالتناسب ، معنى هذا أن جعلهم الجودَ والكرم والمجد يمرض بمرض الممدوح كما قال البحتري . . . وإن كان يكون القصد منه إثبات الجود والمجد للممدوح ، فإنّه لا يصحُّ أنْ يقال أنه نظير لبيت " زياد " (١)

والشاهد يشتمل على صورة رائعة للكرم والجود ، حيث صور الجود بإنسان معتل ، وجعل سبب علته اعتلال الممدوح ؛ لأن الجود ممثل فيه ، وهذا تعليل لطيف .

وزاد من جمال الصورة مجيء الاسم الموصول (الذي وجدت) لاستهجان ذكر المرض ، وإبراز الأسى والحزن على الممدوح .

ثم زاد الشاعر من إبراز صورة الكرم ، بأن شبه المجد الذي يشمل جميع الفعال من الجود والكرم ، وغيرها بإنسان وحذف المشبه به ، وأتى بشيء من لوازمه ، وهو العضو والاعتلال .

وفي جعل اعتلال الجود والكرم تابعاً لاعتلال الممدوح إثبات لاختصاص الجود بالممدوح ، وأن كل جود كائن تابع له .

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٤٠ ، خفاجي : ٣١٢ ، شاكر : ٣١١ - ٣١٢ .

الشاهد الواحد والعشرون بعد المائتين : (*) (الوافر)

قول أبي تمام :

أَبَيْنَ (١) فَمَا يَزُرْنَ سِوَى كَرِيمٍ ∴ وَحَسْبُكَ أَنْ يَزُرْنَ أَبَا سَعِيدِ (٢)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري (٣)، ومطلعها :

حَمَتْهُ فَاحْتَمَى طَعْمَ الهُجُودِ ∴ غداةَ رَمَتْهُ بِالطَّرْفِ الصَّيُودِ

وقبل بيت الشاهد :

قَلَائِصَ شَوْقُهُنَّ يَزِيدُ شَوقاً ∴ وَيَمْنَعْنَ الرُّقَادَ مِنَ الرقُودِ

إِذَا انْبَعَثَتْ عَلَى أَمَلٍ بَعِيدٍ ∴ فَقَدْ أَدْنَتْ مِنَ الأَمَلِ البَعِيدِ

وبعدهما الشاهد وبعده :

فَحَيَّهَلَا بِذِكْرَاهُ وَأَكْرِمْ ∴ بِهِ مِنْ مَعْدِنٍ كَرَمٍ وَجُودِ

فَتًى لَا يَسْتَظِلُّ غداةَ حَرْبٍ ∴ إِلَى غَيْرِ الأَسِنَّةِ وَالبُنُودِ

والشاهد كناية عن نسبة ، فهو حين جعل الإبل تأبَّى زيارة كل كريم إلَّا أبا سعيد أثبت بذلك الكرم له دون غيره .

ذكر الأستاذ محمود شاكر أنه جاء في إحدى المخطوطات تعليق على هذا البيت ، وكأنه من كلام الشيخ عبد القاهر قال :

" أي وحسبك في الدلالة على أنهن لا يزرن سواه ، أنهن يزرن أبا سعيد ، والخطاب في مثل هذا لكل من سمع الشعر " (٤)

وذكر الشيخ أيضاً أن الشاهد من اللطيف النادر في باب الكناية قال :

(*) الدلائل ، رضا : ٢٤١ ، خفاجي : ٣١٣ ، شاكر : ٣١٣ .

(١) الضمير في " أبين " و " يزرن " يرجع إلى الإبل التي يصفها .

(٢) ديوانه : ٩٧ ، المفتاح : ١٧٤ ، الإيضاح : ٢ / ٤٦٧ ، شرح أبيات الإيضاح : ٣ / ٣٣٣ شاهد (٣١٤) .

(٣) ستأتي ترجمته : ٩٧٣ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٢٤١ ، خفاجي : ٣١٣ ، شاكر : ٣١٣ .

" وليس لشعب هذا الأصل، وفروعه ، وأمثلته ، وصوره ، وطرقه ، ومسالكه حد ، ونهاية ، ومن لطيف ذلك ونادره قول أبي تمام . . ."(١)

فالشيخ لم يبين وجه تلك الندرة، وموضع ذلك اللطف ، ولعل من أوجه اللطف في البيت أنه جعل الإبل هي التي تأبى زيارة غيره ، وتألف وتأنس لزيارته ، فالعلم بكرمه وجوده غير قاصر على البشر بل تعداه إلى الأبل، وهذا دليل على عموم ذلك الكرم .

ونكر لفظ كريم ليدل على أنه كريم من نوع خاص تعجب له النفس، ويقره الحس ، فقد بلغ من الكرم مبلغاً عظيماً لا يبلغه سواه .

وهذا الشاهد جعله السكاكي من قسم (الإيماء والإشارة) فالإيماء - كما ذكرت سابقاً - هو أن تشير إلى قريب منك من غير خفاء فإنَّ إفادة أن أبا سعيد كريم غير خاف (٢)

الشاهد الثاني والعشرون بعد المائتين : (*) (الوافر)

مَتَى تَخْلُو تَمِيمٌ مِنْ كَرِيمٍ ∴ وَمَسْلَمَةُ بنُ عَمرٍو مِنْ تَمِيمٍ (٣)

ذكره الشيخ من غير نسبة (٤)

استشهد به الشيخ على أنه من باب الكناية عن نسبة .

فإثبات الصفة هنا جاء عن طريق نفي خلو تميم من الكرم ، واشترط لنفي هذا الخلو وجود ودوام مسلمة بن عمرو، فأثبت بهذا الشرط ثبات الجود له .

---

(١) الدلائل : شاكر : ٣١٣ .

(٢) المفتاح : ١٧٤ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٤١ ، خفاجي : ٣١٣ ، شاكر : ٣١٣ .

(٣) المفتاح : ١٧٤ ، الإيضاح : ٢ / ٤٦٧ ، شرح أبيات الإيضاح : ٣ / ٣٣٣ شاهد (٣١٧) .

(٤) لم أقف عليه .

ومن الأوجه البلاغية في البيت أنه جاء بالاستفهام بمتى، ومعناها هنا النفي أي " لا تخلو تميم " ويفيد أيضاً الإنكار أي إنكار أن تخلو تميم من كريم .

وَنَكَّر كريم ليدل على أنه كريم من نوع خاص متفرد ، قد بلغ من الكرم مبلغاً لا يبلغه أحد ، وذكر اسم الممدوح وتلاه باسم والده تعظيماً له وفخراً به .

ولم يعلِّق الشيخ على البيت إلاَّ أنَّه ذكر أنه لم يبلغ مبلغ قول أبي تمام :

أَبَيْنَ فَمَا يَزُرْنَ سِوَى كَرِيمٍ . . .

الشاهد الثالث والعشرون بعد المائتين : (*) (المتقارب)

إِذَا اللَّهُ لَمْ يَسْقِ إِلاَّ الكِرَامَ ∴ فَسَقَّى وُجُوهَ بَنِي حَنْبَلِ
(١)
وَسَقَّى دِيَارَهُمُ بَاكِرًا ∴ مِنَ الغَيْثِ فِي الزَّمَنِ المُمْحِلِ
(٢)

نسبهما الشيخ لبعض العرب ، وهما لزُهَير بن عروة بن جلهمة . حين غاضب

(*) الدلائل ، رضا : ٢٤١، خفاجي : ٣١٣، شاكر: ٣١٣ .

(١) الممحل : المَحْل الجَدْب ، وهو انقطاع المطر ويُبْس الأرض من الكلأ ، وقال ابن السكيت : أمحل البلدُ فهو ماحل ، ولم يقولوا مُمْحِل ، قال : وربما جاء في الشعر ، والزَّمن الممحل المجدب القاحل / اللسان " محل " : ١١ / ٦١٧ .

(٢) انظر البيتين في :
الأغاني : ٢٢ / ٢٦٩- ٢٧٠ ، سمط اللآلي : ١ / ٤٤١، المفتاح : ١٧٤ " بدون نسبة " ، الإيضاح : ٢ / ٤٦٧ " بدون نسبة " ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (٣١٦) ، " لم ينسبه " .

(٣) هو زهير بن عروة بن جُلْهُمة بن حَجر بن خُزاعي شاعر جاهلي يلقب " بالسكب " ، وكان زهير بن عروة من أشراف بني مازن وأشدائهم وفرسانهم وشعرائهم . / انظر ترجمته :
الأغاني : ٢٢ / ٢٦٩ - ٢٧١ ،
وفي اللسان نُسِب البيت الأول من الشاهد مع أبيات أخرى لعبد الرحمن بن ===

قومه في شيء، ذمه منهم ، وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم ، فلحقه فيهم ضيم ، وأراد الرجوع إلى عشيرته ، فأبت نفسه ذلك عليه ، فقال الأبيات المذكورة آنفا يتشوق ناساً منهم كانوا بني عمه يقال لهم بنو حنبل .

وبعد الشاهد :

مُلِثًّا (١) أَحَمَّ (٢) دَوَانِي السَّحَا .:. بِ هَزِيمَ الصَّلَاصِلِ (٣) والأَزْمَلِ (٤)

=== حسان ، وجاء في اللسان :

" قال الأصمعي : أحسن بيت قالته العرب في وصف الرَّباب ، قول عبد الرحمن بن حسّان على ماذكره الأصمعي في نسبة البيت إليه ، قال ابن بري : ورأيت من ينسبه لعُروة بن جلهمة المازني / وانظر : اللسان : " ربب " : ١ / ٤٠٢ .

ويعني قوله : أحسن بيت قالته العرب :

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السَّحَا .:. بِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالأَرْجُلِ

وقد نُسبت بعض أبيات هذه القصيدة لبعض بني مازن ، كما في الأزمنة والأمكنة : ٢ / ٢٤٦-٢٤٧ ، ونسب المبرد بيتاً منها في الكامل - طبعة مكتبة المعارف - : ٧٨/٢ للمازني دون التصريح باسمه ، ونُسب بيتٌ منها في النقائض : لعبد الرحمن بن حسان : ٩٣٥-١٥٩ .

(١) مُلِثًّا : المَلْثُ : اختلاط الضَّوء بالظلمة، وهو عند العشاء وعند طلوع الفجر ./ اللسان " ملث " : ٢ / ١٩٢ .

(٢) أحم : الحَمَمُ : مصدر الأَحَم والجمع الحُمّ ، وهو الأسود من كل شيء / اللسان " حمم " : ١٢ / ١٥٦ .

(٣) صلاصل : الصلصلة : صفاء صوت الرعد / اللسان : " صلل " : ١١ / ٣٨٢ .

(٤) الأزمل : كل صوت مختلط / اللسان " زمل " : ١١ / ٣٠٩ .

تُكَرْكِرُهُ(١) خَضْخَضَاتُ الجَنُوبِ(٢) ∴ وَتُفْرِغُهُ هِزَّةُ الشَّمأَلِ(٣)

الشاهد فيه كسابقه أي أنه من باب الكناية عن نسبة حيث أثبت صفة الكرم لهم ، وذلك حين نفى السقيا عن جميع النّاس إلّا الكرام ، ثم خَصّص وجوه بني حنبل ، بالسقيا ، ففي هذا إثبات الكرم لهم .

ومما زاد هذا الإثبات وأكده بدء الجملة بإذا الشرطية التي من شأنها الجزم بوقوع الشرط ، فجزمت بوقوع السقيا على الكرام ، ثم جاء بـ" الفاء " ليسرع بنقل السقيا إلى وجوه بني حنبل ، فهم أهل لها ، وفي ذلك إثبات اختصاصهم بها ، وجاء بـ" الواو " ووصل بين جملة " فَسقَّى وجوه بني حنبل " وجملة " وَسَقَّى ديارهم " للتأكيد ، وبالغ في معنى السقيا ، وذلك بقوله " سقَّى " بالتضعيف ، ولم يقل " سَقَى " ، وَخَصَّصَ وقت السُّقيا بالبكور ، لأنه أفضل الأوقات للسقيا ، وفيه تكثر وتغزر .

وقوله : " من الغيث " بيان لقوله " سقَّى " ، وإنَّما جاء به زيادة توكيد .

وإنَّما دَعَا للممدوح بالسُّقْيَا لِيَزِيدَ الله في ماله ، ويكثر هو في نواله .

وهذا البيت عند السكاكي من النوع المسمى " إيماء وإشارة " (٤)

---

(١) تكركره : كركر الشيء إذا جمعه ، ورد أطراف ما انتشر منه ./ اللسان " كرر " : ٥ / ١٣٨ .

(٢) الجنوب : ريح الجنوب ، وهي الريح التي تقابل الشمال ، وإذا جاءت الجنوب جاء معها خيرٌ وتلقيح / الصحاح " جنب " : ١ / ١٠٣ ، اللسان " جنب " : ١ / ٢٨١ .

(٣) الشمأل : ريح تهب من قبل الشأم عن يسار القبلة ، وقيل الشمال من الرياح التي تأتي من قبل الحِجْر وقيل الشمال من الرياح : ما استقبلك عن يمينك إذا وقفت في القبلة ./ اللسان " شمل " : ١١ / ٣٦٦ .

(٤) المفتاح : ١٧٤ .

الشاهد الرابع والعشرون بعد المائتين : (*) (الطويل)

سَأَلْتُ النَّدَى وَالجُودَ مَالِي أَرَاكُمَا ∴ تَبَدَّلْتُمَا ذُلاً بِعِزٍّ مُؤَبَّدِ (١)

وَمَابَالُ رُكْنِ المَجْدِ أَمْسَى مُهَدَّمـاً ∴ فَقَالا أُصِبْنَا بِابْنِ يَحيى مُحَمَّدِ

فَقُلْتُ فَهَلاَّ مِتُّمَا عِنْدَ مَوْتِـهِ ∴ فَقَدْ كُنْتُمَا عَبْدَيهِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

فَقَالاَ أَقَمْنَا كَيْ نُعَزَّى بِفَقْـدِهِ ∴ مَسَافَةَ يَوْمٍ ثُمَّ نَتْلُوهُ فِي غَدِ (٢)

ذكرها الشيخ من غير نسبة . (٣)

وأشار إلى أنَّها قول بعضهم في البرامكة . (٤)

والشاهد في الأبيات كسابقها، وهو أنها من باب الكناية عن نسبة، فالشاعر هنا يريد أن يثبت للممدوح صفة الجود ، فهو حين ذكر أن الجود والندى قد أصبحا في ذلٍّ بعد عز ، وأنَّ المجد قد تهدَّم ركنه بعد أن كان راسخ البنيان ، وجعل كل ذلك لموت الممدوح " ابن يحيى محمد " دل ذلك على بالغ جوده وكرمه ، والبيت تصوير رائع لحادثة نفسية أُصيب بها الشاعر أخرجها عن طريق الحوار ليخفف من آلامه وأحزانه ، فتخيل النَّدى والجود شخصين ماثلين أمامه ، وقد بدت عليهما أمارات الحزن وتبدُّل الحال ، وقد كان يعرفهما من قبل وهما يلبسان ثياب المجد ، فتعجب من حاليهما فبادرهما بالسؤال عن سبب تبدل الحال ، ثم تلا سؤاله لهما بسؤال آخر من غير أن يترك لهما فرصة للإجابة ؛ لأن الأمر بالغ الغرابة ، والموقف عظيم على نفس الشاعر وهنا سارع

(*) الدلائل ، رضا : ٢٤٢ ، خفاجي : ٣١٤ ، شاكر : ٣١٤ .

(١) وذكر الأستاذ محمود شاكر في تحقيقه للدلائل رواية أخرى " بعز مؤيد " من أَيَّدَه " إذا قواه وعززه ، ورأى أنها أفضل من رواية " مؤبد " بالباء ، الدلائل ، تحقيق شاكر : ٣١٤ .

(٢) المفتاح : ١٧٤ ، شرح أبيات الايضاح : ٣٣٣/٣ شاهد ٣١٧ .

(٣) لم أعثر على قائله بعد .

(٤) البرامكة : أسرة فارسية من أبنائها الوزراء الأُول في الخلافة الإسلامية ، كانوا قديماً على دين المجوس ، ثم أسلم منهم من أسلم وحسن إسلامهم ، استوزر المنصور جدهم خالد بن برمك ثم نبغ أبناؤه في الوزارة وامتد سلطانهم إلى أن نكبوا في أيام الرشيد / انظر : الفخري في الآداب السلطانية : ١٥٦-١٩٧ ، دائرة المعارف الإسلامية : ٤٩٢/٣ .

الجود والندى بالإجابة ليُخَففا من وطأة الحزن . فقالا : " أُصِبنا بابن يحيى محمد " وهنا أسرع هو بالرد عليهما متعجباً من عدم موتهما ،لموت الممدوح ، فهما عبداه في كل موقف ، وأن الحياة بعده ليس لها طعم ولا مذاق ، وجاءت الإجابة بسرعة أيضاً وهي إجابة لم يتوقعها الخيال ، وإنما فوجيء بها ؛ فسبب إقامتهما ليس حب الحياة إنَّما وقفا لتقبل العزاء في الممدوح وفاءً له ، ثم بعد ذلك يَفْنَى الكرم من الوجود لفناء الممدوح .

والموقف كله يدل على التَّفجع والحزن ، فجاءت الإجابات كلها بسرعة فائقة لتهدىء من روع النفس وتهديء من انْتِفَاضَةِ الحزن التي اعترتهما ، واستعمل في ذلك " الفاء " حيث قال : " فقالا أُصِبْنَا بِآبن يَحيى محمد "

" فقلْتُ فَهلَّا مِتُّما عِنْدَ مَوتِهِ "

" فقالا أقَمْنا كي نُعزَّى بِفقْدِهِ "

الشاهد الخامس والعشرون بعد المائتين : (*) (الطويل)

إذَا طَمَعٌ (١) يَوماً عَرَانِي (٢) قَرَيْتُهُ (٣) .·. كَتَائِبَ (٤) يَأْسٍ (٥) كَرَّهَا وَطِرَادَهَا

(*) الدلائل ، رضا : ٢٤٥ ، خفاجي : ٣١٨ ، شاكر: ٣١٨ .

(١) رواية ديوان المعاني : " إذا مَطْمَعٌ " ، ورواية البصائر والذخائر : " إذا أمَلٌ " .

(٢) رواية ديوان المعاني وسمط اللآلي : " غَزَانِي " ، وعلق محقق سمط اللآلي الأستاذ عبد العزيز الميمني بقوله : الأصل : " غدابي " فلعله " غزاني " أو " عَدَابي " وبالمغربية " عَرَاني " / هامش سمط اللآلي : ١/ ٢٤١ .

(٣) رواية ديوان المعاني : " غزوته " ، ورواية البصائر : " حَبَوتُهُ " ، ورواية سمط اللآلي : " منحتُه " ، وكذلك في الطرائف الأدبية أخذاً عن السمط .

(٤) وروى صدر البيت في البصائر والذخائر : " إذَا أَمَلٌ عَرَانِي حَبَوتُهُ " .

(٥) رواية البيان والتبيين : " بَأْسٌ " .

أَكُدُّ ثِمَادِي[(١)] وَالمِيَاهُ كَثِيرَةٌ ∴ أُعَالِجُ[(٣)] مِنْهَا حَفْرَهَا[(٤)] وَاكْتِدَادَهَـــا

وَأَرْضَى بِهَا مِنْ بَحْرِ آخَرَ إِنَّـهُ[(٥)] ∴ هُوَ الرَّيُّ[(٦)] أَنْ تَرْضَى النُّفُوسُ ثِمَادَهَا (٧)

نسبها الشيخ لبعض الحجازيين .

وهي لإبراهيم بن هرمة[(٨)] أو لإبراهيم بن العباس[(٩)].

---

(١) رواية ديوان المعاني ، ومجالس ثعلب ، وعنه أخذ في اللسان : " أَمُصُّ " .

(٢) الثماد : جمع ثمد ، والثمد : الماء القليل الذي لا مَادَّ له ، وقيل هـــو القليل يبقى في الجَلَد ، وقيل هو الذي يظهر في الشتاء ، ويذهب فـــي الصيف / اللسان " ثمد " : ٣ / ١٠٥ .

(٣) رواية مجالس ثعلب ، وعنه أخذ في اللسان : " أحاول " .

(٤) رواية ديوان المعاني : " حضرها " .

(٥) رواية مجالس ثعلب " أَنَّني أَرَى الرِّيَّ " ، وعليها فلا شاهد .

(٦) رواية ديوان المعاني : " هو الرأي " .

(٧) انظر الأبيات في :

شعر إبراهيم بن العباس الصولي " الطرائف الأدبية " : ١٨٣ ، ذكـــر البيت الأول مع بيت آخر نقلاً عن سمط اللآلي .

البيان والتبيين : ٣ / ٣٣٨ منسوبة لبعض الحجازيين ، ديوان المعاني : ١٢٠ ، مجالس ثعلب : القسم الثاني : ٥٩٦ " من غير نسبة " ، البصائر والذخائر لأبي حيان : ٩٣ ذكر البيت الأول من أبيات الشاهد مع بيـــت آخر ، سمط اللآلي : ١ / ٢٤١ ، ذكر البيت الأول من أبيات الشاهد مع بيت آخر ، اللسان " كدد " : ٣ / ٣٧٨ البيت الثاني فقط وبدون نسبة .

(٨) ذكر ذلك أبو هلال العسكري في ديوان المعاني ، وأعتقد أن هذه النسبـــة أرجح لأن في نسبة البكري لإبراهيم بن العباس بعض الظن .

(٩) ذكر ذلك البكري مع الظن في نسبته قال :

" وقال آخر ، وأظنه إبراهيم بن العباس " / سمط اللآلـــــي : ١ / ٢٤١ .

وموضع الشاهد قوله : " إِنَّهُ هُوَ الرِّيُّ "

استشهد به الشيخ على أن دخول " إِنَّ " على ضمير الشأن يزيد الأسلوب حُسناً ولطفاً ، وأنه لا يحسن إِلَّا بها قال :

" ومن خصائصها أَنَّكَ ترى لضمير الأمر ، والشأن معها من الحسن واللطف مالا تراه إذا هي لم تدخل عليه بل تراه لا يصلح حيث يصلح إِلَّا بها "(١)

ولعل الأسلوب حَسُنَ ولَطُفَ ؛ لأن من أسرار ضمير الشأن المفسر بما بعده أن يثير النفس ويشوقها إلى معرفة مايحويه الضمير حتى إذا جاءت الجملة المفسرة ، وكشفت النقاب عن المعنى حسن وقعه ، وحلا مذاقه ، فإذا دخلت "إِنَّ" المؤكدة على هذا الضمير زادت بلا شك من تمكين المعنى في النفس ، وزادتها قبولاً له .

وذكر الشيخ أن البيت من لطيف ماجاء في هذا الباب ونادره .

وذكر أن الضمير في قوله "إِنَّهُ" يحتمل وجهين :

١ - أن يكون ضمير الأمر ، ويكون قوله " هو " ضمير " أن ترضى " وقد أضمره قبل الذكر على شريطة التفسير ، والأصل " إِنَّ الأمر أن ترضى النفوس شادها الري " .

٢- أن تكون الهاء في " إنه " ضمير " أن ترضى " قبل الذكر ويكون " هو " ضمير فصل ، وأصل الكلام " إِنَّ أَنْ تَرْضَى النُّفُوسَ شِادَها هُوَ الرِّيُّ " ثم أضمر على شريطة التفسير ، وأيا ماكان التقدير ، فإنه لابد من دخول (إِنَّ) ولا سبيل لإسقاطها ؛ لأن في إسقاطها شناعة (٢)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٤٤ ، خفاجي : ٣١٧ ، شاكر : ٣١٧ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٤٥ ، خفاجي : ٣١٨ ، شاكر : ٣١٩ .

• الشاعر هنا يصف نفسه بالقناعة والرضا ، وعبر عن هذا المعنى تعبيراً رائعاً متمكناً ، فعبر عن مراودة الطمع له بإذا الشرطية ليجزم أنه إذا ألحّ عليه الطمع يوماً من الأيام فإنّه لا شك قاتله ، ونكّر لفظ " طمع " لتعظيم هذا الأمر ، فالتعظيم هنا يناسب كتائب اليأس ، ونكّر لفظ " يوماً " لتحقير اليوم الذي يعتريه الطمع فيه أو للتقليل ، وكأنه يقول : " إنّ الطمع القوي يأتيني قليلا " .

وقال : " عَرَاني " بدلاً من " اعْتَرَاني " ، فنقص من بناء الكلمة ليدل على عدم تمكنه في نفسه .

وانظر إلى الصورة التي رسمها في دفع هذا الطمع ، بأن جعله ضيفاً نازلاً عليه ، وجعل قراه كتائب اليأس .

وفي التعبير عن الإزهاق والقتل بالقِرى استخفاف واستهزاء وتحقير .

فالصورة التي رسمها الشاعر صورة مليئة بالحركة " الكتائب - الكر - الطِّراد " .

وهذه الحركة تصوير لنفسية الشاعر الثائرة الرافضة للطمع .

وكنّى عن الكدّ والاجتهاد في طلب القليل مع القناعة به ، وأنه خير من الكثير مع الطمع - بالكدّ والحفر في طلب الثِّمَادِ على الرغم من وجود المياه الكثيرة .

وبعد أن صور ما يريد وهيأ النفس لقبول الحقيقة ، أعلنها عن طريق " إنّ " المؤكدة المتصلة بضمير الشأن ، ليشوق النفوس إلى معرفة تلك الحقيقة ، ويزيد من تمكينها في النفس ، فقرر أن الرّيّ الحقيقي هو أن تقنع النفوس بالقليل ، وترضى به .

فالشاعر عبّر في البيت الأول عن مقاومته للطمع ، وفي الثاني عن قناعته بالقليل ، وفي الثالث قرر وأكّد معنى البيت الثاني زيادة في تمكينه في النفس .

وهكذا جاء تركيبه الشعري متداخل الحلقات ، مترابط الأجزاء .

ولقد ذكر أبو هلال العسكري أنّ هذه الأبيات من أجود ما قيل في القناعة (١)

---

(١) ديوان المعاني : ١١٩ .

ح - عود إلى شواهد إن ومواقعها :

الشاهد السادس والعشرون بعد المائتين : (*) (البسيط)

إِنَّ (١) شِوَاءً وَنَشْوَةً (٢) ... وَخَبَبَ (٣) البَازِلِ (٤) الأَمُونِ (٥)

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو لسَلْمَى بن ربيعة التَّيمي (٦) .

وهو أول خمسة أبيات وبعده :

(*) الدلائل ، رضا : ٢٤٦ ، خفاجي : ٣١٩ ، شاكر : ٣٢٠ .

(١) خبر " إنَّ " قوله : " من لذَّةِ العيش والفتى . . . " البيت الخامس .

(٢) الخبب : ضرب من العدو ، وقيل : الخبب السرعة ، وقيل هو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً ، وأياسره جميعاً ، وقيل هو أن يرواح بين يديه ورجليه ، وكذلك البعير ./ انظر:
فقه اللغة : ١٨٦-١٨٧ ، اللسان " خبب " : ١/٣٤١ .

(٣) البازل : بزل الشيء يبزله بَزْلاً ، وبزله فتبزَّل : شقه وَتَبزَّل الجسد : تَفَطَّر بالدَّم ، بزل البعير يبزل بزولاً ، فُطر نابه أي انشق ، فهو بازل ذكراً كان أو أنثى ، وذلك في السنة التاسعة ./ اللسان " بزل " : ١١ / ٥٢ .

(٤) الأمون : ناقة أمون : أمينة وثيقة الخَلْق ، قد أُمِنَت أن تكون ضعيفة ، وهي التي أُمِنَت العِثار والاعياء / اللسان " أمن " : ١٣ / ٢٥ .

(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلاَّ في :
الحماسة " ت : عسيلان " : ١ / ٥٦٨ رقم ٤١٢ ، شرح ديوان الحماسة للتبزيري : ٣ / ٨٣ .
قال التبريزي : " هذه الأبيات خارجة من العروض التي وضعها الخليل ابن أحمد ، ومما وضعه سعيد بن مسعدة ، وأقرب مايقال فيها أنها تجيء على السادس من البسيط " / ٣ - ٨٣ .

(٦) هو سَلْمَى بن ربيعة بن زبان بن عامر بن ثعلبة بن ذئب بن السيد ابن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ، وهو شاعر جاهلي ، وابناه أُبَيٌّ ، وغُوَيَّة شاعران ، وكان سَلْمى مِتْلافاً للمال / انظر ترجمته :
سمط اللآلي : ١ / ٢٦٧ ، خزانة الأدب - دار صادر - : ٣ / ٤٠٨ ، شرح الحماسة للمرزوقي : ٢٦ / ٥٤٦ .

يُجَشِّمُهَا المَرْءُ فِي الهَوَى (٣) .'. مَسَافَةَ الغَائِطِ (٢) البَطِين (١)

وَالبِيضَ يَرْفُلْنَ كَالدُّمَى .'. فِي الرِّيَطِ (٤) وَالمُذْهَبِ المَصُون

وَالكُثْرَ وَالخَفْضَ آمِنًا .'. وَشِرَعَ (٥) المِزْهَرِ الحَنُون

مِنْ لَذَّةِ العَيْشِ وَالفَتَى .'. لِلدَّهْرِ وَالدَّهْرُ ذُو فُنُون

استشهد به الشيخ على تهيئة " إنَّ " النكرة ؛ لأن يكون لها حكم المبتدأ في الحديث عنها . قال :

" ومما تصنعه " إنَّ " في الكلام أنك تراها تهيئ النكرة ، وتصلحها ؛ لأن يكون لها حكم المبتدأ أعني أن تكون محدَّثاً عنها بحديث بعدها " (٦)

" ومعنى هذا أنَّ " إنَّ " انتقل تأثيرها على نوع معين من الوحدات اللغوية أعطتها حكما لم يكن، وأصلحتها له ، وهذا هو دورها الوظيفي ، فمن المعروف في النحو التقليدي بداهة أنَّ النَّكِرَة لم يكن لها أن تأخذ حكم المبتدأ إلاَّ بشروط ،

---

(١) يُجَشِّمُهَا : جَشِمَ الأَمْرَ : مِن باب فَهِمَ ، وَتَجَشَّمه : أَي تَكَلَّفَهُ على مشقة ، وَجَشَّمه الأمر تجشيماً ، وأجشمه : أي كلفه إِيَّاه . / مختار الصحاح " جشم " : ١٠٤ .

(٢) الغائط : المطمئن من الأرض الواسع . / مختار الصحاح " غوط " : ٤٨٤ .

(٣) البطين : البعيد / مختار الصحاح " بطن " : ٥٦ .

(٤) الرِّيْط : جمع ريطة وهي المُلاءَة الواسعة : إذا كانت قطعة واحدة، ولم تكن لِفقين ، وقيل الرَّيطة كل مُلاءة غير ذات لِفقين كلها نسج واحد ، وقيل هو كل ثوب لين دقيق ، والجمع رَيط وريـاط / اللسان " ريط " : ٧ / ٣٠٧ .

(٥) الشرعة : الوَتَر الرقيق ، وقيل هو الوَتَرُ مادام مشدوداً ، وقيل هو الوتر مشدوداً كان على القوس ، أو غير مشدود ، وجمعه شِرَع على التكسير / اللسان " شرع " : ٨ / ١٧٧ .

(٦) الدلائل ، رضا : ٢٤٦ ، خفاجي : ٣١٩ ، شاكر : ٣٢٠ .

غير أنّ " إنّ " بحكم دورها الصرفي الوظيفي تعطي للنكرة هذا الحكم فتهيء النكرة لأن يكون لها حكم المبتدأ " (١)

• تظهر نفس الشاعر في البيت وهي ترفل في ثياب المتعة واللذة ، لذا جاء بـ " إنّ " قبل النكرة ليهيء النفوس ويشوقها لتقبل حديثه الممتع ، ونَكَّر الشاعر لفظ " شواء " ولفظ " نشوة " لتفخيم وتعظيم أمر الشواء والنشوة ، فتطرب لهما النفس ، ويزداد الاستمتاع بهما . ولو أنه قال :

الشِّوَاءُ وَالنَّشْوَةُ ∴ وَخَبَبُ البَازِلِ الأَمُونِ

مِنْ لَذَّةِ العَيْشِ ... البيت الخامس .

لخرج الكلام عن الشعر إلى العامي المرذول .

قال الشيخ :

" .. قد ترى حسنها ، وصحة المعنى معها ، ثم إنك إن جئت بها من غير " إنّ " ، فقلت : شواءٌ ونشوةٌ وخبب البازل الأمون ، لم يكن كلاماً (٢) .

الشاهد السابع والعشرون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

إنَّ دَهْراً يَلُفُّ شَمْلِي بِسُعْدَى (٣) ∴ لَزَمَانٌ يَهُمُّ بِالإِحْسَانِ (٤)

---

(١) عالِم اللغة : " عبد القاهر الجرجاني " : ١٣١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٤٦ ، خفاجي : ٣١٩ ، شاكر : ٣٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٤٦ ، خفاجي : ٣٢ ، شاكر : ٣٦ .

(٣) رواية تفسير الطبري ، وتأويل مشكل القرآن ، وأمالي المرتضى : " يَجْمَعُ " ورواية الصناعتين : " شملي بسلمى " .

(٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في : تفسير الطبري : ١٥ / ١٨٧ ، تأويل مشكل القرآن : ١٣٣ ، الصناعتين : ٣٠٥ ، أمالي المرتضى : ٢ / ١٤٥ ، والبيت ذُكر في هذه المصادر من غير نسبة .

ذكره الشيخ من غير عزو .

ونسبه الأستاذ عبد السلام هارون(١) لحسان بن ثابت (٢) .

وموضع الشاهد قوله "إنَّ دهراً" .

والشاهد فيه دخول "إنَّ" على "المبتدأ" وهو نكرة موصوفة فزادت الكلام حسناً ، والمعنى صحة ومكانة . قال :

".. فإن كانت النَّكرة موصوفة ، وكانت لذلك تصلح أن يبتدأ بها ، فإنك تراها مع "إنَّ" أحسن ، وترى المعنى حينئذٍ أولى بالصحة ، وأمكن ، أفلا ترى إلى قوله :

إِنَّ دَهْـراً يَلُفُّ شَـمْلِي ...

ليس بخفي - وإن كان يستقيم أن تقول : دهر يلف شملي بِسُعْدَى دَهْـرٌ صالح - أن ليس الحالان على سواء" (٣)

وفي تنكير "دهراً" مع اكتسابه نوعاً من التخصيص لوصفه بجملة "يلف شملي" تعظيم وتفخيم ، وفي ابتداء الجملة "بإنَّ" تمكين لهذا التعظيم في النفس للمبالغة في شكر هذا الدَّهْر الَّذي أحسن إليه ، بأن جمعه بمحبوبته "سعدى" وهذا أقصى ما يتمناه .

الشاهد الثامن والعشرون بعد المائتين : (*) (مشطور المديد(٤))

إِنَّ أَمْـراً فَادِحـاً ∴ عَنْ جَـوَابِي شَـغَلَكْ (٥)

---

(١) معجم شواهد العربية : ٢ : ٤١٢ .

(٢) لم أجده في ديوانه ، طبعة - دار صادر - .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٤٦ ، خفاجي : ٣٢٠ ، شاكر : ٣٢٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٤٦ ، خفاجي : ٣٢٠ ، شاكر : ٣٢٠ .

(٤) قال التبريزي :
قال أبو العلاء : هذا الوزن لم يذكره الخليل ، ولا سعيد بن مسعدة ، وذكره الزجاج ، وجعله سابعاً للرمل ، وقد يحتمل أن يكون مشطوراً للمديد " / شرح الحماسة للتبريزي .

(٥) لم أعثر عليه فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :-

=====

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو لأم السُّلَيْك(١) ترثي ابنها السُّلَيك ، وقد قتله رجل من بني خثعم ؛ لأن السليك خلفه على امرأته ؛ (٢) وقيل هي لأم تأبط شراً .(٣)

والشاهد من قصيدة مطلعها :

طَافَ يَبْغِي نَجْوَةً ∴ مِنْ هَلَاكٍ فَهَلَكْ

وقبل الشاهد :

كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ ∴ حِينَ تَلْقَى أَجَلَكْ

طَالَمَا قَدْ نِلْتَ فِي ∴ غَيْرِ كَدٍّ أَمَلَكْ

=== الحماسة "ت-عسيلان" : ١/ ٤٤٧ رقم "٣١٢" ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢/ ٩١٧ رقم (٣١٠) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢/ ١٩٢ .

(١) هي أم السُّلَيك بن السلكة السعدي الشاعر المعروف وهو أحد الشعراء الصعاليك العدَّائين ، ومن اللصوص الفُتَّاك ، وهو ممن نسب لأمه ، واسمها "سلكة" عاشت في الجاهلية وهي أمة سوداء ، وكان يقال للسليك : سليك المقانب . / انظر ترجمتها " ضمن ترجمة ابنها " :

الشعر والشعراء : ١ / ٣٧٢ ، الأغاني : ٢٠ / ٣٧٥ ، المؤتلف والمختلف : ١٣٧ ، نوادر المخطوطات " تحفة الأبيه فيمن نسب لغير أبيه : ٥ / ١٠٥-١٠٦

وقد ذُكر في العقد الفريد بعض أبيات القصيدة دون ذكر بيت الشاهد ، ونسبت لأعرابي يرثي ابنه ./ انظر :

العقد الفريد :- دار الكتب العلمية - : ٣ / ١٤٣ ، ٤ / ١٢ .

(٢) انظر القصة في :-

شرح الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٩٢ ، الأغاني : ٢٠ / ٣٨٥ .

(٣) جاء ذلك في :-

الحماسة "ت : عسيلان " : ١ / ٤٤٧ رقم (٣١٢) ، شرح الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٩٢ .

وبعد هما الشاهد وبعده :

سَأُعَزِّي النَّفْسَ إِذْ .·. لَمْ تُجِبْ مَنْ سَأَلَكْ (١)

استشهد به الشيخ لتوضيح، وتقرير مذهبه في أنّ دخول "إنّ" على النكرة الموصوفة يزيد الأسلوب حسناً وطلاوة قال :

" .. وكذلك ليس بخفي أنك لو عمدت إلى قوله :

إِنَّ أمراً فَادِحاً ...

فأسقطت منه "إنّ" لعدمت منه الحسن والطلاوة ، والتمكن الذي أنت واجده الآن ، ووجدت ضعفاً وفتوراً " (٢)

لما كان المقام مقام تفجع ورثاء ، لجأت الشاعرة إلى تنكير لفظ "أمر" وتخصيصه بالوصف "فادحاً" لأن في التصريح بهذا الأمر وفي ذكره مايثير الأشجان .

قال المرزوقي :-

" قوله "إِنَّ أَمراً فَادِحاً " اكتسب أمرٌ وهو نكرة من النَّعت الذي تَبِعه بعضَ الاختصاص ، فلذلك صَلُح الابتداءُ به حَتّى دخل «إنّ» عليه ، ألا ترى أن فائدته مع إبهامه كاملةٌ في المراد ، والمعنى :

إنّ عظيماً من الأمور صرفك عن رَسْمِك ودأبك في مباسطتي ومُباثتي ؛ ولأن الكلامَ قد يُحْمَل على المعنى فيما يُستفاد منه ، فكأنّه قال : ماصرَفك وشغلك عن جوابي إلاّ أمرٌ عظيم فادح ، إذ كانت العادةُ قَدُمتْ منك في حُسن التوفُّر عليّ والإقبال لتَوجُّه خطابي نَحوك " (٣)

---

(١) هذه الأبيات نُسبت في العقد الفريد لأعرابي يرثي ابنه/ انظر :
العقد - دار الكتب العلمية - : ٣ / ١٤٣ - ٤ / ١٢ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٤٦ ، خفاجي : ٣٢٠ ، شاكر : ٣٢٠ .

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٩١٧-٩١٨ ، وانظر كذلك :
شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٩٢ ، وكأنه ناقل عن المرزوقي .

الشاهد التاسع العشرون بعد المائتين : (*) (المنسرح)

إنَّ مَحَـلاً(١) وإنَّ مُرْتَحَـلا(٢) ∴ وإنَّ في النَّفْسِ(٣) إذْ مَضَوْا(٤) مَهَلا (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ٢٤٧، خفاجي : ٣٢٠، شاكر: ٣٢١ .

(١) رواية الديوان والكتاب والحماسة وشرح أبيات سيبويه للنحاس، والمعاني الكبير، والمقتضب ، والخصائص ، والإيضاح ، والمغني ، وشرح شواهد المغني : " في السفر ".

ورواية محاضرات الأدباء : " وإن للسفر " .

ورواية شرح المفصل : " وإن في الركب " .

ورواية معاهد التنصيص : " وإن في شعر مَنْ مَضَى مثلاً " .

(٢ ، ٣) رواية الديوان والكتاب وشرح أبيات سيبويه للنحاس ، والمعاني الكبير ، ومحاضرات الأدباء ، والمقرب : " مامضى " .

ورواية الحماسة والمقتضب : " إذا مضى " .

ورواية الأغاني ومعاهد التنصيص : " من مضى " .

(٤) رواية معاهد التنصيص : " مثلا " ،

ومَهَلا : " بفتح الميم والهاء " مصدر بمعنى الإمهال والتؤدة، وعدم العجلة . اللسان " مهل " : ١١ / ٦٣٢ .

(٥) انظر البيت في :

ديوانه - دار بيروت - : ١٧٠ ، الكتاب : ٢ / ١٤١ ، الحماسة " ت : عسيلان " : ٢ / ٩٧٩ ، شرح أبيات سيبويه للنحاس: ١٦٦-١٦٧ ، المعاني الكبير : ٢ / ١٢٥٦ ، المقتضب : ٤ / ١٣٠ ، المحتسب : ١ / ٣٤٩ ، الخصائص : ٢ / ٣٧٣ ، الأغاني : ٩ / ١٢٥ ، الإفصاح : ٢١٤ ، محاضرات الأدباء - دار الآثار - : ٤٦ ؛ شرح المفصل : ١ / ١٠٣-١٠٤ ، المقرب : ١ / ١٠٩ ، الإيضاح : ١ / ١٧٠ ، مغني اللبيب : ١ / ٨٢ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٢٣٨ ، ٢ / ٦١٢ ، همع الهوامع : ١ / ١٣٦ ، " صدر البيت فقط " معاهد التنصيص : ١ / ١٩٤ ، خزانة الأدب للبغدادي - دار صادر - ٤ / ٣٨١ .

ذكر البيت في الدلائل تحقيق رضا ، وتحقيق خفاجي من غير نسبة ، وذُكر في الدلائل تحقيق شاكر[١] أن الشيخ نسبه للأعشى (٢) وهو له في ديوانه . وهو من قصيدة[٣] قالها في مدح سلامة ذي فائش[٤] هو مطلع القصيدة وبعده :

اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِال ∴ عَدْلِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا

وَالأَرْضُ حَمَّالَةٌ لِمَا حَمَّلَ اللَّهُ (م) ∴ وَمَا إِنْ تَرُدَّ مَا فَعَلَا (٥)

استشهد به على أَنَّ من أثر«إِنَّ»في الجملة أَنَّها إِذا كانت فيها أغنت عن الخبر أحياناً قال :

" ومن تأثير " إِنَّ " في الجملة أنها تغني إذا كانت فيها عن الخبر في بعض الكلام ، ووضع صاحب الكتاب[٦] في ذلك باباً فقال : هذا باب مايحسن

---

(١) الأعشى : ميمون قيس ، وقد سبق تعريفه ، انظر: ص ٦٦ .

(٢) الدلائل ، شاكر: ٣٢١ .

(٣) عن سماك بن حرب قال : قال الأعشى :
أتيتُ سَلَامَةَ ذا فائش فأطلت المُقامَ ببابه حتى وصلت إليه ، فأنشدته . . وأمرلي بمائة من الإبل وكساني حُللا وأَعْطَاني كَرِشاً مدبوغةً مملوءةً عنبراً وقال : إياك أن تُخدع عما فيها ، فأتيت الحِيرة فبعتُهَا بثلثمائة ناقة حمراء / انظر:
الأغاني : ٩ / ١٢٥ ، معاهد التنصيص : ١ / ١٩٤-١٩٥ .

(٤) هو سلامة بن يزيد بن مرة اليحصبي أحد ملوك اليمن وقد مدحه الأعشى ، وكان يظهر للناس في العام مبرقعاً ، وقال هشام الكلبي : الأعشى مدح سلامة الأصغر، وهو سلامة بن يزيد بن سلامة ذي فائش . / انظر:
القاموس المحيط " دار الجيل " : مادة " فيش " : ٢ / ٢٩٤ ، معاهد التنصيص : ١ / ١٩٤ .

(٥) ديوانه : " دار بيروت " : ١٧٠

(٦) الكتاب : ٢ / ١٤١ .

عليه السكوت في الأحرف الخمسة ، لإضمارك ما يكون مُسْتَقَرًّا لها ، وموضعاً لو أظهرته ، وليس هذا المضمر بنفس المظهر .. " (١)

وقال أيضـــا :

" فقد أراك في هذا كله أنّ الخبر محذوف ، وقد ترى حسن الكلام وصحتـه مع حذفه ، وترك النطق به ، ثم أنك إن عدت إلى " إن " فأسقطتهـــا ، وجدت الذي كان حسن من حذف الخبر لا يحسن أولا يسوغ فلو قلت: ... ومَحَلٌ وَمُرْتَحَلٌ ... لم يكن شـيئاً ، وذلك أن " إنّ " كانت السبب فـي أَنْ حَسُنَ حَذْفُ الَّذِي حُذِفَ مِنَ الخَبَرِ ، وأَنَّها حاضِنَتُهُ والمترجم عنــه والمتكفل بشأنه " (٢)

ذكر الدكتور البدراوي زهران أنّ للشيخ عبد القاهر دوراً عظيماً في الكشـف عن بعض الأوجه الصرفية الجديدة لوحدة (إنّ) قال :

" من المعلوم بداهة أن للوحدة الصرفية "إنّ" دورها على مستوى التركيب . أي أنّ لَهَا أثرها في عدد الوحدات الداخلة في التركيب ، ولها تأثيرهـــا الإعرابي المعروف، ولا يكتفي عبد القاهر بهذا ، وقد يكون فيه الغناء ، ولكنـه يتتبع تلك الوحدة في أوضاعها المختلفة ، وفي كل حالاتها ، ويدرس دورهـا الصرفي تأثيراً وتأثراً ، ويقعد لها ، ويضع على ضوء درسه أسساً لدراسة منهـج الصرف بطريقة لم يعرض لها سابقوه بالصورة التي عرض لها ، وإن كان مطـوراً لأفكارهم مستفيداً من دراساتهم» ، ثم قال بعد ذلك : " لوحدة "إنّ" الصرفية أدوار جديدة غير ما هو معروف لها ، منها على سبيل المثال :

انقاص عدد الوحدات الداخلة في التركيب ، وهذا في حد ذاته يعـد

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٤٧ ، خفاجي : ٣٢٠ ، شاكر : ٣٢١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٤٧-٢٤٨ ، خفاجي : ٣٢١ ، شاكر: ٣٢٢ .

قانوناً صرفياً مؤداه أن بعض الوحدات الصرفية قد يكون تأثيرها هو إنقاص عدد الوحدات اللغوية التي تؤلف العبارة أو التركيب" (١).

وذكر من هذا النوع بيت الشاهد.

ومعنى الشاهد:

إنّ لنا في الدنيا حلولا، ولنا عنها إلى الآخرة ارتحالا، فقد مضى من كان قبلنا ولم يعد لهم رجوع.

وشرح ابن قتيبة البيت بقوله " أراد إنّ لنا محلاً يريد الآخرة، ومرتحلاً عنه يريد الدنيا، وإن في السفر تقدما من يقدم شيئاً من العمل أصابه كما تقول: أخذ لذلك الأمر مهلته - أي تقدم فيه " (٢)

والمعنى في الإيضاح: "أي إنّ لنا محلاً في الدنيا وإنّ لنا مرتحلاً عنها إلى الآخرة" (٣)

ولعل الحذف حسن هنا؛ لأن الموقف موقف تذكير بفناء الدنيا، ودوام الآخرة، فحذف الشاعر الخبر، ونكر المبتدأ ليثبت المحل والارتحال فيثير بهذا الإثبات نوعاً من الرهبة والتخويف في النفوس.

وقد أشار ابن يعيش إلى أنّ الحذف هنا لإثبات المحل (٤)

ورأى سيبويه أن الخبر حذف هنا للعلم به (٥)

وقد اختلف النحاة في حذف خبر "إن"، فأجازه سيبويه سواء كان

---

(١) عالم اللغة "عبد القاهر الجرجاني": ١٢٨.

(٢) المعاني الكبير: ٤ / ١٢٥٦.

(٣) الإيضاح: ١ / ١٧٠.

(٤) شرح المفصل: ٢ / ٨ / ٦.

(٥) الكتاب: ٢ / ١٤١.

الاسم معرفة أو نكرة وأجازه الكوفيون إذا كان نكرة ، واشترط الفراء أن يكون الاسم مكرراً ، فلا يجوز عنده الحذف سواء كان الاسم معرفة أو نكرة إلا إذا كان بالتكرير كبيت الشاهد .(١)

استشهد به الراغب الأصبهاني في محاضرات الأدباء عند حديثه عن أقسام الشعر ، فجعله من الضرب الذي قصر معناه و لفظه .(٢)

الشاهد الثلاثون بعد المائتين : (*) (الرجز)

* يَالَيْتَ أَيَّامَ الصِّبَا رَوَاجِعَا *(٣)

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو للعجّاج .(٤) وقيل لابنه رؤبة (٥)

استشهد به الشيخ للتنظير على حذف خبر "إنّ" فبيت الشاهد حُذِف منه الخبر "أقبلت" فأصل الجملة :

---

(١) انظر : الكتاب : ٢/١٤٢-١٤٣ خزانة الأدب للبغدادي - دار صادر - : ٤/٣٨١-٣٨٢ معاهد التنصيص : ١/١٩٥ .

(٢) محاضرات الأدباء - دار الآثار - : ٤٦ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٤٧ ، خفاجي : ٣٢١ ، شاكر : ٣٢١ .

(٣) لم أجده في ديوان العجاج - مكتبة دار الشرق - ولا ابنه رؤبة - انظر الشاهد في :

الكتاب : ٢/١٤٢ ، طبقات فحول الشعراء : ١/٧٨ ، شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١٦٧ ، شرح المفصل : ١/١٠٤، ٨/٨٤ الإيضاح : ١/٢٢٧ المغني : ١/٢٨٥ شاهد رقم (٤٦٨) شرح شواهد المغني : ٢/٦٩٠ ، همع الهوامع : ١/١٣٤ الدرر اللوامع : ١/١١٢ الأشموني : ١/٢٣٠ ، خزانة البغدادي - دار صادر : ٤/٢٩٠ .

(٤) كما صرح بذلك ابن سلام في طبقاته . و العجّاج هو : عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي أبو الشعثاء : (... نحو ٩٠هـ) راجز مجيد من الشعراء ، ولد في الجاهلية ، و قال الشعر فيها ، ثم أسلم و عاش إلى إيام الوليد بن عبد الملك ، وهو أول من رفع الرجز وشبهه بالقصيد ، وكان لا يهجو . انظر الشعر والشعراء : ٢/٥٩٥-٥٩٧ ، الأعلام : ٤/٨٦-٨٧ .

(٥) ذكر ذلك محقق الدلائل : محمد عبد المنعم خفاجي قال : "هو العجاج أو ابنه رؤبة" ولم يذكر مرجع تلك النسبة ، ولم أجد أحداً نسبها إلى ابنه رؤبه فيما رجعت إليه من مصادر .

" يَالَيْتَ أَيَّامَ الصِّبَا أَقْبَلَتْ رَوَاجِعًا "

وقدّر أيضاً :

" يَالَيْتَ لَنَا أَيَامَ الصِّبَا رَوَاجِعًا "

قال سيبويه :

" فهذا كقوله : أَلَا مَاءَ بَارِداً ، كأنّه قال : أَلَا مَاءَ لَنَا بَارِداً ، وكأنه قال : ياليت لنا أيام الصّبا ، وكأنه قال : يَالَيْتَ أَيَّامَ الصِّبَا أَقْبَلَتْ رَوَاجِعَ " (١)

وذكر البغدادي في خزانته :

" على أنّ الفراء استشهد به على نصب المبتدأ والخبر بـ" ليت " ، وقدر الكسائي رواجع خبراً لِكَان المحذوفة ؛ لأن كَانَ تستعمل كثيراً هنا .

قال تعالى : " يَالَيْتَهَا كَانَتْ القَاضِيَةَ " (٢)

وقال تعالى : " يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُم " (٣)

وقال الشاعر : " يَالَيْتَهَا كَانَتْ لِأَهْلِي إِبِلَا "

وقد بين الشارح المحقق ضعفه ومثله في مغني اللبيب ، واعترض عليه بأن تقدم "أنْ ولوْ" الشرطيتين شرط لكثرة حذف كان مع اسمها وبقاء خبرها ، ولا محذور في كون البيت من القليل ، والبصريون يقدرون خبر ليت محذوفاً ورواجع حال من ضميره والتقدير ياليت لنا أيام الصبا رواجع ، وياليتها أقبلت رواجع .. " (٤)

---

(١) الكتاب : ٢ / ١٤٢ ، وانظر كذلك : المغني : ١ / ٢٨٥ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ٤ / ٢٩١ .

(٢) الحاقة : ٢٧ .

(٣) النساء : ٧٣ .

(٤) خزانة الأدب : ٤ / ٢٩٠ - ٢٩١ .

وقال ابن سلام في طبقاته :

" وهي لغة لهم سمعتُ أبا عون الحِرْمَازِيَّ يقول : " ليتَ أباك منطلقاً ، وليت زيداً قاعداً " وأخبرني أبو يعلى : أن مَنْشَأَهُ(١) بلاد العجَّاج فأخذها عنهم " (٢)

وقد ساقه القزويني شاهداً على الإنشاء الطلبي " للتمني " (٣)

الشاهد الواحد والثلاثون بعد المائتين : (*) (السريع)

قول أبي نواس :

عَلَيْكَ بِالْيَأْسِ مِنَ النَّاسِ ∴ إِنَّ غِنَى نَفْسِكَ(٤) فِي الْيَاسِ (٥)

الشاهد هو مطلع القصيدة ، وبعده أربعة أبيات :

كَمْ صَاحِبٍ قَدْ كَانَ لِي وَامِقاً(٦) ∴ إِذْ كَانَ فِي حَالَاتِ إِفْلَاسِ

أَقُولُ لَوْ قَدْ نَالَ هَذَا الغِنَى ∴ أَقْعَدَنِي حُبّاً عَلَى الرَّاسِ

حَتَّى إِذَا صَارَ إِلَى مَا اشْتَهَى ∴ وَعَدَّهُ النَّاسُ مِنَ النَّاسِ

قَطَّعَ بِالقِنْطِيرِ(٧) حَبْلَ الصَّفَا ∴ مِنِّي وَلَمَّا يَرْضَ بِالْفَاسِ

---

(١) الضمير في " منشأه " يعود إلى أبي عون الحرمازي .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ١ / ٧٨ - ٧٩ .

(٣) الإيضاح : ١ / ٢٢٧ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٠ ، خفاجي : ٣٢٣ ، شاكر : ٣٢٥ .

(٤) رواية الديوان :

" إِنَّ الغِنَى وَيْحَكَ فِي اليَاسِ "

(٥) لم أجد البيت إلا في :

ديوانه : ٦٠١ ، عيون الأخبار : ٣ / ١٩٤ .

(٦) وَامِقاً : محباً / مختار الصحاح : ٧٣٧ .

(٧) القِنْطِير ، والقِنْطَر بالكسر الداهية / اللسان " قنطر " : ٥ / ١١٩ .

الشاهد فيه مجيء " إنَّ " للتوكيد إذا كان الأمر يبعد مثله في الظن ، وقد جرت عادة الناس على خلافه ، قال :

" ثم إن الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه البناء هو الذي دُوِّن في الكتب من أنها للتأكيد ، وإذا كان قد ثبت ذلك فإذا كان الخبر بأمر ليس للمخاطب ظن في خلافه ألبتة ، ولا يكون قد عقد في نفسه أنَّ الذي تزعم أنه كائن غير كائن ، وأن الذي تزعم أنه لم يكن كائن فأنت لا تحتاج هناك إلى " إنَّ " وإنَّما تحتاج إليها إذا كان له ظن في الخلاف ، وعقد قلب على نفي ما تُثبت أو إثبات ما تَنفِي ولذلك تراها تزداد حسناً إذا كان الخبر بأمر يبعد مثله في الظن وبشيء قد جرت عادة الناس بخلافه " (١)

فأبو نواس في بيت الشاهد يتحدث عن أمر غريب يخالف المعهود في طبائع البشر . إذ أن المعروف أن غنى النفس في النفس ، وليس في اليأس ، وهذا الأمر المخالف للظن لا بد أن تستغربه النفس ، لذا جاء بـ " إنَّ " ليؤكد هذا الأمر ، ويقره في الإحساس . قال الشيخ :

" فقد ترى حُسْنَ موقعها ، وكيف قَبول النفس لها ، وليس ذلك إلَّا لأن الغالب على الناس أنهم لا يحملون أَنْفُسَهم على اليأس ولا يَدَعُون الرَّجاء ، والطمع ، ولا يَعترف كل أحدٍ ، ولا يُسَلِّم أنَّ الغنى في اليأس ، فلمَّا كان كذلك كان الموضع موضع فَقْرٍ إلى التأكيد ، فلذلك كان من حسنها ما ترى " (٢)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٥٠ ، خفاجي : ٣٢٣ ، شاكر : ٣٢٥ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٥٠ ، خفاجي : ٣٢٤ ، شاكر : ٣٢٥ .

الشاهد الثاني والثلاثون بعد المائتين : (*) (الطويل)

قول محمد بن وُهَيْب (١) :

أَجَارَتَنَا إِنَّ التَّعَفُّفَ بِالْيَاسِ ∴ وَصَبْرًا (٢) عَلَى اسْتِدْرَارِ دُنْيَا بِإِبْسَاسِ (٣)

حَرِيَّانِ أَنْ لَا يَقْذِفَا بِمَذَلَّةٍ ∴ كَرِيمًا وَأَنْ لَا يُحْوِجَاهُ إِلَى النَّاسِ

أَجَارَتَنَا إِنَّ الْقِدَاحَ كَوَاذِبٌ ∴ وَأَكْثَرُ أَسْبَابِ النَّجَاحِ مَعَ الْيَاسِ (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥١ ، خفاجي : ٣٢٤ ، شاكر : ٣٢٥ .

(١) هو محمد بن وُهَيْب الحِمْيَري ، شاعر من أهل بغداد من شعراء الدولة العباسية وأصله من البصرة وله أشعار كثيرة يَذكرها فيها ، ويَتَشَوَّقها ، ويصف إيطانه إياها ومنشأه بها .

وكان يستمنح الناس بشعره ، ويتكسَّب بالمديح ، ثم توسل إلى الحسن بن سهل بالحسن بن رجاء بن أبي الضَّحاك ومَدَحه ، فأوصله إليه ، وسمع شعره فأعجب به واقتطعه إليه ، وأوصله إلى المأمون حتى مدحه وشفع له ، وأحسن جائزته ، ثم لم يزل منقطعاً إليه حتى مات ، وكان يتشيع ، وله مَرَاثٍ في أهل البيت ، وهو متوسط من شعراء طبقته ، وفي شعره أشياء نادرة فاضلة ، وأشياء متكلفة ./

انظر ترجمته في :

الأغاني : ١٩ / ٧٤ - ٩٦ .

(٢) رواية الأغاني ، والدلائل تحقيق شاكر : ٣٢٥ " وصبراً " .

(٣) الإبساس : التصويت للناقة بلطف لتسكن ، وتدر اللبن / الصحاح " بسس " : ٣ / ٩٠٨ .

(٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلَّا في :

الأغاني : ١٩ / ٧٥ - ٧٧ .

موضع الشاهد قوله :

" إِنَّ التَّعَفُّفَ بِالْيَاسِ"

" وَصَبْراً عَلَى اسْتِدْرَارِ دُنْيَا بِإِبْسَاسِ"

" إِنَّ القِدَاحَ كَوَاذِبُ "

الشاهد فيه كسابقه ، وهو أن "إِنَّ" أفادت التوكيد ؛ لأن الكلام يبعد مثله في الظن .

حيث ذكر الشاعر أن التعفف لا يكون إلا بِالْيَاسِ ، وهذا أمر تعجب له النفس وتستبعده .

ثم ذكر أن الصبر على ضَنِّ الدُّنيا وشحها يكون بالرفق واللين ومسايرة الأمور والرضى بها ، وهذا أمر يندر صدوره من الطبيعة البشرية ، فجاء بإِنَّ ليؤكد ضرورة التمثل به .

ثم أخبر أن التمسك بهذين الأمرين ، والإلتزام بهما يعصم الإنسان من المذلة ، وسؤال الناس .

ثم جاء بقوله : " إِنَّ القِدَاحَ كَوَاذِبُ " مؤكداً " بإِنَّ " ؛ لأنه إنما يخاطب إنسانا يؤمن ويوقن بضرب القداح ، وفي تكذيب صدقها أمر يستبعده ظنه ، فجاء بـ" إِنَّ " ليؤكد له الأمر ويفتح ذهنه على الحقيقة ومما يلفت النظر أنه لم يأتِ بـ" إِنَّ " في قوله :

" وَأَكْثَرَ أَسْبَابِ النَّجَاحِ مَعَ الْيَاسِ"

مع أنه من الأمور التي تبعد عن الذهن فالذي يقره العقل هو أن النجاح يكون مع الطموح ، فهو كقول أبي نواس :

" إِنَّ غِنَى نَفْسِكَ فِي الْيَاسِ" .

ولعل السر في عدم مجيء التوكيد هنا : ثقته بذكاء القاريء ، فقد أكد سابقاً مايشبه معنى هذه الأبيات وهي قول أبي نواس (إِنَّ غِنَى نَفْسِكَ فِي الْيَاسِ) .

قال الشـــيخ :

" هو كما لا يخفى كلام مع من لا يرى أنّ الأمر كما قال بل ينكره، ويعتقـــد خلافه ، ومعلوم أنه لم يقله إلا والمرأة تحدوه ، وتبعثه على التعرض للنـاس ، وعلى الطلب " (١)

والمعنى : أن الصبر على العمل ، والكدّ فيه مع التعفف يبعدان الكريم عــن المذلة ، ويغنيانه عن الحاجة للناس ، فالرجل يريد أن يحلب الناقة ، فيحتــال لها حتى تدر اللبن ، وهذا هو الإبساس ، وكذلك الذي يريد أن يصون كرامتــه ينبغى أن يتحمل الصبر على مشـاق الكسب ، والاحتيال له .

ذكر الأصفهاني أن هذه الأبيات قد استحسنها أبو تمام ودعبل بن علــي ، وأبو سعد المخزومي ورأوا أنها من الأشعار الحسنة الجيدة التي تُلَقّى بهـــا الملـوك .

قـــال :

" أخبرني عمّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن محمد ابن مروان بن موسى قال : حدثني محمد بن وهيب الشاعر قال :
لما تولّى الحسن بن رجاء بن أبي الضّحّاك الجبلَ قُلْتُ فيه شعراً ، وأنشدتُـــه أصحابنا دِعْبِلَ بن علي ، وأبا سعد المخزومي ، وأبا تمام الطائي ، فاستحسنـــوا الشعر وقالوا : هذا لعمري من الأشعار التي تُلَقى بها الملوك ، فخرجــتُ إلى الجبل ، فلمّا صِرْتُ إلى همذان أخبره الحاجبُ بمكاني ، فأذِن لي فأنشدتُـه الشعر فاستحسن منه قولى ... " أبيات الشاهد " - فأمر حاجبه بإضافتـي فأقمتَ بحضرته كلما دخلت إليه لم أنصرف إلا بِحُمْلَان ، أو خلعة ، أو جائـــزة

---

(١) الدلائل ، رضا : ٢٥١ ، خفاجي : ٣٢٤ ، شاكر : ٣٢٦ .

حتى انصرم الصيف فقال لي : يامحمد إنَّ الشتاء عندنا عِلْج فأُعدَّ يوماً للوداع فقلت : خدمة الأمير أحبُّ إليَّ ، فلما كاد الشتاء أن يشتد قال لي : هذا أوان الوداع ، فأنشدني الثلاثةَ الأبيات فقد فهمت الشعر كله ، فلما أنشدته :

أَجَارَتَنَا إِنَّ القِدَاحَ كَوَاذِبٌ .·. وَأَكْثَرُ أَسْبَابِ النَّجَاحِ مَعَ اليَاسِ

قال صدقت ، ثم قال : عُدّوا أبيات القصيدة فأعطُوه لكل بيت ألفَ درهم فَعُدَّت فكانت اثنين وسبعين بيتاً ، فأمر لي باثنين وسبعين ألف درهم" (١)

الشاهد الثالث والثلاثون بعد المائتين : (*) (السريع)

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضاً رُمْحَهُ .·. إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحْ (٢) (٣)

أورده الشيخ من غير عزو، وهو لِجُحَل بن نضلة (٤) .

---

(١) الأغاني : ١٩ / ٧٥ - ٧٦ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٥٢، خفاجي : ٣٢٤ ، شاكر : ٣٢٦ .

(٢) يعني شقيق بن جزء بن رباح بن عمرو بن عبد شمس بن أعيا أحد بني قتيبة بن معن . / المؤتلف : ٨٢ .

(٣) انظر البيت في :

البيان والتبيين : ٣ / ٣٤٠ ، رسالة في أعجاز أبيات تغني عن صدورها " نوادر المخطوطات " : ١ / ١٧١ ، - " ذكر العجز دون الصدر " - ، المؤتلف : ٨٢ ، الموشح : ٢٣١ - بدون عزو - ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٥٨٠ ، جمع الجواهر في الملح والنوادر : ٢٦٥ - ٢٦٦ ، المفتاح : ٧٥ ، الإيضاح : ١ / ٩٥ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٦أ ، معاهد التنصيص : ١ / ٧٢ رقم الشاهد (١١) .

(٤) ذكر الآمدي في المؤتلف أن اسمه " جَحل " بالجيم قال : " من يقال له جَحل وجُحَل " فأما جَحل فهو من باهلة ، وهو جَحْل بن نضلة أحد بني ====

وبعـــده :

هَلْ أَحْدَثَ الدَّهْرُ لَنَا نَكْبَةً (١) .·. أَمْ هَلْ رَقَتْ (٢) أُمُّ شَقِيقٍ سِلَاحْ

موضع الشاهد : " إِنَّ بَني عمك فيهم رماح "

استشهد به على مجيء " إِنَّ " للتهكم ، وذلك أنْ يُدَّعى على المخاطب ظن لم يظنه .

قال الشيخ :

" ومن لطيف مواقعها أن يُدَّعى على المخاطب ظَنٌّ لم يظنه ، ولكن يراد التهكم به ، وأن يقال: إن حالك ، والذي صنعت يقتضي أن تكون قد ظننت ذلك (٣) "

فالشاعر حين رأى شقيقاً مقبلاً ، وهو واضع رمحه عرضاً غير متهيء للقتال ، ودل ذلك على الإعجاب الشديد بنفسه ، وشجاعته ، وأنه لن يقوم له أحد ، فهيئته التي قدم بها هيئة منكر وإن كان في حقيقته غير منكر ، فجاء الشاعر بـ " إِنَّ " للتهكم والسخرية والاستهزاء منه فقيل له " تَنَكَّبْ وَخَلِّ لهم طريقهم لئلا تتزاحم عليك رماحهم وتتراكم عليك أسنتها ، فَإِنَّ الرماح فيهم كثيرة " (٤)

=== عمرو بن عبد بن قتيبة بن معن بن أعصر ، وهو شاعر جاهلي . / المؤتلف : ٨٢ .

ونسب المبرد البيت في " رسالة في إعجاز أبيات تغني في التمثيل عن صدورها " للبكري .

(١) رواية المؤتلف ومعاهد التنصيص : " ذلة " .

ورواية جمع الجواهر في الملح والنوادر : " توبة " .

(٢) رواية معاهد التنصيص : " رمت " .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٥١ ، خفاجي : ٣٢٤ ، شاكر : ٣٢٦ .

(٤) شرح أبيات الإيضاح : " أحوال الإسناد الخبري " ـ النسخة الأزهرية ـ الشاهد رقم (١٩) وعنه نقل صاحب معاهد التنصيص : ١ / ٧٢ .

قال الشـــيخ :

" يقول: إنّ مجيئــه هكذا مُدِلاًّ بنفسه، وبشجاعته قد وضع رمحه عرضا دليـــل على إعجاب شديد، وعلى اعتقاد منه أنه لا يقوم له أحد حتى كأن ليس مـــع أحد منا رُمْحٌ يدفعه به، وكأنا كلّنا عُزْلٌ " (١)

وللبيت قيمة أدبية كبيرة، فمن معجب به، ومفضل له، ومن مجيد، ومن مضمن له.

ذكر المرزباني في الموشح أنه سُئل أبو برزة الأعرابي أحد بني قيس بن ثعلبة : أيعجبك قول أبي العتاهية :

أَلَا يَاعُتْبَـةُ السَّاعَـــةَ ∴ أَمُوتُ السَّـاعَةَ السَّـاعَهْ (٢)

فقال له : لا والله مايعجبني، ولكن يعجبني قول الآخر :

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضاً رُمْحَـــهُ ∴ إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِم رِمَـــاحْ

هَلْ أَحْدَثَ الدَّهْرُ .... البيت (٣)

ويبدو أن أبا برزة اعتمد في إعجابه وتفضيله على تذوقه وإحساسه، فلم يعـــلل سبب ذلك التفضيل والإعجاب.

وذكر القيرواني في جمع الجواهر مايبين قيمة هذا البيت وجودته فـروى :

" وقد قال بعض أصحابنا : قلت لفلان : لا تناظر فلاناً فإنه يغلبك. قال أمثلي يُغلب وعندي دفتر مجلّد.

ووجدنا عندنا دفاتر مجلّدة، وأجزاء مجودة، وأنشدناه قول حجل بن نضـــلة :

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضاً .... الأبيات " (٤)

---

(١) الدلائل، رضا : ٢٥١، خفاجي : ٣٢٤، شاكر : ٣٢٦.

(٢) لم أجده في ديوانه - دار صعب -

(٣) الموشح : ٢٣١.

(٤) جمع الجواهر في الملح والنوادر : ٢٦٥ / ٢٦٦.

وهذا البيت لجودته أعجب الشعراء بمعناه فضمنوه أبياتهم ، فهذا ابن جابر الأندلسي يشير - ويسمى التلميح - إلى شطر البيت الأول قوله " من السريع " :

قَدِّي وَخَدِّي خَفْهُمَا يَافَتَى ∴ هَذَا هُوَ الرُّمحُ وَهَذَا شَــقِيقْ

وفي البيت توريتان في قوله " الرّمح " وقوله " شقيق " ، وقد ضمنه أبو جعفر الأندلسي أيضا فقال " من السريع " :

أَبْدَتْ لَنَا الصُّدْغَ عَلَى خَدِّهَا ∴ فَأَطْلَعَ اللَّيلُ لَنَا صُبْحَــهُ

فَخَدُّهَا مَعْ قَدِّهَا قَائِــلُ ∴ هَذَا شَـقِيقٌ عَارِضٌ رُمحَــهُ

وأيضا ضمَّنهُ ابن الوردي (١) ، فقال (من السريع) :

لَمَّا رَأَى الزَّهْرُ الشَّقِيقَ انثنَى ∴ مُنهَزِمًا لَمْ يَسْتَطِعْ لَمحَــهُ

وَقَالَ : مَنْ جَاءَ؟ فَقُلْنَا لَــهُ ∴ جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضًا رُمْحَهُ (٢)

وذكر المرزوقي أن بيت جحل بن نضلة جاء على طريقة قول أبي شامة (٣) :

قُلْتُ لمُحْرِزٍ لما الْتَقَيْنَــا ∴ تَنَكَّبْ لَا يُقَطِّرْكَ الزِّحَــامُ (٤)

---

(١) هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ، أبو حفص ، زين الدين ابن الوردي المعرّي الكندي (٦٩١هـ - ٧٤٩هـ) ، شاعر أديب ، مؤرخ ، ولد في معرة النعمان " بسورية " وولي قضاء منبج ، وتوفي بحلب ، وله مؤلفات كثيرة منها : تاريخ ابن الوردي " تتمة المختصر " " اللباب في الإعراب " ، " شرح ألفية ابن مالك " ، وله ديوان شعر فيه بعض شعره ونثره ./ انظر ترجمته في :
الدرر الكامنة : ٣ / ١٩٥ ، بغية الوعاة : ٢ / ٢٢٦ ، ريحانة الألبا : ١ / ٣٢ ، ١٤٣ ، ٢ / ٤٠-٥٧ ، الأعلام : ٥ / ٦٧ .

(٢) معاهد التنصيص : ١ / ٧٢-٧٣ ، شاهد رقم " ١١ " .

(٣) هو أبو شامة بن عازب شاعر حماسي من الشعراء المغمورين ./ معجم شعراء الحماسة : ١٩ .

(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٥٨٠ .